الدُّرَّةُ السَّنِيَّةُ
فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله
الحسني الإدريسي الرَّحموني
الشَّهير بابن داني النَّدرومي
(ت.1331هـ / 1913م).

تقديم وتحقيق:
محمد سعيد حنشي

الدُّرَّةُ السَّنِيَّةُ
في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ

الدُّرَّةُ السَّنِيَّةُ
فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله
الحسني الإدريسي الرَّحموني
الشَّهير بابن داني النَّدرومي
(ت.1331هـ/1913م).

تقديم وتحقيق
محمد سعيد حنشي

الكتاب: الدُّرَّةُ السَّنِيَّةُ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ
تقديم وتحقيق: محمد سعيد حنشي

الطبعة الأولى : 2016
الإيداع القانوني : 2016MO2891
ردمك : 978-9954-0-5672-1
منشورات الخزانة الحسنية، الرباط

الطباعة والإخراج الفني
دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم 3 ، حسان - الرباط
الهاتف : *05 37 20 75 83* - الفاكس : *05 37 20 75 89*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

تقديم:

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره، وسببا للمزيد من فضله، ودليلا على آلائه وعظمته، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن استَنَّ بسُنَّته واهتدى بهديه، وبعد،

فلعل البحث في تاريخ الأمم من آكد المشاريع العلمية التي ينبغي أن تنصرف إليها همم الباحثين والدارسين، لأنه سِجِلُّ حِفْظِ ذاكرتها وحضارتها، وعنوان مجدِها وسُؤْدَدِها، والأمةُ التي لا تعرف تاريخَها أمةٌ لا مستقبل لها.

وقد حبا الله سبحانه وتعالى المغربَ حضارةً شامخةً، وثقافةً متنوعةً، وتاريخا عظيما، بذل مجموعة من علمائه الأفذاذ جهودا طيِّبةً لحفظِ قسمٍ مُهِمٍّ منه في السِّجلات والدَّفاتر والوثائق، لكن كثيرا من هذه المصادر ما زالت مخطوطةً تنتظر دورها في التَّحقيق والنَّشر.

ويُعَدُّ كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** لابن داني النَّدرومي، الذي أسعد اليوم بتقديمه للقارئ الكريم، من بين هذه المصادر التاريخية المغربية التي تتضمن أخبارا نفيسة، وتراجمَ عزيزة، من تاريخ الدولة العلوية الشَّريفة، تمتدُّ من حقبة حكم السُّلطان عبد الرحمن بن هشام (ت.1276هـ)، إلى حقبة حكم حفيده السُّلطان الحسن الأول (ت.1311هـ).

وقد كنتُ عقدتُ العزم على نشر هذا الكتاب مباشرة عقب انتهائي من تحقيق **ديوان شعره**، الذي وفقني الله سبحانه وتعالى لاكتشافه ضمن المخطوطات

المجهولة النسبة في الخزانة الملكية بالرباط، فَنَقَلْتُهُ من أصله، وعَلَّقْتُ على بعض ما يحتاج منه إلى تعليق. إلا أنني ترددت في إخراجه، خوفا من أن يُعاب عليَّ نشرُ كتابٍ يمكن أن يَمُجَّهُ ذوقُ بعضِ أبناء العصر، لما فيه من تكلُّفٍ في الأسلوب، وإغراقٍ في صنعة الكلام، إذْ ساقَ فيه مؤلِّفُه أسجاعا طويلة ثقيلة، وَحَشَدَ فيه محسنات بديعية كثيرة؛ فيُخَيَّلُ إلى قارئه أنه ديوان تقريظٍ ومدحٍ، لا كتاب تاريخ وتراجم، إذ أضحتْ الأخبار التاريخية الواردة فيه مفرَّقةً كتفرُّقِ الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ في البحر اللُّجِّيِّ.

وبقي هذا المشروع لهذا السبب مُعَلَّقًا مدةً غيرَ يسيرة من الزَّمن، وأنا أُقَدِّمُ رجلًا وأُؤَخِرُ أخرى، وألوم النَّفس وأزجُرُها على تَرَدُّدِهَا في إتمام هذا العمل ونشره، إلى أن غلبَ العقلُ الهوى، والعزمُ التَّرَدُّدَ، فرجعتُ إلى سبيل الجادَّة والصَّواب، وأدركتُ أنني مخطئ من وجهين اثنين:

الأول: هو أنني حَكَمْتُ على أثرٍ علمي كُتِبَ في حقبة مختلفة عن الحقبة التي نعيشها زمانا وإنسانا، بمعيار ذوقنا، وطريقَةِ تقويمنا ونقدنا، وهو لعمري حيف ما بعده حيف! فما نراهُ اليومَ قيوداً يَرْسُفُ فيها هذا الكتاب، ومُنَغِّصَاتٍ تُكَدِّرُ فِكْرَ مُتَصَفِّحِهِ، وتُشَوِّشُ على ذِهْنِ مُتَأَمِّلِهِ، كان المُؤَلِّف وأهلُ عصرِهِ يَرَوْنَهَا حِلْيَةً تُحَلَّى بها الكُتُبُ، وَزِينَةً تُوَشَّى بها الدَّواوينُ والدَّفاترُ، وحَلْبَةً واسعةً للتَّنافس بين الكُتَّابِ لإحراز السَّبْقِ في مضمارها.

والثاني: هو الضِّنَّة بهذا المصدر المهم من مصادر تاريخ المغرب على أهله، من شذاة التَّاريخ، والمولعين بكتب التَّراجم والرجال، الذين يَتَشَوَّفُونَ لرؤيته مطبوعا، وقد اعتمد عليه بعضهم مخطوطا، وفي هذا الأمر ما لا يخفى من الإخلال بأمانة العلم.

فقررت بعد هذا إخراج هذا الكتاب، وعدتُ إلى ملفاتي أقلِّبُها وأتعهدها بالتَّصحيح والتَّنقيح، وتوثيق وتخريج ما فاتني توثيقه وتخريجه، ولم أكتف بذلك فقط، بل ارتأيتُ أن أَضْبِطَ متن الكتاب من أوله إلى آخره تيسيرًا على قارئه، ووفاءً لمقصد مؤلفه.

ويضُمُّ كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** ثلاثة أقسام: مقدمة، وتعريف، وخاتمة.

أما المقدمة، فقد أورد فيها المؤلف نبذةً موجزةً من تاريخ نشأة الدَّولة العلوية الشَّريفة، وذِكْرِ سلاطينها الكرام، من السُّلطان مَحمد الشَّريف، إلى السُّلطان الحسن الأول.

وساق في التَّعريف ترجمةً وافيةً للسُّلطان الحسن الأول، وخليفته بمراكش الأمير عثمان بن محمد بن عبد الرحمن، وما أتحف به جنابها من قصائد مادحة، ثم أردف ذلك بترجمة كبراء الدَّولة الْـحَسَنِيَّةِ الشَّريفةِ، من حجابٍ وكتاب، ووزراء وأمناء وسفراء.

وذَكَرَ في الخاتمة رحلتَهُ في الأحواز الـمُرَّاكشيَّة، وعودتَه إليها، ودخولَه إلى إيوانِ الْـمُلْكِ، لتقديم هذا الكتَّاب هديَّةً سنِيَّةً للسُّلطان الحسن الأول.

وقد ورد في هذا المؤَلَّفِ مجموعة من الأخبار التَّاريخية القَيِّمَةِ، وتراجِمَ يكاد ينفرد بها عن غيره من المصادر، منها ترجمة الأمير عثمان بن محمد بن عبد الرحمن ابن هشام، صِنْوِ السُّلطان الحسن الأول، وخليفته على مراكش، وترجمة محمد بن سليمان، أحد كتبة السُّلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، والذي ولَّاه السُّلطان محمد بن عبد الرحمن الإشراف على مطبعة الكتب بفاس، وترجمة الوزير ابن داني الكبير، وترجمة الكاتب ابن داني الصغير، إلى غير ذلك من طريف الأخبار.

ولعل أكثر شيء يثير الانتباه والإعجاب في هذا الكتاب، هو قصائد المدح الواردة فيه، فقد نُظِمَتْ بِنَفَسٍ شِعْرِيٍّ عَالٍ، يُحَاكِي نَفَسَ فحولِ شعراءِ العربية، وقد افتخرَ ناظِمُها بهذه المزيَّة في كثير من قصائده، وَحُقَّ له أن يفعل ذلك، لأنه استطاع أن ينأى بشعره عن الإسفاف والرَّكاكة، وَكَسَا ممدوحيه حُلَّةَ ثناءٍ ومجدٍ لا تَبلى محاسِنُها أبد الدهر.

لكنني أعتقد أن ابنَ داني قد ضَيَّق على نفسه واسعًا في كتابه الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ، حين انْتَخَبَ من رجال الدولة الحسنية من خصَّهُمْ بمدائحه، وكان الأجدرُ به أن يُتَرْجِمَ رجالاتها الذين لم تشملهم مدائحه. كما أن إسرافَه في تكلُّفِ صنعة الكلام، حَدَّ من حريته في سَوْقِ الأخبار التاريخية، والتعليق عليها، والاستطرادِ في ذكر كثير مما يتعلَّقُ بسيرةِ مَنْ خَصَّهُمْ بالترجمة.

إلا أن ما يمكن أن يَشْفَعَ له في هذا المقام، أنه أَلَّفَ هذا الكتابَ نزولا عند طلب السُّلطان الحسن الأول، متحديا في الآن ذاته أحد معاصريه، الذي أَلَّفَ كتابا في الموضوع نفسه، لم يَشْفِ فيه الغليلَ، من ذِكْرِ فضائِلِ هذه الدولة، ومناقبِ رجالِها، أضف إلى ذلك أنه لم يُوَشِّحْهُ بالبيان والبديع الذي يرتضيه فحولُ أهل العصر. فانبَرَى ابن داني للرَّدِّ عليه بتأليف من جِنْسِهِ أتى فيه بنفائس الأخبار، وعجائِبِ الآثَارِ، ومستملَح الأشعار، وهو إلى ذلك مُوَشَّحٌ بحُلَلٍ قشيبةٍ من سحر البيان، ولطائف البديع.

وليتيسر الانتفاع من هذا الكتاب، قسمته إلى قسمين:

القسم الأول: سقتُ فيه تقديما عاما، أردفته بمقدمة ضمَّت مبحثين، أوردتُ في الأول منهما قبسات من سيرة ابن داني النَّدرومي، ثم عرَّفْتُ بما وصلنا من آثاره العلمية، وتناولتُ في المبحث الثاني بالوصف النسخة الخطية لكتاب

الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ التي اعتمدتها في التحقيق، وذكرتُ محتوياتِهَا، ودواعي تأليفِهَا.

أما القسم الثاني، فقد خصصته لمتن هذا الكتاب، الذي تَحَرَّيْتُ في نقلِهِ من أصلِهِ الدقةَ والصوابَ، وضبطتُهُ من أوله إلى آخره، وخَرَّجْتُ أشعارَه ووثَّقْتُ نصوصَهُ وأخبارَهُ، واقتباساته الكثيرة من القرآن الكريم، والسُّنَّةِ النَّبويَّة الشَّريفة، والتُّراث العربي بمختلف علومه وفنونه. كما شرحتُ وعرَّفتُ منه ما هو بحاجة إلى شرح وتعريف، من غريب اللُّغة والمثل والشِّعر، ومغمور الأعلام والقبائل والأماكن والبلدان، حسب الوُسْع والإمكان، وذيَّلْتُهُ بفهارس مفصلة، تُيَسِّرُ على الباحث الوصول إلى بُغْيَتِهِ منه.

ولا يفوتني في هذا المقام، قبل أن أختم الكلام، أن أتوجه بالشكر الجزيل، والثناء العطر، لأستاذي الفاضل أحمد شوقي بنبين، حفظه الله، على توجيهه وتشجيعه، وعلى تجشمه عناء مراجعة هذا الكتاب وتصحيحه.

وأتشرف أن أهدي هذه الدُّرَّةَ السَّنِيَّةَ هديةً لمقام أمير المؤمنين، وراعي العلم والعلماء في هذا البلد الأمين، محمد السَّادس أعزه الله، كأول ثمرة من ثمرات إنشائه لخزانة الأشراف العلويين، سائلا المولى عز وجَلَّ أَنْ تَقَرَّ بها عينه.

وأرجو أن أكون قد وُفِّقت بعض التوفيق في تحقيق هذا الكتاب وتقديمه، لأن غرضي من نشره، إنقاذُ مصدرٍ مهم من مصادر تاريخ المغرب، وإتحاف أهل العلم به، راجيا من قارئه أن ينظر إليه بعين الرضى والقبول.

محمد سعيد حنشي

رباط الفتح في 4/ 12/ 2015.

المقدمة:

سأتناول في هذه المقدمة مبحثين رئيسين:

الأول: خصصه لحياة المؤلف، حيث ذكرت مولده ونشأته، وهجرته من ندرومة إلى فاس، وتتلمذه بها، وتَقَلُّدَهُ خُطَّةَ العدالة بمراكش، واستقراره بها، مع إيراد ما وصلنا من ومضاتٍ متعلقة بحياته الاجتماعية، وعلاقته بالبلاط ورجالاته، وما بقي من آثاره العلمية، ثم ذكر تاريخ وفاته.

والثاني: تناولت فيه بالدراسة كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ**، حيثُ عرفتُ بنسختها الخطية، ووصفتها وصفا شافيا، ثم ذكرتُ عنوان الكتاب، ووثقتُ نسبتَهُ إلى مؤلفه، وسردتُ في الأخير مضامينه دواعي تأليفه.

I - ابن داني الندرومي حياته وآثاره:

رغم أن مُؤَلِّفَ هذا الكتاب عاش في فترة قريبة منا، وكان شاعرا مكثرا، وكاتبا مبرِّزًا، إلا أنه لم يلق المكانة والحظوة التي يستحقها في بلد مولده ونشأته، ولا الاحتفاء والذكر الحسن في بلد نبوغه وشهرته. ولولا أن الله تعالى فتح علينا ما استغلق على غيرنا في اكتشاف شعره، لظل كغيره من أعلام هذا البلد خامل الذِّكْرِ، مَنْسِيَ السيرة. إنه الشاعر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الحسني الإدريسي الرحموني الشهير بابن داني الندرومي مولدا ومنشأ، الفاسي قراءة، المراكشي دارا وقرارا المتوفى بمراكش سنة: (1331 هـ - 1913 م).

وقد تفرد بترجمته صاحب **الإعلام**[1] لكنه لم يورد في هذه الترجمة تاريخ مولده، ولا ظروف هجرته، ولا شيوخه وحقبة دراسته، وسنحاول إن شاء الله **في هذا البحث اعتمادا على ما جمعناه من معلومات من ديوان شعره، وكتابه الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ، وغيرهما من المصادر أن نصنع ترجمة وافية.**

1- نسبه ومولده ونشأته:

هو مَحمد (فتحا) بن أحمد بن محمد بن عبد الله الحسني الإدريسي الرحموني الندرومي، ورد نسبه كاملا في ديوان شعره في رسالة له إلى أحد أبناء عمومته في ندرومة نقتطف منها قوله:

«نحمدك يا من هدانا لحمده على نعمه التي جلت عن العد والإحصا، وأرشدنا لشكره على ما أسبغ من كرمه المقدس عن الحد والاستقصا، ونستعينك على ما نحاوله من توشية الرسائل، وتطريزها بالأيمن والشمائل، بما لا يوجب زيادة أو نقصا ... ونصلي على نبيك محمد الذي أسريت به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، صلى الله عليه وعلى آله الذين بحبهم وودادهم وصى، ... من **العبد الفقير إلى ربه، المعترف بذنبه، محمد بن أحمد ابن محمد** بن عبد الله الحسني **الادريسي الرحموني الندرومي مولدا ومنشأ، الفاسي قراءة، المراكشي** دارا وقرارا، أصلح الله حاله ومآله، ومحى أوزاره، وأصلح أعماله، وبلغه آماله[2]».

وورد في ترجمة صاحب **الإعلام** ما يلي: «مَحمد (فتحا) بن أحمد بن محمد بن عبد الله الندرومي مولدا ومنشأ، المراكشي دارا وقرارا ... وكان رحمه الله يدعى ابن داني شهرة بأصهاره[3]».

---

1) وهي ترجمة قصيرة في الجزء 7/ 182، وقد نقل قسما من هذه الترجمة عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة في إتحاف المطالع، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى: 1/ 147، والمرحوم العلامة محمد المنوني في كتابه المصادر العربية لتاريخ المغرب: 2/ 201.

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 61

2) الإعلام: 7/ 181.

وقد أكد نسبته إلى بني رحمون في موضعين من ديوان شعره الأول قوله: [الكامل]

وَلَهُ عَلَى مَــــرِّ الْعُصُورِ لَدَيْكُـــمُ   نَسَبٌ تَقَـرَّرَ فِي بَنِي رَحْمُـــونِ[1]

وقوله: [الطويل]

وَصِفْ لِبَنِي رَحْمُونَ شَوْقِي وَصَبْوَتِي   وَجُمْلَةَ إِيحَاشٍ يَضِيقُ بِهَا الصَّدْرُ[2]

وكان يدعى ابن داني شُهْرَةً بأصهاره، كما ذكر صاحب **الإعلام**، لأنه تزوج بنت محمد بن محمد بن داني الكبير التازي المراكشي دارا، المتوفى سنة 1305هـ، ويقر بهذا اللقب في شعره: [الطويل]

فَأَنْتَ ابْنُ دَانٍ فَادْنُ مِنْهُ وَلَا تَخَــفْ   فَإِنْ جَادَ بِالطَّافِي فَبِالْـمَالِ جُدْتُمْ[3]

ولد ونشأ بندرومة، وهي بلدة صغيرة قرب الحدود الجزائرية المغربية، تقع بجانب ميناء الغزوات، يقول في وصفها صاحب **المقامة المرومة إلى تلمسان وندرومة**[4]: «وهي بليدة ظريفة مرتفعة منيفة خيرها عميم، ونباتها جميم، كثيرة الأقوات، هادئة الأصوات... محفوفة من جل الجوانب بالكدي والربى العظيمة، لولا قربها من المرسى، ما حمد بها صباح ولا ممسى، أهلها أقرب إلى الوفق، وأبعد عن الشراسة والعمق، يكرمون الوارد، ويحبون الوافد»[5].

---

3) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 40.

2) المصدر نفسه:63.

3) المصدر نفسه: 100.

4) توجد منه نسخة خطية بالخزانة الحسنية بالرباط.

5) المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان وندرومة: 15.

أنجبت ندرومة مجموعة من الرجال الأفذاذ، وكانت إلى عهد قريب حجة مجموعة من العلماء، وكانت مجالس العلم والذكر فيها غاصة الطلبة، وقد كان والدي رحمه الله ضمن الطلبة الذين رحلوا إلى ندرومة لحضور مجالسها وتوافق وجوده هناك مع تواجد صاحب هذه الرحلة ومن الطرائف التي سمعتها منه مشافهة، وما زلت أذكرها، النقاش الذي دار حول تارك القنوت هل يلزمه سجود السهو أم لا فتشعبت=

وقد ذكر موضع ولادته بنفسه في موضعين من ديوان شعره، الأول في رسالته السالفة الذكر: «امحمد ابن أحمد بن محمد بن عبد الله الحسني الإدريسي الرحموني الندرومي مولدا ومنشأ».[1]

والثاني قوله في قصيدة ملحقة بهذه الرسالة: [الطويل]

فَيَا سَائِلِي عَنْ نَاظِمِ الشِّعْرِ وَاسْمُهُ ... مُحَمَّدُ إِبْنُ أَحْمَدَ الْمَاجِدُ الصَّدْرُ[2]
بِنَدْرُومَةَ الْحَسْنَاءِ مَشْرِقُ شَمْسِهِ ... وَمَغْرِبُهَا مُرَّاكُشُ جَادَهَا الْقَطْرُ

ولكننا لم نقف بالتحديد على سنة ولادته، إلا أننا نرجح أنها كانت في نهاية العقد الخامس من القرن الثالث عشر للهجرة، وقد عاش ابن داني فترة من صباه وشبابه في ندرومة، ولا جرم أنه في هذه المرحلة حفظ القرآن الكريم، والضروري من متون علوم الدين، ويُستنتج ذلك مما بين أيدينا من نصوصه الشعرية يقول مثلا في وصف ذكرياته السعيدة في ندرومة: [الوافر]

طَوَتْ نَدْرُومَةٌ عَنَّا نَبَاهَا ... أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا دَهَاهَا[3]
أَلِفْنَاهَا زَمَانًا مُسْتَمِرًّا ... يَتِيهُ الطَّرْفُ عِشْقًا فِي سَنَاهَا
وَكَمْ هِمْنَا ضُحًى فِي وَادِ تَيْمَا ... تَطُوفُ بِنَا ظُبَاهَا أَوْ مَهَاهَا

ويقول متحسرا على انصرامها: [الطويل]

=آراء الحاضرين حول هذه القضية حتى تدخل الشيخ بقوله على البديهية والارتجال: [الرجز]

ومن لتركه القنوت يسجد ... فإن فعله بذا لا يفسد
وأشهب يقول بالبطلان ... والقول بالصحة ذو الرجحان
وما لدى ميارة لا تعتمد ... لأنه لأشهب فلتستفد
وفي شرح شواهد عبد الباقي ... كفاية فحد عن الشقاق.

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 61.

2) المصدر نفسه:63.

3) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 60.

فَآهًا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيبِهِ تَبَاهَتْ بِهِ الْأَزْمَانُ وَاتَّسَقَ الْبِرُّ[1]
وَآهًا عَلَى تِلْكَ الْبِقَاعِ وَحُسْنِهَا لَقَدْ فَاحَ فِيهَا الْآسُ وَالْوَرْدُ وَالزَّهْرُ
أَقَمْنَا بِهَا حِينًا نُنَادِمُ أُسْرَةً مَحَاسِنُهُمْ شَمْسٌ وَأَوْجُهُهُمْ زُهْرُ

2 ـ هجرته وغربته:

كان استعمار فرنسا الغاشم للمغرب الأوسط سببا في هجرة عدد كبير من سكان هذا البلد الإسلامي إلى مجموعة من الأقطار، وكان المغرب الوجهة المفضلة لكثير من هؤلاء، وقد نزل أغلبهم بمدينة تطوان، وحل آخرون بمدينة طنجة وفاس وغيرها، وكانوا يتمتعون برعاية خاصة من سلاطين المغرب. وتؤكد هذه الحقيقة التاريخية مجموعة من الوثائق والرسائل التي كتبها هؤلاء السلاطين إلى عمالهم، ونختار منها رسالة المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامله على تطوان يوصيه خيرا بالأفواج الأولى من المهاجرين الجزائريين يقول فيها: »خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود المركبين الحاملين لأهل الجزائر، ردها الله دار الإسلام، وبما أخبر به أهلها عليها وعلى وهران، وما فعل العدو الكافر قصمه الله، وخيب سعيه، فكل من وردَ منهم قَابِلْهُ بالبشاشة والقبول، واجبرْ خواطرهم بالإكرام، ولين الجانب، فإن جبر القلوب واجب، وأحرى إخواننا المسلمين الذين قهرهم العدو، واستولى على أملاكهم وبلادهم، وفروا بدينهم، جبر الله حالهم بمنه...«[2]

ولم نقف بالتحديد على السنة التي هاجر فيها ابن داني من ندرومة إلى فاس، إلا أنه وصف الظروف القاسية لهذه الهجرة في مواضع كثيرة من شعره، وذكر

1) المصدر نفسه:62.
2) وثيقة مخطوطة بالخزانة الحسنية مؤرخة بـ 22 ربيع الأول عام 1246هـ

ما خلفته في نفسه من آلام وأحزان. من ذلك قوله في نونيته الطويلة التي كتبها بمراكش في شهر شعبان سنة 1289هـ: [البسيط]

تَوَجَّهُوا لِبِلَادِ الْغَرْبِ وَاحْتَمَلُوا   فِي السَّيْرِ عِدَّةَ أَطْفَالٍ وَنِسْوَانِ[1]
سَارُوا بِحُكْمِ النَّوَى وَالرَّوْعُ يُقْلِقُهُمْ   وَحَادِيُ النَّوْحِ يَحْدُوهُمْ بِأَلْحَانِ
تَغَرَّبُوا وَعَذَابُ الْبَيْنِ يُنْذِرُهُمْ   بِغُرْبَةٍ وَتَفَرُّقٍ بِبُلْدَانِ
وَاسْتَوْطَنُوا الْمَغْرِبَ الْأَقْصَى وَبَلْدَتَهُ   فَاسًا مَحَلَّةَ آسَادٍ وَغِزْلَانِ
حَلُّوا بِهَا كَحُلُولِ الْغَيْثِ وَاتَّخَذُوا   رُبُوعَهَا دَارَ هِجْرَةٍ وَإِيمَانِ
وَبَعْضُهُمْ رَكِبَ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ مُمَهَّدَ الْمِهَادِ بِطَنْجَةٍ وَتِطْوَانِ

لكن هذه الهجرة كانت فاتحة خير عليه، ويؤكد ذلك بنفسه في قوله: [الطويل]

تَغَرَّبَ عَنْ أَوْطَانِ مَسْقِطِ رَأْسِهِ   وَحَلَّ بِأَقْصَى الْغَرْبِ فَاحْتَلَّهُ الْخَيْرُ[2]

3 ـ نزوله بفاس وظروف دراسته بها:

نزل ابن داني بفاس بعد خروجه من ندرومة، واستقبل بها استقبالا طيبا، واستمتع بمقام هنيء بين أهلها لا يكدره تنغيص الشانئين، ولا غمز الحاسدين، ولا جفاء المتعصبين. خلافا لأحد معاصريه، وهو أبو حامد المشرفي الذي تبرم غير ما مرة في مؤلفاته من جفاء أهل فاس، وسوء معاملتهم للمغتربين يقول: «لما رمانا الدهر بالخروج من الوطن خيمنا في المصر الفاسي، وقابلنا فيه بمكروه من

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 48.
2) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 63.

هو ذو جفاء وقلب قاسي.»[1] وقد نظم قصيدة طويلة ذكر فيها أصنافا من سوء معاملة أهل فاس، وكثرة جفائهم وحسدهم، ومكائدهم،[2] أما ابن داني، فعلى خلاف ذلك، مدح حاضرة فاس، وأشاد بأهلها في مجموعة من قصائده منها قوله: [الوافر]

سَقَى نَوْءُ الثُّرَيَّا رَوْضَ فَاسِ فَيَزْهُو الزَّهْرُ مِنْ وَرْدٍ وَآسِ[3]

فَأَمَّا أَرْضُهَا فَأَجَلُّ أَرْضٍ وَأَمَّا نَاسُهَا فَأَجَلُّ نَاسِ

وَقَاهَا اللهُ شَرَّ الْخَلْقِ طُرًّا وَأَنْجَى أَهْلَهَا مِنْ كُلِّ بَاسِ

وقوله في أخرى: [الكامل]

عَرِّجْ عَلَى طَلَلِ الْأَحِبَّةِ سَائِلًا عَنْهُمْ بِفَاسٍ غُرَّةِ الْبُلْدَانِ[4]

جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا الْجَمِيلَةُ وَاغْتَدَتْ مَأْوَى حِسَانِ الْحُورِ وَالْوِلْدَانِ

إلى غير ذلك من النصوص التي تؤكد حبه لفاس، لأنه قضى فيها أياما حلوة على غرار أيام طفولته في ندرومة، وأكمل فيها تعليمه بجامع القرويين. لكن ابن داني لم يذكر أحدا من شيوخه ولا حتى الفترة التي قضاها في التحصيل، وحتى صاحب **الإعلام**، الذي يذكر عادة شيوخ مترجميه، فإنه ضرب صفحا عن هذه الفترة من حياة الرجل. ونرجح بما لدينا من معطيات من سيرته أن يكون نهاية العقد السادس وبداية السابع من القرن الثالث عشر للهجرة هي الحقبة الزمنية

1) ديوان شعر المشرفي: 4.

2) شرح هذه القصيدة في كتابه: **الفتح والتيسير في شرح قصيدة حوت من هم على قدم البشير النذير** والكتاب مخطوط بالخزانة الحسنية.

3) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 73.

4) المصدر نفسه: 15.

التي قضاها في التحصيل بفاس، لأن أغلب قصائده نظمت في العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري، والذي يليه. مثل قصيدته في رثاء الوزير محمد الطيب اليماني بن أبي عشرين الأنصاري المتوفى سنة 1286هـ التي تعد من أقدم قصائده المؤرخة التي وقفنا عليها وأولها: [الطويل]

أَرِقْتُ فَشَاقَتْنِي الْـبُرُوقُ اللَّوَامِـــعُ وَسَالَتْ عَلَى النَّحْرِ الدُّمُوعُ الْـهَوَامِعُ[5]

أما أزهى فترات عطائه الشعري فكانت في فـترة حكم المولى الحسن الأول الممتدة بين (1290 هـ - 1873 م / 1311 هـ - 1894 م).

وأبرز شيوخ العلم في فاس الذين يرجح أن يكون قد أخذ عنهم هم: شيخ الجماعة بعصره، محمد بن عبد الرحمن الحجرتي الفلالي السجلماسي (ت.1275هـ)[6]، الذي كان يدرس **رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، و**مختصر الشيخ خليل** وشروحه وحواشيه، و**تحفة ابن عاصم**، و**لامية الزقاق**، تدريس تحقيق وإتقان وتدقيق. وسيبويه عصره الفقيه النحوي أحمد المرنيسي (ت.1277هـ)[7] وغيرهم من أعلام هذه الطبقة، ويذكر الشاعر شيوخه، دون أن يحددهم، بكل احترام وتقدير في غير ما قصيدة من قصائده، من ذلك قوله: [الوافر]

فَإِنْ عَمَرُوا الدُّرُوسَ وَشَنَّفُـــوهَا تَـرَاهُـمْ كَالْـبُحُورِ الطَّامِيَاتِ
وَإِنْ تَسْأَلْـهُمُ عَنْ أَيِّ عِـــلْـــمٍ تَجِدْهُمْ كَالْـغُيُوثِ الْـهَامِيَـاتِ[8]
أَلِفْـنَاهُمْ وَكُـنَّا فِي حِمَاهُـــــمْ زَمَانًا فِي الْـعُصُورِ الذَّاهِبَاتِ

---

5) المصدر نفسه: 112.

6) ترجمته في سلوة الأنفاس: 2/ 206، الاستقصا: 9/ 76، الموسوعة: 2612.

7) سلوة الأنفاس 1/ 259، دليل مؤرخ المغرب: 447.

8) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 77.

فَهُمْ أَحْبَارُنَا أَبْصَارُنَا بَـــــلْ مَصَابِيحُ اللَّيَالِي الْـمُظْلِمَاتِ
وَحُبُّهُمُ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَـــــرْضٌ وَأَنْجَى مِنْ ظُهُورِ النَّاجِيَاتِ
تَسَلَّيْنَا بِهِمْ عَنْ وَالِدَيْنَـــــا وَأَنْسَوْنَا حُجُورَ الْوَالِدَاتِ

أو قوله أيضا: [الرمل]

أَخَذَ الْآدَابَ وَالْأَشْعَارَ مِنْ سَادَةٍ غُرٍّ كِرَامٍ نُجُبِ[1]
قَبَسَ الْعِلْمَ وَأَوْرَى زَنْدَهُ مِنْ صُدُورٍ جِلَّةٍ كَالشُّهُبِ

وكثيرا ما كان ابن داني يمدح أفاضل عصره بما حصلوه من العلم بفاس، فيذكر بعض الْـمُصَنَّفَاتِ التي درسوها على شيوخهم في القرويين، **كالخلاصة** وشروحها، **ومختصر خليل** وشروحه وحواشيه، **وتحفة ابن عاصم** وشروحها، **ورسالة ابن أبي زيد القيرواني** وشروحها، وغيرها من الكتب التي درسها هو أيضا على شيوخه في جامع القرويين، والأمثلة في هذا الباب كثيرة، نكتفي بذكر واحد منها، وهو قوله في مدح أحد الفضلاء: [الطويل]

فَكَمْ فَكَّ بِالْحَطَّابِ كُلَّ عَوِيصَةٍ فَسَرَّ بِهَا الْأَكْفَا وَحَلَّ عِقَالَهَا[2]
وَبِالدُّرَرِ الْمَكْنُونَةِ انْهَلَّ دُرُّهُ فَحَاكَ بِهَا الْأَفْهَامَ لَكِنْ أَطَالَهَا
وَبِالتُّحْفَةِ الْغَرَّاءِ طَالَ اعْتِكَافُهُ فَأَتْحَفَهَا بِرًّا وَرَوْنَقَ حَالَهَا
بِمُخْتَصَرِ الشَّيْخِ الْخَلِيلِ تَطَاوَلَتْ أَقَاوِيلُهُ لَمْ يَحْوِ قَوْلٌ طِوَالَهَا
وَهِمْتُمْ بِشُرَّاحِ الْخَلِيلِ وَسُقْتُمُ بُحُوثًا مَعَ الْخِرْشِيِّ كَالزَّهْرِ يَا لَهَا

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 125.
2) المصدر نفسه: 78-79.

وَحُزْتُمْ حُلَى الْـبَنَّانِي بَلْ وَرَهَنْتُــــمُ بِدَيْنِ الرَّهُونِي قَوْسَـهَا وَنِبَالَهَا

ورغم أننا لم نستطع أن نجزم جزما قاطعا في شيوخ ابن داني، ولا في الفترة الحقيقية التي قضاها في التحصيل بفاس، إلا أننا إذا نظرنا إلى مكانته في عصره، وقدرته الشعرية المتميزة بين أضرابه، نستطيع أن نؤكد أنه تلقى تكوينا جيدا في علوم كثيرة، وأنه كان يتمتع بثقافة واسعة، تتجاوز حدود التخصص الضيق الذي يغلب على كثير من مثقفينا الآن. فحين يسرد في شعره الأحداث التاريخية، الطويلة القديمة منها والحديثة، يخيل إليك أنه مؤرِّخٌ مُبَرِّزٌ، وحينما يتحدث في التصوف وأقطابه، وأوراده وأحزابه، تحسِبُه متصوفا راسخا، وإذا ساق نكت الفقه وكتبه وفروعه وأصوله ومدارسه وأعلامه، أو تأملنا اقتباساته القرآنية والحديثية الكثيرة نستطيع أن نجزم أنه كان فقيها ضليعا، وإذا تتبعنا مُلَحَهُ النحوية، وصوره البلاغية، وأسجاعه الطويلة، وثقافته الشعرية التي تَمْتَحُ من قديم الشعر وحديثه، نستطيع أن نؤكد أن له قدما راسخا في الأدب، وأنه منذ ألهم حب العلم والطلب، كان همه منصرفا إلى حفظ عيون الشعر والنثر العربي، وهذا سر أسرار عبقريته.

4 ـ انتقاله من فاس إلى مراكش واشتغاله بخطة العدالة:

تشاء الأقدار الإلهية بعد انصرام سنوات الدراسة في فاس، أن تقود ابن داني إلى مدينة مراكش، التي حط بها عصى التسيار، وآثرها على غيرها من المدن للعيش والاستقرار، وقد أحبها حبا كبيرا، يقول في وصفها: «فَأَحْوَالُ هَذِهِ الْـمَدِينَةِ لَا تُوَازِيهَا مَدِينَةٌ، بَعْدَ مَكَّةَ وَالْـمَدِينَةِ، رَحَلَتْ إِلَيْهَا الْأَفَاضِلُ وَحَطَّتْ بِهَا الرِّحَالَ، وَمِنْهُمُ الْأَقْطَابُ الْـمَعْرُوفُونَ بِالسَّبْعَةِ رِجَالٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَوْتَادِ وَالْأَبْدَالِ، تَعَزَّزَتْ بِعِزَّةِ اللهِ وَتَحَصَّنَتْ بِالْأَبْرَاجِ الْـحَصِينَةِ، وَتَجَمَّلَتْ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، فَهِيَ مِنْ دَوَائِرِ الزَّمَانِ أَمِينَةٌ، وَفِي طَاعَةِ الدَّوْلَةِ الْـعَلَوِيَّةِ رَهِينَةٌ، وَبِهَا مِنَ الْـمَسَاجِدِ

وَالْـجَوَامِعِ، وَالْـمَآذِنِ وَالصَّوَامِعِ، مَا تَقِفُ دُونَ حَدِّهَا الْـمَطَامِعُ، وَتَتَحَلَّى بِذِكْرِهَا الْـمَسَامِعُ، افْتَخَرَتْ بِمُشَيَّدَةِ الْـمَبَانِي وَالْـمَصَانِعِ، وَحَشَدَتْ إِلَيْهَا الْـمُلُوكُ كُلَّ مَاهِرٍ وَصَانِعٍ، وَتَشَوَّفَتْ إِلَيْهَا الْـحُذَّاقُ كَمَا تَشَوَّفَتْ النُّجُومُ لِلْمَوَاقِعِ[1]».

وكان ينعم فيها بالعيش الرغيد، والمقام السعيد رغم ما يُظْهِرُهُ من الشكوى والبلوى في شعره يقول عن ذلك: «وما رأيتم فيه من ألفاظ تقتضي التشكي من نوب الزمان، الموجعة للأرواح والأبدان، فليست على حقيقتها، ولا سالكة على طريقتها، فإننا بحمد الله في نعم ضافية، وسرور وعافية.»[2]

وقد اشتغل ابن داني عدلا بسماط الطالعة[3] بمراكش، بيد أنه كان يتبرم من هذا الخطة وأهلها، يقول في ذلك: «لَمَّا تَرَامَتْ بِي مَرَامِي التَّجَوُّلِ وَالِاغْتِرَابِ، وَجَرَتْ بِي سَوَابِقُ التَّهَوُّرِ وَالِاضْطِرَابِ، قَصَدْتُ الْـحَضْرَةَ الْـمُرَّاكُشِيَّةَ، ذَاتَ الْـحُلَلِ الْـمُوشِيَةِ، كُرْسِيَّ الْـمُلْكِ الْأَوَّلِ، وَالْـمِصْرَ الَّذِي كانَ إِلَيْهِ الْـمَلْجَأُ وَعَلَيْهِ الْـمُعَوَّلُ، فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيَارِ، وَأَعْطَيْتُ الْـقِيَادَ لِمَنْ بِيَدِهِ التَّدْبِيرُ وَالِاخْتِيَارُ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْـفَاعِلُ الْـمُخْتَارُ، فَجُلْتُ فِي أَكْنَافِهَا جَوَلَانَ الْـكَوْكَبِ السَّيَّارِ، وَتَعَاطَيْتُ بِهَا خُطَّةَ الْـعَدَالَةِ، وَتَعَلَّلْتُ بِتِلْكَ الْـعُلَالَةِ4، وَوُضِعَ اسْمِي فِي دِيوَانِ الْـعُدُولِ، الْـمَقُولِ فِيهِمْ كُلُّ النَّاسِ عُدُولٌ إِلَّا الْـعُدُولُ!»[5].

5ـ زوجه وأولاده وعلاقته بصهره:

تزوج ابن داني الندرومي من ابنة الوزير محمد بن محمد التازي المراكشي المعروف بابن داني الكبير، وأنجب منها أطفالا، ذكر منهم ثلاثة في ديوان

1) الدرة السنية: 173

2) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 65

3) من الأحياء المشهورة بمراكش.

4) تعلل بالأمر واعتل تشاغل، والعُلالة والتعلة ما يُتعلل به. اللسان: علل.

5) الدرة السنية: 169.

شعره، محمد، وأحمد، وحليمة، اختطفت المنية الأول وهو مراهق، وكان حافظا لكتاب الله، وقد رثاه والده بقصيدة طويلة مطلعها: [المتقارب]

تَعَاظَمَ وَجْدِي وَكَرْبِي تَـــــوَالَى   وَوَلَّى سُرُورِي وَبِشْرِي تَبَالَى[1]

ويظهر من هذه القصيدة التعلق الكبير لابن داني بزوجه وأولاده، والحزن العميق الذي خلفه في نفسه موت فلذة كبده.

وذكر ولده الثاني في رسالته السالفة الذكر بقوله: «واتصل بنا خطابكم على يَدِ النجلِ الْـبَرِّ سيدي أحمد فتح الله بصيرته، وصقل سريرته ...»[2]

أما ابنته الثالثة فقد اختطفتها أيضا يد المنية وهي يافعة، فخصها بمرثية طويلة: [الوافر]

تَحَلَّمْنَا بِحِلْمِـــكِ يَا حَلِيمَـــهْ   فَلَمْ نَجْزَعْ لِمَوْتَتِكِ الْعَظِيمَهْ[3]

ويستشف من هذه القصيدة حبه الكبير لهذ البنت، ولهفه الشديد على فراقها، لكنه ظل راضيا بقضاء الله وقدره، صابرا محتسبا على أليم مصابه.

وقد كانت له علاقة طيبة مع صهره الوزير ابن داني محمد بن محمد بن محمد التازي المراكشي، كما يظهر ذلك من خلال ترجمته في هذا الكتاب، والشعر الذي مدحه به[4]. ولا شك أن الشاعر استفاد من هذه القرابة في معانقة الشهرة والمجد، لا سِيَّما في علاقته مع البلاط ورجالاته، لكن هذا لا ينقص أبدا من قدرته ومكانته، ككاتب مقتدر بليغ، وشاعر مبرِّزٍ رفيع.

---

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 35-36.

2) المصدر نفسه: 61.

3) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 36.

4) المصدر نفسه: 73

6 ـ حنينه إلى وطنه:

رغم ما وجد ابن داني في مراكش من خير عميم ومقام كريم، إلا أنه ظل يحن إلى ندرومة، بلد مولده ونشأته، كما يحن النجيب إلى عطنه، ويفكر في زيارة أهله وذويه، ويتحسر على فراقهم، فالأوطان إلى القلوب محببة، والطباع على الميل إلى ما ألفته مركبة، وصدق الأصمعي إذ قال: «إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل، وحسن عهده، وكرم أخلاقه، وطهارة مولده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه[1].» وقد ورد في ديوان شاعرنا أكثر من شاهد يؤكد هذه الحقيقة نظما ونثرا من ذلك قوله في رسالته إلى أحد أقربائه في ندرومة: « فقد طالما هممنا بزيارتكم، وعزمنا على التوجه لناحيتكم، للتداوي من ألم النوى بمشاهدتكم، والاكتحال من رمد الجوى بإثمد محادثتكم ...» [2] وقوله: [البسيط]

وَلَا أَزَالُ أُرَجِّي النَّفْسَ عَوْدَتَهَا ... إِلَى مَقَامِ أَحِبَّةٍ وَجِيرَانِ[3]

وَلَا صُدُورَ لِمَا فِي الصَّدْرِ مَنْ حَرَجٍ ... حَتَّى أَزُورَ مَوَاطِنًا بِأَوْطَانِي

ويقول في قصيدة طويلة واصفا ما يعانيه من ألم النوى والبعاد، وكثرة الشوق إلى الأحباب والبلاد: [الطويل]

أَيَا وَيْحَ صَبٍّ شَاقَهُ الصَّبُّ وَالْقَطْرُ ... فَأَجْرَى دُمُوعًا غَارَ مِنْ صَبِّهَا الْقَطْرُ[4]

وَقَاسَى خُطُوبًا مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّةٍ ... مَحَبَّتُهُمْ فَرْضٌ وَبُغْضُهُمُ كُفْرُ

---

1) رسائل اليوسي: 1/ 162.

2) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 61

3) المصدر نفسه: 46

4) المصدر نفسه: 61-62

تَرَامَتْ بِهِ الْبُلْدَانُ فَاقْتَعَدَ النَّوَى وَحَفَّتْ بِهِ الْأَوْصَابُ وَارْتَحَلَ الصَّبْرُ
تَغَرَّبَ عَنْ أَوْطَانِ مَسْقِطِ رَأْسِهِ وَحَلَّ بِأَقْصَى الْغَرْبِ فَاحْتَلَّهُ الْخَيْرُ
فَآهًا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَطِيبِهِ تَبَاهَتْ بِهِ الْأَزْمَانُ وَاتَّسَقَ الْبِرُّ
وَآهًا عَلَى تِلْكَ الْبِقَاعِ وَحُسْنِهَا لَقَدْ فَاحَ فِيهَا الْآسُ وَالْوَرْدُ وَالزَّهْرُ
أَقَمْنَا بِهَا حِينًا نُنَادِمُ أُسْرَةً مَحَاسِنُهُمْ شَمْسٌ وَأَوْجُهُهُمْ زُهْرُ
فَيَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ يَطْوِي سَبَاسِبًا تَرَفَّقْ بِهَا إِنْ أَنْتَ جَدَّ بِكَ السَّيْرُ
بِنَدْرُومَةَ الْغَرَّاءِ عَرِّجْ فَإِنَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْأَطْوَادُ وَالزَّاخِرُ الْمُرُّ
وَصِفْ لِبَنِي رَحْمُونَ شَوْقِي وَصَبْوَتِي وَجُمْلَةَ إِيحَاشٍ يَضِيقُ بِهَا الصَّدْرُ

ويقول في قصيدة أخرى واصفا لحظات طفولته السعيدة وذكرياته الجميلة في ندرومة: [الوافر]

طَوَتْ نَدْرُومَةٌ عَنَّا نَبَاهَا أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا دَهَاهَا[1]
وَمَا أَنْسَى تَأَنُّسَنَا بِنَاسٍ وَأَتْرَابٍ يُحَيِّينَا حَيَاهَا
أَلَا يَا صَاحِبَيَّ اسْتَفْهِمَانِي عَنَ اشْوَاقِي لَهَا وَاسْتَفْهِمَاهَا
فَإِنِّي سَائِلٌ لَمْ أَسْلُ عَنْهَا سَلَاهَا هَلْ سَلَتْ عَنِّي سَلَاهَا
فَلَيْتَ الدَّهْرَ يُدْنِينِي إِلَيْهَا فَتَرْضَى عَنْ فَتًى يَبْغِي رِضَاهَا
بَعَثْتُ لَهَا سَلَامًا مُسْتَنِيرًا يَعُمُّ رِجَالَهَا حَتَّى نِسَاهَا

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 60.

إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة في الديوان التي تؤكد حب الشاعر لوطنه، وحنينه الدائم إليه.

ولعل أعظم البلايا وأكبر المصائب والرزايا في حياة ابن داني هي الذكرى الأليمة لاحتلال الجزائر، وما أعقبها من تعد على الحرمات، وسفك لأرواح الأبرياء من الصالحين والفضلاء، وقد نظم في هذه المناسبة الأليمة قصيدة طويلة، تضم سبعة وثلاثمئة بيت، سرد فيها كل الفجائع التي مرت بها الأمة الإسلامية، كنكبة بغداد، وسقوط الأندلس وغيرها من الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، مطلعها: [البسيط]

أَرِقْتُ مِنْ ذِكْرِ إِخْوَانٍ وَخِلَّانِ وَنُحْتُ مِنْ فَقْدِ أَحْبَابٍ وَجِيرَانِ[1]

7 ـ رحلته إلى المشرق:

وجدنا في ثنايا ديوان شعر ابن داني ما يدل أنه زار المشرق، وحل بمصر ونظم قصيدة في أهلها، لكنها للأسف غير تامة، ولو وصلتنا كاملة لاستنبطنا منها مجموعة من الأخبار الخاصة بهذه الرحلة، ومما صرح به الشاعر في الجزء المتبقي من هذه القصيدة، أنه أخذ العلم عن علمائها، وساجلهم في مجموعة من القضايا، منها قضية الخلافة الإسلامية، كما وصف شوقه لأهله وذويه بالمغرب، منها قوله: [الطويل]

أَيَا أَهْلَ مِصْرٍ دَامَ رَصْفُكُمُ الشِّعْرَ يُفَاخِرُ سَمْكُهُ السِّمَاكَيْنِ وَالشِّعْرَى[2]
وَلَا زَالَتِ الْأَزْمَانُ تَرْعَى عُلُومَكُمْ لِفَهْمِ كِتَابِ اللهِ وَالسُّنَّةِ الْغَرَّا

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 45.
2) المصدر نفسه: 79.

أَلَمَّ بِكُمْ ضَيْفٌ لَبِيبٌ فَأَجْزِلُــــوا   قِـرَاهُ بِعِـلْمٍ نَافِعٍ يَشْرَحُ الصَّدْرَا
تَرَامَتْ بِهِ الْأَسْفَارُ فَاقْتَعَـدَ النَّـوَى   وَلَاحَتْ لَهُ الْأَوْطَارُ فَاسْتَسْهَلَ الْـوَعْرَا
وَشَاقَ بِأَقْصَى الْـغَرْبِ أَهْلًا وَجِيـرَةً   وَرَامَ حِمَاكُمْ يَمْتَطِي الْـبَرَّ وَالْـبَحْرَا

ولا شك أنه في هذه الرحلة حج بيت الله الحرام، وزار قبر نبينا عليه الصلاة والسلام، ولقي هناك جماعة من العلماء والفضلاء والأخيار.

8 ـ تعلقه بالأولياء:

كان ابن داني شديد التعلق بالأولياء والأقطاب، وله فيهم أكثر من قصيدة مدح، فقد مدح الرجال السبعة بمراكش في قصيدة طويلة مطلعها: [الطويل]

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَقُـلْتُ لَـهُ رِفْـقَـــا   لَمَعْتَ فَأَوْرَيْتَ الصَّبَابَـةَ وَالشَّوْقَا[1]

ومدح أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي الشهير بابن العريف بقصيدة مطلعها: [الطويل]

أَيَا ابْنَ الْـعَرِيفِ الْـبَحْرَ بَحْرَ الْـمَعَارِفِ   فَجُدْ أَنْتَ حَبْرٌ عَارِفٌ وَابْنُ عَارِفِ[2]

ومدح السيدة عزيزة دفينة سكساوة: [الطويل]

مَدَحْتُكِ حُبًّا يَا عَزِيزَ بِـلَا رَيْـــبِ   وَزُرْتُكِ غِبًّا فَاعْذِرِي الصَّبَّ فِي الْـغِبِّ[3]

إلى غير ذلك من القصائد التي مدح بها الأولياء حبا فيهم لا طمعا لما في أيديهم. لكنه كان يكره بعض مظاهر التصوف الزائفة التي تجلب لصاحبها المكانة والمال والحظوة والجاه بين الناس، وتسلبه بالمقابل كرامته وإنسانيته، يقول في ذلك: [البسيط]

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 34.
2) المصدر نفسه: 127.
3) المصدر نفسه: 106.

قَدْ شُوهِدَتْ فِرَقٌ شَتَّى بِأَعْصُـرِنَا ... مِـنْ كُـلِّ مُنْتَسِبٍ لله خَــوَّانِ[1]
مُفَضِّلٍ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَــا ... مُسْتَمْتِعٍ نَشِطٍ بِالْـمَـالِ جَذْلَانِ
مُضَيِّعٍ لِحُقُـوقِ الله يَهْدِمُهَــا ... مُسَارِعٍ لِحُظُوظِ النَّفْسِ عَجْلَانِ
مُـرَافِقٍ لِأُنَـاسٍ لَا خَلَاقَ لَهُــمْ ... مُقَصِّرٍ بِـأَدَاءِ الْـفَرْضِ كَسْلَانِ
مُسْتَيْقِظٍ لِحُطَامِ الْـمَالِ يَجْمَعُــهُ ... مُفَرِّطٍ فِي اغْتِنَـامِ الْـخَيْرِ غَفْلَانِ
تَلْقَـاهُ لَابِسَ جُبَّــةٍ مُرَقَّعَــةٍ ... كَيْمَا يُقَالُ لَهُ الْـمَغْـرُورَ رَبَّـانِي
مُسْتَرْسِلُ الدَّمْعِ يَبْكِي وَهْوَ فِي مَـلَإٍ ... وَفِي الْـخَلَاءِ غَلِيظِ الْـقَلْبِ صَفْوَانِ
فَبَعْضُهُمْ شَأْنُهُ الدُّفُوفُ يَضْرِبُــهَا ... وَبَعْضُهُمْ مُولَعٌ بِنَقْـرِ عِيـدَانِ
تَكَاثَرُوا كَعَدِيدِ الرَّمْلِ وَانْتَشَــرُوا ... جِـدًّا فَمَـا لَهُـمُ حَـصْرٌ بِدِيـوَانِ
لَا يَرْتَضِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَــرٌ ... وَلَا عَـلِيٌّ وَعُثْمَـانُ بْـنُ عَفَّـانِ
عَلَيْكَ بِالْـعِلْمِ فَاسْتَضِئْ بِأَنْــوَارِهِ ... فَمَـا جَـهُولٌ وَعَــالِمٌ بِسِيَّـانِ

9 ـ علاقة ابن داني بالبلاط ورجالاته:

كان ابن داني مواكبا لكل أحداث عصره في المغرب، ولم يكن في معزل عن المجالس العلمية، والنوادي الأدبية في مجالس السلاطين والخاصة، فقد أَخَذَ وأعطى، وسَمِع وأملى، وعَلَّمَ وتعلم، وحاور وساجل، ومدح سلاطين عصره، وأعيان مصره، وأخذ عطاياهم، ورثى الصالحين من الأولياء والأقطاب، والوزراء والكتاب. ونظم مجموعة من القصائد في مواكبة حركات المولى الحسن الأول في تمهيد البلاد، وتأديب المارقين من العباد، وأشاد بانتصاراته في سوس،

1) المصدر نفسه: 50.

ومجاط، وبني مطير، وبني امكيلد، وغيرها من المناسبات السياسية العظيمة. ولم تفته بعض المناسبات الاجتماعية لإتحاف الجناب العالي بغرر قصائده كشفاء المولى الحسن الأول من سقمه عام 1295هـ، ورثاء أنجاله ووزرائه وكتابه، كما أنه لم يكن يتأخر في المناسبات الدينية، كعيد الفطر، وعيد الأضحى، ذكرى المولد النبوي، وختم البخاري، عن إهداء قصائده للسلطان وحاشيته[1].

وكان أحيانا يرافق الركب السلطاني في بعض حركاته كما يدل على ذلك وصفه لها في شعره، ومن ذلك قوله: [الطويل]

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ الْإِوَانَ فَإِنَّهُ   تُسَرُّ بِمَرْآهُ الْعُيُونُ النَّوَاظِرُ[2]

تَرَى مَجْلِسَ الْكُتَّابِ كَالرَّوْضِ زَاهِرًا   تَرُوقُ بِهِ الْأَقْلَامُ حَتَّى الْمَحَابِرُ

وكان أحيانا يقتصر على إرسال قصائده إلى الجناب المولوي دون أن يفد عليه هو بنفسه من ذلك قوله في تمهيده للقصر السوسي: [الطويل]

تَغِيبُ مَغِيبَ الْبَدْرِ فِي غَرْبِهِ عَنَّا   وَتَطْلُعُ مَهْمَا شِئْتَ إِنْ غَرَضٌ عَنَّا[3]

وهي قصيدة أنافت على السبعين ويكفي منها هذا القدر لأن نظيرتها وصلت الأعتاب الشريفة في الأيام الماضية على التمام»[4].

وأحيانا أخرى كان ينظم قصائده في مدح السلطان ولا يبعثها، ولا يفد بها عليه، ودليل ذلك قوله: «وقد أتحفت جانبه العالي في الزمان الخالي بقصائد غرر

---

1) توجد في الخزانة الملكية بعض قصائده المخطوطة في مدح في السلطان الحسن الأول.

2) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 33.

3) المصدر نفسه: 9.

4) الدرة السنية: 9–10

تزري بالدرر... ولم أبعثها للحضرة العالية والبهجة السامية بل كانت مغفولة في الطاق، مع سائر الأوراق، إلى أن هب ريحها وعظم تباريحها»[1].

وكان في كل الأحوال يتوصل بالصلات السنية، والهدايا المرضية، للمولى الحسن، ونجله المولى عبد العزيز، والحاجب المعظم احماد بن موسى، ودليل ذلك قوله: [الطويل]

وَأَجْرِ رَعَاكَ اللهُ عَادَتَكَ الَّتِي تَعُودُ عَلَيْنَا كُلَّ عَامٍ مُجَدَّدِ[2]

أو قوله: [الطويل]

وَعَادَتُكَ الْغَرَّا نُرِيدُ انْتِجَازَهَا فَمَا زَانَتِ الْأَعْيَادَ إِلَّا الْعَوَائِدُ
وَوَعْدُكَ وَافٍ نَاجِزٌ مُتَوَارِدٌ وَمِثْلُكَ مَنْ تُنْمَى إِلَيْهِ الْمَوَاعِدُ[3]

وقوله: [الرمل]

وَصَلَتْ كَالزَّهْرِ حُسْنًا صِلَتُكْ لَا خَلَتْ مِنْ فَيْضِ بِرٍّ رَاحَتُكْ[4]

وقد عاش ابن داني الندرومي جزءا مهما من حياته، وفترة نبوغه في حكم الملك العادل الذي حاز من المكارم أعلاها، ومن المفاخر أسناها، نادرة زمانه، وحجة الله على الخلق بعلمه وعرفانه، فَخْرِ السلاطين الكرام، وإمام الأئمة الأعلام، المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمان، الذي وطد دعائم حكمه بنشر الأمن والعدل بين الرعِيَّةِ، وعمر رباع العلم، وأحيا رسومه، وخالط العلماء،

1) المصدر نفسه:10.
2) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 33.
3) المصدر نفسه: 44.
4) المصدر نفسه: 11.

والأدباء والشعراء، وأعطاهم حتى أرضاهم، وكانت مدة خلافته التي استمرت إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، كلها إنجازات باهرة في جميع الميادين.

وكدأب كل السلاطين العظام، كان المولى الحسن يكرم الأدباء والشعراء، ويحسن وفادتهم، ويقضي أربهم، وينوه بمدائحهم، بظهائر الشكر والامتنان، وصلات الرضى والإنعام، لأنهم كما قال عبد الملك بن مروان للحجاج حينما كتب إليه يعنفه على إعراضه عن الشعراء : «أما علمت يا أخا ثقيف أن بقاء الذكر بالشعر، وأن الشعراء طرازُ الْـمُلْكِ، وحُلَّةُ الدولة، وعنوانُ النِّعم، وتمام المجد ودلائل الكرم، وأنهم سَنُّوا المكارم لطلابها، ودلوا السعاة على أبوابها، وأن الإحسان إليهم كرم، والإعراض عنهم لؤم وندم، فاستدركْ تفريطكَ، وامْحُ بصوابك أغاليطك[1]».

وهكذا وفي كل مناسبة عظيمة من المناسبات كالعيدين، والفتوحات الكبرى، وذكرى المولد النبوي الذي يُخْتَمُ فيه صحيح البخاري وغيرها، كان شعراء هذه الحقبة، وهم كثر[2]، يفدون على الجناب المولوي فينثرون بين يديه بنات أفكارهم، وينالون جوائزه، ورغم كثرة شعراء هذه الدولة، استطاع ابن داني أن يفوز بثقة المولى الحسن الأول، وأن يصبح أبرز شعراء بلاطه، وله في مدحه أكثر من ثلاثين قصيدة، وله في مدح المولى عبد العزيز أكثر من أربع قصائد، كما مدح جل

1)عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب: 10.

2) نذكر منهم إدريس بن محمد بن إدريس العمراوي، ومحمد بن عزوز المكناسي، والوزير عبد الواحد بن المواز، الوزير محمد الصنهاجي، الوزير محمد بن عبد الله الصفار، والعربي المنيعي، ومحمد بناصر حركات السلاوي، وإبراهيم السلاوي، والطاهر بوحدو المكناسي، والمامون ابن عمر الكتاني، والهاشمي السلاوي، وعبد الواحد بن عبد الوهاب السلاوي، ومحمد بن المعطي المسطاري، والتهامي بن المزوار المكناسي، والعباس عبد الله أكنسوس، وأبو حامد المشرفي، والعباس الأبار، وأحمد البلغيثي، وعبد القادر بن الحاج العمراوي، ومحمد السطي، والطاهر بن يوسف البغدادي، والحاج أحمد السوسي التاملي، والفاطمي الإدريسي، والأمين الصحراوي، ومحمد عمور، ومحمد غريط، ومحمد ابن إدريس الشبيهي، ومحمد بن الطالب الفاسي، والعربي الرحماني، ومحمد بن الطالب الفاسي، ومحمد الجرناوي المراكشي وغيرهم.

أعيان الحقبة الحسنية والعزيزية، وفي مقدمتهم الحاجب موسى بن احماد البخاري، وابنه احماد بن موسى البخاري، والوزير محمد بن العربي الجامعي، وأخيه محمد الصَّغير بن العربي الجامعي، والوزير محمد بن أحمد الصَّنهاجي، والوزير عبد الواحد بن محمد الْـمَوَّاز، والقاضي عبد الله بن خضرا السَّلاوي[1]، وعلي بن أحمد ابن عبد الصَّادق الرَّجراجي[2]، ومحمد بن محمد الْـفَلَّاق[3]، والكاتب عبد الرَّحمن ابن محمد الشُّرفي، وابن داني الكبير محمد بن محمد التَّازي، ومحمد بن محمد غَرِّيط، والأمين محمد بن محمد التَّازي الرِّباطي، وعبد السلام بن محمد التَّازي الرباطي المدعو موخا، وقائدي المشور إدريس بن محمد يعيش، وإدريس بن الْـعَلَّام، وقائد الجيش إبراهيم بن سعيد الجرَّاري[4] وخليفته من بعده أحمد بن مالك[5]، وأبو الشِّتاء ابن محمد البغدادي الجامعي[6]، وعاملي مراكش أحمد بن داود[7] وأحمد بن عمر أبي

---

1) عبد الله بن الهاشمي بن خضراء السلوي الإمام العلامة قاضي الجماعة بمراكش وفاس. وكان أيضا شاعرا مبرزا توفي سنة 1324هـ ترجمته في: الاستقصا: 9/ 172، الإعلام: 8/ 346، معجم المطبوعات المغربية: 113، الموسوعة: 2843.

2) علي بن أحمد بن عبد الصادق بن يحيى بن علي الرجراجي أصلا الصويري قرارا عالم وقاضي رجراجة والشياظمة توفي عام 1308 هـ. ترجمته في: إيقاظ السريرة: 95، فهرس الفهارس: 2/ 785، الإعلام: 9/ 261.

3) القاضي محمد بن محمد الفلاق كان قاضيا في مراكش وكانت فيه غلظة في الأحكام توفي عام 1310هـ. ترجمته في: الإعلام: 7/ 77.

4) أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الجراوي كان قائد الجيش السوسي بالقصبة على عهد دولة المولى محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن الأول. ينظر في: الاستقصا: 9/ 81–146، الإعلام: 7/ 176.

5) أحمد بن مالك قائد الجيش السوسي بالمنشية من حضرة مراكش على عهد المولى الحسن الأول وقد تولى هذا المنصب خلفا لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الجراري. ينظر في: الاستقصا: 9/ 146–160.

6) أبو الشتاء بن محمد بن البغدادي الجامعي كان قائدا على عهد المولى محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن الأول اشتهر بشجاعته وشدة بأسه وهو والد باشا فاس القائد محمد بن بوشتى البغدادي توفي 1310 هـ. ينظر في: موسوعة أعلام المغرب: 1/ 193.

7) أحمد بن داوود كان عاملا على مراكش في عهد المولى محمد بن عبد الرحمن وقد ثار عليه أهل مراكش سنة 1289 هـ بسبب سوء سيرته وتسييره ينظر في: الاستقصا: 9/ 123.

سِتَّة المَرَّاكشي[1]، وغيرهم من الأمراء والأعيان والوزراء، والحجاب الكتاب، والقضاة والولاة.

10 ـ مكانته في عصره وفخره بنفسه:

لا نجد شهادات كثيرة من معاصري ابن داني تدل على مكانته وعلو كعبه في النظم والنثر، إلا الخبر الذي ورد في هذا الكتاب، وهو قول عبد الرحمن الشرفي فيه حين خاطبه يوما بأبيات يداعبه فيها مطلعها: [مشطور مخلع البسيط]

يَا أَهْلَ فَاسٍ عِمُوا صَبَاحَـــــا لَا زِلْـتُـمُ أَوْجُـهًـا صِـبَـاحَـا

وَهَذَا مَا عَلِقَ بِالْـبَالِ مِنْهَا، فَلَمَّا تَأَمَّلَ إِنْشَادَهَا، وَبَجَّلَهَا وَأَشَادَهَا، قَالَ لِي يَا فُلَانُ: إِنَّكَ عِنْدِي فِي أَهْلِ عَصْرِكَ كَدُرَّةٍ بِمَزْبَلَةٍ! فَفَهِمْتُ أَنَّهُ عَنَى بِقَوْلِهِ هَذَا أَبْيَاتَ عَالِمِ الْأَنْدَلُسِ عَبْدِ الْـمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ السُّلَمِيِّ[2]: [البسيط]

فَرُبَّ ذِي مَنْظَرٍ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَـــةٍ وَرُبَّ مَنْ تَزْدَرِيهِ الْـعَيْنُ ذُو فِطَنِ
وَرُبَّ لُؤْلُؤَةٍ فِي عَيْـــنِ مَزْبَلَـــةٍ لَمْ يُلْقَ بَـالٌ لَهَـا إِلَّا إِلَى زَمَنِ"[3]

وقول صاحب **الإعلام** في حقه: «كان أديبا منشئا مرسلا، ناظما مكثرا، له ديوان كبير عندي منه شعر بخطه فيه أمداح نبوية وأخرى في الصالحين، والتوسل إلى الله تعالى بهم، وفيه أمداح كثيرة في الرؤساء ما ترك رئيسا من أهل العصر

---

1) أحمد بن القائد عمر بن أبي ستة المراكشي ولي عمالة مراكش أيام المولى عبد الرحمن كان مكرما لأهل العلم توفي بفاس سنة 1292 هـ. ترجمته في: الاستقصا: 9/ 80، الإعلام: 2/ 418، دليل مؤرخ المغرب: 299.

2) يقصد عبد الملك بن حبيب السُّلمي الأندلسي صاحب كتاب **الواضحة** المتوفى سنة 238هـ.

3) الدرة السنية: 160-161

إلا مدحه، ويطيل في ذلك... له تأليف على نسق **قلائد العقيان**[1] في تاريخ الدولة الحسنية في سفر لطيف ترجم فيه لبعض أهل العصر»[2].

وقد عاش الرجل في ظروف اجتماعية وسياسية صعبة، حيث كثر الحساد والمنافسون، والسادة المتشاعرون، وبقدر ما كانت هذه المنافسة مدعاة للإجادة والإحسان، في تحبير القوافي الحسان، كانت أيضا وبالا على الشعر إذ دخل إلى مضايقه المتطفلون، وعاث بحماه المبطلون، والتجأوا إلى أساليب غير مشروعة لترويج مدائحهم كرشوة الحجاب، أو وساطة الوزراء والكتاب، أضف إلى ذلك ما ينفثون من سخيف القول، ورديء الشعر، وكان ابن داني من أشد شعراء عصره تبرمًا من هذه الطبقة، وأكثرهم سلاطة في هجائها، والتَّشنيع عليها لمنعها من تدنيس حرمة الشعر، والعبث بمكانته، وعلو رتبته، وقصائده في هذا الباب كثيرة منها قوله : [المجتث]

وَمُنْتَحُو الشِّعْرِ شَتَّى ... تَكَاثَرُوا كَالْجَرَادِ[3]
فَالْجُلُّ مِنْهُمْ دَخِيلٌ ... جَرَى بِذَاكَ السَّوَادِ
وَحِرْفَةُ الشِّعْرِ بَارَتْ ... وَرُمِّيَتْ بِالْكَسَادِ

أو قوله في موضع آخر: [الوافر]

عَفَا الْإِنْشَاءُ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ ... فَأَصْبَحَ فِي الْبَسِيطَةِ كَالصَّرِيمِ[4]
وَأَمْسَى بَيْنَ أَقْوَامٍ لِئَامٍ ... رَعَاكَ اللهُ مِنْ لُؤْمِ اللَّئِيمِ

1) يقصد كتاب قلائد العقيان، لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي المتوفى سنة 528هـ.

2) الإعلام: 181-182

3) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 53.

4) المصدر نفسه: 87.

تَعَاوَوْا فِي مَنَازِلِهِ وَصَاحُــــــوا صُيَاحَ الْـوَاشِي الطَّاوِي الْـمُلِيمِ
فَعَاثُوا فِي الْـقَرِيضِ وَمَزَّقُــــوهُ بِسُوءِ الْـفَـهْمِ تَمْزِيـقَ الأَدِيـمِ
وَثَارُوا فِي حِـمَاهُ فَسَـــــــوَّدُوهُ وَقَـدْ تَـرَكُـوهُ كَاللَّيْـلِ الْـبَهِيمِ

ويقول أيضا في وصف هذه الوضعية: «كيف يستطيع تذهيب الرسائل، وتهذيب المسائل، وتوشية الوسائل، وإرشاد السائل، من حل بين واش وحسود، وحيات وأسود، هذا وجهه يتكشر، وقلبه بالمكائد يتفجر، وهذا يتربص به الدوائر، ويهتك منه حلل الستائر، ويلبس له لباس المكر والخداع، ويجلب لرأسه أليم الصداع، فنعوذ بالله من شره ومكره وكيده...»[1].

لكن ورغم هذه المظاهر الاجتماعية والثقافية المحبطة، ظل ابن داني متشبثا بديدنه في قرض الشعر، وإتحاف أهل عصره بدرره، إلا أنه لم يكن يلاقي دائما من يَصِلُ سَبَبَهُ، وَيُقَدِّرُ أَدَبَهُ، وَيُبَوِّئُهُ المكانة التي يستحقها، من ذلك ما وقع له مع قاضي الجماعة بمراكش في وقته محمد المطيع بن محمد بن عمر العباسي المتوفى عام 1295هـ حين مدحه بقصيدة لم ترد في **ديوان شعره** ولا في **الدرة السنية** مطلعها:

[الوافر]

«نَظَرْتُ فَمَا عَلَيْهَا مِنْ مُطِيــــــعِ سِـوَى الْـقَاضِي مُحَـمَّـدٍ الْمُطِيعِ

فأجابه المطيع العباسي بأبيات يهجوه فيها بأشنع الأوصاف وأقبحها:

مطـيع هـواه والمولى عصـــــــاه عرفت لكل فـرض بالمضيـع[2]
لقد غـلِطَ الذيـن أتوا بطـــــــاء مكان الضاد باسمه الوضيـع

1) المصدر نفسه: 61.

2) بعض من أبيات هذه القصيدة مكسورة الوزن.

وقبَّحَ الإلاهُ جهولا أطـــــرا تَمَلُّقًا بقوله الفضيعِ

نظرت فما عليها مـــن مطيـع سوى القاضي محمد المطيع»[1]

وبما أن غيره من معاصريه لم ينصفوه فقد حاول ابن داني إنصاف نفسه بنفسه في مواضع كثيرة من ديوانه شعرا ونثرا، وكان كثير الاعتداد بموهبته الشعرية، كثير التَّشهير والْغَضِّ من أهل عصره في المشرق والمغرب، من ذلك قوله في وصف نظمه ونثره: «... أما النَّثْرُ فلو سُرِدَ على سحبانَ وَائِلٍ، لقال هذا ما لا تُطيقه الأوائل، ولم يحصل من خطبه على طائل، ولو رآه بديع الزمان لما عد زمنه في الأزمان، أو الحريري لأدرج مقاماته في المقامات وعاد على نفسه بالملامات، ولو عاصره قس إياد، لطوق به الأجياد، وجعله عيدا من الأعياد، ولو عاينه ابن بسام، لتبسم في وجهه أي ابتسام، واعترف بأياديه الجسام، ولو خبره صاحب القلائد والمطمح، لم يبق لغيره مطمح، ولو كان بين يدي قدامه، لشرب عليه المدامة، وشهد له بالصَّرامة، ولو ... ولو ... ولو ... وأما النظم فلو سبره زهير لأوصى به لوليه كثير، أو الملك الضليل لاستظل بظله الظليل، ولو لمحه طرفه، لاتخذه منسكا وعرفه، أو عنترة لاقتفى أثره، وأوصى به رهطه ومعشره، أو النابغة، لجعله الحجة البالغة، أو علقمة، لأكرمه بكل مكرمه، أو لبيد، لأجله ومعه عبيد، ولو أدرك عصر الفرزدق وجرير، لأتحفا به بشارا الضرير، أو أبا الطيب لاستسقى وبل غمامه الصَّيب، أو أبا العلا، لأشهره في ذلك الملا، وشهد له بالولا، ولو سمعه ابن نُبَاتَةَ لَحَلَّى به أبياته، وشغل بتعاطيه أوقاته، ومتع به حياته، ولو وصل ابن الخطيب، لتعجب من غصنه الرطيب، ولو تصفحه مصنف ألحان السواجع، لأيقظ به العيون الهواجع، ولم تكن له حاجة بالمبادئ والمراجع، ولو

1) القصيدة لم ترد في ديون شعره ومطلعها في الإعلام: 7/ 18.

... ولو ... ولو ... هذا وربما خطر بالبال خاطر، وخيال زائر، قائلا إنك تُهْدِي التَّمْرَ إلى هَجَرَ، وَتُتْحِفُ جُهَيْنَةَ بِالْـخَبَرِ، فأقول له كلا، فإني أعلم برجال تلك الناحية، وأعرف بما فيها من كل ماهية، فما أظن أن هناك من يؤلف بين كلمتين، فضلا أن يصوغ درة من شفتين، إلا النادر الغريب، وأين هو حتى يظفر به اللبيب الأريب؟!"[1]

ومنه أيضا قوله ساخرا من الشريف على الوتري الذي ورد على المولى الحسن الأول من المدينة المنورة بقصيدة مدحه فيها، وفي النص ما فيه أيضا من تحد للمشارقة في مجال قرض الشعر: «وفي الأيام الماضيـة ورد على الحضرة العـالية بالله شريفان من الشرفاء الوتريين القاطنين بالمدينة المنورة، فمدح أحدهما اسمه الشريف علي الجانب العالي بالله بقصيدة من البحر الكامل مطلعها: [الكامل]

وَقَفَتْ بِسَاحِلِ بَحْرِكَ الْأَعْـــــلَامُ وَتَـقَــدَّمَـتْـكَ لِـنُـصْـرَةٍ أَعْــــلَامُ

فضمنها نحو الأربعين بيتا، فناولنيها بعض الطلبة، فتأملتها من أولها إلى آخرها، فقلت له هذا المطلع غير جيد، أما الشطر الأول فقد أخذه من قول أبي زيد البسطامي: «خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله» وهو لا يناسب مقام السلطان أيده الله لأن أبا زيد في واد، والسلطان في واد، وأما الشطر الثاني ففيه من سوء الأدب ما لا يخفى كما يعلم بالتأمل ثم أنشأت قصيدة على روي الشريف وقافيته وبحره، بلغت مائة بيت وثلاثة عشر بيتا وهذا مطلعها: [الكامل]

خَضَعَتْ لِشَامِخِ عِـــزِّكَ الْأَعــْـلَامُ وَتَقَـاصَرَتْ عَنْ نَيْلِهِ الْأَعْـلَامُ»[2]

---

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 65.

2) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 64–65.

ويقول أيضا في إحدى قصائده مفتخرا بنفسه: [الطويل]

أَنَا الرَّوْضَةُ الْـغَنَّاءُ وَالْـحُسْنُ وَالْـبَهَا أَنَا الرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ وَالزَّهَرُ النَّضْرُ

أَنَا بُغْيَةُ الـرُّوَّادِ فِي طَلَبِ الْـعُـــلَا أَنَا الدُّرُّ وَالْـيَاقُوتُ وَالْـجَوْهَرُ الْـحُرُّ

أَنَا الْـعَلَمُ السَّامِي عَلَى كُلِّ شَاهِـــقٍ أَنَا التَّلُّ وَالصَّحْـرَاءُ وَالْـبَرُّ وَالْـبَحْرُ

أَنَا الْـعَالِمُ النِّحْرِيرُ فِي جِيلِ عَصْـرِهِ أَنَا الْـعَدُّ وَالْإِحْصَاءُ وَالْـمَدُّ وَالْـجَزْرُ[1]

ويقول أيضا في الافتخار بإحدى قصائده متحديا شعراء عصره أن يأتوا بمثلها: [الطويل]

فَخُذْ يَا ابْنَ خَضْرَاءَ النَّبِيـلَ عَقِيلَـةً مِنَ الشِّعْرِ لَمْ تُنْعَتْ بِشَيْنٍ وَلَا شُؤْمِ[2]

تَوَسَّطَتِ الْـبَحْرَ الطَّوِيلَ بِفِطْنَـــةٍ مُهَذَّبَةِ الْأَوْصَـافِ رَائِقَةِ النَّظْمِ

وَمَنْ رَامَ يَوْمًا أَنْ يَصُوغَ مَثِيلَهَـــا فَقَدْ رَامَ إِيجَادَ النِّتَاجِ مِـنَ الْـعُقْمِ

ولا يكون الباعث إلى مثل هذا القول إلا إحساس الشاعر المرير بازدراء أهل عصره له، وتجاهلهم لموهبته الشعرية المتميزة، فكان ينبري لإغاضة الحاقدين، وإفحام المنافسين، وكل من يَسُلُّ عَضْبَ لسانِهِ بغمْزٍ، أو غَضٍّ، أو تجريح، وهي أيضا رسالة واضحة لكل كَهٍ فَهٍ يحاول إقحام نفسه بين الفحول برديء القول، ومُهَلْهَلِ النَّظْمِ.

وقد كان ابن داني في أغلب قصائده نَزَّاعًا إلى الإجادة بقريحته الوقادة، وبديهته الحاضرة، وثقافته الواسعة، ونفسه الشعري المتدفق، إلا أنه كان يكبو كغيره من فرسان البيان، وينبو كما ينبو السيف والسنان، فيسقط في الركاكة

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 62

2) المصدر نفسه: 62.

والإسفاف بحرصه على كثرة التكسب بشعره فيمدح أحيانا من أجل المكافأة والأعطية لا غير ويصرح بذلك أحيانا مثل قوله: [الطويل]

وَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الُّلهَا تَفْتَحُ الَّلهَـــا وَتَمْنَحُهُ مَـا يَسْتَطِيلُ بِهِ مَنْحَا
سَتَنْظُرُ مَهْـلًا سِكَّةً حَسَنِيَّـــةً تَرَى بِمُحَيَّاهَا الْـبَهَا الْـحَسَنَ السَّمْحَا[1]

أو قوله في موضع آخر: [مجزوء الرجز]

عرَفْـتُ مِـنْ فَضْلِكَ مَـــا أَرْسَــلْــتُ فِيـهِ الشَّـفَـتَا
نَسَجْـتُ مِـنْ حُـرِّ الْـكَـــلَا مِ الْـمُـسْـتَـقِيـــمِ حُـلَّـتَـا
وَاسْمَـحْ بِنَـيْـلٍ عَـاجِـــلٍ وَلَازِمِ الـسَّـمَـــاحَـةَ[2]

لكنه كان شاعرا متميزا حقيقا بالاهتمام والدراسة وشعره إضافة كمية ونوعية للرصيد الأدبي المغربي، الذي تشير إليه الأصابع بالضعف والتقليد.

11 ـ وفــاتــه:

بعد مسيرة حافلة بالبذل والعطاء في الشعر والنثر، حَالَ الْـجَرِيضُ دون الْـقَرِيضِ، والْـحِمَامُ دون الكلام، وتوفي ابن داني الندرومي بمدينة مراكش في أوائل ربيع الأول 1331هـ، الموافق لشهر فبراير 1913م، فمضى في صمت كشأن العظماء، ولولا أن العناية الربانية أنقذت **ديوان شعره**، وكتابه **الدَّرَّةِ السَّنِيَّة** لظل الرجل رهين رمسه، خامل الذكر منسيَّ السِّيرة، ككثير من علماء هذا البلد وشعرائه، ولم يكتب لأحد أن يعرفه أو ينتفع بأدبه.

---

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 22.

2) المصدر نفسه: 117

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا وإياه برحمته الواسعة، وأن يقبل تضرعه إلى ربه الذي نقتطف منه ما يلي: [البسيط]

يَا أَرْحَمَ الرُّحَمَا رُحْمَاكَ أَرْجُــو فَلَا ... تَقْطَعْ رَجَائِي مِنْ عَفْوٍ وَغُفْرَانِ[1]

إِنِّي بِبَابِ حِمَاكَ عَائِذٌ وَاقِــفٌ ... وُقُوفَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ مُذْنِبٍ جَانِي

فَاغْفِرْ ذُنُوبِيَ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ ... أَنْتَ الْعَلِيمُ بِإِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ وَامْحُ ذَنْبَهُ كَرَمًا ... وَلَا تُؤَاخِذْهُ فِي خَطًا وَنِسْيَانِ

أَنْتَ الْكَرِيمُ تَكَرَّمْ بِالْمَتَابِ فَقَدْ ... أَمَّلْتُ رَحْمَةَ رَاحِمٍ وَرَحْمَانِ

وَإِنْ جَنَيْتُ ذُنُوبًا مَا لَهَا عَدَدٌ ... فَأَنْتَ رَبِّي مَلَاذُ الْمُذْنِبِ الْجَانِي

هذه بعض جوانب شخصية ابن داني الاجتماعية والأدبية، حاولنا صنعها اعتمادا على ما وصلنا من أخباره وآثاره، وهي تجيب ولا شك على بعض الأسئلة المهمة من حياة الرجل، وتجربته الشعرية، وكل ما نتمناه أن نكون قد أسهمنا بها في التعريف بعلم من أعلام المغرب العربي، ونفض تراب الإهمال عن ذخيرة أخرى من ذخائره المنسية.

12 ـ آثار ابن داني:

لابن داني الندرومي، حسب علمنا، مؤلفان اثنان، الأول هو **ديوان شعره**، والثاني هو كتابه **الدُّرَّةُ السَّنِيَّةُ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ**، وسنحاول التعريف **بديوان شعره**، وسنخصص المبحث الثاني من هذه المقدمة للتعريف **بِالدُّرَّةُ السَّنِيَّةُ**.

1) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 51.

- **ديوان شعره:**

تُعْرَفُ من ديوان ابن داني، حتى الآن، نسخة واحدة محفوظة في الخزانة الملكية العامرة بالرباط تحت رقم: 10907، وقد ظلت هذه النسخة حبيسة الرفوف، مجهولة النسبة حقبة طويلة من الزمن، إلى أن يَسَّرَ الله لي اكتشافها أثناء إنجاز فهرس مخطوطات الأدب المحفوظة بالخزانة الملكية بالرباط، إذْ وقعتْ بين يدي هذه النسخة، فبدأت بقراءة أوراقها الواحدة تِلْوَ الأخرى، فتمكنت أولا من تحديد فترة تأليفها، لأن أغلب أوراقها الأولى قصائد في مدح المولى الحسن الأول، فازداد إذ ذاك إصراري على معرفة المزيد عنها، فواصلت قراءتها دون كلل أو ملل، رغم خطها الرديء الذي لا يكاد يُقرأ، إلى أن بلغتُ الورقة رقم 61، حيث وجدت الاسم الكامل لصاحب الديوان مكتوبا في رسالة له كتبها إلى أحد أبناء عمومته بندرومة.

وقد بحثت عن ترجمته فوجدتها في كتاب **الإعلام** للعباس ابن إبراهيم التعارجي، وقد ذكر ديوانه، وقال عنه: «له ديوان كبير عندي منه شعر بخطه فيه أمداح نبوية، وأخرى في الصالحين والتوسل إلى الله بهم، وفيه أمداح كثيرة في الرؤساء ما ترك رئيسا من أهل العصر إلا مدحه ويطيل في ذلك»[1].

وقد أورد في ترجمته بعض قصائده كرائيته في ختم البخاري بالحضرة المولوية التي أولها: [الوافر]

يَضُوعُ الْـمِسْكُ صِرْفًا مِنْ بُخَـارَى فَـلَا يَبْغِي الْـخَبِيرُ بِـهِ فَخَـارَا[2]

وقصيدته في مدح المولى إدريس الأكبر دفين زرهون التي مطلعها: [الكامل]

1) الإعلام: 182-183

2) المصدر نفسه: 182

طُوفَا بِقُطْبِ الْغَرْبِ مِنْ زَرْهُــــونِ ثُمَّ اسْـأَلَا عَنْ قَلْبِيَ الْـمَرْهُونِ[1]

وقصائد أخرى في مدح أبي مدين، والجزولي صاحب دلائل الخيرات، والسيدة عزيزة دفينة سكساوة.

فقابلت هذه القصائد بما في الديوان، فوجدتها مطابقة لها، رغم بعض الاختلافات الطفيفة، أو الحذف الذي يشير إليه صاحب الإعلام. ولأطمئن أكثر قابلت الأشعار الموجودة في كتابه **الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية** بأشعار الديوان فوجدت كثيرا منها فيه مع اختلافات قليلة.

ومن الحجج النَّقلية أيضا التي وجدتها في الدِّيوان تؤكد نسبته لابن داني قوله: [الطويل]

فَيَا سَائِلِي عَنْ نَاظِمِ الشِّعْرِ وَاسْمُــهُ مُحَمَّدُ إِبْنُ أَحْمَدَ الْـمَاجِدُ الصَّـدْرُ[2]

بِنَدْرُومَةَ الْـحَسْنَاءِ مَشْرِقُ شَمْسِــهِ وَمَغْرِبُهَا مُرَّاكُشٌ جَادَهَا الْـقَطْرُ

أوله: [مخلع البسيط]

لَقَدْ وَرَدْتُمْ يَا أَهْلَ طَيْبَــــــــــهْ مَــــوَارِدًا لِلْحَبِيـبِ طَيِّبَهْ

آخره: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ مَا قَالَ قَائِـــــــلٌ وِزَارَتُكَ الْـعُظْمَى تَجَلَّتْ بُدُورُهَا.

ويتألف ديوان شعر ابن داني من 135 ورقة، من الحجم المتوسط، مقياسه 23 X 17 سم، مسطرته مختلفة تتراوح بين 20 سطرا كحد أدنى و35 سطرا كحد

1) المصدر نفسه: 182-183

2) ديوان شعر ابن داني الندرومي: 63.

أقصى، كتب بخط مغربي زمامي رديء، والراجح عندي أنه مكتوب بخط ناظمه، به تعقيبة أفقية، ومواضع محو وشطب، وطرر تصحيح ومقابلة، وكتب بإزاء بداية بعض قصائده أسماء الممدوحين، ورقه حديث سريع الانكسار بسبب تأكسد حبره، ولا يحمل أي علامة مائية أو تجارية، عليه نسبة عالية من الرطوبة والحموضة، تسفيره حديث، وحبكته ممزقة، وملزماته مفككة.

ويضم الديوان 193 قصيدة ومقطعة واحدة، ولم يُرَتَّبْ حسب أبواب أو أغراض معينة، وإنما رُتب جزافا. وأغلب قصائده في المدح، وقد حظي المولى الحسن الأول بحصة الأسد منها. ورغم قلة القصائد التي نظمها الشاعر في غير المدح إلا أنها تبين قدرته الفنية الكبيرة، وجوانب مهمة من شخصيته، لا سيما ما تعلق منها بارتباطه الوثيق ببلد مولده ونشأته، ووصف رحلته وغربته. كما تطرق إلى مواضيع فريدة في عصره منها وصف احتلال الجزائر من لدن المستعمر الفرنسي، وما خلفه من حزن في نفوس المسلمين، ووصف العلاقة الأدبية بين المشرق والمغرب.

II- الدرة السَّنية في ذكر الدَّولة الحسنيَّة:

1- النسخة الخطيَّة للكتاب:

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على النسخة الخطية المحفوظة في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم:481، وهي منسوخة برسم خزانة السلطان الحسن الأول، كان الفراغ من تأليفها غرة ربيع الأول من عام 1308هـ.

ـــ أولها:

نَحْمَدُكَ يَا مَنْ تَحَلَّى فِي أَزَلِهِ بِحِلْيَةِ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَتَجَلَّى لِخَوَّاصِّ عِبَادِهِ

فَنظَرُوهُ لَا كَالأَشْيَاءِ ... فَقَدْ جَرَى فِي بَعْضِ الْأَنْدِيَةِ ذِكْرُ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ، الْـهَائِمِينَ فِي سَائِرِ الْأَوْدِيَةِ، بِلَقْطِ جَوَاهِرِهَا السَّنِيَّةِ ...»[1].

ـ آخرها:

«فَوَدَّعَنِي وَسَارَ، وَأَوْدَعَنِي مَا لَهُ مِنَ الْـيَسَارِ، وَأَخَذْتُ ذَاتَ الْـيَمِينِ وَأَخَذَ ذَاتَ الْـيَسَارِ، وَرَوَّعَنِي بِفِرَاقِهِ، وَآلَمَنِي بِانْطِلَاقِهِ، وجَرَّعَنِي بِبَيْنِهِ، وَكَانَ هَذَا آخِرَ الْـعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ»[2].

كتبت بخط مغربي مجوهر حسن، بمداد أسود مع استعمال الأحمر لكتابة أسماء المترجمين، وبعض الكلمات والأشعار في المتن، داخل إطار بخطين أحمرين وخط أزرق، وقد شَكَلَ مَا أَشْكَلَ. ولم يرد فيها بيانات عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

تتألف نسخة كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** من 87 ورقة، مقياسها 21 X 16 سم، مسطرها 21 سطرا، بها تعقيبة مائلة، وثقوب أرضة قليلة، وبعض طرر التصحيح والمقابلة، وفي أولها فهرس عام بمحتويات الكتاب، وعليها نسبة لا يستهان بها من الحموضة.

ورقها حديث فيه علامة تجارية باسم شريكين اثنين هما: LATUNE و CIE. BLACONS. تسفيرها مغربي جلد مغربي أحمر تتوسطه ترنجة مضغوطة محاطة بزخارف مذهبة، موصول بلسان مزخرف، وبه بعض ثقوب الأرضة. وقد انفرطت بعض ملزمات هذه النسخة بسبب تمزق حبكتها .

1) الدرة السنية: 1.

2) المصدر نفسه: 87.

وقد تحرى ناسخها الالتزام ببعض قواعد النسخ الصَّارمة، مثل إحكام النسخ، وتجنب اللَّحَق ما أمكن، وتسوية السطور باستعمال تقنيتي الضَّغْطِ والْـمَطِّ، وتجنب الشَّطب والكشط، وشكل ما أشكل، وكتابةِ أقسامِ الكتاب وأسماء المترجَمين ورؤوس الفقرات بخط بارز. مما يدل على أنه كان ناسخا محترفا.

وهذه النسخة تعهدها أحدهم بالتصحيح والتعليق، فقد صحح مجموعة من الكلمات في المتن، وعلق على ما ورد في الكتاب في موضعين:

الأول: تعليقه على كلمة الأولى في بيت من قصيدة مدح فيها با احماد: [المجتث]

لَهْفِي عَلَى حَـــامِلـــــــي الْآ دَابِ الْأُلَى غَـــابُـــوا عَـــنَّـــا

الألى على وزن العلى بمعنى الذين.

ـ الثاني كتابته بإزاء بيت ابن لابن داني يمدح به محمد بن العربي الجامعي: [مخلع البسيط]

يَا نَاشِدًا ضَالَّةَ الْـمَعَـــــــالِي بُـــشْرَاكَ إِنِّي لَـــكَ الْـــبَـشِيرُ

وجد بخط بعض الفضلاء ما نصه: «لم يلتق ساكنان في الشعرَ إلا في المتقارب ولو جعل بدل ضالة درة كان أولى».

2- عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

ذكر صاحب **الإعلام فيمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** هذا الكتاب، دون التصريح بعنوانه، في ترجمة مؤلفه ابن داني الندومي، فقال عنه: «له تأليف على نسق **قلائد العقيان** في تاريخ الدولة الحسنية في سفر لطيف تَرْجَمَ فِيهِ لبعض أهل العصر»[1].

1) الإعلام: 181-182

ونستطيع أن نجزم بأن الأمر يتعلق بكتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ** لا بغيره، لأن ابن داني ليس له كتاب آخر في هذا الموضوع غير هذا.

وقد صرح المؤلِّفُ بعنوان كتابه كاملا غيرَ مجتزئ في المقدمة حين قال: «**وَسَمْتُ** هَذَا الْكِتَابَ **بالدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ**، اِسْمٌ وَافَقَ مُسَمَّاهُ، وَلَفْظٌ طَابَقَ مَعْنَاهُ»[1]، وهذا التَّصريح أكبر الأدلة في توثيق عنوان الكتاب.

أما بالنسبة لتوثيق نسبة الكتاب إلى ابن داني الندرومي، فبالإضافة إلى الدليل النقلي الذي ذكره صاحب **الإعلام**، فقد وردت في ثنايا هذا التأليف بعض الأدلة والقرائن تؤكد هذه النسبة، منها:

تقييد كتب بنفس الخط الذي به متن الكتاب، على الطرة اليسرى من الورقة الأولى لهذه النسخة، جاء فيه: «هذا الكتاب لمؤلفه العبد الفقير لربه المعترف بذنبه محمد بن أحمد بن مُحمد بن مَحمد بن عبد الله بن رحمون الندرومي الحسني، المدعو ابن داني، أحسن الله عاقبته، وأثبت في السابقين سابقته»[2].

إلا أن هذه الإشارة لا يمكن الاستغناء بها عن غيرها من الأدلة لإثبات صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه. فقد وجدنا إشارات أخرى في هذ التأليف تؤكد صحة نسبته لابن داني الندرومي، منها أنه صرح ذكر بكنيته التي اشتهر بها، وهي ابن داني، في إحدى قصائده الذي مدح بها السلطان الحسن الأول فقال: [الطويل]

فَإِنْ جَادَ بِالطَّافِي فَبِالْمَالِ جُدْتُمُ ... فَأَنْتَ ابْنُ دَانٍ فَادْنُ مِنْهُ وَلَا تَخَفْ[3]

1) الدرة السنية: 1.

2) الدرة السنية: 1.

3) الطافي من السمك لأنه يعلو ويظهر على رأس الماء. اللسان: طفا. تنظر الدرة السنية:

الشعرية الثابتة نسبتها إليه، منها واحد وثلاثون قصيدة وردت في **ديوان شعره**. وقد وقفنا على بعضها بخط يده في قسم الوثائق الملكية بالرباط.

كل هذه المعطيات تقيم الدليل على أن نسبة كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** لابن داني الندرومي صحيحةٌ لا تَشُوبُهَا شائبةٌ.

3- محتوى الكتاب ودواعي تأليفه:

يُعَدُّ كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** من بين المصادر التَّاريخية والأدبية المهمة التي أرخت للدَّولة العلوية، من حقبة حكم السلطان عبد الرحمن بن هشام (ت.1276هـ)، إلى حقبة حكم حفيده السُّلطان الحسن الأول (ت.1311هـ). وقد بَيَّنَ مؤلفُهُ في مقدمته بوضوح، أقسام كتابه ومضامينه فقال: «**وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ، وَتَعْرِيفٍ، وَخَاتِمَةٍ.**

فَالْـمُقَدِّمَةُ فِي ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ الشُّرَفَاءِ، الْـمُلُوكِ الْـخُلَفَاءِ، الرَّاشِدِينَ الْـحُنَفَاءِ، سَادَاتِنَا الْأَعْلَامِ، الْـقَائِمِينَ بِأُمُورِ الْـمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، بِالْـمَغْرِبِ الْأَقْصَى ... **وَالتَّعْرِيفُ** فِي سَرْدِ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ، وَإِظْهَارِ مَحَاسِنِهِمُ السَّنِيَّةِ، وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ، وَتَفَاوُتِ مَنَاصِبِهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَنَاقِبِهِمْ، وَتَعْيِينِ مَضَارِبِهِمْ ... **وَالْـخَاتِمَةُ** فِي رِحْلَةِ الْـمُؤَلِّفِ وَتَطْوَافِهِ بِالْأَحْوَازِ الْـمُرَّاكُشِيَّةِ»[1].

وقد التزم ابن داني في مقدمة كتابه بالضوابط المنهجيَّة التي توجد في مقدمات الكتب العربية، إذ ذكر عنوان تأليفه كاملا، وصرح بأنه أهداه إلى السلطان، فقال:

---

1) الدرة السنية: 2.

«وَسَمْتُ هَذَا الْـكِتَابَ بالدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ، اسْمٌ وَافَقَ مُسَمَّاهُ، وَلَفْظٌ طَابَقَ مَعْنَاهُ، وَأَتْحَفْتُ بِهِ الْـحَضْرَةَ الْـعَلِيَّةَ، كُرْسِيَّ الإِمَامَةِ الزَّهِيَّةِ»[1].

ثم ذكر دواعي تأليف هذا الكتاب، حين أَقَرَّ بأنه أُلِّفَ بطلب من السلطان الحسن الأول، للرَّدِّ على أحد أبناء العصر، الذي أَلَّفَ كتاباً في تاريخ الدولة العلوية، فقَصَّرَ فيه عن الوفاء بما يجب لحضرة السُّلطان الحسن الأول ورجال دولته من التبجيل والتعظيم والاحترام، فقال: «وَكَانَ بَعْضُ طَلَبَةِ الْـعَصْرِ، مِمَّنْ جُبِلَ عَلَى الْـعِيِّ والْـحَصْرِ، سَوَّدَ وَرَقَاتٍ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ وَأَرْبَابِهَا، وَوُزَرَائِهَا وَحُجَّابِهَا[2]،

1) المصدر نفسه: 2.

2) ألفت مجموعة من الكتب في تاريخ الدولة العلوية عامة، وتاريخ دولة السلطان المولى الحسن الأول خاصة، في الحقبة التي عاش فيها الندرومي، نذكر منها: البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولانا الحسن لأبي عبد الله محمد ابن إبراهيم السباعي المراكشي (ت.1332هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12432، التقييد المستحسن فيما ريئ وما سمع في شأن مولانا الحسن لمؤلف مجهول، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 4250، الجوهرة في نسب أبناء مولانا الحسن الأول لهاشم بن أحمد بن طاهر الحسيني، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12486 مجموع. الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الحسيني (ت.1334هـ)، وهو مطبوع. الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن لأحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج (ت.1316هـ) منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم:1920، الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية لابن الحاج منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 512. رحلة السلطان المولى الحسن الأول إلى الصحراء لخليل بن صالح الخالدي (ت.1326هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12035. رحلة السلطان المولى الحسن الأول للأقاليم الشمالية للمشرفي، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 2420، توشيح الإسعاد و التيسير مهنئا بنصر الله لمولانا الأمير والرحلة السوسية المباركة المولوية الحسنية لمحمد بن المعطي المسطاري (ت.1305هـ)، نسخة خطية منها في الخزانة الحسنية بالرباط في المجموع المحفوظ تحت رقم: 11059، الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية للحسين بن محمد بن عبد الرحمن السوسي السملالي (ت.1309هـ)ـ مطبوع، اللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسني لأحمد بن عبد الواحد المواز، مطبوع، مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن، ومطالع السعادة في فلك سياسة الرئاسة لعلي بن مَحمد السوسي السملالي (ت.1311هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 1445. والمفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية لعبد السلام بن محمد اللجائي. (ت.1332هـ)، وهو مطبوع ضمن الحلل البهية، والمقالة المرضية في الدولة العلوية للمواز، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 493. وكتاب فواصل الجمان، لمحمد غريط (ت.1364هـ)، وغيرها من المؤلفات. ولا نعرف بالتحديد مَنْ مِنْ هذه المصنفات التي خصها المؤلف بها التعريض الشنيع، إلا انني أرجح أن يكون الأمر متعلقا بالمفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية لعبد السلام بن محمد اللجائي، لأن كلاهما يشترك في قسم من العنوان وهو الدرر السنية، والله أعلم.

بالإضافة إلى أننا وجدنا في هذا الكتاب أربعا وستين قصيدة من قصائده الشعرية الثابتة نسبتها إليه، منها واحد وثلاثون قصيدة وردت في **ديوان شعره**. وقد وقفنا على بعضها بخط يده في قسم الوثائق الملكية بالرباط.

كل هذه المعطيات تقيم الدليل على أن نسبة كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** لابن داني الندرومي صحيحةٌ لا تَشُوبُهَا شائبةٌ.

3- محتوى الكتاب ودواعي تأليفه:

يُعَدُّ كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** من بين المصادر التَّاريخية والأدبية المهمة التي أرخت للدَّولة العلوية، من حقبة حكم السلطان عبد الرحمن بن هشام (ت.1276هـ)، إلى حقبة حكم حفيده السُّلطان الحسن الأول (ت.1311هـ). وقد بَيَّنَ مؤلفُهُ في مقدمته بوضوح، أقسام كتابه ومضامينه فقال: **«وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ، وَتَعْرِيفٍ، وَخَاتِمَةٍ.**

فَالْـمُقَدِّمَةُ فِي ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ الشُّرَفَاءِ، الْـمُلُوكِ الْـخُلَفَاءِ، الرَّاشِدِينَ الْـحُنَفَاءِ، سَادَاتِنَا الْأَعْلَامِ، الْـقَائِمِينَ بِأُمُورِ الْـمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، بِالْـمَغْرِبِ الْأَقْصَى ... **وَالتَّعْرِيفُ** فِي سَرْدِ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ، وَإِظْهَارِ مَحَاسِنِهِمُ السَّنِيَّةِ، وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ، وَتَفَاوُتِ مَنَاصِبِهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَنَاقِبِهِمْ، وَتَعْيِينِ مَضَارِبِهِمْ ... **وَالْـخَاتِمَةُ** فِي رِحْلَةِ الْـمُؤَلِّفِ وَتَطْوَافِهِ بِالْأَحْوَازِ الْـمَرَّاكُشِيَّةِ»[1].

وقد التزم ابن داني في مقدمة كتابه بالضوابط المنهجيَّة التي توجد في مقدمات الكتب العربية، إذ ذكر عنوان تأليفه كاملا، وصرح بأنه أهداه إلى السلطان، فقال:

1) الدرة السنية: 2.

«وَسَمْتُ هَذَا الْـكِتَابَ بِالدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ، اسْمٌ وَافَقَ مُسَمَّاهُ، وَلَفْظٌ طَابَقَ مَعْنَاهُ، وَأَتْحَفْتُ بِهِ الْـحَضْرَةَ الْـعَلِيَّةَ، كُرْسِيَّ الإِمَامَةِ الزَّهِيَّةِ»[1].

ثم ذكر دواعي تأليف هذا الكتاب، حين أَقَرَّ بأنه أُلِّفَ بطلب من السلطان الحسن الأول، للرَّدِّ على أحد أبناء العصر، الذي أَلَّفَ كتاباً في تاريخ الدولة العلوية، فقَصَّرَ فيه عن الوفاء بما يجب لحضرة السُّلطان الحسن الأول ورجال دولته من التبجيل والتعظيم والاحترام، فقال: «وَكَانَ بَعْضُ طَلَبَةِ الْـعَصْرِ، مِمَّنْ جُبِلَ عَلَى الْـعِيِّ والْـحَصْرِ، سَوَّدَ وَرَقَاتٍ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ وَأَرْبَابِهَا، وَوُزَرَائِهَا وَحُجَّابِهَا[2]،

1) المصدر نفسه: 2.

2) ألفت مجموعة من الكتب في تاريخ الدولة العلوية عامة، وتاريخ دولة السلطان المولى الحسن الأول خاصة، في الحقبة التي عاش فيها الندرومي، نذكر منها: البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولانا الحسن لأبي عبد الله محمد ابن إبراهيم السباعي المراكشي (ت.1332هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12432، التقييد المستحسن فيما ريع وما سمع في شأن مولانا الحسن لمؤلف مجهول، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 4250، الجوهرة في نسب أبناء مولانا الحسن الأول لهاشم بن أحمد بن طاهر الحسيني، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12486 مجموع. الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الحسيني (ت.1334هـ)، وهو مطبوع. الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن لأحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج (ت.1316هـ) منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم:1920، الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية لابن الحاج منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 512. رحلة السلطان المولى الحسن الأول إلى الصحراء لخليل بن صالح الخالدي (ت.1326هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12035. رحلة السلطان المولى الحسن الأول للأقاليم الشمالية للمشرفي، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 2420، توشيح الإسعاد و التيسير مهنئا بنصر الله لمولانا الأمير والرحلة السوسية المباركة المولوية الحسنية لمحمد بن المعطي المسطاري (ت.1305هـ)، نسخة خطية منها في الخزانة الحسنية بالرباط في المجموع المحفوظ تحت رقم: 11059، الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية للحسين بن محمد بن عبد الرحمن السوسي السملالي (ت.1309هـ)ـ مطبوع، اللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسني لأحمد بن عبد الواحد المواز، مطبوع، مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن، ومطالع السعادة في فلك سياسة الرئاسة لعلي بن محمد السوسي السملالي (ت.1311هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 1445. والمفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية لعبد السلام بن محمد اللجائي. (ت.1332هـ)، وهو مطبوع ضمن الحلل البهية، والمقالة المرضية في الدولة العلوية للمواز، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 493. وكتاب فواصل الجمان، لمحمد غريط (ت.1364هـ)، وغيرها من المؤلفات. ولا نعرف بالتحديد مَنْ مِنْ هذه المصنفات التي خصها المؤلف بها التعريض الشنيع، إلا انني أرجح أن يكون الأمر متعلقا بالمفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية لعبد السلام بن محمد اللجائي، لأن كلاهما يشترك في قسم من العنوان وهو الدرر السنية، والله أعلم.

فَجَاءَ بِكَلَامٍ مُحَصِّلُهُ الْـهَذَيَانُ، وَأَمْسَى كِتَابُهُ كَأَنَّهُ هَيَّانُ بْنُ بَيَّان، وَلَمْ يُمَيِّزْ فِيهِ الْـغَثَّ مِنَ السَّمِينِ، وَالْـحَصَى مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ، وَلَمْ يُهَذِّبْ ذَلِكَ الصَّنِيعَ بِبَيَانٍ وَلَا بَدِيعٍ، فَضُرِبَ عَنْهُ صَفْحاً، وَقِيلَ لَهُ قُبْحاً لِعِيِّكَ وَشُقْحاً! إِذْ لَمْ يُعْطِ الْـقَوْسَ بَارِيهَا، وَلَمْ يُجْرِ الْأُمُورَ مَجَارِيهَا، وَلَمْ يُؤَدِّ الدَّوْلَةَ حَقَّهَا ... وَلَمَّا طُرِحَتْ مُسَوَّدَتُهُ فِي زَوَايَا الإِهْمَالِ، وَوُسِمَتْ بِسِمَةِ الْإِخْمَال، وَانْقَطَعَتْ مِنْهَا الْآمَالُ، **أَشَارَ عَلَيَّ** مَنْ لَا تَسَعُنِي مُخَالَفَتُهُ، وَلَا تَنْفَعُنِي مُرَاجَعَتُهُ، **أَنْ أَضَعَ كِتَاباً** يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ كُبَرَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْـعَظِيمَةِ وَوُزَرَائِهَا، وكُتَّابِهَا وَأُمَرَائِهَا، وَيُشِيدُ فَضَائِلَهَا، وَيُمَيِّزُ أَفَاضِلَهَا، وَيُلِمُّ بِذِكْرِ دِيوَانِهَا، ومَدْحِ إِيوَانِهَا فِي أَوَانِهَا، وَيُنَوِّهُ بِسُلْطَانِهَا، الرَّاجِمِ لِشَيْطَانِهَا. **فَاسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِي** تَدْوِينِ الْـغَرَضِ الْـمَسْؤُولِ، وَتَأْلِيفِ الْـكِتَابِ الْـمَأْمُولِ»[1].

وتضمنتْ **المقدمة** كذلك نبذةً موجزةً عن نشأة الدَّولة العلوية، وذكر سلاطينها الكرام، ابتداء من السُّلطان محمد الشَّريف، إلى السُّلطان الحسن الأول.

أما **التَّعريف** فساق فيه ابن داني النَّدرومي ترجمة وافية للسلطان الحسن الأول، وخليفته بمراكش الأمير عثمان بن محمد بن عبد الرحمن، وما أتحف جنابهما به من قصائد مادحة، ثم أردف ذلك بترجمة كبراء الدَّولة الحسنية الشَّريفة من حجاب وكتاب ووزراء وأمناء وسفراء. وقد أورد بعد كل ترجمة من تراجم هؤلاء مناقبهم وظائفهم، وما تعلَّقَ بهم من أخبار وآثار، وما خَصَّهُمْ به من مديح.

ويضم كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ** اثنين وعشرين ترجمة، جاءت مرتبة على الآتي:

1 – السلطان الحسن الأول

2– صنوه المولى عثمان بن محمد بن عبد الرحمن

---

1) الدرة السنية: 2.

3- الحاجب موسى بن أحمد البخاري

4- ولده الحاجب احماد بن موسى البخاري

5- قائد المشور إدريس بن العلام

6- القائد إدريس بن محمد يعيش

7- الوزير علي بن محمد المسفيوي

8- الوزير محمد بن العربي الجامعي

9- أخوه الوزير محمد الصغير بن العربي الجامعي

10- الفقيه الكاتب محمد بن داني الكبير

11- الكاتب محمد بن داني الصغير

12- الوزير محمد بن محمد المفضل غريط

13- الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي

14- الأمين الكبير محمد بن محمد التازي

15- أخوه الأصغر الأمين عبد السلام بن محمد التازي

16- الأمين الطاهر بن عبد الكريم التازي

17- الأمين محمد العربي بن محمد الزبدي

18- الفقيه الكاتب محمد العربي المنيعي

19- الوزير عبد الواحد بن محمد بن المواز

20- الفقيه الكاتب محمد بن سليمان

21- الوزير الحاج إدريس بن محمد بن إدريس

22- الوزير عبد الرحمن الشُّرفي.

ويكاد هذا الكتاب ينفرد عن غيره من المصادر ببعض التَّراجم، مثل ترجمة الأمير عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، صنو السلطان الحسن الأول، وخليفته على مراكش. وترجمة محمد بن سليمان، أحد كتبة السلطان المولى عبد الرحمن، والذي ولاه ابنُهُ السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام الإشرافَ على مطبعة الكتب بالحضرة الفاسية، فكان أول كتاب أشرف طبعه كتاب **شرح تحفة ابن عاصم**.

كما يضم هذا الكتاب ترجمة وافية للوزير ابن داني الكبير، وترجمة لا بأس بها للفقيه محمد بن داني الصغير، وكلاهما لا نكاد نظفر بأي ترجمة لهما فيما وصلنا من مصادر.

وورد في **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ** الكثير من الأخبار المهمة عن بعض المترجمين، نذكر منها على سبيل المثال، الدور الكبير الذي قام به الحاجب موسى بن أحمد البخاري في عقد البيعة للسُّلطان الحسن الأول، ودوره في الوساطة بينه وبين الرعايا الأجانب. وبراعة الوزير الأديب إدريس بن محمد بن إدريس العمراوي في مفاوضة الأجانب، لتجنب الوقوع في شراك مكرهم وحيلهم، وحرصه الشديد على إلزامهم باحترام القوانين المغربية، ومصالح الدولة المرعية. إلى غيرها من الأخبار التي أتحفنا بها ابن داني في هذا الكتاب.

وتعد **الدُّرَّةُ السَّنِيَّةُ** كذلك من المصادر الرئيسة المعتمدة في جمع ما تفرق من شعر ابن داني النَّدرومي، لأنها تضم أربعا وستين قصيدة شعرية، ثلاث وثلاثون منها لم ترد في ديوان شعره، وجُلُّهَا قصائد ذات قيمة فنية عالية، وأسلوب شعري رصين.

لكن ما يمكن أن يُشَوِّش على القيمة العلمية والتاريخية للكتاب، هو لجوء المُؤَلِّفِ المبالغ فيه إلى المحسنات البديعية، كالسَّجع والجناس والطِّباق وغيرها، أثناء سرده للأحداث التاريخية، أو مدح الأعلام المترجمين في الكتاب. وقد سقط ابن داني بسبب هذا الاختيار في الإسفاف والابتذال في تراجم بعض الأعلام، نمثل لذلك بنموذج واحد من تراجمه، وهو قسم من ترجمة الوزير الحاجب موسى ابن أحمد بن مبارك البخاري، الذي بالغ في ذكر شِيَمِهِ وشمائله بقوله: «تَتَشَوَّقُ الْعُيُونُ لِرُؤْيَتِهِ، وَتُبْهَرُ لِظُهُورِ طَلْعَتِهِ، لَا تُمَلُّ مُنَادَمَتُهُ، وَلَا تُسْأَمُ مُكَالَمَتُهُ، وَلَا تُسْتَثْقَلُ مُؤَانَسَتُهُ، وَلَا تُهْمَلُ مُذَاكَرَتُهُ، وَلَا تُذَمُّ مُحَاضَرَتُهُ، وَلَا تُحْمَدُ مُكَابَرَتُهُ، وَلَا تَخْفَى بَشَاشَتُهُ وَمُبَاشَرَتُهُ، وَلَا تُرْضَى مُهَاجَرَتُهُ، وَلَا يُخْطَأُ تَوَسُّمُهُ وَإِشَارَتُهُ، وَلَا تُعَرَّجُ بِلَحْنٍ عِبَارَتُهُ، وَلَا تُلِمُّ بِوِزْرٍ وِزَارَتُهُ، وَلَا تُنْتَقَدُ مُخَاطَبَتُهُ، وَلَا تُتَعَقَّبُ مُنَاظَرَتُهُ، وَلَا تُنْكَرُ مُعَاقَرَتُهُ، وَلَا تَضُرُّ مُجَاوَرَتُهُ، وَلَا تَنْجَحُ مُحَاوَرَتُهُ، وَلَا تُنْتِجُ ظَفَراً مُسَاوَرَتُهُ[1]، وَتَعْدِمُ نُجْحاً مُشَاوَرَتُهُ، وَلَا تُجْدِي نَفْعاً مُفَاخَرَتُهُ، وَلَا تُبْقِي غِلاًّ مُسَامَرَتُهُ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْ صَوَابٍ مُصَادَرَتُهُ، وَلَا تَتَّجِهُ بِالْـجَمِيلِ مُوَاجَهَتُهُ، وَلَا تُكَيَّفُ بِكَيْفِ كِفَايَتُهُ، وَلَا تَنْبَغِي إِلاَّ بِالتَّقْبِيلِ مُقَابَلَتُهُ، وَلَا تَحْصُلُ عَلَى طَائِلٍ مُجَادَلَتُهُ، وَلَا تَتَأَتَّى مُخَاتَلَتُهُ[2]، وَلَا تَرْجِعُ بِنَفْعٍ مُرَاجَعَتُهُ، وَلَا تَقْطَعُ نِزَاعاً مُنَازَعَتُهُ أَوْ مُقَارَعَتُهُ، وَلَا تَدْفَعُ ضَيْماً مُدَافَعَتُهُ، وَلَا تُعْقِبُ إِلاَّ بِالصُّنْعِ الْـجَمِيلِ مُصَانَعَتُهُ، وَلَا تَصْحَبُ إِلاَّ بِالْـبِرِّ مُصَاحَبَتُهُ، وَلَا تَنْهَلُّ إِلاَّ بِالْـقُرْبِ مُقَارَبَتُهُ، وَلَا تُسْتَنْكَفُ مُخَاطَبَتُهُ، وَلَا تَنْفَصِلُ إِلَّا عَنْ رِفْقٍ مُرَافَقَتُهُ، وَلَا تَدُورُ إِلاَّ عَلَى الْـوِفَاقِ مُوَافَقَتُهُ، وَلَا تَحِيدُ عَنْ مَطْلَعِ التَّحْقِيقِ مُطَالَعَتُهُ، وَلَا تُدْرَكُ بِتَدْبِيرٍ غَايَتُهُ، وَلَا تُعْرَفُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ بِدَايَتُهُ أَوْ نِهَايَتُهُ، وَلَا تُرْوَى إِلاَّ عَنْ تَصْحِيحٍ رِوَايَتُهُ، وَلَا تُوجَدُ عِنْدَ أَحَدٍ كِفَايَتُهُ، وَلَا تَقِفُ عَلَى حَدٍّ دِرَايَتُهُ،

1) ساوره مساورة وسوارا واثبه. اللسان: سور.

2) المخاتلة: مشي الصياد قليلا قليلا في خفية لئلا يسمع الصيد حِسَّهُ، ثم جُعل مثلا لكل شيء وُرِي بغيره وستر على صاحبه. اللسان: ختل.

وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ مُوجِبٍ مُجَاوَبَتُهُ، وَلَا تُوصَفُ إِلاَّ بِالصَّفْحِ مُصَافَحَتُهُ، وَلَا تَعْدِمُ السَّمَاحَ مُسَامَحَتُهُ، وَلَا تَخُوضُ إِلاَّ فِي الصَّلاَحِ مُصَالَحَتُهُ، وَلَا تَعُودُ إِلاَّ بِالسَّبْقِ مُسَابَقَتُهُ، وَلَا تَهَابُ صَارِماً صَرَامَتُهُ، وَلاَ تَخْفَى عَلَى شَهْمٍ شَهَامَتُهُ، وَلَا تَخْلُو عَنْ كَرَمٍ كَرَامَتُهُ، وَلَا تُخْطِئُ الْـغَرَضَ رِمَايَتُهُ، وَلَا تَسْمُو إِلاَّ عَنْ عِزٍّ عِنَايَتُهُ، وَلَا تَتَوَقَّفُ عَلَى حَامٍ حِمَايَتُهُ، وَلَا تَكُونُ إِلاَّ بِالله وِقَايَتُهُ، وَلَا تَحْمِلُ الضَّيْمَ إِبَايَتُهُ، وَلَا تُحْكَى إِلاَّ بِجِدٍّ حِكَايَتُهُ، وَلَا تُرْفَعُ إِلاَّ لَمِجْدٍ مَجَادَتُهُ، وَلَا تَحُلُّ إِلاَّ فِي السُّعُودِ سَعَادَتُهُ، وَلَا تَهِيمُ إِلاَّ بِالسُّؤْدَدِ سِيَادَتُهُ، وَلَا تَحْتَاجُ لِتَنْجِيمِ نَجَامَتُهُ، وَلَا تُنْمَى إِلَى زَعِيمٍ زَعَامَتُهُ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْ دِينٍ دِيَانَتُهُ، وَلَا تُنْعَتُ بِسُوءٍ بِطَانَتُهُ، وَلَا تَغِيبُ عَنْ فَطِينٍ فَطَانَتُهُ، وَلَا تَتَحَوَّلُ عَنِ الْـعَلْيَا مَكَانَتُهُ، وَلَا تُخْفَرُ[1] ذِمَّتُهُ وَضَمَانَتُهُ، وَلَا تَخْتَلُّ عَلَى مَرِّ الْآمَادِ أَمَانَتُهُ، وَلَا يَخُونُ مَنْ خَانَ وَلَوْ ثَبَتَتْ خِيَانَتُهُ، وَلَا تَخْفَى عَلَى نَجِيبٍ نَجَابَتُهُ، وَلَا تَسْتَقِرُّ إِلاَّ فِي صَوْنٍ صِيَانَتُهُ، وَلَا تَحُومُ عَلَى خَيْرٍ خِيَارَتُهُ، وَلَا تُزَفُّ بِزُورٍ زِيَارَتُهُ، وَلَا تُمَازُ عَنْ صُبْحٍ صَبَاحَتُهُ، وَلَا تُلْفَى فِي طَوْدٍ رَجَاحَتُهُ، وَلَا فِي عَقْلٍ رَزَانَتُهُ، وَلَا تَرْضَى إِلاَّ بِالْـكِرَامِ رِيَاضَتُهُ، وَلَا يَطُوفُ إِلاَّ بِالْـعَفَافِ زَجْرُهُ وَعِيَافَتُهُ، وَلَا تُبَشِّرُ إِلاَّ بِالْأَضْيَافِ ضِيَافَتُهُ، وَلَا تَهْتِفُ إِلاَّ بِالرَّأْفِ رَأْفَتُهُ، وَلَا تَدِينُ إِلاَّ بِالصِّدْقِ صَدَاقَتُهُ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ صَوَابٍ فِرَاسَتُهُ، وَلَا تُزَحْزِحُهُ عَنِ الْـحَقِّ رِيَاسَتُهُ، وَلَا تُوجَدُ عِنْدَ سَائِسٍ سِيَاسَتُهُ، وَلَا تُرَدُّ بِوَجْهٍ شَفَاعَتُهُ، وَلَا تَضْرَعُ إِلاَّ لله ضَرَاعَتُهُ، وَلَا تُلْتَمَسُ مِنْ فَصِيحٍ فَصَاحَتُهُ، وَلَا تُسْنَدُ عَنْ بَلِيغٍ بَلَاغَتُهُ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ جَمَاعَتُهُ، وَلَا تَرِيمُ[2] عَنْ نِزَالٍ مُنَازَلَتُهُ، وَلَا تَنْفَصِلُ عَنْ غَزَلٍ مُغَازَلَتُهُ، وَلَا تَجُولُ إِلاَّ فِي مَيَادِينِ النِّضَالِ مُنَاضَلَتُهُ، وَلَا تَتَنَفَّسُ بِنَفَسٍ مُنَافَسَتُهُ، وَلَا تَنْقَاسُ بِقِيَاسٍ مُقَايَسَتُهُ، وَلَا

1) أخفر الذمة لم يف بها. اللسان: خفر.

2) رام يريم ريما إذا برح. اللسان: ريم.

تُعَافُ مُفَاكَهَتُهُ، وَلَا تَلْتَبِسُ نَبَاهَتُهُ، وَلَا تَحْتَجِبُ نَجَابَتُهُ، وَلَا تُرَامُ بِمِرَاسٍ مُمَارَسَتُهُ، وَلَا تُعْرَفُ لِكَيِّسٍ كِيَاسَتُهُ، وَلَا تُمْكِنُ لِمُمَاثِلٍ مُمَاثَلَتُهُ، وَمَا تُسْتَطَاعُ لِمُسْتَطِيعٍ اسْتِطَاعَتُهُ، أَوْ مُشَاكِلٍ مُشَاكَلَتُهُ، أَوْ مُعَادِلٍ مُعَادَلَتُهُ، أَوْ مُفَاضِلٍ مُفَاضَلَتُهُ، أَوْ مُجَامِلٍ مُجَامَلَتُهُ، أَوْ مُعَامِلٍ مُعَامَلَتُهُ، أَوْ مُوَاصِلٍ مُوَاصَلَتُهُ، أَوْ مُحَاوِلٍ مُحَاوَلَتُهُ، أَوْ مُنَاوِلٍ مُنَاوَلَتُهُ، أَوْ مُطَاوِلٍ مُطَاوَلَتُهُ، أَوْ مُقَاوِلٍ مُقَاوَلَتُهُ، أَوْ مُزَاوِلٍ مُزَاوَلَتُهُ، أَوْ مُكَاثِرٍ مُكَاثَرَتُهُ، أَوْ مُفَاخِرٍ مُفَاخَرَتُهُ، أَوْ مُسَاوِرٍ مُسَاوَرَتُهُ، أَوْ مُشَاوِرٍ مُشَاوَرَتُهُ، أَوْ مُصَاهِرٍ مُصَاهَرَتُهُ، أَوْ مُسَايِرٍ مُسَايَرَتُهُ، أَوْ مُقَاوِمٍ مُقَاوَمَتُهُ، أَوْ مُسَاوِقٍ مُسَاوَقَتُهُ، أَوْ مُشَارِفٍ مُشَارَفَتُهُ، أَوْ مُضَارِبٍ مُضَارَبَتُهُ، أَوْ مُوَادِعٍ مُوَادَعَتُهُ، أَوْ مُطَابِقٍ مُطَابَقَتُهُ، أَوْ مُؤَانِسٍ مُؤَانَسَتُهُ، أَوْ مُصَادِمٍ مُصَادَمَتُهُ، أَوْ مُهَادِنٍ مُهَادَنَتُهُ، أَوْ مُقَارِنٍ مُقَارَنَتُهُ، أَوْ مُطَالِبٍ مُطَالَبَتُهُ، أَوْ مُنَاصِبٍ مُنَاصَبَتُهُ، أَوْ مُدَاعِبٍ مُدَاعَبَتُهُ، أَوْ مُرَاقِبٍ مُرَاقَبَتُهُ، أَوْ مُحَاسِبٍ مُحَاسَبَتُهُ، أَوْ مُنَاسِبٍ مُنَاسَبَتُهُ، أَوْ مُرَابِحٍ مُرَابَحَتُهُ، أَوْ مُفَاتِحٍ مُفَاتَحَتُهُ، أَوْ مُنَاصِحٍ مُنَاصَحَتُهُ، أَوْ مُطَاوِحٍ مُطَاوَحَتُهُ، أَوْ مُطَارِحٍ مُطَارَحَتُهُ، أَوْ مُبَادِرٍ مُبَادَرَتُهُ، أَوْ مُنَافِرٍ مُنَافَرَتُهُ، أَوْ مُظَاهِرٍ مُظَاهَرَتُهُ، أَوْ مُنَاجِزٍ مُنَاجَزَتُهُ، أَوْ مُنَاضِلٍ مُنَاضَلَتُهُ، أَوْ مُصَادِفٍ مُصَادَفَتُهُ، أَوْ مُلَاطِفٍ مُلَاطَفَتُهُ، أَوْ مُرَافِقٍ مُرَافَقَتُهُ، أَوْ مُرَاوِغٍ مُرَاوَغَتُهُ، أَوْ مُكَارِمٍ مُكَارَمَتُهُ، أَوْ مُنَاطِحٍ مُنَاطَحَتُهُ، أَوْ مُرَاوِدٍ مُرَاوَدَتُهُ، أَوْ مُبَاكِرٍ مُبَاكَرَتُهُ، أَوْ مُبَاسِطٍ مُبَاسَطَتُهُ، أَوْ مُفَاوِضٍ مُفَاوَضَتُهُ، أَوْ مُعَاتِبٍ مُعَاتَبَتُهُ، أَوْ مُشَابِهٍ مُشَابَهَتُهُ، أَوْ مُشَافِهٍ مُشَافَهَتُهُ، أَوْ مُجَانِسٍ مُجَانَسَتُهُ، أَوْ مُغَارِسٍ مُغَارَسَتُهُ، أَوْ مُسَارِعٍ مُسَارَعَتُهُ، أَوْ مُصَابِرٍ مُصَابَرَتُهُ، أَوْ مُعَاوِنٍ مُعَاوَنَتُهُ، أَوْ مُسَاكِنٍ مُسَاكَنَتُهُ، أَوْ مُحَاسِنٍ مُحَاسَنَتُهُ، أَوْ مُعَايِنٍ مُعَايَنَتُهُ، أَوْ مُحَابٍ مُحَابَاتُهُ، أَوْ مُوَاتٍ مُوَاتَاتُهُ، أَوْ مُحَاجٍّ مُحَاجَّاتُهُ، أَوْ مُحَاجٍ مُحَاجَاتُهُ، أَوْ مُحَادٍ مُحَادَاتُهُ، أَوْ مُنَادٍ مُنَادَاتُهُ، أَوْ مُهَادٍ مُهَادَاتُهُ، أَوْ مُبَارٍ مُبَارَاتُهُ، أَوْ مُجَارٍ مُجَارَاتُهُ، أَوْ مُدَارٍ مُدَارَاتُهُ، أَوْ مُجَازٍ مُجَازَاتُهُ، أَوْ مُعْطٍ مُعَاطَاتُهُ، أَوْ مُوَالٍ مُوَالَاتُهُ، أَوْ مُرَامٍ مُرَامَاتُهُ، أَوْ مُدَانٍ

مُدَانَاتُهُ، أَوْ مُرَاعٍ مُرَاعَاتُهُ، أَوْ مُصَافٍ مُصَافَاتُهُ، أَوْ مُبَاهٍ مُبَاهَاتُهُ، أَوْ مُدَاوٍ مُدَاوَاتُهُ، أَوْ مُسَاوٍ مُسَاوَاتُهُ، أَوْ مُغَالٍ مُغَالَاتُهُ، أَوْ مُوَازٍ مُوَازَاتُهُ، أَوْ مُوَافٍ مُوَافَاتُهُ»[1].

إن مثل هذه الأسجاع الطويلة، قد تضيع على قارئ الكتاب تتبع الأحداث التاريخية المبثوثة فيه، والانتفاع بها على الوجه الأمثل.

كما اضْطرَّ ابن داني في مواضع كثيرة من كتابه **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ**، إلى اقتباس بعض الآيات القرآنية لتسوية فواصل سجعه، لكنه سقط أحيانا في مبالغات مستهجنة، كان الأجدر به تجنبها، نحو قوله في قائد المشور إدريس بن الْـعَلَّامِ: «طَلَعَ فِي فَلَكِ الْـمُلْكِ سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلَ مِنَ تِلْكَ الْـمُعْصِرَاتِ مَاءٍ ثَجَّاجًا»[2]، وقوله في ترجمة عبد السلام بن محمد التازي: «وَلَازَمَ بَابَ الْـحَضْرَةِ الْـعَالِيَةِ بِالله وَتَلَا: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾»[3].

وقد يشفعُ للمؤلِّفِ ركوبَ هذا الْـمُرْتَقَى الصَّعب أسباب منها: أن هذا الكتاب جاء محاولة للانتصار لتردي حالة التأليف في التاريخ في عصره، وأنه أُلِّف في الرَّدِّ على محاولة فاشلة للتأريخ للدولة العلوية الشَّريفة، والتعريف بمجوعة من أعلامها الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها، بتأليف في الموضوع نفسه، ذَكَرَ فيه تاريخَ هذه الدولة منذ نشأتها إلى حقبة حكم السلطان الحسن الأول، وما خَصَّ الله به هذا السلطان الفذ ورجال دولته من كريم الأخلاق والسَّجايا، وسديد الرَّأي في سياسة الرَّعايا، وهو إلى ذلك مُوَشَّحٌ برائق البيان، ومستَمْلَحِ البديعِ، ومُسْتَعْذَبِ الشعرِ. فجاء الكتاب أقرب ما يكون إلى الأدب منه إلى التاريخ، بسبب نوع أسلوبه، وكثرة الأشعار الواردة فيه. ولعل هذا هو ما حذا بصاحب **الإعلام** في

1) الدرة السنية: 23.
2) المصدر نفسه: 32.
3) المصدر نفسه: 62.

ترجمة ابن داني للقول: «له تأليف على نسق **قلائد العقيان** في تاريخ الدولة الحسنية في سفر لطيف ترجم فيه لبعض أهل العصر»[1].

ومن المُسْتَظْرَفَات التي حواها الكتاب، بعض الأحكام النقدية لابن داني في حق بعض من اصطفاهم بالترجمة، مثل قوله في الكاتب محمد العربي المنيعي: «شَاهَدْتُ قَصِيدَةً لَهُ عَامَ حَرْكَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ لِسُوسٍ الْأَقْصَى مُجِيبًا بِهَا عَنْ قَصَائِدَ بَعَثَهَا حَفِيدُ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْن مُوسَى لِلْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ دَلَّتْ عَلَى امْتِدَادِ بَاعِهِ، وَتَبَحُّرِهِ فِي الشِّعْرِ وَاطِّلَاعِهِ، وَجَوَلَانِهِ فِي رِبَاعِهِ، وَالتَّطَوُّفِ بِحُصُونِهِ وَقِلَاعِهِ، وَكَلَفِهِ بِسَمْكِ بِنَائِهِ وَارْتِفَاعِهِ»[2].

ومنها أيضا قوله في حق الكاتب والأديب عبد الرحمن الشرفي: وهو «على قصر باعِهِ في الشعر فإنه يُعانيه، ويجتهدُ في سَمْكِ مبانيه، وتحرير معانيه ... وله شغفٌ بمن يَدِينُ به ويُدَانيه ... ويراوِحُ مُتعاطيه ويُغَادِيه»[3].

وقد استوقفنا أيضا في هذا الكتاب بعض الظواهر الأدبية البارزة في شعره منها:

ـ ظاهرة تحبير الشعر:

اعتمدتُ في تخريج أشعار كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ** على **ديوان شعره**، وقد قابلت القصائد المشتركة بينهما، وأشرت إلى مواضع الحذف والزيادة والنقصان فيهما معا، إلا أن الظاهرة التي استوقفتني حقا هي ظاهر تحبير الشعر، فقد عدل ابن داني في هذا الكتاب عن مجموعة من الألفاظ التي وردت في **ديوان شعره**، إلى ألفاظ أخرى رآها أكثر ملائمة للسياق، بل إن تغيير بعضها جنبه ركوب بعض

1) الإعلام: 181-182

2) الدرة السنية: 69.

3) المصدر نفسه: 81.

الضرورات الشعرية المستهجنة، وكان يشير في أغلب قصائده إلى البحور الشعرية التي نظم بها درره. ونكتفي بإيراد نموذج واحد من هذه الظاهرة، وهو مقطع من قصيدته في مدح السلطان الحسن الأول: [الطويل]

تَقَبَّلْ رَعَاكَ اللهُ تُحْفَةَ شَاعِرٍ ... خَبِيرٍ بِحَالِ الشِّعْرِ فِيهِ تَشَيُّعُ[1]

تَوَسَّطَتِ الْبَحْرَ الطَّوِيلَ فَأَوْغَلَتْ ... لِتُخْرِجَ دُرّاً يَرْتَضِيهِ الْمُرَجِّعُ

وَصَاحَتْ بِأَسْرَارِ الْمَعَانِي طُيُورُهَا ... وَنَاحَتْ بِأَلْحَانِ الْبَدِيعِ تُسَجِّعُ

وَبَاحَتْ بِأَصْوَاتِ الْأَغَانِي جَمِيعِهَا ... وَلَمْ يَكْفِهَا مِنْهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُ[2]

لَقَدْ أَفْصَحَتْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ... فَهَا هِيَ فِي أَرْضِ الْفَصَاحَةِ تَرْتَعُ[3]

وَقَدْ عَرَفَتْ مَرْمَى الْبَلِيغِ فَأَبْعَدَتْ ... فَهَا هِيَ فِي نَهْرِ الْبَلَاغَةِ تَكْرَعُ[4]

وَقَدْ رَضَعَتْ ثَدْيَ الْفَصَاحَةِ وَالذَّكَا ... فَهَا هِيَ فِي حِجْرِ الْمَرَاضِعِ تَرْضَعُ[5]

قَدَ اوْدَعْتُهَا دُرَّ السَّلَامِ مُمَسَّكاً ... بِمِسْكِ الثَّنَا عَلَّ الْوَدِيعَةَ تَنْفَعُ[6]

وَمَا زَالَ مَنْ أَسْدَى الْقَرِيضَ يَحُوكُهُ ... وَيُطْعِمُهُ لَكِنْ إِلَيْهِ تَطَلُّعُ[7]

ـ ظاهرة الافتخار بالشعر:

لا نكاد نجد قصيدة شعرية من قصائد ابن داني الندرومي، سواء تلك التي وردت في **ديوان شعره**، أو في كتابه **الدرة السنية**، تخلو من أبيات يفتخر فيها بنفسه

1) الدرة السنية: 15.

2) في ديوان شعره: وجاءت بأسرار الأغاني.

3) في ديوان شعره: في روض الفصاحة.

4) في ديوان شعره: وقد وردت ماء النباهة والصفا.

5) في ديوان شعره: ثدي الفطانة.

6) في ديوان شعره: وأودعتها.

7) في ديوان شعره: وناظمها أسدى القريض يحوكه وأطعمه.

أو بشعره، ولعل الباعث على هذا الفعل، هو محاولة رد الاعتبار للشعر وأهله، وإثبات الذات في مقام السلطان وحاشية، وفي نادي الأدب والشعر وطلبته، وبين خصوم مفترضين تقدم بهم الزمان، فغدا إدراكُ شأنِهم ضربٌ من المحال، لكن النسج على منوالهم يُقَرِّبُ هذه الشُّقَّة، ويلطف من حِدَّةِ هذه الحرقة. ويوجد في هذا الكتاب مجوعة من النماذج التي يمكن أن يُستشهد بها في الباب، منها قوله في مدح الوزير الحاجب موسى بن أحمد البخاري: [الوافر]

أَتَتْكَ خَرِيدَةٌ مِنْ دُرِّ شِعْرٍ ... يَهِيمُ بِهَا الْفَرَزْدَقُ بَلْ جَرِيرُ[1]
وَيَرْضَاهَا نُصَيْبٌ بَلْ جَمِيلٌ ... وَمِهْيَارٌ وَبَشَّارُ الضَّرِيرُ[2]
كُمَاةُ الشِّعْرِ صَارُوا بِالْمَنَايَا ... بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَا مِنْهُمْ خَبِيرُ
فَعَدِّ عَنِ التَّوَغُّلِ فِي سِوَاهُمْ ... عَدَاكَ الْوِزْرُ يَا مُوسَى الْوَزِيرُ

ومنها أيضا قوله في مدح إدريس بن إدريس العمراوي: [الكامل]

أَمْسَتْ رُسُومُ الشِّعْرِ يَا إِدْرِيسُ ... قَفْرًا يَبَابًا لَيْسَ فِيهَا أَنِيسُ[3]
مَا فِي حِمَاهَا مِنْ أَنِيسٍ مُطْرِبٍ ... إِلَّا يَعَافِيرٌ وَإِلَّا الْعِيسُ
وَغَدَتْ مُنَاخًا لِلْعُدَاةِ وَمَنْزِلًا ... فَلَهُمْ بِهَا التَّهْجِيرُ وَالتَّعْرِيسُ
أَخْفَوْا جَوَاهِرَهُ الْحِسَانَ وَدَلَّسُوا ... حَتَّى رَبَا الْإِخْفَاءُ وَالتَّدْلِيسُ

---

1) الدرة السنية: 25.

2) قول الشاعر: وَمِهْيَارٌ وَبَشَّارُ أوقعه في ضرورتين، الأولى تنوين راء مهيار وحقها عدم التنوين، لأنها ممنوعة من الصرف بسبب العلمية والعجمة. والثاني عدم تنوين بشار، وحقها التنوين لأنها غير ممنوعة من الصرف، ولعل ما ألجأ الشاعر إلى هذه الضرورة هو حرصه على ربط الموصوف بصفته أي بشار بالضرير، وكان يغنيه عن تجشم مثل هذا المرتقى قوله: وبشارٌ ومهيارُ الشهيرُ.

3) الدرة السنية: 77.

يَا لَيْتَهُمْ بَادُوا جَمِيعًا مِثْلَمَا ... قَدْ بَادَ طَسْمٌ قَبْلَهُمْ وَجَدِيسُ
وَتُنُوسِيَ الْأَدَبُ الرَّفِيعُ مَقَامُهُ ... وَجَرَى عَلَيْهِ اللَّبْسُ وَالتَّلْبِيسُ
وَتَغَيَّبَتْ أَكْفَاؤُهُ وَتَوَحَّشَتْ ... أَرْجَاؤُهُ وَتَرَحَّلَ التَّأْنِيسُ
وَمَحَا سَنَاهُ الدَّهْرُ حَتَّى سَامَهُ ... نَذْلٌ حَقِيرٌ فِي الْعِبَادِ خَسِيسُ
وَتَمَزَّقَتْ أَوْرَاقُهُ وَتَعَطَّلَتْ ... أَسْوَاقُهُ وَاحْتَلَّهَا التَّفْلِيسُ
وَتَوَارَدَتْ أَرْبَابُهُ بَطْنَ الثَّرَى ... وَمَضَوا فَلَيْسَ لَهُمْ هُنَاكَ حَسِيسُ

بالإضافة إلى ظواهر أخرى ليس هنا مقام بسطها، وأبرزها ظاهرة اقتباساته الكثيرة من القرآن الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، والـتُّراث العربي شعره ونثره، والتي تقيم الدليل، إن كان الأمر يحتاج إلى دليل، على تضلُّع ابن داني من مختلف العلوم، وعلو كعبه، وسعة باعه.

أما خاتمة الكتاب فقد كتبها ابن داني على نسق أسلوب المقامات، ووصف فيها رحلته إلى الأحواز المراكشية، وعودته إليها، حيث وصف جمال المدينة الحمراء، وظرف أهلها، وألقى عصا التسيار بإيوان الْـمُلْكِ، حيث قَدَّمَ هذا الكتابَ هديَّةً سَنِيَّةً للسُّلطان الحسن الأول.

وبعد، فهذا كتاب **الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ**، مَجْلُوٌّ من خَبْأَةِ الرُّفُوفِ، مُوَشَّحٌ بما يَسَّرَ اللهُ الوقوفَ عليه من شذراتٍ تُجَلِّي جوانبَ مبهمة من سيرة مؤلِّفِهِ، ونظراتٍ تُقَرِّبُ مَقْصِدَه من مُصَنَّفِهِ، مُذَلَّلٌ بما رآه ناظرنا القاصر محتاجا منه للشرح والتعليق والبيان. نسأل الله أن يتقبله منا قبولا حسنا، وأن يغفر فيه زلاتنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، ويجعله في ميزان حسناتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

نماذج من النسخة الخطية لكتاب الدُّرَّة السَّنِيَّةِ في ذِكرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية

الأنموذج الأول : الورقة الأولى من النسخة الخطية لكتاب

الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ

الأنموذج الثاني : الورقة 50 من النسخة الخطية

لكتاب الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ

لا نور النبوءة على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام وأزكى التحية والإكرام عام
ثمانية وثلاثمائة وألف اهـ

الأنموذج الثالث : الورقة الأخيرة من النسخة الخطية
لكتاب الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ

القسم الثاني:

مَتْنُ كِتَابِ الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ

نَحْمَدُكَ يَا مَنْ تَحَلَّى فِي أَزَلِهِ بِحِلْيَةِ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَتَجَلَّى لِخَوَّاصِّ عِبَادِهِ فَنَظَرُوهُ لَا كَالأَشْيَاءِ، وَتَقَدَّسَ أَنْ يُحِيطَ بِكُنْهِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الْعَارِفُونَ مِنَ الْأَنْبِيَّاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْحُجَّابِ وَالأَعْوَانِ وَالْوُزَرَاءِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْأَغْبِيَاءُ، مِنَ الْكَفَرَةِ الْفَجَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ، وَنَشْكُرُكَ عَلَى مَا أَسْدَيْتَ مِنَ الْمَعَانِي الرَّائِقَةِ، وَفَجَّرْتَ مِنْ يَنَابِيعِ الْأَلْسِنَةِ النَّاطِقَةِ، بِالْأَلْفَاظِ الْفَائِقَةِ، حَتَّى انْتَظَمَتْ فِي سِلْكِ الأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، فَرَمَقَتْهَا الْعُيُونُ الرَّامِقَةُ، وَلَاحَتْ كَأَنَّهَا النَّخْلُ الْبَاسِقَةُ، وَالقُدُودُ الرَّاشِقَةُ.

وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ تُحْفَةِ الْوُجُودِ الْحَادِثِ، وَنُخْبَةِ الْقَدِيمِ مِنْهُ وَالْحَادِثِ، الْمُجَلَّى فِي حُلَلِ العِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، والْمَحْفُوظِ بِحِفْظِ الْمِنَنِ الاِصْطِفَائِيَّةِ، وَالْمَلْحُوظِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ، الْقَائِمِ عَلَى قَدَمِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَالْمُخْتَصِّ بِالْأَسْرَارِ الْهَامِيَّةِ[1] كَالْوَدْقِ[2]، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَتْقِيَاءِ، وَصَحَابَتِهِ الْبَرَرَةِ الْأَصْفِيَاءِ، قِبْلَةِ الاِقْتِدَاءِ، وَنُجُومِ الاِهْتِدَاءِ، مَا وَشَّتْ[3] الْأَقْلَامُ صَحَائِفَ الطُّرُوسِ[4]، فَغَدَرَتْهَا أَبْهَى مِنَ الْعَرُوسِ، وَبَعْدُ؛

فَقَدْ جَرَى فِي بَعْضِ الْأَنْدِيَةِ ذِكْرُ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ الْحَسَنِيَّةِ، الْهَائِمِينَ فِي سَائِرِ الْأَوْدِيَةِ، بِلَقْطِ جَوَاهِرِهَا السَّنِيَّةِ، وَكَانَ بَعْضُ طَلَبَةِ الْعَصْرِ، مِمَّنْ جُبِلَ عَلَى الْعِيِّ

1) هَمَتْ عينُه هَمْيا وهُمِيًّا صبت دمعها، وكذلك كل سائل من مطر وغيره. اللسان: همي.
2) الوَدْقُ: المطر كلُّه شديدُهُ وهيِّنُهُ. اللسان: ودق.
3) وَشى الثوبَ وشْياً حسَّنَه، ووشَّاهُ: نمنمه ونقشه وحسَّنه. اللسان: وشي.
4) الطِّرس: الصحيفة، والطرس: الكتاب الذي محي ثم كتب، والجمع: أطراس وطروس. اللسان: طرس.

والْـحَصْرِ[1]، سَوَّدَ وَرَقَاتٍ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ وَأَرْبَابِهَا، وَوُزَرَائِهَا وَحُجَّابِهَا[2]، فَجَاءَ
بِكَلَامٍ مُحَصِّلُهُ // الْـهَذَيَانُ، وَأَمْسَى كِتَابُهُ كَأَنَّهُ هَيَّانُ بْنُ بَيَّان[3]، وَلَمْ يُمَيِّزْ فِيهِ الْـغَثَّ (1)
مِنَ السَّمِينِ، وَالْـحَصَى مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ، وَلَمْ يُهَذِّبْ ذَلِكَ الصَّنِيعَ بِبَيَانٍ وَلَا
بَدِيعٍ، فَضُرِبَ عَنْهُ صَفْحاً، وَقِيلَ لَهُ: قُبْحاً لِعِيِّكَ وَشُقْحاً[4]! إِذْ لَمْ يُعْطِ الْـقَوْسَ

---

1) العي والحصر كلاهما خلاف البيان. اللسان: عيا.

2) ألفت مجموعة من الكتب في تاريخ الدولة العلوية عامة، وتاريخ دولة السلطان المولى الحسن الأول خاصة، في الحقبة التي عاش فيها الندرومي، نذكر منها: البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولانا الحسن لأبي عبد الله محمد ابن إبراهيم السباعي المراكشي (ت.1332هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12432، التقييد المستحسن فيما ربع وما سمع في شأن مولانا الحسن لمؤلف مجهول، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 4250، الجوهرة في نسب أبناء مولانا الحسن الأول لهاشم بن أحمد بن طاهر الحسيني، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12486 مجموع. الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد مفاخرها غير المتناهية لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الحسيني (ت.1334هـ)، وهو مطبوع. الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن لأحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج (ت.1316هـ)منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم:1920، الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية لابن الحاج منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 512. رحلة السلطان المولى الحسن الأول إلى الصحراء لخليل بن صالح الخالدي (ت.1326هـ)، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 12035. رحلة السلطان المولى الحسن الأول للأقاليم الشمالية للمشرفي، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 2420، توشيح الإسعاد و التيسير مهنئا بنصر الله لمولانا الأمير، والرحلة السوسية المباركة المولوية الحسنية لمحمد بن المعطي المسطاري (ت.1305هـ)، توجد منها نسخة خطية في الخزانة الحسنية بالرباط في المجموع المحفوظ تحت رقم: 11059، الفتوحات الوهبية في سيرة مولانا الحسن السنية ومفاخر اختراعاته البهية للحسين بن محمد بن عبد الرحمن السوسي السملالي (ت.1309هـ) ـ مطبوع، اللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسني لأحمد بن عبد الواحد المواز، مطبوع، مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن، ومطالع السعادة في فلك سياسة الرئاسة لعلي بن محمد السوسي السملالي (ت.1311هـ)منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 1445. والمفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية لعبد السلام بن محمد اللجائي. (ت.1332هـ)، وهو مطبوع ضمن الحلل البهية، والمقالة المرضية في الدولة العلوية للمواز، منه نسخة خطية محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم: 493، وكتاب فواصل الجمان، لمحمد غريط (ت.1364هـ)، وغيرها من المؤلفات. ولا نعرف بالتحديد مَنْ مِنْ هذه المصنفات التي خصها المؤلف بهذا التَّعريض الشَّنيع، إلا أنني أرجح أن يكون الأمر متعلقا بالمفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية لعبد السلام بن محمد اللجائي. (ت.1332هـ)، لأن كلاهما يشترك في قسم من العنوان وهو الدرر السنية، والله أعلم.

3) هَيَّانُ بنُ بَيَّان: كناية عمن لا يُعرَفُ هو ولا أبوه. اللسان: هيا.

4) العرب تقول: قُبْحا له وشُقحا! قَبْحا له وشَقحا! كلاهما إتباع، وقيل هما واحد. اللسان: شقح.

بَارِيهَا[1]، وَلَمْ يُجْرِ الْأُمُورَ مَجَارِيهَا، وَلَمْ يُؤَدِّ الدَّوْلَةَ حَقَّهَا، وَلَا رَأَى فِي مَجَالِ السِّبَاقِ سَبْقَهَا، وَلَا عَرَفَ فِي مَيْدَانِ الْـمُحَاوَرَةِ صِدْقَهَا، وَلَا اسْتَنْزَلَ مِنْ سَمَاءِ الْـمَعَارِفِ وَدْقَهَا، وَلَا شَامَ بِعَيْنِ الْـبَصِيرَةِ بَرْقَهَا، وَلَا سَلَكَ بَعْدَ الِاخْتِبَارِ طُرُقَهَا، وَلَا جَابَ بِقَصْدِ الِاعْتِبَارِ غَرْبَهَا وَشَرْقَهَا، وَلَا هَيَّجَ لِصَوْغِ الْأَغَانِي وُرْقَهَا[2]، وَلَا اسْتَخْرَجَ مِنْ بُحُورِ الْـفَصَاحَةِ عِلْقَهَا[3]، وَلَا شَاهَدَ فِي مِضْمَارِ الْـبَلَاغَةِ شَأْوَهَا وَطَلْقَهَا[4]، وَلَا غَاصَ فِي بِحَارِ النَّبَاهَةِ فَيَعْرِفُ عُمْقَهَا، وَلَا فَصَمَ عُرَى النَّجَابَةِ فَيُشَاهِدُ طَوْقَهَا، وَلَا دَخَلَ بِبِضَاعَةِ الدِّرَايَةِ سُوقَهَا، وَلَا كَشَفَ عَنْ سَاقِ الْـجِدِّ فَيُعَايِنُ سُوقَهَا، وَلَا أَطْفَأَ بِزُلَالِ الْـمُذَاكَرَةِ شَوْقَهَا.

وَلَمَّا طُرِحَتْ مُسَوَّدَتُهُ فِي زَوَايَا الإِهْمَالِ، وَوُسِمَتْ بِسِمَةِ الإِخْمَالِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهَا الآمَالُ، **أَشَارَ عَلَيَّ** مَنْ لَا تَسَعُنِي مُخَالَفَتُهُ، وَلَا تَنْفَعُنِي مُرَاجَعَتُهُ، **أَنْ أَضَعَ كِتَاباً يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ كُبَرَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْـعَظِيمَةِ وَوُزَرَائِهَا، وكُتَّابِهَا وَأُمَرَائِهَا، وَيُشِيدُ فَضَائِلَهَا، وَيُمَيِّزُ أَفَاضِلَهَا، وَيُلِمُّ بِذِكْرِ دِيوَانِهَا، ومَدْحِ إِيوَانِهَا فِي أَوَانِهَا، وَيُنَوِّهُ بِسُلْطَانِهَا**، الرَّاجِمِ لِشَيْطَانِهَا. **فَاسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى** فِي تَدْوِينِ الْـغَرَضِ الْـمَسْؤُولِ، وَتَأْلِيفِ الْـكِتَابِ الْـمَأْمُولِ، فَنَسَأَلُ الوَاقِفَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَهُ بِعَيْنِ الرِّضَى لَا بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ، وَيُقْبِلَ عَلَى عَرَائِسِ مَعَانِيهِ بِالسَّكِينَةِ وَالْـوَقَارِ، **وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ، وَتَعْرِيفٍ، وَخَاتِمَةٍ.**

---

1) من الأمثال العربية السائرة: أعط القوس باريها، أي استعن على عملك بمن يُحسنه، وهو من قول القائل:
يا باريَ القوس بريا لستَ تُحكمه   لا تظلم القوسَ أعط القوسَ باريها
وظلمه لها إفساده إياها، وأصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "استعينوا على كل صناعة بأهلها". جمهرة الأمثال: 1/ 66.

2) الأورق: الذي لونه بين السواد والغبرة، ومنه قيل للرماد أورق، وللحمامة ورقاء. اللسان: ورق.

3) العِلق: المال الكريم، والجمع أعلاق. اللسان: علق.

4) لسانٌ طلق: ذلقٌ، وتكلم بلسان طَلق أي ماضي القول سريع النُّطق. اللسان: طلق.

فَالْـمُقَدِّمَةُ فِي ابْتِدَاءِ دَوْلَةِ الشُّرَفَاءِ، الْـمُلُوكِ الْـخُلَفَاءِ، الرَّاشِدِينَ الْـحُنَفَاءِ، سَادَاتِنَا الْأَعْلَامِ، الْـقَائِمِينَ بِأُمُورِ الْـمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، بِالْـمَغْرِبِ الْأَقْصَى، الَّذِي مَحَاسِنُهُ لَا تُحْصَى، وَمَكَارِمُهُ لَا تُسْتَقْصَى، إِلَى أَنْ صَارَتْ فِي حِيَازَةِ مَوْلَانَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِشَامٍ[1]، الْـعَاطِرَةِ أَيَّامُهُ كَالْـعَرَارِ وَالْـبَشَامِ[2]، ثُمَ تَنَاوَلَهَا مِنْهُ نَجْلُهُ الْـمَجِيدُ الْـمُمَجَّدُ، سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ[3].

وَالتَّعْرِيفُ فِي سَرْدِ أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ، وَإِظْهَارِ مَحَاسِنِهِمُ السَّنِيَّةِ[4]، وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، عَلَى قَدْرِ مَرَاتِبِهِمْ، وَتَفَاوُتِ مَنَاصِبِهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَنَاقِبِهِمْ، وَتَعْيِينِ مَضَارِبِهِمْ.

وَلَمَّا أَطْلَعْتُهُمْ فِي فَلَكِ السَّعَادَةِ كَالشَّمْسِ وَالْـقَمَرِ، وَأَهْدَيْتُ حَدِيثَهُمْ لِلسُّمَّارِ فِي السَّمَرِ، وَسَمْتُ هَذَا الْـكِتَابَ **بِالدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ فِي ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ**، اسْمٌ وَافَقَ مُسَمَّاهُ، وَلَفْظٌ طَابَقَ مَعْنَاهُ، وَأَتْحَفْتُ بِهِ الْـحَضْرَةَ الْـعَلِيَّةَ، كُرْسِيَّ الإِمَامَةِ الزَّهِيَّةِ، فَالْـمَسْؤُولُ مِنْهَا الْـقَبُولُ، نَصَرَ اللهُ أَعْلَامَهَا مَا هَبَّتْ الصَّبَا والْـقَبُولُ[5].

هَذَا وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّكَ تَجْلِبُ التَّمْرَ إِلَى هَجَرَ[6]، وَتُتْحِفُ جُهَيْنَةَ بِالْـخَبَرِ[7]، فَالمَحَلُّ غَنِيٌّ بِأَهْلِه، وَالنُّقَّادُ سَلَّمُوا دُرَّ فَضْلِهِ، فَأَنَّى لَكَ بِمِثْلِهِ؟!

---

1) عبد الرحمن بن هشام العلوي، من سلاطين دولة الأشراف العلويين بالمغرب، عهد إليه بالملك عمه المولى سليمان سنة 1238هـ، وتوفي سنة 1276هـ. ترجمته: الجيش العرمرم: 2/ 58، الاستقصا: 8/ 10، الدرر البهية: 1/ 227، إتحاف أعلام الناس: 5/ 1، الدرر الفاخرة: 78.

2) العَرار: بهار البَرّ، وهو نبات طيب الريح. اللسان: عرر. والبَشام: شجر طيب الريح يستاك به. اللسان: بشم.

3) محمد بن عبد الرحمن بن هشام العلوي، من سلاطين دولة الأشراف العلويين بالمغرب، توفي سنة 1290هـ. ترجمته: الجيش العرمرم: 2/ 72، الاستقصا: 8/ 97، الدرر البهية: 1/ 233، الدرر الفاخرة: 79.

4) سَنُوَ في حسبه سناء فهو سنيٌّ ارتفع، ويقال إن فلانا لسنيُّ الحسب. اللسان: سني.

5) القَبول من الرياح الصباح لأنها تستقبل باب الكعبة، والدَّبور التي هب من دبرها. اللسان: قبل.

6) كمستبضع تمرا إلى هجر أو إلى خيبر، وكانت معدن التمر قبل العراقين، وهو من الأمثال العربية السائرة. والفرس تقول في هذا المعنى: كمن يُهدي الحجارة إلى الجبل. جمهرة الأمثال: 2/ 129، المستقصى من الأمثال: 2/ 233.

7) فيه إشارة إلى المثل العربي: عند جفينة أو جهينة الخبر اليقين، يُضرب مثلا لمعرفة الخبر والسُّؤال عنه. جمهرة الأمثال: 2/ 40، والمستصفى من الأمثال: 2/ 169.

فَأَقُولُ: اَلْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَعَلَى نَحْوِ مَا أَشَرْتَ، إِلَّا أَنِّي أَظُنُّهُمْ؛ وَاللهُ يَحْفَظُهُمْ؛ أَنَّهُمْ لَا يَأْنَفُونَ مِنَ الزِّيَادَةِ، الْـمُهْدَاةِ لِتِلْكَ السِّيَادَةِ، فَأَلْقَيْتُ دَلْوِي مَعَهُمْ فِي الدِّلَاءِ، وَإِنْ لَمْ أُدْرِكْ شَأْوَ فُرْسَانِ[1] الدِّلَاءِ[2].

وَالْـخَاتِمَةُ فِي رِحْلَةِ الْـمُؤَلِّفِ وَتَطْوَافِهِ بِالْأَحْوَازِ الْـمُرَّاكُشِيَّةِ، وَعَوْدِهِ إِلَيْهَا وَحُلُولِهِ بِالْـمَنْشِيَّةِ، وَتَوَسُّمِ أَهْلِهَا الزَّارِينَ[3] بِالْبُدُورِ السَّارِيَةِ، وَالزِّنَادِ الْـوَارِيَةِ، وَشُمُوخِ أُنُوفِهِمْ بِالْـهِمَمِ السَّامِيَةِ. وَإِنَّمَا أَدْمَجْتُهَا فِي دِيبَاجَةِ الْـكِتَابِ، لِيَتَأَمَّلَهَا الْـكُتَّابُ، وَيَحْسِبُوا أَنَّهَا مِنْ إِنْشَاءِ أَهْلِ الْأَقْتَابِ[4]، وَيَمْزِجُوا مُخَاطَبَتَهَا بِيَسِيرِ الْـعِتَابِ، وَلِأَنَّ لَهَا تَعَلُّقاً وَارْتِبَاطاً وَتَنَاسُباً وَاغْتِبَاطاً بِالْـكِتَابِ، لِمَا فِيهَا مِنَ التَّعَرُّضِ لِلإِيوَانِ، وَالْـكُتَّابِ وَالدِّيوَانِ، كَمَا سَتَرَاهُ بَعْدُ، وَمَا قُلْتُ إِلاَّ بِالَّذِي عَلِمَتْ سَعْدُ[5]، // وَالشَّيْءُ يُذْكَرُ بِالشَّيْءِ[6]. (2)

---

1) في نسخة أخرى شعراء الدلاء.

2) الدِّلاء الأولى جمع دلو، والدِّلاء الثانية نسبة إلى الزاوية الدِّلائية التي تأسست في نهاية القرن العاشر الهجري، على يد العلامة أبي بكر الدلائي، وكان فرسانها مضرب المثل في الشَّجاعة والإقدام، وقد حرروا مجموعة من الثغور المغربية المحتلة.

3) أزرى به إزراء قَصَّرَ به وحَقَّره وهوَّنه. اللسان: زري.

4) القِتْب والقَتَب: إكاف البعير. وأهل الأقتاب كنائية عن أهل البادية أهل الفصاحة. اللسان: قتب.

5) هذا عجز بيت للحطيئة، وصدره: وَتَعذِلُني أَبناءُ سَعدٍ عَلَيهِمُ، وهو من قصيدة تتألف من 36 بيتا، وهي من البحر الطويل، مطلعها:

أطرقتنا بعدما هجدوا هنـــــد وقد سِرن خمسا واتلأبَّ بنا نجـدُ. وهي في ديوان شعره.

6) الشيء بالشيء يُذكر، من كلام العرب الذي يسري مسرى المثل، وقد ورد في مجموعة من الأبيات الشعرية منها قول الشاعر:

رَأَت ظَبيَةَ الوَعساءِ عَيني فَهَيَّجَت لَها ذِكرهم وَالشَيءُ بالشَيءِ يُذكَرُ

المقدمة

اتَّفَق الْـمُؤَرِّخُونَ أَنَّ مَبْدَأَ الدَّوْلَةِ الْـعَلَوِيَّةِ، الْـمُفَرَّعَةِ أَغْصَانُهَا مِنَ الشَّجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالدَّوْحَةِ الْـمُصْطَفَوِيَّةِ[1]، كَانَ فِي حُدُودِ السِّتِّين مِنَ الْـقَرْنِ الْـحَادِي[2]، كَمَا لَهِجَ بِذَلِكَ السَّائِقُ وَالْـحَادِي، وَعَرَفَهُ الْـعَاكِفُ وَالْـبَادِي، وَالرَّائِحُ وَالْغَادِي، وَكَمَا رَأَيْتُهُ فِي نُسْخَةٍ مِنْ كِتَابٍ كَتَبَهُ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْأَتْرَاكِ لِمَوْلَانَا امْحَمَّد الشَّرِيفِ[3]، إِذْ كَانَ وَالَى عَلَيْهِمُ الْـغَارَاتِ، وَأَوْرَدَهُم الْـغَمَرَاتِ، وَكَانَ تَارِيخُ الْـكِتَابِ عَامَ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ، ومِنْ فُصُولِهِ يُبَيِّنُ لَهُ حَالَ الدُّوَلِ، فِي الْـعُصُورِ الْأُوَلِ، مَا نَصُّهُ: الأولُ ثَائِرٌ، وَالثَّانِي مُمَهِّدٌ، وَالثَّالِثُ مَلِكٌ أَوْ خَلِيفَةٌ. أو كَلَاماً هذا مَعْنَاهُ.

وَاتَّفَقُوا أَيْضًا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ مَهَّدَ الدَّوْلَةَ الْـمَذْكُورَةَ، وَجَدَّ فِي مَسَاعِيهَا الْـمَشْكُورَةَ، هُوَ مَوْلَانَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَوْلَانَا الشَّرِيفِ[4]، حَسْبَمَا رَأَيْتُهُ فِي الْـبُسْتَانِ

---

1) ألفت مجموعة من الكتب في هذا الموضوع منها: الدر البهية والجواهر النبوية لمولاي إدريس الفضيلي، وهو مطبوع، المطالع الزهرا الجامعة لأسماء بني الزهرا، لمحمد الزكي بن هاشم بن الكبير العلوي الحسني، وهو تحت الطبع.

2) تلقى السلطان مولاي امحمد بن الشريف بيعة أهل سجلماسة سنة 1050هـ، وبيعة أهل فاس سنة 1059هـ.

3) السلطان مولاي امحمد بن الشريف بن علي بن يوسف الحسني، مؤسس دولة الأشراف العلويين بالمغرب، وهو من أجلى قوات أبي حسون عن سجلماسة، وأخذ بيعة أهلها سنة 1050هـ، توفي في نزاع مع أخيه الرشيد قرب وجدة سنة 1075هـ، وكان شجاعا مقداما صحيح الرأي. ترجمته في: تاريخ الضعيف: 1/ 98، 133، الاستقصا: 5/ 307، الدرر البهية: 1/ 140، إتحاف أعلام الناس: 3/ 129، الأعلام: 7/ 63.

4) إسماعيل بن محمد الشريف الحسني العلوي، أبو نصر، من أعظم سلاطين دولة الأشراف العلويين بالمغرب، توفي سنة 1139هـ وقد حكم سبعا وخمسين سنة، ترجمته في: روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تاريخ الضعيف: 1/ 155، الجيش العرمرم:1/ 119، الاستقصا: 6/ 67، إتحاف أعلام الناس: 2/ 50، الدرر الفاخرة: 29.

الظَّرِيفِ[1]، فَقَرَّطَ الْـخِلاَفَةَ وَشَنَّفَهَا[2]، وَرَفَعَ قَدْرَهَا، وَأَظْهَرَ شَرَفَهَا، وَخَلَّدَ آثاراً فِي فَيَافِيهَا، وَشَيَّدَ أَبْرَاجاً وَحُصُوناً فِي نَوَاحِيهَا، وَمَا زَالَ يُمَهِّدُ أَرْجَاءَهَا، وَيُمَزِّقُ أَعْدَاءَهَا، فِي مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ، وَسِنِينَ عَدِيدَةٍ، حَتَّى انْقَضَى أَجَلُهُ الْـمَضْرُوبُ، وحَصَلَ غَرَضُهُ الْـمَطْلُوبُ، فَقَضَى نَحْبَهُ، وأَمَّ رَبَّهُ، فَتَنَاوَلَ الْـخِلاَفَةَ مِنْ بَعْدِهِ أَنْجَالُهُ الْكِرَامُ، وتَلَقَّوْهَا بالتَّوْقِيرِ وَالاِحْتِرَامِ، وَكَانَ وَاسِطَةَ عِقْدِهِمْ الْـمُنَضَّدُ، سيدُنَا مُحَمَّدٌ[3]، السُّلْطَانُ الْـكَبِيرُ، الْـمُعْتَصِمُ بِاللهِ الْـكَبِيرِ، وَلَا يُنَبِّؤُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ[4].

وَمَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَسُوسُ الدَّوْلَةَ وتَحُوطُهَا، وَالسَّعَادَةُ تَلْحَظُهَا إِلَى أَنْ تَمَحَّضَ زُبْدُهَا، وَتَنَوَّرَ سَعْدُهَا، وَسَمَا مَجْدُهَا، وَعَظُمَ جَدُّهَا، وَخَلَصَ وُدُّهَا، وَعَذُبَ وِرْدُهَا، وَتَفَتَّحَ وِرْدُهَا، فَحَازَهَا سَيِّدُنَا الْإِمَامُ، الْأَسَدُ الضِّرْغَامُ، السُّلْطَانُ الْـهُمَامُ، مَوْلَانَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ هِشَامٍ، فَقَامَ بِأُمُورِ الْـمَمْلَكَةِ أَحْسَنَ قِيَامٍ، وَسَاعَدَتْهُ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، فَهَذَّبَ خُدَّامَهَا، وَأَحْكَمَ نَقْضَهَا وَإِبْرَامَهَا، وَأَبَادَ كُلَّ مُقَارِعٍ، وَثَائِرٍ وَمُنَازِعٍ، مِمَّنْ نَبَذَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ السُّنَّةَ وَالْـجَمَاعَةَ، فَأَقَامَ أَسَاطِينَهَا[5]، وَرَجَمَ شَيَاطِينَهَا، حَتَّى غَادَرَهَا أَنْقَى مِنَ الرَّاحِ[6]، وَأَصْفَى مِنَ الْـقَرَاحِ[7]، وَأَبْرَزَهَا كَالنَّاهِدِ الرَّدَاحِ[8]، وجَدَّدَ مِنْهَا مَا رَثَّ[9] فِي أَيَّامِ مَوْلَانَا سُلَيْمَانَ[10]، وَتَرَكَهَا نَائِمَةً فِي ظِلِّ الْأَنَامِ، كَالدُّرِّ جُبِيَ مِنْ

---

1) البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف المؤلف، لأبي القاسم الزياني، وهو مطبوع.

2) الشنف والقرط سواء وهو ما يعلق في شحمة الأذن. اللسان: شنف. قرط.

3) محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، السلطان العالم المتوفى سنة 1204هـ. ترجمته: الجيش العرمرم: 1/ 202، الاستقصا: 8/ 1، إتحاف أعلام الناس: 3/ 148، الدرر الفاخرة: 55.

4) وظف الكاتب الآية الكريمة 14 من سورة فاطر، لرصف فواصل سجعه.

5) أسطوان البيت: ساريته، والجمع أساطين. اللسان: سطن.

6) الرَّاحُ: جمع راحة، وهي باطن اليد. اللسان: روح.

7) القَراح بالفتح، الماء الخالص الذي لم يخالطه شيء يُطيبُ به كالعسل والتمر والزبيب. اللسان: قرح.

8) امرأة رداح ورداحة وردوح ضخمة العجيزة، ثقيلة الأوراك، تامة الخلق. اللسان: ردح.

9) الرثُّ والرثة والرثيث: الْـخَلَقُ الخسيس البالي من كل شيء. اللسان: رثث.

10) سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي، من سلاطين دولة الأشراف العلويين بالمغرب، توفي سنة 1238هـ. ترجمته: تاريخ الضعيف: 2/ 537، الجيش العرمرم: 1/ 72، الاستقصا: 7/ 117، الدرر الفاخرة: 67، الإعلام: 10/ 43.

عُمَانَ، وَعَلَى طُولِ مُدَّتِهِ، وَامْتِدَادِ عِزَّتِهِ، لَمْ تُهْزَمْ لَهُ رَايَةٌ، وَلَا عُرِفَتْ لَهُ نَكْبَةٌ فِي بِدَايَةٍ أَوْ نِهَايَةٍ، مُتَقَلِّداً سَيْفَ الْإِبَايَةِ، مُتَّزِراً بِالْـهَدْيِ وَالْـهِدَايَةِ، مَلْحُوظاً بِعَيْنِ الرِّعَايَةِ، مُتَوَّجاً بِتَاجِ الْـعِزِّ وَالْـعِنَايَةِ، حَتَّى أَتَاهُ الْـيَقِينُ، فَحَثَّهُ عَلَى السَّفَرِ لِرَبِّ الْـعَالَمِينَ، فَذَهَبَ لِسَبِيلِهِ، وَخَلَّفَ رُزْأَهُ[1] فِي جُنْدِهِ وَقَبِيلِهِ.

فَتَقَلَّدَ عَهْدَهُ نَجْلُهُ الْـمَنْصُورُ الْـمُؤَيَّدُ، سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّد، فَسَلَكَ مَسْلَكَ أَبِيهِ الْـوَجِيهِ النَّبِيهِ، الْـعَدِيمِ النَّظِيرِ وَالشَّبِيهِ، فَسَاسَ الْـمَمْلَكَةَ وَرَاضَهَا، وَفَجَّرَ يَنَابِيعَ الْـمَكَارِمِ وَأَفَاضَهَا، وَعَقَدَ الْـخِلَافَةَ لِنَجْلِهِ السَّعِيدِ، الْـمَقْرُونِ بِالطَّالِعِ السَّعِيدِ، الْـمُتَخَلِّقِ بِالْخُلُقِ الْـحَسَنِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الْـحَسَنِ[2]، حَتَّى نَادَاهُ مُنَادِي الرَّحِيلِ مِنْ هَذَا الطَّلَلِ الْـمُحِيلِ[3]، إِلَى الْـمَلِكِ الْـحَقِّ الْـجَلِيلِ، فَلَبَّى نِدَاهُ، وَأَجَابَ صَدَاهُ. وَانْتَقَلَ إِلَى رِضْوَانِ الله وَرَحْمَتِهِ، طَامِعًا فِي عَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَجَلَّ عَلَيْهِ الْـبُكَاءُ وَالْـعَوِيلُ، وَدُفِنَ فِي اللَّيْلِ الْـبَهِيمِ الطَّوِيلِ، مَعَ سَادَاتِنَا أَسْلَافِهِ الْأَشْرَافِ، الْـمُصْطَفَيْنَ مِنْ أَصْلَابِ الشِّرَافِ، وَالْـبُطُونِ الظِّرَافِ، بِضَرِيحِ جَدِّهِ مَوْلَانَا عَلِيٍّ الشَّرِيفِ، الزَّاهِدِ فِي التَّلِيدِ وَالطَّرِيفِ[4]، وَحَوَى جِنَاناً وَرِيَاضاً، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَاوَرَ أَبَا الْـفَضْلِ عِيَاضاً؟! الْـوَارِدَ مِنَ الْـعُلُومِ أَنْهَاراً وَحِيَاضاً، وَالْـحَائِزَ مِنَ الْـمَعْقُولِ وَالْـمَنْقُولِ حَدَائِقَ وَغِيَاضاً[5]، فَوَرَدَ مِنَ الْـمَحَبَّةِ مَنْهَلَ الصَّفَا، وَأَلَّفَ // **الشِّفا فِي حُقُوقِ الْـمُصْطَفَى**. (3)

1) الرزء المصيبة بفقد الأعزة، والجمع أرزاء ورزايا. اللسان: رزأ.

2) الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام العلوي، من سلاطين دولة الأشراف العلويين بالمغرب، توفي سنة 1311هـ. ترجمته: الاستقصا: 8/ 149، الدرر البهية: 1/ 238، إتحاف أعلام الناس: 2/ 115، الدرر الفاخرة: 97.

3) الطلل المحيل والحائل، الذي أتت عليه أحوال وغيرته. اللسان: حول.

4) التليد والتالد: المال القاديم الأصلي الذي ولد عندك، وهو نقيض الطارف. اللسان: تلد.

5) الغياض جمع غيضة وهي الشجر الملتف. اللسان: غيض.

رَجْعٌ: وَلَمَّا بَلَغَ مَوْلَانَا الْـحَسَنَ خَبَرُ وفَاةِ والِدِهِ السُّلْطَانِ، وَكَانَ مُخَيِّماً فِي بَلَدِ حَاحَةَ[1] لتمْهِيدِ تلكَ الأوْطَانِ، قَامَ وَقَعَدَ، وَبَرَقَ وَرَعَدَ، وَطَارَ لِلْحَضْرَةِ بِجَنَاحٍ، وَوَصَلَ الْـغُدُوَّ بالرَّوَاحِ، فَحَلَّ بِهَا حُلُولَ عُطَارِدٍ فِي بُرْجِهِ، مُتَوَشِّحاً بِسَيْفِهِ، مُسْتَوِيًا عَلَى سَرْجِهِ، فَبَايَعَهُ أَهْلُ الْـحَلِّ وَالْـعَقْدِ، وَكَانَ السُّلطَانُ يَتِيمَةَ ذَلِكَ الْـعِقْدِ، فأُخِذَتْ لَهُ الْـبَيْعَةُ الْـعَامَّة، مِنَ الْـخَاصَّةِ وَالْعَامَّة، فَفَتَحَ بَيْتَ الْـمَالِ، وَأَفَاضَ عَلَى الْـجُنْدِ وَالرَّعيَّةِ باليَّمِينِ وَالشِّمَالِ، ثُمَّ أَزَاحَ الْـعِلَلَ، وَقَصَمَ الْـحَادِثَ الْـجَلَلَ، وَتَهَيَّأَ للسَّفَرِ، الْـمَقْرُونِ بالظَّفَرِ، لِنَاحِيَةِ مَكْنَاسَةَ وَفَاسَ، الْـعَاطِرَةِ الْأَنْفَاسِ، الْـمُسَطَّرَةِ مَحَاسِنُهَا فِي الْقِرْطَاسِ[2]، فَخَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْـحَضْرَةِ، وَاضِحَ الْـغُرَّةِ، يَصْحَبُ رِكَابَهُ الْـجُنْدُ وَالعَسْكَرُ السَّعِيدُ، الْـمُغْتَصُّ[3] بِهِمُ الْـفَضَاءُ وَالصَّعِيدُ، فَوَصَلَ الرِّبَاطَ، وَحَصَلَ الاغْتِبَاطُ وَالِارْتِبَاطُ، وَأَلَمَّ فِي طَرِيقِهِ بِزَرْهُونَ، فَزَارَ مَوْلَانَا إِدْرِيس، وَأَسْرَعَ لِمَكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ، فَحَلَّ بِهَا حُلُولَ الغَيْثِ الْـهَتُونِ، وَشَرَعَ فِي قِتَالِ الْـبَرَابِرَةِ، الْـعَاتِينَ مِنْهُمْ وَالْـجَبَابِرَةِ، فَحَسَمَ دَاءَهُمْ، وَسَبَى رِجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ، وَأَقْفَرَ بِلَادَهُمْ، وَحَازَ طَرِيفَهم وَتِلادَهم، ثُمَّ سَمَتْ بِهِ هِمَّتُهُ، فَقَصَدَ وَجْدَةَ وَالرِّيفَ[4]، الْـمَحْفُوفَيْنِ بِالْـخِصْبِ وَالرِّيفِ[5]، فَمَهَّدَ تِلْكَ الْأَقْطَارَ، وَنَزَلَ فيها نُزُولَ الْـوَابِلِ الْـمِدْرَارِ، وَعَرَّجَ فِي مَسِيرِهِ بِمَوَاطِنِ الأَحْلَافِ، وَأَصْهَارِهِ وَأَصْهَارِ آبَائِهِ الأَسْلَافِ، وَأنزَلَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ شِرْذِمَةً مِنْ الْـعَسْكَرِ الْـجَرَّارِ، لِتَكُفَّ عَادِيَةَ الأَشْرَارِ، ثُمَّ لَمَّا مَهَّدَ تِلْكَ

1) حاحة: قبيلة كبرى بين الصويرة وأكادير، تتركب من ثلاث عمائر كبيرة: حاحة الغربية وتضم: (إدا وكورض، إدا ويسافي، نكنافة حاحة). وحاحة الشرقية المكونة من (بني زلطان، إدا وزمزم). وحاحة الجنوبية المؤلفة من: (بني عيسى، إدا بوزية، إدا وكلول، إدا وكازو، إدا وتغومة، وإيمكراض)، وتطلق حاحة أيضا على المجال الجغرافي الذي تستوطنه هذه القبائل. ينظر كتاب العز والصولة: 1/ 154.

2) يقصد كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي (ت.741هـ). وهو مطبوع.

3) غصَّ المكان بأهله ضاق. والمنزل غاصٌّ بالقوم أي ممتلئ بهم. اللسان: غصص.

4) الرِّيفُ: بمعناه الجغرافي المنطقة الممتدة على شكل سلاسل جبلية على طول الساحل الشمالي للمغرب إلى حدود نهر ملوية شرقا، وتستوطنه مجموعة من القبائل الأمازيغية والجبلية.

5) الرِّيفُ: الخصب والسعة في المآكل والجمع أرياف. اللسان: ريف.

الْأَرْجَاءَ، وَأَعْدَمَ الْـمَخَاوِفَ مِنْهَا وَالْأَدْوَاءَ، وَتَتَابَعَتْ فِي أَيَّامِهِ الْأَمْطَارُ، وَرَخُصَتِ الْأَسْعَارُ، وَقَصَدَتْهُ الشُّعَرَاءُ بِقَصَائِدِ الْأَشْعَارِ، فَأَجَازَهُمْ بِالْـجَوَائِزِ وَالصِّلَاتِ، فِي الْـحَضَرِ وَالْـفَلَاةِ، أَدَامَ اللهُ رَعْيَهُ، وشَكَرَ سَعْيَهُ، عَادَ لِلْحَضْرَةِ الْـمُرَاكُشِيَّةِ عَوْدَ السَّيْفِ لِقِرَابِهِ[1]، بَعْدَ قَضَاءِ آرَابِهِ، وَطَوَى فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ الْـبِعَادَ، وَقَرَأَ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[2].

ثُمَّ لَمَّا كَانَتْ حَرْكَتُهُ[3] الأُولَى للسُّوسِ الأَقْصَى[4]، الْـمُبَارِي بِفَوَاكِهِ الْـبَلَدِ الأَقْصَى، فَوَصَلَهُ وُصُولَ الْـغَيْثِ السَّارِي، فَأَوْرَى فِيهِ زَنْدَهُ[5] الْـوَارِي[6]، وَكَانَ النَّاسُ فِي شِدَّةٍ، فِي سِنِينَ مَاضِيَةٍ مُمْتَدَّةٍ، فَأَفَاضَ عَلَى فُقَرَائِهِمْ الإِنْعَامَ، وَأَمَدَّهُمْ بِالطَّعَامِ، وَقَرَّبَ الْـمُطِيعَ وَتَحَفَّاهُ، وَأَبْعَدَ الْـعَاصِيَ وَجَفَاهُ، وَمِنْ قَرَارِهِ نَفَاهُ، وَعَادَ إِلَى الْـحَضْرَةِ قَرَارِ مُلْكِهِ، وَنِظَامِ سِلْكِهِ.

ثُمَّ تَطَاوَلَتِ الأَيَّامُ، وَامْتَدَّتِ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ، فَكَانَتْ حَرْكَتُهُ الثَّانِيَةُ الطَّوِيلَةُ الْـعَرِيضَةُ، لِلسُّوسِ الْـمُحْتَفِّ بِالرِّيَاضِ الْأَرِيضَةِ، فَأَحْيَا بِهِ حَرْبَ الْـبَسُوسِ[7]، وَقَامَ فِيهَا كَالْـبُنْيَانِ الْـمَرْصُوصِ، فَخَيَّمَ فِي بِلَادِ هَوَّارَةَ[8]، وَبَنَى أَخْبِيَةً

1) القِراب: غمد السيف والسكين ونحوهما، وجمعه قرب. اللسان: قرب.

2) سورة القصص: الآية: 85.

3) الحركة لغة هي ضد السكون، وتعني في العرف المخزني تنقلات الجيش المغربي لتمهيد البلاد، وتأديب المارقين من العباد. كان حركة المولى الحسن الأول إلى بلاد سوس سنة 1299هـ والحركة الثانية سنة 1303هـ، وكانت مراكش منطلقا لها ومعادا.

4) يطلق اسم سوس على الأراضي الممتدة 200 كلم إلى الشرق من مدينة أكادير بين منحدرات الأطلس الكبير والأطلس الخلفي، وقاعدته التاريخية مدينة رودانة (تارودانت) ويخترقه واد سوس الذي تمتد حواليه أراض خصبة، ويسكنه مجموعة من القبائل العربية والشلحية يعرفون بأهل سوس ومنهم: القسيمة وهوارة واشتوكة والهلاليين إلخ. ينظر كتاب العز والصولة: 1/ 154.

5) الزَّند والزندة خشبتان يقتدح بهما. اللسان: زند.

6) ورت الزناد إذا خرجت نارها. اللسان: وري.

7) حرب البسوس: من أكبر حروب العرب في الجاهلية، كنت بين بكر بن وائل، وثغلب بن وائل، ودامت بين الفريقين أربعين سنة. نهاية الأرب: 413.

8) في المغرب قبيلتان تسمى كل واحدة بهذا الاسم، الأولى تسكن بسهل المسون بين تازة وكرسيف، والثانية تستوطن حوز أكادير، وهي التي يعنيها المؤلف.

فِيهَا كَالكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ، وَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْـغَارَاتِ، وَوَالَى فِيهِمُ الْـكُرُبَاتِ، وَتَفَرَّقُوا أَيَادِي سَبَا[1]، وَشَمِلَهُمُ النَّهْبُ وَالسِّبَا[2]، ثُمَّ عَفَى عَنْهُمْ، وَأَمَرَ بِرَدِّ مَا أُخِذَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهُمْ بِسَالِفِ جُرْمِهِمْ، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[3]. ثُمَّ جَاوَزَ سُوساً إِلَى وَادِ نُون[4]، وَلَمْ يَعْبَأْ بِتِلْكَ الْأَرَاجِيفِ وَالظُّنُونِ، فَوَفَدَتْ عَلَيْهِ وُفُودُ أَهْلِ ذَلِكَ الْـقَفْرِ، وَالْـجَمُّ الْـغَفِيرُ مِنْهُمُ الْـعَدِيدُ الْـوَفْرِ. وَمَا رَجَعَ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي حَتَّى أَطْلَعَ صَبَاحَهَا، وَأَنَارَ مِصْبَاحَهَا، وَتَرَكَ عُمَّالَهُ هُنَالِكَ يَجْبُونَ خَرَاجَهَا وَيُوَضِّحُونَ مِنْهَاجَهَا، وَيُبَاشِرُونَ أَعْمَالَهَا، وَيَتَفَقَّدُونَ أَحْوَالَهَا، مَعَ طَائِفَةٍ مِنَ الْـعَسْكَرِ السَّعِيدِ، الْـمُؤَيَّدِ بِتَأْيِيدِ اللهِ الْـمُبْدِئِ الْـمُعِيدِ.

أَبْقَى اللهُ سَيِّدَنَا لِرِيَاضِ الْـمَحَاسِنِ يَجْنِي ثِمَارَهَا، وَيَقْطِفُ أَزْهَارَهَا، وَلِعَرَائِسِ الْـمَعَالِي يُسْفِرُ عَنْ مُخَدَّرَاتِهَا[5]، وَيَفْتَضُّ أَبْكَارَهَا، وَلِسَمَاءِ الْـمَجْدِ يُطْلِعُ شُمُوسَهَا وَأَقْمَارَهَا //. (4)

---

1) ذهبوا أيدي سبأ، وتفرقوا أيادي سبأ، يضرب مثلا للقوم الذين تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده، وقصة المثل أن قوم سبأ لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد، وقد وردت قصتهم في سورة سبأ. ينظر المستقصى في أمثال العرب: 2/ 88.

2) السَّبي والسِّباء: الأسر. اللسان: سبي.

3) سورة الرعد: الآية: 6.

4) واد نون : منطقة جنوب المغرب، تحدُّها جبال باني شمالا ووادي درعة جنوبا، وشرقا جبال الواركزيز، وغربا فم فاست ومرتفعات اصبويا. معلمة المغرب : ملحق ج 4 : 665.

5) المخدَّرات: التي لزمت خِدرها. اللسان: خدر.

التعريف

هَذَا التَّعْرِيفُ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَابِ الدَّوْلَةِ الْـمُشَارِ إِلَيْهِمْ فِي طَالِعَةِ الْكِتَابِ، مِنْ مَشَاهِيرِ الْـوُزراءِ وَالْـحُجَّابِ وَالْـكُتَّابِ.

* **أَوَّلُهُمْ** بَلْ قُطْبُهُمْ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ، وَنَاصِرُ المِلَّةِ والدِّينِ، أَبُو عَلِيٍّ مَوْلَانَا الْـحَسَنُ نَصَرَهُ اللهُ، الْـمَنْعُوتُ بِالْـخُلُقِ الْـحَسَنِ، مَلِكٌ جَنَّدَ الْأَجْنَادَ، وَكَثَّرَ الْأَعْدَادَ وَالْأَمْدَادَ، وأَبَادَ الْأَضْدَادَ وَالْأَنْدَادَ، وحَشَدَ الْأَحْشَادَ، وَجنَّبَ الْـجَنَائِبَ، وَكَتَّبَ الْـكَتَائِبَ، وَفَوَّقَ[1] السِّهَامَ الصَّوائِبَ. فرَفَعَ مِنَ الْـمَمْلَكَةِ أَقْطَارَهَا، وَعَرَفَ إِيرَادَهَا وَإِصْدَارَهَا، وَخَلَّدَ فِي الْـخَافِقَيْنِ أَخْبَارَهَا، وَنَظَمَ نِثَارَهَا، وَأَقَالَ عِثَارَهَا، وَأَسْبَلَ أَسْتَارَهَا، وَشَفَّعَ أَوْتَارَهَا، وَقرَّبَ أَبْرَارَهَا، وَأَبْعَدَ أَشْرَارَهَا، وَصَانَ أَسْرَارَهَا، وَنَظَمَ فِي سِلْكِ الْـخِدْمَةِ أَحْرَارَهَا، وَمَهَّدَ أَقْطَارَهَا، وَقَضَى أَوْطَارَهَا، وَحَسَمَ مَخَاوِيفَهَا وأَخْطَارَهَا، ودَوَّخَ بِعَوْنِ اللهِ أَنْجَادَهَا وَأَغْوَارَهَا، وَشَادَ أَسْوَارَهَا، وَعَبَّرَ أَنْهَارَهَا، وَفتَحَ أَزْهَارَهَا، وَأَشْرَقَ أَنْوَارَهَا، وَأَسْمَى مَنَارَهَا، وَأَنْطَقَ بِتَرْجِيعِ الْأَلْحَانِ أَطْيَارَهَا، وَأَمَّنَ شُعَرَاءَهَا، فَجَوَّدَتْ أَشْعَارَهَا.

وَمَا زَالَ يُوَالِي الطَّعْنَ والضَّرْبَ فِي الْـعُجْمِ وَالْـعُرْبِ، وَالْـبُعْدِ وَالْـقُرْبِ، حَتَّى وَضَعَتِ الْـحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَأَطْلَعَتْ السَّعَادَةُ أَقْمَارَهَا. فأَلْقَى الدَّهْرُ بِيَدِهِ زِمَامَه، وَوَلاَّه نَقْضَهُ وَإِبْرَامَه، ومَنَحَهُ مِنْ بِرِّهِ الْـجَمِيلِ، وَرِفْدِهِ الْـجَزِيلِ، مَا تبتَهِجُ لهُ النُّفُوسُ، وَتَضِيقُ عَنْ عدِّهِ وَاسْتِقْصَائِهِ الدَّفَاتِرُ والطُّرُوسُ.

---

1) فوَّق السهم تفويقا إذا فرضه وجعل له أفواقا، والفوق السهام الساقطات النصول. اللسان: طوق.

ثُمَّ دَعَتْهُ هِمَّتُهُ لِقَوْدِ الْعَسَاكِرِ، والإسْرَاءِ بِهَا فِي الظَّلاَمِ الْعَاكِرِ، مَا مِنْهُمْ إلاَّ الْمُطِيعُ الْمُنْقَادُ، يَتَوَقَّدُ وَسْطَهُمْ كَالْكَوْكَبِ الْوَقَّادِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ بقيَّةُ السَّلَفِ، وَبَرَكَةُ الْخَلَفِ. وَقَدْ أتْحَفْتُ جَانِبَهُ الْعَالِي، فِي الزَّمَانِ الْخَالِي، بِقَصَائِدَ غُرَرٍ، تَزْرِي بِالدُّرَرِ.

فَمِنْهَا، وهِيَ مِنَ الشِّعْرِ الْقَدِيمِ، الَّذِي يَرْتَضِيهِ الصَّاحِبُ والنَّدِيمُ، وَلَمْ أَبْعَثْهَا لِلْحَضْرَةِ الْعَالِيةِ، والْبَهْجَةِ السَّامِيةِ، بَلْ كَانَتْ مَغْفُولَةً فِي الطَّاقِ[1]، مَعَ سَائِرِ الأَوْرَاقِ، إلى أنْ هَبَّ رِيحُهَا، وَعَظُمَ تَبَارِيحُهَا[2]. وَهَذَا مَطْلِعُهَا: [الكامل]

غَاضَ النَّدَى يَا نَجْلَ إِسَمَاعِيلاَ ... والصَّبْرُ عَنْ إِعْرَاضِ أَسْمَا عِيلاَ[3]

كيفَ السَّبِيلُ إلى الْوُصُولِ لَهُ وَقَدْ ... حُطَّ التُّرَابُ عَلَى ذَوِيهِ وَهِيلاَ[4]

وتَشَمَّرَتْ أَزْمَانُهُ وَتَصَرَّمَتْ ... أَيَامُهُ كَانَتْ عَلَيْهِ دَلِيلاَ

وتَغَوَّرَتْ أَنْهَارُهُ وَتُنُوسِيَتْ ... أَخْبَارُهُ لاَ تَسْتَفِزُّ بَخِيلاَ[5]

وَتَوَارَدَتْ أَرْبَابُهُ بَطْنَ الثَّرَى ... لَنْ يَسْتَطِيعُوا لِلصُّدُورِ سَبِيلاَ[6]

وَتَجَرَّعَتْ أنْصَارُهُ كَأْسَ الْفَنَا ... كُلٌّ تَعَفَّرَ بِالتُّرَابِ جَدِيلاَ[7]

---

1) الطاق: ضرب من الملابس، والطاق: الطيلسان، والمراد هنا محفظة تحفظ فيها الأوراق. اللسان: طوق.

2) التباريح: الشدائد، وقيل هي كُلَفُ المعيشة في مشقة، وتباريح الشوق توهجه، لا مفرد لها. اللسان: برح.

3) هذه القصيدة موجودة في ديوان شعره الورقة 4، مع اختلاف في عدد أبياتها، وتقديم وتأخير، واختلاف في رواية بعض الأبيات.
ـ عِيلَ صبري فهو مَعُولٌ: غلب. اللسان: عول. أي أن صبر الشاعر عيل بسبب إعراض أسماء وصدودها.

4) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

5) غار الماء غورا ذهب في الأرض وسفل فيها. اللسان: غور.

6) في ديوان شعره: لا يستطيعون إلى الصدور.

7) الجدْل: الصرع وجدله وجدله صرعه على الجدالة. اللسان: جدل.

هَذِي مَآثِرُهُمْ تَدُلُّ عَلَيْهِـــــــمُ ... وَتُفِيضُ دَمْعَةَ مَنْ يَكُونُ نَبِيلَا[1]
يَا حُجَةَ الأَجْوَادِ يَا مَنْ جُـــودُه ... يَغْشَى الْـبَرِيَّةَ بُكْرَةً وَأَصِيلَا[2]
بَادِرْ بَقِيَّةَ رُوحِهِ وَاسْمَحْ بِهَـــا ... حَتَّى يَعُمَّ السَّمْحُ هَذَا الْـجِيلَا[3]
وَانْظِمْ رَعَـاكَ اللهُ دُرَّ نَثِيـــــرِهِ ... فِي جِيدِ عَصْرِكَ كَيْ يَكُونَ جَمِيلَا
دَامَتْ إِمَامَتُكَ السَّعِيدَةُ لِلْـــوَرَى ... لا تَـرْتَـضِي التَّغْيِيرَ والتَّبْدِيلَا[4]
أَنْجِدْ وَأَتْهِمْ فِي حِمَاهَـا إِنَّهَـــا ... عَنْ دَارِ مُلْكِكَ تَأْنَفُ التَّحْوِيلَا[5]
قَدْ ضَلَّ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ تَمَـــوُّلاً ... وَصَرِيحُ مَدْحِكَ يُوجِبُ التَّمْوِيلَا[6]
فَالْـعَيْنُ إِنْ تَنْظُرْ لِرِفْعَةِ مَجْدِكُـــمْ ... يَرْتَدُّ طَـرْفُ الْـعَيْنِ عَنْهُ كَلِيلَا[7]
فَاخِرْ بِأَصْلِكَ أَوْ بِفَرْعِكَ قَدْ بَـــدَا ... مَا يُوجِبُ التَّفْرِيعَ والتَّأْصِيلَا
وابْسُطْ يَمِينَكَ مَعْ شِمَالِكَ كُلَّمَـــا ... هَـبَّـتْ شِـمَالٌ بِالْـعَشِيِّ بَلِيلَا[8]
جُودُوا بِمَا جَادَتْ بِهِ آبَاؤُكُـــمْ ... وَجُـدُودُكُـمْ مَا أَظْـهَـرُوا تَعْلِيلَا
كَانُوا غُيُوثاً لِلنَّدَى حَتَّى مَضَـــوْا ... إِذْ وَكَّلُوكُمْ فَاقْبَلُوا التَّوْكِيلَا[9] // (5)

1) في ديوان شعره: هذي مساكنهم تنوح.

2) الشطر الثاني من البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الأحزاب: 42 أو قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفتح: 9

3) في ديوان شعره: دارك بقية.

4) في ديوان شعره: دامت خلافتك السعيدة للورى لا تقتضي.

5) في ديوان شعره: في علاك فإنها من دار. أنجد الرجل: قصد نجدا، وأتهم أتى تِهامة، اللسان: نجد، تهم.

6) في ديوان شعره: يطلبون تمولا.
– ملت بعدنا وملت وتمولت: كثر مالك. اللسان: مول

7) في ديوان شعره: لرفعة قدركم ... عنها كليلا.
ـ طرف كليل إذا لم يحقق المنظور، وكل بصره كلولا نبا. اللسان: كلل.

8) التبليل والبليلة: ريح باردة مع ندى أو مطر خفيف ولا تُجمع. اللسان: بلل.

9) في ديوان شعره: حتى قضوا.

يَا مَنْ جَمِيعُ أمُورِهِ فِي قَوْلِ كُــــنْ   سَهِّلْ أُمُــورَ مَلِيكِنَا تَسْهِيلَا[1]

وَاجْعَلْ نِظَامَ الْـمُلْكِ فِي أَعْقَابِــهِ   يَسْتَنْكِفُ التَّحْدِيدَ وَالتَّأْجِيلَا[2]

يَا رَبِّ وَانْصُرْهُ عَلَى أَعْدَائِــــهِ   وَاجْعَلْ جَمِيعاً كَيْدَهُمْ تَضْلِيلَا[3]

بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ مَــعْ صَحْبِـــهِ   وَالرُّسْلِ وَالْأَمْــلَاكِ مَعْ جِبْرِيلَا

وَبِسَادَةٍ صَدَقُوا الإِلَاهَ وَصَدَّقُوا الْــ   ـفُرْقَانَ والتَّــوْرَاةَ والإِنْجِيلَا[4]

يَا تُحْفَةَ الْعَصْرِ الْعَقِيمِ بِمِثْلِــهِ   لَا زِلْــتَ سُــمّاً لِلْـعُـدَاةِ ثَقِيلَا[5]

وَافَتْكَ مِنْ دُرِّ الْقَرِيضِ عَقِيلَـــةٌ   تُهْدِي لَكَ التَّكْرِيمَ وَالتَّبْجِيلَا[6]

مِنْ كَامِلِ الْبَحْرِ الْبَهِيِّ نِظَامُــهُ   مُسْتَعْمَلٌ لَا يَعْرِفُ التَّعْطِيلَا[7]

وَسَعَتْ لِحَضْرَتِكَ الشَّرِيفَةِ رَغْبَــةً   فِيهَا تُرِيدُ الَّلـثْمَ والتَّقْبِيلَا

وَتَشَوَّفَتْ لِعَمِيمِ فَضْلِكَ وَارْتَجَــتْ   مِــدْرَارَ نَـوْلِـكَ عَاجِلاً وأَجِيلَا

فَاصْفَحْ عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي يُلْفَى بِهَـا   فَالصَّفْحُ مِنْ شَأْنِ الْأَفَاضِلِ قِيلَا

فَالْفِكْرُ أَضْحَى بِالْبِعَادِ مُقَسَّمــاً   وَالْقَلْبُ أَمْسَى بِالْفِرَاقِ عَلِيلَا[8]

---

1) في ديوان شعره: أمور أميرنا.

2) في ديوان شعره: يستنكف التمديد.
- نكف الرجل عن الأمر واستنكف: أنف وامتنع. اللسان: نكف.

3) في ديوان شعره: فانصره، والشطر الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ سورة الفيل: الآية: 2.

4) في ديوان شعره: التوراة والقرآن.

5) في ديوان شعره: للعداة قتيلا.

6) في ديوان شعره: من غرر.

7) في ديوان شعره: الجليل نظامه.

8) في ديوان شعره: فالقلب أضحى. والفكر أمسى.

عَصَفَتْ بِهِ رِيحُ النَّوَى بَعْدَ النَّـوَى   جَابَ الْـبِلَادَ وَمَـارَسَ التَّجْوِيلَا[1]

بَارِي السَّحَابَ بِجُودِكَ الْـهَامِي فَقَـدْ   غَاضَ النَّدَى يَا نَجْلَ إِسَمَاعِيلَا[2].

وَمِنْهَا وَقَدْ سَافَرَ سَيِّدُنَا نَصَرَهُ اللهُ لِنَاحِيَةِ سُوس: [الطويل]

تَغِيبُ مَغِيبَ الْبَدْرِ فِي غَرْبِهِ عَنَّـا   وَتَطْلُعُ مَهْمَا شِئْتَ إِنْ غَرَضٌ عَنَّا[3]

وَتَسْتَوْهِبُ الْـوَهَّابَ جَلَّ جَلَالُـهُ   مَوَاهِبَ نِيطَتْ بِالزِّيَادَةِ وَالْـحُسْنَى

وَتَسْتَفْتِحُ الْـفَتَّاحَ مَا هُوَ لَائِـقٌ   بِمَنْصِبِكَ الْـمُسْتَعْبِدِ الإِنْسَ وَالْـجِنَّا

حَمَلْتَ وَحَبَّرْتَ الْـخِلَافَةَ فَانْجَلَـتْ   وَلَا غَرْوَ لِلْأَبْصَارِ كَالرَّوْضَةِ الْـغَنَّا

وَأَوْلَيْتَهَا مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْـحُـلَى   تَرُوقُ الْـوَرَى يَا رَائِقَ اللَّفْظِ وَالْـمَعْنَى

وَأَحْيَيْتَ آثَارَ الَّذِينَ تَقَدَّمُـوا   وَأَيْـنَ الَّـذِي يُحْيِي مَآثِرَهُمْ أَيْنَا؟

وَمَهَّدْتَ قُطْرَ السُّوسِ لَمَّا دَخَلْتَـهُ   وَغَادَرْتَهُ يَخْتَالُ كَالْـغَادَةِ الْـحَسْنَا

وَخَيَّمْتَ فِي أَرْجَائِهِ تَقْتَضِي الْـمُنَى   كَأَنَّكَ غَرِيمٌ حَازِمٌ يَقْتَضِي الدَّيْنَا

وَقَابَلْتَ أَهْلَ الْـقُطْرِ بِالصَّفْحِ وَالرِّضَى   وَأَعْطَيْتَهُمْ مَا يَكْشِفُونَ بِهِ الرَّيْنَا[4]

وَآتَوْا يَقِيناً بَيْعَةً مُسْتَمِـرَّةً   وَقَدْ بَذَلُوا فِي نَيْلِهَا الْـبَيْعَ وَالرَّهْنَا

وَعَامَلْتَهُمْ بِالْـحِلْمِ وَالرِّفْقِ وَالنَّـدَى   فَلَا ضَرَراً يَخْشَوْنَ مِنْكَ وَلَا غَبْنَا[5]

---

1) في ديوان شعره: جال البلاد.

2) في ديوان شعره: كن دائما مثل الحيا تهمي فقد.

3) القصيدة بتمامها في ديوان شعره الورقة 9 مع بعض الاختلاف في روايتها. عَنَّ (الثانية) بمعنى ظهر وعرض. اللسان: عنن.

4) الرَّين: الطبع والدنس والرين: الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة. والرين كالصدإ يغشى القلب. اللسان: رين.

5) الغَبْن بالتسكين في البيع، والغبَن بالتحريك في الرأي. اللسان: غبن.

وَأَوْمَضْتَ مِثْلَ الْـبَرْقِ يَلْمَعُ فِي الدُّجَى فنَوَّرْتَ فِي إِيمَاضِكَ السَّهْلَ وَالْـحَزْنَا[1]
وَصَلْصَلْتَ كَالرَّعْدِ الْـقَصِيفِ بِأُفْقِهِمْ فَأَمْطَرْتَ فِي إِرْعَادِكَ الرُّعْبَ وَالْـهَوْنَا
إِذَا الْـعَسْكَرُ الْـجَـــرَّارُ أَمَّ دِيَارَهُمْ تَرَدَّى الرَّدَى وَالْـبَأْسَ لَا يَعْرِفُ الْـجُبْنَا
وَمَهْمَا رَأَتْ أَبْطَالُهُ حَوْمَةَ الْـوَغَـــى تَرَامَتْ عَلَى آسَادِهَا تَهْزِمُ الْـقِرْنَا[2]
فَمَا أَنْتَ إِلَّا آيَةُ اللهِ فِي الْـــــوَرَى مَجِيدٌ تُجِيدُ الرَّمْيَ وَالضَّرْبَ وَالطَّعْنَا
وَأَنْتَ الَّذِي أَوْرَى بِكَ الْـجَفْنُ زَنْدَهُ وَأَوْرَدَ مَا يَحْكِي الْـيَقِينَ أَوِ الظَّنَّا
قَضَى بِرِبَاطِ مَاسَةَ الطَّبْلُ نَــــذْرَهُ وَبَرَّ يَمِيناً لَا عَدَا قَصْدُكَ الْـيُمْنَى[3]
وَأَمَّا اسْمُكَ السَّامِي جَـلَالاً وَرِفْعَةً فَقَدْ جَمَعَ الْإِحْسَانَ وَالْـبِرَّ وَالْـحُسْنَى
وَأَبْدَعْتَ فِي بُسْتَانِكَ الطَّيِّبِ الْـجَنَى مَقَاصِرَ رَاقَتْ فِي تَرَفُّعِهَا الْـعَيْنَا
وَلَكِنَّهُ عَفَّى جِنَانَ الدُّنَى الَّتِـــي تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ فِي وَصْفِهَا مَثْنَى
فَمَا شِعْبُ بَوَّانٍ وَنَهْـرٌ وَغُوطَـــــةٌ وَمَا صُغُدٌ تَشْفِي بِبَهْجَتِهَا الْـمُظْنَى[4]

1) اَلْحَزَنُ: ما غلط من الأرض وخشن، والجمع حزون. اللسان: حزن.

2) حومة القتال: معظمه وأشد موضع فيه. اللسان: حوم.
- القرن بالكسر: الكفء والنظير في الشجاعة والحرب يجمع على أقران. اللسان: قرن.

3) رباط ماسة: من أشهر مواقع المغرب على ما حفظت لنا النصوص المكتوبة والذاكرة الشعبية والشفوية، إضافة إلى البعد الديني والتاريخي لهذا الرباط، وقد كان موطنا لكثير من الثائرين على السلطة المركزية بالمغرب. معلمة المغرب: 13/ 4254.

4) شعب بوان: بالفتح وتشديد الواو أحد المواضع المشهورة بالحسن وكثرة الأشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الأطيار. معجم البلدان: 1/ 503.
- المراد به هنا نهر البلة وهو نهر قرب البصرة حفره زياد بن أبيه وقد روي عن غير واحد من أهل العلم أن جنان الدنيا أربعة، غوطة دمشق، وضعد سمرقند، وشعب بوان، ونهر البلة. معجم البلدان: 1/ 75-503.
- الغوطة: الكورة التي منها دمشق كلها أشجار وأنهار متصلة، وهي بالإجماع أجمل بلاد الدنيا وأحسنها منظرا. معجم البلدان: 4/ 219.
- الصغد: كورة عجيبة قصبتها سمرقند وقيل هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى وهما من أطيب بلاد الدنيا. معجم البلدان: 3/ 409.
- رجل ضنى، وامرأة ضنى، وهو المضنى من المرض. اللسان: ضنا.

إِذَا عَصَفَتْ رِيحُ الشَّمَالِ عَشِيَّــــةً تَهُزُّ عَلَى رُغْمِ الصَّبَا ذَلِكَ الْـغُصْنَا

تَعَانَقَتِ الْأَدْوَاحُ فِيــهِ فَأَثْمَــــرَتْ وَيَرْقُصُ فِيهَا الطَّيْرُ شَوْقاً إِذَا غَنَّى

تُجَاوِبُ بِالْأَسْجَاعِ طَيْراً سَوَاجِعــاً عَلَى فَنَنٍ لَدْنٍ تَصُوغُ بِهِ اللَّحْنَا[1] // (6)

إِذَا هَامَ حِبٌّ فِي مُرَادِ حَبِيبِــــــهِ فَفِي حُبِّ وَادِيكَ الْـعَظِيمِ لَقَدْ هِمْنَا

مَحَبَّتُكُمْ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِـــمٍ يَـدِيـنُ بِـدِيـنِ الله خَالِقِنَا مَنَّا

وَمَنْ لَمْ يَهِمْ فِي وَادِ حُبِّكَ طَاوِيــــا عَلَى حُبِّهِ يَسْتَوْجِبِ الْـمَقْتَ وَاللَّعْنَا

قَدَ اصْبَحَ مَنْ لَمْ يَقْفُ إِثْرَكَ نَادِمــا يَعَضُّ عَلَى الإِبْهَامِ بَلْ يَقْرَعُ السِّنَّا

وَقَدْ كَشَفَ اللهُ الْـغِطَاءَ فَأَصْبَحَــتْ أَحَادِيثُ قَوْمٍ قُلَّبٍ تُشْبِهُ الْـعِهْنَا[2]

وَقَدْ قُضِيَتْ أَغْرَاضُكُمْ وَتَيَسَّــرَتْ مَآرِبُكُمْ لَا زَالَ مَطْلَبُكُمْ هَيْنَا

فَيَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ يَا رَافِعَ السَّمَــــا بِفَضْلِكَ يَا إِلَاهَنَا لَا تُوَاخِذْنَا

وَجُدْ بِانْسِجَامِ الْـعَفْوِ وَاغْفِرْ ذُنُوبَنَـا فَأَنْتَ كَرِيمٌ إِنْ نَسِينَا أَوَ اخْطَأْنَا[3]

وَعَزِّزْ أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ مَلِيكَنَــــا بِعِزِّكَ وَانْصُرْ حِزْبَهُ الْـمُرْتَدِي الْـحَيْنَا[4]

وَنَظِّمْهُ فِي سِلْكِ الَّذِينَ قَدَ انْفَقُــوا وَلَا يُتْبِعُونَ الدَّهْرَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا[5]

وَأَوْلِـهِ عِزّاً لَا يُكَيَّفُ قَـــــدْرُهُ وَمُلْكاً كَبِيراً لَا يَحُولُ وَلَا يَفْنَى

1) الفنن: الغصن، وقيل الغصن القضيب والجمع أفنان. اللسان: فنن.
– واللدن: اللين من كل شيء من عود أو حبل أو خلق والأنثى لدنة. اللسان: لدن.

2) رجل قلب: يتقلب كيف شاء. اللسان: قلب.
– العهن: الصوف المصبوغ ألوانا والجمع عهون. اللسان: عهن.

3) الشطر الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...﴾ البقرة: 286

4) الحَيْنُ بالفتح: الهلاك، وقد حان الرجل هلك. اللسان: حين.

5) البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى...﴾ البقرة: 262.

فَلَا زِلْتَ يَا سَعْدَ السُّعُودِ تَقُــــودُهُ   وَلَا زَالَ فِي عَيْنِ الرِّضَى يَجْتَنِي الْأَمْنَا

وَلَا زَالَ سَعْدُ الْأَخْبِيَاءِ مُخَيِّمـــــاً   بِعِزَّتِهِ الشَّمَّاءِ لَا يَقْتَضِي الْبَيْنَا[1]

وَلَا بَرِحَتْ أَيَّامُهُ الْغُرُّ زَهْـــــرَةً   بِسُلْطَانِهِ تَسْتَنْبِطُ الْأَبَ وَالْإِبْنَا

بِجَاهِ رَسُولِ اللهِ أَشْرَفِ خَلْقِـــــهِ   وَأَفْضَلِ مَنْ زَارَ الْـمَقَامَ أَوِ الرُّكْنَا

سَرَى لِاغْتِنَامِ الْفَضْلِ فِي غَسَقِ الدُّجَى   وَجِبْرِيلُ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى[2]

عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ مَا حَنَّ نَــــازِحٌ   إِلَى سَكَنٍ نَاءٍ يُرِيدُ بِهِ السُّكْنَا[3]

وَآلِهِ وَالصَّحْبِ الْكِرَامِ هُدَاتِنَـــا   وَقُدْوَتِنَا اللَّائِي تَحَاشَوْا عَنِ الشَّحْنَا

وَهِيَ قَصِيدَةٌ أَنَافَتْ عَلَى السَّبْعِين، ويَكْفِي مِنْهَا هَذَا الْقَدْرُ، لِأَنَّ نَظِيرَتَـهَا وَصَلَتِ الْأَعْتَابَ الشَّرِيفَةَ فِي الْأَيَّامِ الْـمَاضِيَةِ عَلَى التَّمَامِ.

وَمِنْهَا أَيْضًا: [الطويل]

أَيَا مَنْ زَكَتْ أَيمَانُهُ وَشَمَائِلُـــــهْ   وَسَحَّتْ نَـدًى أَيمَانُهُ وَشَمَائِلُهْ[4]

وَمَنْ عَظُمَتْ أَقْدَارُهُ وتَطَاوَلَـــتْ   بِأُفْقِ الْعُلَا مَا ثَمَّ شَخْصٌ يُطَاوِلُهْ

وَفَاضَتْ بِحَارُ الْجُودِ مِنْ بَسْطِ كَفِّـهِ   فَلَمْ تَنْقَطِعْ فَلْيَحْمَدِ اللهَ سَائِلُهْ[5]

وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ مِنَ الْوَغَى   أَوَاخِــرُهُ مَحْـمُـودَةٌ وَأَوَائِـلُــهْ

وَعَادَ زَمَانُ الْفَضْلِ وَهْوَ مُسَـــوَّرٌ   سِـوَارَ الْبَهَا بَلَى وَحُـلِّيَ عَاطِلُهْ

---

1) في ديوان شعره: سعد الأنبياء.

2) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ النجم :9.

3) في ديوان شعره: نازع. - النازع والنـزيع الذي نزع عن أهله وعشيرته أي بعد وغاب. اللسان: نزع.

4) القصيدة بتمامها في ديوان شعره: الورقة 22 ب.

5) البيت مقتبس من قوله الشاعر: ولو لم يكن في كَفِّهِ غير روحه   لجاد بها فليتق الله سائله

وَخَيَّمَ فِي الْفَضْلِ الْمُوَشَّحِ بِالثَّنَا	ولَمْ تُحْصَ لَا وَاللهِ قَطُّ فَضَائِلُهْ[1]
وَأَحْيَا رُسُومَ الْمَجْدِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى	فَعَمَّ الْبَرَايَا طَلُّهُ ثُمَّ وَابِلُهْ[2]
وَغَاصَ على دُرِّ الكَلَامِ ولُبِّهِ	إِذَا قَالَ قَوْلاً لَمْ يَجِدْ مَنْ يُقَاوِلُهْ
تَحَمَّلَ أَمْراً غَيْرَ خَافٍ عَلَى الْوَرَى	كَمَا المِسْكِ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ حَامِلُهْ
وكَمْ لَيْلَةٍ أَسْرَى وَأَمْعَنَ فِي السُّرَى	مَرَاحِلُهُ مَشْهُورَةٌ وَمَنَازِلُهْ[3]
تُحَاكِي الْحَصَى أجْنادُهُ وَجُيُوشُهُ	وَتَصْهَلُ في أَرْضِ الْبُغَاةِ صَوَاهِلُهْ
إِذَا الْعَسْكَرُ الْجَرَّارُ أَرْعَدَ بِالْعِدَى	وَأَبْرَقَ مَادَتْ بِالْعَدُوِّ مَعَاقِلُهْ[4]
فَكُلُّهُمُ شَاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٌ	مَدَافِعُهُ مَصْقُولَةٌ وَمَكَاحِلُهْ[5]
وَأَعْذَرَ لِلْفُجَّارِ يَبْغِي رَشَادَهُمْ	فَلَمْ يَبْرَحُوا تُتْلَى عَلَيْهِمْ رَسَائِلُهْ[6]
وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ	شَقَاوَتَهُمْ سُلَّتْ عَلَيْهِمْ مَنَاصِلُهْ
يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ بِبَغْيِهِمْ	تَنُوءُ بِهِمْ أَغْلَالُهُ وَسَلَاسِلُهْ[7]
وَرَامُوا الْجِبَالَ الشُّمَّ حِصْناً وَمَلْجَأً	فَلَمْ تُنْجِهِمْ كَلَّا كَذَا قَالَ قَائِلُهْ[8]

1) في ديوان شعره: الموشح بالسنا.

2) في ديوان شعره: والود والندى يعم البرايا.
ـ الطلّ: المطر الصغار القطر الدائم. اللسان: طلل. والوابل: المطر الشديد الضخم القطر. اللسان: وبل.

3) في ديوان شعره: فكم ليلة. السُّرَى: سير الليل عامتِه. اللسان: سرا.

4) ماد الشيء يميد ميدا تحرك ومال. اللسان: ميد. المعاقل: الحصون، واحدها معقل. اللسان: عقل.

5) رجل شاكي السلاح: إذا كان ذا شوكة وحدٍّ في سلاحه، قال الأخفش: هو مقلوب من شائك. اللسان: شكا.
ـ رجل مقذف: أي كثير اللحم كأنه قذف باللحم قذفا. والمقذف: الملعن كما في بيت زهير:
لدى أسد شاكي السلاح مقذف   له لبد أظفاره لم تقلم. اللسان: قذف.

6) في ديوان شعره: فلم يسمعوا.

7) وظف الشاعر الآية 39 من سورة البقرة في الشطر الأول من بيته.

8) في ديوان شعره: فلم ينجهم.

وَوَالَى عَلَيْهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَــــــرَّةٍ　　تُـزَلْـزِهُـمْ في كُـلِّ يَـوْمٍ زَلَازِلُــهْ
فَيَا رَبِّ أَيِّدْ نَصْرَهُ وَاحْمِ مُلْكَـــــهُ　　وَكُـنْ مَعَهُ فِي كُـلِّ أَمْـرٍ يُحَاوِلُـهْ
وَأَسْبِلْ عَلَيْهِ السِّتْرَ في كُلِّ حَالَــــةٍ　　فَمَا يَتَّقِي في أَيِّ شَأْنٍ يُنَاوِلُـهْ[1] // (7)
وَعَمِّمْهُ بِالْأَلْطَافِ في كُلِّ لَحْظَــــةٍ　　يَقُومُ بِأَعْبَاءِ الْـخِلَافَةِ كَاهِلُهْ[2]
وَتَوِّجْهُ بِالنَّصْرِ الْـعَزِيزِ وَأَعْطِـــهِ　　مُنَاهُ فَلَا يَخْفَى عَلَى الْـخَلْقِ نَائِلُهْ[3]
وَعَامِلْهُ بِالإِحْسَانِ والرِّفْقِ والرِّضَـى　　وَوَالِ عليْهِ الْـمَكْرُمَاتِ تُوَاصِلُهْ
فَيَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ والْـمَلِكُ الَّـــذِي　　فَـرَائِـضُـهُ مَحْـفُـوظَـةٌ وَنَـوَافِـلُـهْ[4]
تَقَبَّلْ قَرِيضاً بِالْـبَيَانِ مُطَــــرَّزاً　　تَدُورُ عَلَى عِلْمِ الْـمَعَانِي مَسَائِلُهْ
أَتَاكُمْ عَلَى شَطِّ الْـمَزَارِ يَزُورُكُـــمْ　　وَسَاقَتْهُ بِالشَّوْقِ الْـوَرِيِّ بَلَابِلُهْ
أَنِلْهُ قَبُولاً يَرْتَضِيهِ جَنَابُكُـــــمْ　　فَأَنْتُمْ غِيَاثُ الْـمُرْتَجِي وَوَسَائِلُهْ
وَأَنَّكَ صَقْرٌ لِلْمُلُوكِ وَذُخْرُهُـــمْ　　وَأَنَّكَ فَرْدٌ وَاحِدُ الْـعَصْرِ فَاضِلُهْ
فَدُمْ لِحِمَى الإِسْلَامِ تَحْمِي ذِمَـــارَهُ　　أَيَـا مَـنْ زَكَـتْ أَيـمَانُـهُ وَشَمَائِلُهْ.

وَمِنْهَا: [الوافر]

قِفَا وَاسْتَوْعِبَا الْـفَتْحَ الْـمُبِينَـــا　　لِنَعْتَمَّ الـسُّرُورَ الْـمُسْتَبِينَا[5]
وَنُضْحِي في رِيَـاضٍ زَاهِـــرَاتٍ　　مِـنَ الـنَّصْرِ الَّـذِي سَرَّ الْـبَنِينَا

1) في ديوان شعره: في كل لحظة. في أي شيء يناوله.
2) في ديوان شعره: في كل حالة.
3) النائل: العطاء. اللسان: نول.
4) في ديوان شعره: والحسن الذي في ح.
5) القصيدة بتمامها في ديوان شعره: 8.

وَزُورَا سَاحَةَ السُّلْطَانِ غِبّــا … نَعَمْ وَاسْتَخْبِرَا قَلْبِي الرَّهِينَا

وَطُوفَا بِالْـمَلِيكِ السَّعْدِ دَأْباً … وَكُونَا فِي سِرَاعِ الطَّائِفِينَا

وَنُوبَا عَنْ بِعَادِ الصَّبِّ قَسْراً … بِذِكْرَى إِنْ غَفَلْنَا أَوْ نَسِينَا

وَعَنِّي بَلِّغَا أَنِّي مُقِيمٌ … عَلَى حِفْظِ الْـمَحَبَّةِ مَا بَقِينَا

بَلَى إِنْ شِئْتُمَا فَاسْتَنْطِقَانِي … أَقُصُّ عَلَيْكُمَا الْخَبَرَ الْيَقِينَا

فَإِنِّي مِنْ جُهَيْنَتِهِ فَأَرْوِي … مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يُحْكَى سِنِينَا[1]

فَإِنَّ الْـمَالِكَ الْـمَنْصُورَ أَفْنَى … رِجَالَ الْفَاسِدِينَ الْـمُفْسِدِينَا

مَحَلَّتُهُ السَّعِيدَةُ خَيَّمَتْ فِي … دِيَارِ الْـمُجْرِمِينَ الظَّالْـمِينَا

تَخَالُ قِبَابَهَا شُهْباً تَسَامَتْ … عَلَى الدُّنْيَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَا

وَلَكِنْ أَشْرَقَتْ حُسْناً وَطَابَتْ … بِطِيبِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَا

وَهُمْ آلُ الرَّسُولِ الَّذْ تَسَامَى … سُمُوّاً يَشْتَهِيمُ الطَّامِحِينَا

عَلَيْهِ مِنَ الْـمُهَيْمِنِ كُلَّ وَقْتٍ … سَلَامٌ يَزْدَرِي الْـمَاءَ الْـمَعِينَا

حَبَاهُ اللهُ نَصْراً مُسْتَمِرّاً … عَلَى رُغْمِ الْبُغَاةِ الشَّارِدِينَا

وَأَمْعَنَ فِي حِمَاهُمْ وَاعْتَلَاهُمْ … بِنَصْرِ اللهِ خَيْرِ النَّاصِرِينَا

وَأَنْذَرَهُمْ فَخَالَطَهُمْ صَبَاحاً … فَسَاءَ إِذاً صَبَاحُ الْـمُنْذَرِينَا[2]

---

1) جهينة: حي من قضاعة من القحطانية وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث. نهاية الأرب: 206. وفيه إشارة إلى المثل العربي: عند جهينة الخبر اليقين، يُضرب مثلا لمعرفة الخبر والسُّؤال عنه. جمهرة الأمثال: 2/ 40، والمستقصى من الأمثال: 2/ 169.

2) الشطر الثاني من البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ سورة الصافات: الآية: 177.

وَأَوْلَاهُمْ خَرَاباً وَاعْتِقَـالاً … فَلَمْ يَـتْرُكْ لَهُمْ حِصْناً حَصِينَا

وَأَجْلَاهُمْ عَنِ الْأَوْكَارِ طُـرّاً … وَأَخْـرَجَ مِنْهُمُ الـدَّاءَ الدَّفِينَا

وَلَيْسَ لَهُمْ سِنَادٌ وَاسْتِنَـادٌ … عَـدَا شَيْطَانَهُمْ ذَاكَ اللَّعِينَا

وَقَدْ وُضِعَتْ سُيُوفُ الْـهِنْدِ فِيهِـمْ … فَـكُـلٌّ مِـنْـهُـمْ يُـبْـدِي الْأَنِـيـنَـا

وَأَمْسَى وَكْرُهُمْ قَفْراً يَبَابـاً … وَذَاكَ جَـزَاءُ زَيْـغِ الزَّائِـغِينَـا[1]

وَأَسْرَى يُقْفِرُ الْأَوْطَانَ مِنْهُـمْ … وَبِـاللهِ الْـمُهَيْمِنِ مُسْتَعِينَا

فَجَاهُمْ يَوْمُ نَحْسٍ مُسْتَمِـرٍّ … عَلَيْهِمْ إِذْ تَـوَلَّـوْا مُدْبِرِينَا[2]

وَقَدْ طَحَنَتْهُمُ حَرْبٌ عَـوَانٌ … فَـكُـلٌّ مِـنْـهُـمُ أَمْـسَـى طَحِينَا[3]

وَذَاكَ جَزَاءُ مَنْ يَقْفُـو هَـوَاهُ … وَيَـنْـأَى عَـنْ سَبِيلِ الْـمُؤْمِنِينَا

وَأَحْسَنَ لِلـرَّعِيَّـةِ وَاحْتَمَـاهَا … لِأَنَّ اللهَ يَجْـزِي الْـمُحْسِنِينَا

وَوَفَّى عَهْدَ مَنْ آتَاهُ عَهْـداً … وَعَـفَّـى تُـبَّـعاً حَتَّـى مَـرِيـنَـا[4]

وَجَلَّى فِي مَجَالِ السَّبْقِ حِينـاً … فَـغَـبَّرَ فِي وُجُـوهِ السَّابِقِينَا

وَشَيَّدَ فِي مَغَازِيهِ أُمُـوراً … عِظَاماً أَوْضَحَتْ مِنْهُ الْـجَبِينَا // (8)

---

1) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

2) الشطر الأول من البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ سورة القمر: الآية: 19، والشطر الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ سورة النمل: الآية: 80.

3) حرب عوان: كان قبلها حرب. اللسان: عون.

4) في ديوان شعره: من أولاه عهدا.

- التبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته، وزادوا في التبابعة لإرادة النسب. اللسان: تبع.

- بنو مرين اسم لمجموعة قبلية بربرية حكمت المغرب في الحقبة الزمنية الممتدة ما بين 592 هـ 869 م، وتعرف أيضا بدولة بني عبد الحق. معلمة المغرب 1561.

جَرَى فِي نَهْجِ أَسْلَافٍ كِــــرَامٍ   هُــــدَاةٍ لَمْ يَــزَالُــوا مُــهْـتَـدِينَا

وَجَدَّدَ مُلْكَ إِسْمَاعِيلَ حَتَّــــــى   غَــدَا يَسْبِي عُـيُـونَ النَّاظِرِينَا

وَفَازَ بِشَأْوِهِ الْـمَشْهُورِ شَرْقــــاً   وَغَـرْبـاً فَانْجَلَى فِي الْـفَائِزِينَا

لَقَدْ ظَعَنَ الإِمَامُ الْـبَرُّ عَنَّــــا   وأَمْـسَـى فِي عِــدَادِ الظَّاعِنِينَا

وفِي مَكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ حَـــــطَّ الـ   ـــرِّحَـالَ وَلَمْ يَعُجْ بْالرَّاحِلِينَا

مَحَبَّتُهُ أَبَتْ أَنْ يَكْتُمُوهَـــــــا   وَعَــنْ كَتْمِ الْـمَحَبَّةِ قَـدْ نُهِينَا

جَزَاهُ اللهُ عَنَّا كُلَّ خَيْـــــــرٍ   جَــزَاءَ الـصَّـابِـرِيـنَ الْـمُتَّقِينَا

فَيَا رَبَّ الْـبَرَايَا حُطْ لِـــــوَاهُ   مِنَ الْأَعْـدَا الْـعُدَاةِ الْـمُعْتَدِينَا

وَأَيِّدْ مُلْكَهُ السَّامِي بِنَصْــــرٍ   عَـزِيـزٍ حَـافِـظٍ لِلْمُسْلِمِينَا

وأَبْلِغْهُ سَلَاماً مُسْتَنِيـــــــراً   يَفُوقُ الْـمِسْكَ وَالـدُّرَّ الثَّمِينَا

رَعَاهُ اللهُ يَجْنِي كُلَّ عِـــــزٍّ   مِنَ الْـمُلْكِ الَّذِي يُضْنِي الضَّنِينَا

وَيُرْدِي الْـجَاحِدِينَ وَيَسْتَبِيهِـــمْ   بِـعَـوْنِ اللهِ لَا يَـبْـغِـي مُعِينَا

وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِـــــمْ   وَيَشْفِي صُـدُورَ قَـوْمٍ مُؤْمِنِينَا[1]

أَلَا يَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ عُــــذْراً   وَكُـنْ تُـدْلِي بِـعُـذْرِ الْـعَاذِرِينَا[2]

فَإِنَّ الشِّعْرَ صَارَ الْـيَوْمَ عَنْقَــــا   فَهَلْ تُصْطَادُ وَيْــحَ الصَّائِدِينَا[3]

1) ينبغي أن تختلس الياء في يشفي ليستقيم الوزن. والبيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾. التوبة: 14.

2) ألا يا مليكنا السلطان عذرا في الدرة السنية وهو مكسور، والصواب ما أثبتا من ديوان شعره.

3) في ديوان شعره: فهل تصطاد.

- العنقاء: طائر ضخم ليس بالعقاب، وقيل العنقاء المغرب: كلمة لا أصل لها، وقيل إنها طائر عظيم لا ترى إلا في الدهور، وقيل طائر لم يره أحد. اللسان: عنق.

وَحُبُّكُمُ دَعَانِي لِلنِّظَامِ الْـ لَـذِي يَكْفِي وَيَشْفِي النَّاظِمِينَا
بَعَثْتُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ تَقْضِي دُيُونَ الْـحُبِّ أَوْ تُبْرِي الْـمَدِينَا
وَقَدْ رَقَّتْ وَرَاقَتْ حِينَ حَنَّتْ لِلُقْيَاكُمْ حَنِينَ النَّازِحِينَا[1]
وَلَمَّا أَعْجَبَتْ زَارَتْ حِمَاكُمْ وَسَارَتْ فِي وُفُودِ الزَّائِرِينَا
عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ تَنْمُو وَتَسْمُو بِحَمْدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَا.

وَمِنْهَا: [الطويل]

لَقَدْ حَرَّكَتْ طَوْدَ الْعُلَا حَرَكَاتُكَا كَمَا شَرَّدَتْ نَوْمَ الْعِدَى غَزَوَاتُكَا[2]
وَسَكَّنْتَ أَرْجَاءَ الْبِلَادِ وَحُطْتَهَا كَمَا سَكَّنَتْ رِيحَ النَّوَى سَكَنَاتُكَا
وَزِدْتَ عَلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الضُّحَى وُضُوحاً فَمَا تَخْفَى اشْتِهَاراً صِفَاتُكَا
وَشَيَّدْتَ فَخْراً شَامِخاً مَا تُقِلُّهُ شَوَامِخُ رَضْوَى بَلْ أَقَلَّتْهُ ذَاتُكَا[3]
وَصَدَّقْتَ بِالآلَافِ مِنْ كُلِّ مُنْتَقَى مِنَ الْمَالِ فَازْدَانَتْ بِهِ صَدَقَاتُكَا
وَحَجَّرْتَ نَيْلَ الْفَضْلِ إِلَّا عَنَ اهْلِهِ كَمَا حَجَرَتْ ظَبْيَ الْحِمَى حُجُرَاتُكَا[4]
وَأَحْيَيْتَ آثَارَ الْخِلَافَةِ فَاغْتَدَتْ كَمَا الْبَدْرِ دَامَتْ كَالْبُدُورِ سُقَاتُكَا

---

1) في ديوان شعره: وقد راقت ورقت.

2) القصيدة كاملة في ديوان شعره 20 ب، وما أثبت هنا قسم منها فقط.
– في ديوان شعره: العدى فتكاتكا.

3) رضوى: اسم جبل بمكة. معجم البلدان: 3/ 51.

4) حجره وحجره: حرمه وضيقه، وفي التنزيل: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي حراما محرما، والحجر الثاني المنع. والحجرة حظيرة الإبل ومنه حجرة الدار. اللسان: حجر.
– الحمى: في اللغة: الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه، قال الأصمعي، الحمى حميان حمى ضرية وهو الأشهر والأيسر وحمى الربذة. معجم البلدان: 2/ 308.

وَعَرَّفْتَ مَنْكُورَ الشَّهَامَةِ فَانْجَلَتْ　　بِأَوْجِ الْعُلَى كَمَا انْجَلَتْ عَرَفَاتُكَا[1]

وأَحْرَزْتَ مُلْكاً تَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّنَا　　كَمَا أَحْـرَزَتْ كُلَّ الْبَهَا عُرُفَاتُكَا[2]

تبَاهَتْ بِكَ الْأَمْلَاكُ شَرْقاً وَمَغْرِباً　　كَمَا بَاهَتِ الزَّهْرَ الْأَنِيقَ فَتَاتُكَا

سَبَقْتَ الْأُلَى رَامُوا الْمَكَارِمَ جُهْدَهُمْ　　وَمَا السَّبْقُ إِلَّا مَا حَوَتْ قَصَبَاتُكَا

وَأَشْفَقْتَ مِنْ طُولِ الْحِسَابِ وَشَدِّهِ　　فَبَادَرْتَ مَا تَرْضَى بِهِ شَفَقَاتُكَا

وَشَيَّدْتَ طَوْدَ الْمُلْكِ إِذْ أَنْتَ مَالِكٌ　　جَلِيلٌ عَظِيمٌ لَا وَهَتْ عَظَمَاتُكَا

وَأَسْرَيْتَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ مُسَايِرا　　نُجُومَ الدُّجَى إِذْ دُوِّنَتْ سَرَوَاتُكَا

وَرَامَيْتَ أَعْلَامَ الرِّمَايَةِ بُرْهَةً　　فَأَصْمَيْتَهُمْ لَكِنْ دَهَتْهُمْ رُمَاتُكَا

وَبَارَزْتَ أَرْبَابَ الْحُرُوبِ فَذَرْتَهُمْ　　بِنَارِ الْوَغَى تَهْوِي إِلَيْهِمْ غُزَاتُكَا[3]

وَأَجَّجْتَ نَارَ الْحَرْبِ تَصْلَى بِنَارِهَا　　فَمَا خَفِيَتْ فِي أَهْلِهَا ضَرَبَاتُكَا[4]

أَلَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ وَالْحَسَنُ الَّذِي　　حَوَى الْفَضْلَ قِدْماً لَا عَفَتْ قَدَمَاتُكَا[5]

سَمَكْتَ عِمَادَ الْفَخْرِ وَالشَّرَفِ الَّذِي　　عَلَى أُسِّهِ قَدْ أُسِّسَتْ شُرُفَاتُكَا[6]

فَعِشْ يَا ابْنَ مُعْتَمِّ الْفَضَائِلِ وَالْبَهَا　　وَدُمْ بِدَوَامِ الدَّهْرِ دَامَتْ حَيَاتُكَا // (9)

وَرُحْ وَاغْدُ فِي رَوْضِ الْمَسَرَّةِ وَالْغِنَى　　فَمَا الرِّبْحُ إِلَّا مَا حَوَتْ غَدَوَاتُكَا[7]

---

1) في ديوان شعره: منكور السماحة.

2) لعل المقصود بعرفاتك هنا معروفك.

3) في ديوان شعره: أبناء الحروب.

4) في ديوان شعره: حتى تَسَعَّرَتْ فما خفيت في أصلها.

5) في ديوان شعره: السلطان والملك الذي.

6) في ديوان شعره: حملت لواء الفخر.

7) في ديوان شعره: فرح واغد في روض المسرة والمنى.

وَلُحْ سَامِياً فَوْقَ الثُّرَيَّا مُعَاشِــــراً كِرَامَ الْـعُلَا حَيْثُ اعْتَلَتْ دَرَجَاتُكَا

فَلَا بَرِحَتْ أَخْبَارُكَ الْـغُرُّ زَهْــرَةً تَجُـولُ بِأَقْطَارِ الدُّنَا حَسَنَاتُكَا[1]

تَشِيدُ قُصُورَ الْـمَجْدِ وَالْـجِدِّ وَالدَّهَا وَتَغْتَمُّ عَزْماً لَا وَهَـتْ عَزَمَاتُكَا

فَخُذْهَا فَتَاةً مِنْ قَرِيضٍ مُقَــرَّبٍ فَلَا انْقَطَعَتْ عَنْ جَوِّنَا قُرُبَاتُكَا

كَسَاهَا وَصِيفٌ حُلَّةً مِنْ ثَنَائِكُــمْ عَلَيْهَا كَمَا أَثْنَتْ عَلَيْكَ صِفَاتُكَا[2]

قَدِمْتَ إِلَى الْـحَمْرَا قُدُوماً مُبَارَكــاً سَعِيداً وَقَدْ قَرَّتْ بِهَا سَعَدَاتُكَـا[3]

وَقَدْ أَحْرَزَتْ كُلَّ السُّرُورِ فَبَـادَرَتْ إِلَى الْـحَمْدِ لَا ضَلَّتْ قَبُولاً صَلَاتُكَا[4]

أَدَامَ الْإِلَاهُ عِزَّكُمْ وَعَلَاءَكُــمْ وَبَـارَكَ فِيكُمْ لَا انْقَضَتْ بَرَكَاتُكَا

تَحَرَّكَ بَحْرُ الْـفَضْلِ وَالْـجُودِ وَالسَّخَا كَمَا حَرَّكَتْ طَوْدَ الْـعُلَا حَرَكَاتُكَا[5]

وَمِنْهَا: [الطويل]

أَيَبْقَى ظَلَامٌ بَعْدَمَا نَوَّرَ الْـصُبْــحُ وَغَارَتْ عِتَاقُ الْـعَادِيَاتِ لَهَا ضَبْحُ[6]

أَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا تَسَامَى إِلَى السَّمَـــا وَأَوْرَتْ زِنَادُ الْـمُورِيَاتِ لَهَا قَدْحُ[7]

---

1) في ديوان شعره: فلا برحت أيامك.

2) في ديوان شعره: كساها لبيب حلة من ثنائكم عليها كما أثنت عليك صلاتكا.

3) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

4) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

5) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

6) القصيدة في ديوان شعره 24، في ديوان شعره: وطارت عتاق.

7) البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ سورة العاديات: الآية: 4

لَقَدْ وَرَدَتْ أَمْكِيلِدُ وَيْلَهَا الَّـــذِي ... تَنَادَتْ بِهِ الْأَقْـدَارُ وَاجْتَنَّهُ اللَّوْحُ[1]

وَخَاضَتْ بَنُو يَعْقُوبَ غَمْرَتَهَا بَلَـى ... وَآيَـتُ شَخْمٍ لَيْلُهُمْ مَا لَهُ صُبْحُ[2]

وَبَاتُوا سُكَـارَى غَائِبِيـــنَ بِغَيِّهِـمْ ... وَمَنْ شَرِبَ الْـخَمْرَ الْـغَوِيَّةَ هَلْ يَصْحُو[3]

وَحَلَّتْ جُنُودُ اللهِ أَرْضَهُمُ الَّتِـــي ... أَحَاطَتْ بِهَا الْأَطْوَادُ لَيْسَ لَهَا سَطْحُ[4]

وَهَامَتْ خُيُولُ الْـمُسْلِمِينَ بِوَادِهِـمْ ... وَقَدْ سَبَحَتْ إِنَّ الْـخُيُولَ لَهَا سَبْحُ

غَدَا الْـعَسْكَرُ الْـجَرَّارُ دَامَتْ رِجَالُهُ ... يَسِيحُونَ فِي الْأَعْدَا كَأَنَّهُمُ السَّيْحُ[5]

وَقَدْ دَفَعُوا جَمْعَ الْـعِدَى بِرِمَاحِهِـــمْ ... وَلَــوْلَا دِفَـاعُ اللهِ مَا دَفَـعَ الرُّمْحُ[6]

وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ يَحْتَوِي جَنَّةً حَوَتْ ... رِيَاضاً تُحَيِّيهَا الرَّيَاحِينُ والـرَّوْحُ

وكَمْ مِنْ قَتِيلٍ أَوْ جَرِيحٍ مِنَ الْـعِـدَى ... وشَأْنُهُمُ يَوْمَ الْـوَغَى الْـقَتْلُ وَالْـجُرْحُ

وقُدَّتْ رُؤُوسُ الْـمُفْسِدِينَ وحُنِّطَـتْ ... بِمِلْحٍ وَمَا يُغْنِي التَّحَنُّطُ وَالْـمِلْحُ

وَفَرُّوا إِلَى شُمِّ الْـجِبَالِ كَأَنَّهُـــــمْ ... وُعُـولٌ وَمَـرُّوا كَادِحِينَ لَهُمْ كَدْحُ

---

1) اجتنه اللوح: ستره، يقال استجن بجنة أي استتر بسترة. اللسان: جنن.

- بنو امكيلد مجموعة قبلية كبرى تستقر بجنوب مكناس، شمال غرب الأطلس المتوسط وأطرافه، يعتمد نمط معيشتها على الانتجاع، ومن الصعب القيام بتعريف تاريخي سلالي واضح لهذه التجمعات القبلية التي يتحدد عددها في أربع وحدات قبلية كبرى وهي: إركلاون، وآيت عرفة، وآيت عبدي، وآيت شكوكو. وظل بنو مكيلد خارجين عن سلطة المخزن منذ سنة 1234 هـ إلى سنة 1291 هـ وهي السنة التي انتصرت فيها جيوش المخزن بقيادة المولى الحسن الأول على هذه القبيلة. إتحاف أعلام الناس: 2/ 249، معلمة المغرب: 5/ 1573.

2) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

- شعر أشخم: أبيض، والأشخم: الرأس الذي علا بياض رأسه سواده. اللسان: شخم، وآيت شخمان من برابر فازاز، وقد غزاهم المولى الحسن سنة 1305هـ مع قبائل آيت أومالو وبني امكليد.

3) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

4) في ديوان شعره: وخاضت جنود.

5) السيح: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض. اللسان: سيح.

6) الشطر الثاني من البيت مقتبس من قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ سورة الحج، الآية: 40.

فَمَا رَبِحُوا يَا وَيْلَهُمْ فِي تِجَارَةٍ   وَمَا نَابَهُمْ إِلَا الْخَسَارَةُ لَا الرِّبْحُ
نَصِيحَتُهُمْ غِشٌّ، وَحُبُّهُمُ بُغْضٌ،   فَيَاعَجَباًهَلْ يَلْتَقِي الْغِشُّ وَالنُّصْحُ؟![1]
وَرَاحُوا بِأَحْزَانٍ يُدِيرُونَ كَأْسَهَا   فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ نَوْحُ كَلاًّ وَلَا رَحٌّ[2]
وبَاؤُوا بِأَشْجَانٍ وَثُكْلٍ وَحَسْرَةٍ   وَخِزْيٍ فَكُلٌّ مِنْهُمُ مَسَّهُ قَرْحُ
وَقَدْ نُهِبَتْ أَمْوَالُهُمْ مَعَ سَرْحِهِمْ   فَأَمْسَوْا رُعَاةً مَا لَهُمْ فِي الْوَرَى سَرْحُ[3]
وَحِيزَتْ ضِيَاعُ الْمُجْرِمِينَ وَغُودِرَتْ   جَنَائِزُهُمْ تَسْرِي بِأَجْسَادِهَا الرَّوْحُ
وَعَاثَ الرَّدَى فِي قَمْحِهِمْ وَشَعِيرِهِمْ   فَمَا لَهُمُ قَطْعاً شَعِيرٌ وَلَا قَمْحُ
فَعَيْشُهُمُ مُرٌّ بِفَأْرٍ وَمَيْتَةٍ   وَمَا طِيبُهُمْ إِلاَّ الْقَتَادُ أَوِ الطَّلْحُ[4]
وَمَلْوِيَّةٌ بِالْوَيْلِ مَالَتْ عَلَيْهِمُ   وأَقْصَتْهُمُ لِلْقَاصِيَاتِ لَهُمْ نَوْحُ[5]
وقَدْ سُلْسِلَتْ أَسْرَاهُمُ وَتَمَتَّعَتْ   بِقَتْلَاهُمُ كُلُّ الْكِلَابِ لَهَا نَبْحُ
وَضَحَّتْ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَنْ   طَغَى وَاقْتَضَى مَرْغُوبَهُ النَّحْرُ والذَّبْحُ
وَهَدَّتْ وَلَا رَيْبَ الْمَدَافِعُ دُورَهَمْ   وَأَسْوَارَهُمْ فَالْمَحْهُ يَا مَنْ لَهُ لَمْحُ
وَحَرَّقَتِ النَّارُ الْجَحِيمُ زُرُوعَهُمْ   وَأَعْشَابَهُمْ مَا ثَمَّ غُصْنٌ وَلَا دَوْحُ[6]
وَقَدْ صَفَحَ السُّلْطَانُ عَنْهُمْ وَعَمَّهُمْ   بِعَفْوٍ جَلَا إِذْ شَأْنُهُ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ

1) هذا البيت سقط من ديوان شعره. والشطر الأول منه يتضمن عيبا عروضيا وهو عدم قبض عروض الطويل.

2) في ديوان شعره: مرح. ــ شيء رحراح أي فيه سعة ورقة، وعيش رحراح أي واسع. اللسان: رحح.

3) السرح: المال يسام في المرعى من الأنعام. اللسان: سرح.

4) القتاد: الشوك اللسان: قتد. والطلح: شجرة طويلة لها ظل يستظل بها الناس والإبل، ولها شوك كثير من سلاء النخل. اللسان: طلح.

5) ملوية من الأودية الشهيرة بشرق المغرب تصب بالبحر البيض المتوسط، وبأطرافها حوض خصب يحمل الاسم نفسه.

6) في ديوان شعره: وأشجارهم ما فيها غصن.

وَقَدْ وَرَدَتْ أَخْبَارُهُ وَتَطَايَـــرَتْ مَكَاتِبُهُ الـلَّاتِي تَكَنَّفَهَا النُّجْحُ[1]
كَمَا زُيِّنَتْ أَسْوَاقُ كُـــلِّ مَدِينَـــةٍ وَقَامَتْ بِهَا الْأَفْرَاحُ وَالرَّقْصُ وَالشَّطْحُ / /
لَقَدْ فَاخَرَ الدُّنْيَا وَشَادَ مَفَاخِـــراً عِظَاماً تَمَنَّاهَا الْـبُطَيْنُ أَوِ النَّطْحُ[2]
وَأَسْمَى قُصُوراً سَامِيَاتٍ إِلَى السَّمَـا يَخِرُّ لَهَا الْـقَصْرُ الْـمَشِيدُ أَوِ الصَّرْحُ
فَيَا أُسْدَ الْـغَابِ الَّتِي بِأَجَامِهَـــا تَجَافَوْا فَقَدْ فَاجَاكُمُ الْـمَلِكُ السَّمْحُ
وَجَاءَ بِآسَادٍ رِقَاقٍ سُيُوفُهَـــا تَقُدُّ الْأَعَـادِي فَالدُّمُوعُ لَهَا سَفْحُ[3]
فَقُلْ لِقَوَافِي الشِّعْرِ تَفْتَحُ عَيْنَهَـــا فَقَدْ جَاءَ نَصْرُ اللهِ واتَّسَقَ الْـفَتْحُ[4]
أَيَا شُعَرَاءَ الْـعَصْرِ هَاتُوا قَرِيضَكُـــمْ طَوِيلاً كَأَعْلَامِ الـرَّوَاسِي لَهَا سَفْحُ
وَسِيرُوا عِجَالاً لِلْعُدُولِ وَأَشْهِـدُوا لَدَيْهِمْ فَمَا تَخْفَى الْـعَدَالَةُ والْـجَرْحُ
وَيَا مَعْشَرَ الْـحُكَّامِ جِدُّوا وَنَفِّـــذُوا أَوَامِـرَ مَوْلَانَا الَّذِي زَانَهُ السَّمْحُ[5]
وَيَا مَجْمَعَ الْـقُصَّاصِ قُصُّوا حَدِيثَهَـا فَفِي مِثْلِهَا يُسْتَعْذَبُ الْـمَتْنُ وَالشَّرْحُ[6]
وَيَا زُمَرَ الْـحُسَّابِ قُومُوا بِجَمْعِهَـا إِلَيْكُمْ جَمِيعاً يُنْسَبُ الْـجَمْعُ وَالطَّرْحُ[7]
وَيَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ وَالْـحَسَنُ الَّــذِي تَبَـوَّأَ فَخْراً شَامِخاً مَا بِـهِ قَـدْحُ[8]

---

1) في ديوان شعره: مكاتبه التي.

2) في ديوان شعره: وحاز مفاخرا. البطين: نجم من نجوم السماء من منازل القمر بين الشرطين والثريا، جاء مصغرا عن العرب، وهو ثلاثة كواكب صغار مستوية التثليث كأنها أثافي. اللسان: بطن.
– النطح والناطح: قرنا الحمل، وقيل نجم من منازل القمر يتشاءم به. اللسان: نطح.

3) القد: القطع المستأصل والشق طولا، قده يقده قدا. اللسان: قدد.

4) في البيت اقتباس من الآية الأولى من سورة النصر.

5) في ديوان شعره: شأنه السمح.

6) في ديوان شعره: ويا معشر.

7) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

8) في ديوان شعره: والملك الذي.

تَقَبَّلْ بِفَضْلٍ وَاخْتِيَـــارٍ بُنَيَّـــةً   مِنَ الشِّعْرِ يَحْدُوهَا التَّمَجُّدُ وَالْـمَدْحُ[1]
تَضَمَّنَهَا الْـبَحْرُ الطَّوِيلُ فَأَوْغَلَــتْ   سَفَائِنُهَا تَجْـرِي بِهِ زَانَهَـا السَّبْحُ[2]
وَأَحْسَنُ مِنْ خَوْدٍ عَرُوسٍ تَطَيَّبَــتْ   بِمِسْكٍ ذَكِـيٍّ طَيِّبٍ عَمَّهُ النَّفْحُ[3]
تَرَامَتْ فَأَلْقَتْ دَلْوَهَا فِي دِلَائِهِــمْ   زَمَاناً فَأَعْيَاهَا التَّنَاوُلُ والنَّـزْحُ[4]
وَنَاظِمُهَا الْـمَعْرُوفُ سَحَّتْ وَلَمْ تَجُــدْ   قَرِيحَتُهُ هَلْ يَسْتَوِي الْـجُودُ وَالشُّحُّ؟![5]
إِذَا وَجَدَ السَّفْرُ الْـمَعِينَ تَطَهَّــــرُوا   وَإِنْ فَقَدُوا رَسّاً فَيَكْفِيهِمُ الْـمَسْحُ[6]
فَيَا مَالِكَ الْأَمْلَاكِ فَانْصُرْ مَلِيكَنَــا   وَسُلْطَانَنَا الشَّهْمَ الَّذِي جَوْدُهُ سَحُّ[7]
وَحُطْ مُلْكَهُ يَا مَالِكَ الْـمُلْكِ وَارْعَــهُ   وَأَصْلِحْهُ يُزْجِيهِ الصَّلَاحُ أَوِ الصُّلْحُ
وَأَبْقِهِ مَنْصُوراً كَقِدْحِ ابْنِ مُقْبِـــلٍ   لَقَدْ فَازَ مَشْكُوراً وَمَا عَزَّهُ قِدْحُ[8]

---

1) في ديوان شعره: تقبل رعاك الله فضلا بنية.

2) في ديوان شعره: تجري بها راقها.

3) هذا البيت سقط من ديوان شعره.
- الخود الفتاة الحسنة الخلق الشابة لم تصر نصفا، وقيل الجارية الناعمة والجمع خودات وخود. اللسان: خود.

4) نزحت البئر تنـزح نزحا: نفذ ماؤها. اللسان: نزح.

5) في ديوان شعره: قرائح أهل الفن أمست قريحة   فيا عجبا هل يستوي الجود والشح.

6) السفر والمسافرين بمعنى. اللسان: سفر. الرَّسُّ: البئر. اللسان: رسس. والمراد هنا الماء، وفيه تضمين للقاعدة الفقهية عن إباحة التيمم إن فقد الماء.

7) الجَوْدُ: المطر. اللسان: جود.

8) قولهم: « قدح ابن مقبل» من الأمثال العربية السائرة، أخبرنا أبو القاسم بن شيران عن ابن عائشة قال: لما هزم الحجاج ابنَ الأشعث كتب إليه عبد الملك: أما بعد فمالك عندي مثل إلا قدح ابن مقبل، فكتب الحجاج إلى قتيبةَ بن مسلم الباهلي أنّ ابنَ مقبل من أهلك، وقد كتب إلي أمير المؤمنين بيتا فعرفني خبر قدحه، فكتب إليه قتيبة أنه فاز تسعين مرة لم يخب فيها مرة واحدة. وقال الكميت حين هرب من سجن خالد القسري، ولبس ثياب امرأة كانت تدخل عليه بطعامه:
خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل   إليـك على تلك الهـزاهز والأزل
علي ثيــاب الغانيــات وتـحتهــا   عزيـمة رأي أشبهت سلة النصـل
جمهرة الأمثال: 2/ 102.

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللهِ مَا قَالَ قَائِــــلٌ أَيَبْقَى ظَـلَامٌ بَعْدَمَا نَـوَّرَ الصُّبْحُ.

وَمِنْهَا: [الطويل]

تَبَاهَتْ بِكَ الْأَعْيَادُ فِي الْـفِطْرِ وَالْأَضْحَى فَأَهْدَتْ لِمَنْ أَمْسَى سُرُوراً وَمَنْ أَضْحَى[1]

وَقَرَّتْ بِمَرْآكَ الْـعُيُونُ فَأَصْبَحَتْ تُعَايِنُ مِنْكَ الْـيُمْنَ وَالنَّصْرَ وَالْـفَتْحَا

وَسَابَقْتَ فُرْسَانَ الْـعُلَا فَسَبَقْتَهُمْ شَأْوُكَ أَعْيَى الْـعَادِيَاتِ بِهَا ضَبْحَا[2]

وَرُضْتَ الْـعِتَاقَ الصَّافِنَاتِ جِيَادُهَـا وَبِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ تَمْسَحُهَا مَسْحَا[3]

وَجَمَّعْتَ بِالإِيوَانِ كُلَّ مُهَنْـدِسٍ يَخُطُّ وَلَكِنْ يُتْقِنُ الْـخَطَّ وَالسَّطْحَا

وَسَعَّرْتَ نَارَ الْـحَرْبِ حَتَّى تَوَهَّجَتْ وَشَهَّرْتَ فِي مَيْدَانِهَا السَّيْفَ وَالرُّمْحَا

وَأَرْعَدْتَ فِي جَوِّ الْأَعَادِي فَأَصْبَحَتْ رُعُودُ السَّمَا الشَّمَّا تَصِيحُ بِهِمْ صَيْحَا

وَعَامَلْتَهُمْ بِالْـعَفْوِ وَالْأَمْنِ وَالرِّضَى وَأَوْلَيْتَهُمْ مِنْكَ الْـمَبَرَّةَ وَالصَّفْحَا

وَقُمْتَ بِمَا تَعْيَى الْـعُقُولُ بِحَمْلِهِ وَلَمْ تَأْتِ لَا وَاللهِ مَا يُوجِبُ الْـقَدْحَا

وَبَرَّزْتَ فِي مَيْدَانِ كُلِّ كَرِيمَةٍ تَوَدُّ مَدَاكَ الْـمُورِيَاتُ بِهَا قَدْحَا[4]

وَجُدْتَ فَأَتْعَبْتَ الْـكِرَامَ وَفُقْتَهُمْ وَلَمْ تَدْرِ فِي سُلْطَانِكَ الْـبُخْلَ وَالشُّحَّا

---

1) القصيدة في ديوان شعره: 21.

2) العاديات: الخيل المغيرة. اللسان: عدا.
– ضبحت الخيل في عدوها تصبح ضبحا: أسمعت من أفواهها صوتا ليس بصهيل ولا حمحمة، وقيل هو ضرب من السير. اللسان: ضبح. وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ سورة العاديات: الآية: 1.

3) رضت المهر أروضة رياضا ورياضة: ذللته. اللسان: روض.
– الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. اللسان: صفن.
– السوق جمع ساق مثل دار ودور، قال تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾. اللسان: سوق.

4) مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ سورة العاديات: الآية: 2.

وَشَاهَدَتِ الدُّنْيَا ضَحِيَّتَـكَ الَّتـــي ... يُسَائِلُ عَنْ أَنْبَائِهَا كُلُّ مَنْ ضَحَّى
تَنَوَّرَتِ الْآفَاقُ شَرْقاً وَمَغْرِبـــاً ... بِطَلْعَتِكَ الْغَرَّا الَّتِي تَبْهَرُ الصُّبْحَا
وَحُكْمُكَ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ مُسَمَّطـاً ... وَطَيْرُ الثَّنَاءِ الْمُرْتَضَى صَدَحَتْ صَدْحَا[1]
وَفَضْلُكَ ضَلَّ الْحَاسِبُونَ بِبَحْـــرِهِ ... عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجْهَلُوا الْجَمْعَ وَالطَّرْحَا
وَحُبُّكُمُ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِـــمٍ ... وَبُغْضُكُمُ كُفْرٌ ذُنُوبُهُ لَا تُمْحَى
فَإِنْ زَانَتِ الدُّنْيَا بَسَاتِينُهَا فَـــلَا ... بُسْتَانِكَ الْحَاوِي الرَّيَاحِينَ وَالرَّوْحَا[2]
لَقَدْ صَدَحَتْ أَطْيَارُهُ وَتَرَنَّـــمَـــتْ ... كعَلَى غُصُنٍ لَدْنٍ تَصُوغُ بِهِ النَّوْحَا / / (11)
جَرَتْ بِمَغَانِيهِ عُيُونٌ تَفَجَّـــــرَتْ ... وَمَهْمَا سَرَتْ رِيحُ الصَّبَا حَيَّتِ الدَّوْحَا[3]
وَأَمَّا إِذَا هَبَّتْ شِمَالٌ بَلِيلَـــــــةٌ ... فَتُهْدِي إِلَى أَغْصَانِهِ الرَّقْصَ وَالشَّطْحَا[4]
وَمَنْ كَانَ فِيهِ لَا يَجُوعُ وَلَا يَعْـــرَى ... وَلَا يَظْمَأُ الْمُحْتَلُّ فِيهِ وَلَا يَضْحَى[5]
تَسَامَتْ بِهِ شَتَّى الْقُصُورِ فَلَـوْ رَأَى ... تَرَفُّعَهَا هَامَانُ مَا رَفَعَ الصَّرْحَا
فَإِنْ رَامَتِ الْأَنْذَالُ تَنْبَحُ قَـــدْرَهَا ... فَمَا ضَرَّ كَلْبٌ يَنْبَحُ الْمُشْتَرِي نَبْحَا
فَبُورِكْتَ سُلْطَاناً هُمَاماً مُبَارَكـــاً ... سَعِيداً فَدُمْ تَجْنِي السَّعَادَةَ وَالرِّبْحَا

---

1) من أمثال العرب السائرة قولهم: «حكمك مسمطا» أي مرسلا جائزا لا يعقب، ويروى: خذ حكمك مسمطا أي مجوزا نافذا والمسمط المرسل الذي لا يرد. مجمع الأمثال: 1/ 275.

2) الروح: السرور والفرح، وقيل الروح برد نسيم الريح. اللسان: روح.

3) في ديوان شعره: بمعانيه.
- المغاني: المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا عنه. اللسان: غنا.
الدوح واحدة دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت. اللسان: دوح.

4) البليل والبليلة: ريح باردة مع ندى، ولا تجمع. اللسان: بلل.

5) البيت مقتبس من قوله تعالى في سورة طه في وصف الجنة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾.
- ضحي الرجل يضحي إذا أصابه حر الشمس. اللسان: ضحا.

وَبُورِكَ قَصْرٌ قَدْ أَضَلَّكَ سَقْفُـــــهُ   بِـهِ جَمَـعَ اللهُ السَّمَاحَةَ وَالسَّمْحَا
فَلَا زِلْتَ جَمَّاعاً لِكُلِّ فَضِيلَـــــةٍ   تَشِيدُ الْـمَزَايَا أَوْ تَسُحُّ النَّدَى سَحَّا
وَلَا زَالَتِ الْأَزْمَانُ تُولِيكَ رُتْبَـــةً   يَجُرُّ لَهَا كِيوَانُ أَوْ يَسْأَلُ الصُّلْحَا
وَيَنْخَضِعُ الطَّوْدُ الْـعَظِيمُ لِقَـدْرِهَا   عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْدِمُ الطَّوْلَ وَالرُّجْحَا
وَلَا بَرِحَتْ أَيَّامُكَ الْـغُرُّ زَهْـــرَةً   تَجُدُّ بِهَا الْأَوْطَارَ وَالْـبِرَّ وَالنُّجْحَا
تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي سُرُورٍ وَغِبْطَـــةٍ   وَتَسْبَحُ فِي بَحْرِ الْـمُنَى وَالْـهَنَا سَبْحَا
وَسَعْدُكَ فِي سَعْدِ السُّعُودِ مُخَيِّـــمٌ   وَلَا غَرْوَ أَنْ يَسْمُو الْـبُطَيْنَ أَوِ النَّطْحَا
فَدُمْ سَامِياً فِي هِمَّةٍ مُشْمَئِـــــزَّةٍ   وَطِبْ مِثْلَمَا طَابَتْ شَمَائِلُكَ الْـفَيْحَا
وَلُحْ فِي سَمَاءِ الْـمَكْرُمَاتِ مُبَارِيـــاً   بُرُوقَ السَّمَا حَتَّى يَسِيحَ الْـحَيَا سَيْحَا[1]
بِجَاهِ رَسُولِ اللهِ لِلْخَلْـقِ رَحْمَـــةٌ   شَفِيعِ الْـوَرَى فِي الْمَحْشَرِ الْـوَاسِعِ الْأَنْحَا
عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ مَا حَـــلَّ زَائِــــرٌ   بِرَوْضَتِهِ الْـغَنَّاءِ يَلْتَمِسُ الصَّفْحَا
وَآلِهِ وَالصَّحْبِ النُّجُومِ وَمَنْ تَــلَا   هُدَاهُمْ وَأَسْدَى فِي مَحَبَّتِهِمْ مَدْحَا
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْـيَوْمِ جَاءَتْ فَضَائِـلٌ   مَوَارِدُهَا طَابَتْ وَإِسْنَادُهَا صَحَّا
وَفِيهِ خَلِيلُ اللهِ أَسْلَمَ نَجْلَـــــهُ   إِلَى رَبِّـهِ كَـيْـمَا يُـقَـرِّبَـهُ سَمْحَا
فَسَارَ وَلَمْ يَلْوِ امْتِثَالاً لِأَمْــــرِهِ   وَلَمْ يَثْنِهِ الشَّيْطَانُ لَمَّا ادَّعَى النُّصْحَا
فَدَاهُ بِكَبْشٍ سَارِحٍ فِي جِنَانِــــهِ   فَيَا لَهُ مِنْ ذِبْحٍ عَظِيمٍ قَضَى ذَبْحَا
خَلِيلَيَّ إِنِّي قَدْ أَرِقْتُ مُفَكِّــــراً   وَحَـوْلِي سَمِيرٌ لَا يُسَامِرُنِي مَزْحَا

1) في ديوان شعره: يَسُحَّ الحيا سحا.

أَقُولُ لَهُ مَا بَالُ لُبِّكَ حَائِـــــــراً ... أَلَا تَذَرُ الْآمَـالَ تَسْتَنْشِقُ الرَّوْحَا
وَهَبْ أَنْتَ بِالْأَشْعَارِ بَارَيْتَ مَنْ مَضَى ... وَأَنَّـكَ سِيبَوَيْهِ عَـصْرِكَ أَوْ أَنْحَى
وَجُلُّ الْـوَرَى قَدْ قُلِّدُوا فَرْطَ جَهْلِهِمْ ... يَخُوضُونَ تَيَّاراً بِأَفْئِدَةٍ جَرْحَى
لَئِنْ صَبَرَتْ أَرْضٌ أَقَلَّتْ ذَوَاتِهِـــمْ ... فَبِالصَّبْرِ رَبُّ الْـعَالَمِينَ لَهَا أَوْحَى
وَقُلْتُ لَـهُ إِنَّ اللُّهَا تَفْتَحُ اللَّهَـــا ... وَتَمْنَحُهُ مَا يَسْتَطِيلُ بِـهِ مَنْحَا[1]
فَرُحْ وَاغْدُ فِي أَمْنِ الْإِلَهِ وَحِفْظِـــهِ ... وَدُرْ مَعَ دَهْرٍ كَيْفَمَا دَارَ خُذْ نُصْحَا[2]
وَدَعْ حَلْبَةَ الْأَقْدَارِ تَجْرِي لِغَايَـــةٍ ... فَأَعْيُنُهَا خُزْرٌ سَمَتْ تَنْظُرُ اللَّوْحَا[3]
وَخَلِّ الْـقَضَا يُزْجِي نَجِيَّكَ إِنَّـــهُ ... عَلَى نُبْلِهِ أَمْسَتْ قَرِيحَتُهُ قَرْحَى[4]
سَتَنْظُرُ مَهْلاً سِكَّةً حَسَنِيَّـــــةً ... تَرَى بِمُحَيَّاهَا الْـبَهَا الْـحَسَنَ السَّمْحَا
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ تَوَجَّهَـــتْ ... قَائِلُ شِعْرٍ ضُمِّنَتْ دُرُّهُ الْـمَدْحَا
تَوَسَّطَتِ الْـبَحْرَ الطَّوِيـلَ وَأَوْرَدَتْ ... عَسَفَائِنَ ذِهْنٍ تَنْتَقِي اللُّغَةَ الْـفُصْحَى
وَحَنَّتْ إِلَى مَغْنَاكُمُ الرَّافِعِ الْـبِنَـــا ... كَمَا حَنَّ مُشْتَاقٌ إِلَى سَاكِنِ الرَّوْحَا[5]
وَوَجَّهْتُهَا مُحْتَفَّةً بِتَحِيَّـــــــةٍ ... وَلَكِنَّنِي أَوْدَعْتُهَا الْـمَتْنَ وَالشَّرْحَا

---

1) اللُّها: عظام العطايا، واللَّهاة من كل ذي حلق اللحمة المشرفة على الحلق، والجمع لهوات. اللسان: لها. وهو مثل عربي معناه أن الإحسان وتوارد العطايا الحسان يطلق اللسان والثناء والشكران. زهر الأكم: 1/ 132.

2) معنى البيت وألفاظه مقتبسة من الموروث الشعري العربي، ومما ورد في هذا الباب قول الحريري في المقامة السمرقندية:

لا تبْكِ إلْـفاً نـأى ولا دارا ... ودُرْ مع الدّهرِ كيفَـمـا دارا. مقامات الحريري: 293.

3) الخزر: بالتحريك كسر العين بصرها خلفة. اللسان: خزر.

4) في ديوان شعره: القضاء.

- القرح والقرح: لغتان عض السلاح ونحوه مما يجرح الجسد ومما يخرج بالبدن. اللسان: فرح.

5) الروحاء موضع بين مكة والمدينة نزل به تبع ليستريح لما رجع من قتال أهل المدينة. معجم البلدان: 3/ 76.

وَطَوَّقْتُهَا دُرَّ الْكَلَامِ أَخَــــافُ أَنْ يُقَالَ لَهَا: قُبْحاً لِعِيِّكِ أَوْ شُقْحَا[1]

وَوَشَّحْتُهَا نَحْوَ الْـخَلِيلِ وَيُونُــــسٍ لِتَنْحُوَ مَنْحًى حَبَّذَا ذَلِكَ الْـمَنْحَى[2]

لِتَشْهَدَ لَهَا إِذْ أَنْتَ عَــــدْلٌ مُبَــرِّزٌ وَمِثْلُكَ مَنْ يَدْرِي الْـعَدَالَةَ وَالْـجَرْحَا

تَبَاهَتْ بِمَغْدَاهَا إِلَى جَــوِّكُــمْ كَمَــا تَبَاهَتْ بِكَ الْأَعْيَادُ فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى // (12)

ومنها: [الكامل]

زَارَتْ تُقَوِّمُ قَدَّهَا الْـمَيَّـــــــادَا وَالَّـلـيْـلُ مَـدَّ ظَـلَامَـهُ أَجْـنَـادَا[3]

وَتَبَرَّجَتْ فِي زِينَةٍ وَتَحَيَّنَــــــــتْ لِـمَدَى الـزِّيَـارَةِ وَقْتَهَا الْـمُعْتَادَا

وَتَمَايَسَتْ فِي حَلْيِهَــــا وَتَبَخْتَــرَتْ فِي مَـشْـيِـهَـا لَـكِـنَّـهَا تَـتَـهَـادَى

رَامَتْ مُؤَانَسَتِي فَقُلْتُ لَهَا ارْجِعِــــي وَالنَّوْمُ قَدْ جَعَلَ الْـعُيُونَ مِهَادَا

فَلْتَعْذِرِينِي يَا أُمَيْمَةُ إِنَّنِــــــــــي صَبٌّ بِمَنْ مَلَأَ الْـقُلُوبَ وِدَادَا

فَخْرِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ تَنَاسَقُــــــوا كَـالـدُّرِّ مَنْظُوماً بِجِيدِ سُعَادَا

شَادَ الْإِمَامَةَ فَانْجَلَتْ فِي أُفْقِهَــــــا كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى فَكُنْ مُرْتَادَا

أَحْيَا مَرَاسِمَهَا وَأَسْمَى قَدْرَهَــــــا وَغَـدَا يُفَاخِرُ مَجْدُهَـا الْأَمْجَـادَا

حَتَّى حَمَى هَذِي الْـبَسِيطَةَ وَاعْتَنَــى بِالْـمُسْلِمِينَ وَجَـنَّـدَ الْأَجْـنَـادَا

وَجَرَى عَلَى سَنَنِ الْـمُلُوكِ وَفَاقَهُــمْ بِالْـحَزْمِ كَمْ عَاصٍ أَتَى وَانْقَادَا

---

1) العرب تقول: قبحا له وشقحا وقبحا وسقحا كلاهما إتباع، وقيل هما واحد. اللسان: شقح.

2) في ديوان شعره: نَحْواً.

- أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي بالولاء يعرف بالنحوي كان إمام نحاة البصرة في عصره توفي سنة 182 هـ تنظر ترجمته في: مراتب النحويين: 44، طبقات الزبيدي: 48، الفهرست: 69، إنباه الرواة: 4/ 74.

3) هذه القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

وَإِذَا سَرَى بِالْجُنْدِ لَيْلاً خِلْتَهُ ... بَيْنَ الْكَتَائِبِ كَوْكَباً وَقَّادَا
رُفِعَتْ لَهُ فِي الْمَجْدِ حَقّاً رَايَةٌ ... حَيَّى بِهَا الْآبَاءَ وَالْأَجْدَادَا
وَافَاهُ نَصْرُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ ... أَرْدَى بِهِ الْأَضْدَادَ وَالْأَنْدَادَا
وَأَعَادَ مَا أَفْنَى الزَّمَانُ مِنَ الْعُلَا ... وَتَعَوَّدَ الْأَذْكَارَ وَالْأَوْرَادَا
مَهْمَا نَأَتْ حَرْكَاتُهُ فِي غَزْوَةٍ ... إِلَّا أَرَاحَ وَجَدَّدَ الْأَمْدَادَا[1]
أَحْيَا الْمَوَاتَ مِنَ الذَّكَاءِ وَرَاشَهُ ... أَبْدَى بِنَشْرِ رَمِيمِهِ وَأَعَادَا
فَاللهُ يُبْقِي مُلْكَهُ مُتَوَاتِراً ... فِي نَجْلِهِ وَحَفِيدِهِ مُقْتَادَا
وَيُطِيلُ عُمْرَ أَمِيرِنَا وَمَلِيكِنَا ... حَتَّى يَنَالَ مُرَادَهُ الْآمَادَا
وَيُقِرُّ عَيْنَهُ بِالْخَلِيفَةِ شِبْلِهِ ... حَتَّى يَرَى الْأَزْوَاجَ وَالْأَفْرَادَا
مَلِكٌ تُرَفِّعُ قَدْرَهُ، حَسَنَاتُهُ ... تُعْيِي كِتَابَتُهَا الْبِحَارَ مِدَادَا[2]
قَدْ جَدَّ فِي قَوْدِ الْعَسَاكِرِ جُهْدَهُ ... ثُمَّ اصْطَفَى الْأُمَرَاءَ وَالْقُوَّادَا
يَنْأَى عَنِ الْأَجْلَافِ لَا يُعْنَى بِهِمْ ... وَيُرَافِقُ الْعُبَّادَ وَالزُّهَّادَا
أَذْكَى الْحُرُوبَ وَسَاقَهَا عُذْراً وَقَدْ ... أَوْرَى بِحَرْبِ الْمُفْسِدِينَ زِنَادَا
وَغَدَتْ عَسَاكِرُهُ تُشَيِّدُ نَصْرَهُ ... وَسَعَتْ تَرُومُ شَوَاهِقاً وَوِهَادَا
أُنْظُرْ بَنِي أَمِكْلِيدٍ كَيْفَ اغْتَدَوْا ... نَهْبَ الرِّمَاحِ وَبَاشَرُوا الْأَنْكَادَا
وَجَرَتْ بَنِي يَعْقُوبَ مَجْرَاهُمْ فَهُمْ ... لَمْ يَنْهَجُوا رُشْداً وَلَا إِرْشَادَا

---

1) الأمداد جمع مدد وهم الأعوان والأنصار. اللسان: مدد.

2) البيت مقتبس من معنى قرآني في سورة الكهف: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي...﴾ الآية. وسورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ...﴾ الآية.

فَدَهَتْهُمُ أُسْدُ الْعَسَاكِرِ بِالْقَنَا　　وَالْخَيْلُ تُبْعِدُ جَرْيَهَا إِبْعَادَا

وَرَدُوا بِلَادَهُمُ الَّتِي رَاقَتْ وَقَدْ　　حَمِدُوا بِهَا الْإِصْدَارَ وَالْإِيرَادَا

حَتَّى الْمَدَافِعُ دَافَعَتْ بَلْ زَلْزَلَتْ　　دُورَ الْبُغَاةِ وَهَدَّتِ الْأَطْوَادَا

كَمْ أَبْرَقَتْ بِالْمُجْرِمِينَ وَأَرْعَدَتْ　　فَتَخَوَّفُوا الْإِبْرَاقَ وَالْإِرْعَادَا

وَالْعَسْكَرُ الْجَرَّارُ يَنْهَبُ مَالَهُمْ　　حَازُوا الْجِيَادَ وَعَطَّلُوا الْأَجْيَادَا

وَتَطَايَرُوا يَحْوُونَ كُلَّ غَنِيمَةٍ　　وَتَطَوَّفُوا الْأَغْوَارَ وَالْأَنْجَادَا

وَتَقَسَّمُوا غَابَ السِّبَاعِ شَهَامَةً　　عَزُّوا النُّمُورَ وَرَوَّعُوا الْآسَادَا

وَتَخَيَّرُوا هَامَ الرُّؤُوسِ فَأَوْرَدُوا　　فِيهَا السُّيُوفَ وَيَتَّمُوا الْأَحْفَادَا

وَافَتْ رِجَالٌ مِنْ هُنَاكَ فَحَدَّثُوا　　هَذَا الْحَدِيثَ وَصَحَّحُوا الْإِسْنَادَا

وَتَيَمَّمُوا أَرْضَ الطُّغَاةِ وَشَتَّتُوا　　شَمْلَ الْبُغَاةِ فَأَمْرُهُمْ قَدْ بَادَا

فَاللهُ أَخْزَاهُمْ جَمِيعاً إِنَّهُ　　أَرْدَى ثَمُودَ وَقَبْلُ أَهْلَكَ عَادَا[1]

تَرَكُوا سُحُوتَهُمُ الَّتِي ضَنُّوا بِهَا　　وَرَمَوْا صُنُوفَ الْحَلْيِ وَالْأَزْوَادَا

وَتَسَنَّمُوا قُنَنَ الْجِبَالِ وَخَوْفُهُمْ　　أَنْسَاهُمُ الْأَهْلِينَ وَالْأَوْلَادَا

وَتَحَيَّرُوا لَا يَهْتَدُونَ هُدًى فَمَا　　عَرَفُوا مَوَاسِمَهُمْ وَلَا الْأَعْيَادَا // (13)

وَأَغَارَتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عَلَيْهِمُ　　فَحَوَتْ حِمَاهُمْ طَارِفاً وَتِلَادَا

وَتَفَرَّقَتْ آرَاؤُهُمْ وَتَحَوَّلَتْ　　أَحْوَالُهُمْ لَا يَطْعَمُونَ رُقَادَا

طَالَ الْجِلَادُ بِوَكْرِهِمْ وَقَرَارِهِمْ　　هَلْ فِيهِمُ مَنْ يَسْتَطِيعُ جِلَادَا؟!

---

1) البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ النجم: 51.

أَنْهَى رَسُولُ مَلِيكِنَا لِرُؤُوسِهِمْ ... أَعْذَارَهُ إِذْ قَامَ ثَمَّتَ نَادَا

بِالْأَمْنِ وَاعَدَهُمْ فَكُلٌّ مِنْهُمُ ... يَرْجُو وَيَخْشَى الْوَعْدَ وَالإِيعَادَا

لَكِنْ عَفَا عَنْهُمْ وَآثَرَ صَفْحَهُ ... لَمَّا أَنَابُوا يَسْأَلُونَ سَدَادَا

وَرَدَتْ عَلَيْنَا مِنْ نَتَائِجِ نَصْرِهِ ... كُتُبُ الْفُتُوحِ فَرَوَّتِ الْوُرَّادَا

وَتَجَمَّعَتْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ زُمْرَةٌ ... وَرَوَوْا جَمِيعَ حَدِيثِهَا إِسْنَادَا

يَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ وَالْمَلِكُ الَّذِي ... بَارَى الْمُلُوكَ وَكَثَّرَ الْأَعْدَادَا

وَالْمُحْسِنُ الْحَسَنُ الَّذِي إِحْسَانُهُ ... أَعْيَى بِنُقْطَةِ بَحْرِهِ الْأَجْوَادَا

أَنْتَ الْمُسَوَّرُ بِالْخِلَافَةِ وَالَّذِي ... خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الطِّبَاقَ شِدَادَا[1]

وَافَتْكَ يَا صَقْرَ الْمُلُوكِ عَقِيلَةٌ ... مِنْ بَحْرِ شِعْرٍ لَا يَخَافُ نَفَادَا

فِي كَامِلِ الْبَحْرِ الْمُتَيَّمِ لَحْنُهُ ... عَقْلَ الْمُغَنِّ بِهِ وَلَوْ حَمَّادَا

يَصْبُو لَهَا الصَّبُّ اللَّبِيبُ وَيَنْثَنِي ... عَنْهَا الْغَبِيُّ تَكَبُّراً وَعِنَادَا

وَإِذَا عَلَا صَوْتُ الْمُغَنِّي أَنْصَتُوا ... حَتَّى يَصُوغَ بِلَحْنِهِ الْإِنْشَادَا

عِدْهَا بِفَضْلٍ هَاطِلٍ مُتَتَابِعٍ ... فَإِلَاهُنَا لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَا[2]

فَالشِّعْرُ أَقْفَرَ رَبْعُهُ مِنْ أَهْلِهِ ... كَانُوا لَهُ الْأَسْبَابَ وَالْأَوْتَادَا

مَنْ كَانَ مِثْلَ ابْنِ الْخَطِيبِ يَحُوكُهُ ... وَيُفِيدُهُ مَنْ يَرْتَضِيهِ عِمَادَا

كَانَ الْقَرِيضُ الْحُرُّ طَوْعَ لِسَانِهِ ... فَيَصُوغُهُ كَالدُّرِّ كَيْفَ أَرَادَا

---

1) البيت مقتبس من معنى قرآني في سورة الملك الآية: 3: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ...﴾ الآية.

2) البيت مقتبس من معنى قرآني في سورة آل عمران الآية:9: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الآية.

يَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ سَارَ مُشَرِّقاً　يَطْوِي الْفِجَاجَ مَهَامِهاً وَبِلَادَا
أَنْهِ السَّلامَ لِحَضْرَةِ الْمَلِكِ الَّذِي　صَادَ الْأُسُودَ وَأَرْغَمَ الْحُسَّادَا
يَا صَاحِبَيَّ اسْتَفْهِمَا سَلْمَى فَقَدْ　زَارَتْ تُقَوِّمُ قَدَّهَا الْمَيَّادَا

ومنها: [الطويل]

مَقَامُكُمُ بِالْجُودِ وَالْفَضْلِ يَنْبُعُ　وَكَيْفَ يَغِيضُ الْفَرْعُ وَالْأَصْلُ يَنْبُعُ[1]
وَمَجْدُكُمُ السَّامِي تَسَامَى إِلَى السَّمَا　وَمُلْكُكَ لَمْ يَمْلِكْهُ سَيْفٌ وتُبَّعُ[2]
عَلَا قَدْرُكَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَاهِقٍ　رَفِيعٍ وَمَبْنَاكُمْ طَوِيلٌ مُمَنَّعُ
وَشَيَّدْتُمُ فَخْرَ الْعُلَا وَغَدَرْتُمُ　بُرُوقَ الْهَنَا وَالْأَمْنِ فِي الْأَرْضِ تَلْمَعُ
وَأَحْيَيْتُمُ رَسْمَ الْمَفَاخِرِ كُلِّهَا　فَعَانَقَتِ الْأَطْوَادَ بَلْ هِيَ أَرْفَعُ[3]
وَآيَسْتُمُ مَنْ ظَنَّ إِدْرَاكَ عِزِّكُمْ　فَلَيْسَ لَهُ فِي مَا يُؤَمِّلُ مَطْمَعُ
فَكَمْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ فَذَا　أَخُو أَشْعَبَ الطَّمَّاعِ بَلْ هُوَ أَطْمَعُ[4]
وَأَشْرَقْتُمُ شَمْسَ الْهُدَى بَيْدَ أَنَّكُمْ　طَلَعْتُمْ بِأُفْقِ الْغَرْبِ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ
وَأَسْرَيْتَ تَعْتَمُّ الْكَوَاكِبَ فِي السُّرَى　وَصَيَّرْتَ وَجْهَ اللَّيْلِ كَالْبَدْرِ يَسْطَعُ

---

1) القصيدة في ديوان شعره: 19.

2) في ديوان شعره: وعيدكم.
– سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك الحميري من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم، ولد وتوفي بصنعاء سنة 50 ق. هـ. تنظر ترجمته في: سيرة ابن هشام: 1/ 22، الروض الأنف: 1/ 51، مروج الذهب: 3/ 162.

3) في ديوان شعره: المفاخر والعلا.

4) في ديوان شعره: وذا أخو أشعب. يعني أشعب بن جبير ظريف من أهل المدينة كان مولى لعبد الله بن الزبير يضرب المثل بطمعه، توفي بالمدينة سنة 154 هـ. ترجمته في: الأغاني 19/ 135 ثقافة، تاريخ بغداد: 7/ 37، نهاية الأرب: 4/ 24، فوات الوفيات: 1/ 191.

وَحُكْمُكُمُ مَاضٍ عَلَى كُلِّ طَائِعٍ ... وَعَاصٍ رَعَاكَ اللهُ كَالسَّيْفِ يَقْطَعُ

وَأَوْرَيْتَ زَنْدَ الْحَزْمِ وَالْجِدِّ وَالدَّهَا ... يَوَدُّ دَهَاكَ الْعَالِمُ الْمُتَوَرِّعُ[1]

وَأَدْرَكْتُمُ كُلَّ الْمُنَى وَتَرَكْتُمُ ... جَمِيلَ الثَّنَا كَالْمِسْكِ بَلْ هُوَ أَضْوَعُ

تَعَوَّدْتُمُ فِعْلَ الْمَكَارِمِ رَغْبَةً ... فَلَاحَتْ كَمَرِّ الرِّيحِ بَلْ هِيَ أَسْرَعُ

وَحَصَّنْتَ بِالْعَدْلِ الْمُحَصِّنَ أَمْرَكُمْ ... وَجَرَّدْتَهُ كَالسَّيْفِ بَلْ هُوَ أَقْطَعُ

وَأَوْجَعْتَ قَلْبَ الْحَاسِدِينَ وَغِظْتَهُمْ ... فَكُلٌّ رَغَا مِنْ غَيْظِهِ يَتَوَجَّعُ[2]

تَطَوَّفْتَ فِي أَرْضِ الْبُغَاةِ فَرُعْتَهُمْ ... وَجَرَّعْتَهُمْ كَأْسَ الرَّدَى فَتَجَرَّعُوا[3]// (14)

وَشَتَّتَّ شَمْلَ الْمُفْسِدِينَ فَلَمْ يَعُدْ ... وَشَرَّدْتَهُمْ فِي الشَّارِدِينَ تَقَطَّعُوا

دَهَتْهُمْ رُعُودُ الرَّاعِدَاتِ فَزُلْزِلُوا ... وَبِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ رُغْماً تَشَفَّعُوا

وَهَتَّكْتَ سِتْرَ الزَّائِغِينَ وَلَمْ تَدَعْ ... لِمَسْتَارَةٍ سِتْراً يَلُمُّ وَيَجْمَعُ[4]

غَدَا الْعَسْكَرُ الْجَرَّارُ يَنْسِفُ أَرْضَهُمْ ... يَقُودُ الْمَنَايَا وَالْمَدَافِعُ تَدْفَعُ

وَأَوْلَيْتَهُمْ عَفْواً وَبِرًّا وَرَأْفَةً ... وَقَدْ رَجَّعُوا طَاعَاتِهِمْ وَتَشَرَّعُوا[5]

وَلَوْ أَنَّهُمْ جَاؤُوا إِلَيْكَ وَخَيَّمُوا ... بِبَابِكَ لَمْ يَطْرُقْ حِمَاهُمْ تَرَوُّعُ

---

1) في ديوان شعره: الحزم والعزم.

2) في ديوان شعره: فكل غدا. الرغاء: صوت ذاوت الخف. اللسان: رغا. شبه أصواتهم حال الغضب برغاء الناقة.

3) في ديوان شعره: فرعتها.

4) في ديوان شعره: سترا أتوا فتضرعوا.

- بني مسارة قبيلة جبلية صنهاجية تقع شرق مدينة وزان ضمن قبائل جبالة الممتدة على جبال الريف الغربي. معلمة المغرب: 5/ 1563.

5) في ديوان شعره: فتشرعوا.

وَلَوْلَا وَلَوْلَا إِذْ دَنَا الْبَأْسُ أَذْعَنُوا ... وَسَارُوا بِمِنْهَاجِ الْهَنَا وَتَضَرَّعُوا [1]

وَلَكِنْ قَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ وَزَيَّنَتْ ... شَيَاطِينُهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَتَجَمَّعُوا [2]

أَطَاعَتْ لَكَ الْعَلْيَا وَأَعْطَتْ قِيَادَهَا ... كَمَا طَاعَتِ الْأَنَامُ بَلْ هِيَ أَطْوَعُ [3]

فَيَا أَيُّهَا الْقَرْمُ الشُّجَاعُ وَمَنْ غَدَا ... لِجَانِبِهِ يُنْمَى الْكَلَامُ الْمُسَجَّعُ [4]

وَفَتْ لَيْلَةُ الْعِيدِ السَّعِيدِ فَأَذْعَنَتْ ... إِلَيْهَا اللَّيَالِي تَسْتَجِيبُ وَتَخْضَعُ

وَأَبْدَتْ عَلَى رُغْمِ الْأَعَادِي سُرُورَهَا ... وَوَافَتْ بِنُورٍ تَسْتَطِيلُ وَتَسْطَعُ [5]

فَأَهْلاً بِهَا حَيَّى صَبَاحَةَ وَجْهِهَا ... مَلِيكُ الْوَرَى لَا زَالَ بِالْحَقِّ يَصْدَعُ

بِهَا وُلِدَ الْمَحْفُوظُ طَهَ مُحَمَّدٌ ... عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ يُجْدِي وَيَنْفَعُ [6]

تَجَمَّلَتِ الدُّنْيَا بِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ ... وَقَالَتْ لَهُ أَنْتَ الشَّفِيعُ الْمُشَفَّعُ

وَبَشَّرَتِ الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِأَمْرِهِ ... وَحَيَّتْ مُحَيَّاهُ الْمَلَائِكُ أَجْمَعُ [7]

وَزُخْرِفَتِ الْجَنَّاتُ تَرْقُصُ حُورُهَا ... وَوِلْدَانُهَا تُمْلِي الْغِنَا وَتُرَجِّعُ [8]

تَزَلْزَلَ إِيوَانُ الْأَكَاسِرَةِ الْأُلَى ... لَهُمْ غِبْطَةٌ بِالنَّارِ تُحْكَى وَتُسْمَعُ

---

1) زيادة من ح.

2) في البيت اقتباس من الآية الكريمة: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة الأنعام: الآية 43.

3) في ديوان شعره: أطاعت لك الدنيا فأعطت.

4) في ديوان شعره: بجانبه.

5) في ديوان شعره: وباتت بنور.

6) في ديوان شعره: ولد المحمود.

7) في ديوان شعره: وحيى محياها.

8) رجع الرجل: ردد صوته في قراءة أو آذان أو غناء أو غيره. اللسان: رجع.

كَذَاكَ الْقُصُورُ الْحُمْرُ بِالشَّامِ زُلْزِلَتْ ... بِقَيْصَرَ فَارْتَاعَ الْوَضِيعُ الْمُضَيَّعُ[1]
وَفِي آلِ سَعْدٍ الْأَمَاجِدِ أُرْضِعَتْ ... سَعَادَتُهُ الْغَرَّا فَكُنْ تَتَتَبَّعُ
وَمَا زَالَ رِضْوَانُ الْإِلَهِ يَزِيدُهُ ... بَهَاءً وَمِنْ مَاءِ الرِّضَى يَتَضَلَّعُ[2]
إِلَى أَنْ أَتَاهُ الْوَحْيُ وَهْوَ مُشَمِّرٌ ... لِسَمْكِ عِمَادِ الدِّينِ وَالْكُفْرُ مَرْتَعُ
فَبَدَّ جُمُوعَ الْكَافِرِينَ بِسَيْفِهِ ... وَأَصْحَابُهُ تَحْمِي حِمَاهُ وَتَمْنَعُ[3]
وَشَقَّ بَنُو عَفْرَا الصُّفُوفَ فَعَفَّرُوا الْـ ... لَعِينَ أَبَا جَهْلٍ وَفِيهِ تَنَازَعُوا
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ حَقّاً كِلَاكُمَا ... أَبَادَ عَدُوَّ اللهِ بِالْكُفْرِ يَصْدَعُ
تَقَبَّلْ رَعَاكَ اللهُ تُحْفَةَ شَاعِرٍ ... خَبِيرٍ بِحَالِ الشِّعْرِ فِيهِ تَشَيُّعُ[4]
تَوَسَّطَتِ الْبَحْرَ الطَّوِيلَ فَأَوْغَلَتْ ... لِتُخْرِجَ دُرّاً يَرْتَضِيهِ الْمُرَجِّعُ
وَصَاحَتْ بِأَسْرَارِ الْمَعَانِي طُيُورُهَا ... وَنَاحَتْ بِأَلْحَانِ الْبَدِيعِ تُسَجِّعُ
وَبَاحَتْ بِأَصْوَاتِ الْأَغَانِي جَمِيعِهَا ... وَلَمْ يَكْفِهَا مِنْهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُ[5]
لَقَدْ أَفْصَحَتْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ... فَهَا هِيَ فِي رَوْضِ الْفَصَاحَةِ تَرْتَعُ[6]
وَقَدْ عَرَفَتْ مَرْمَى الْبَلِيغِ فَأَبْعَدَتْ ... فَهَا هِيَ فِي نَهْرِ الْبَلَاغَةِ تَكْرَعُ[7]
وَقَدْ رَضَعَتْ ثَدْيَ الْفَصَاحَةِ وَالذَّكَا ... فَهَا هِيَ فِي حِجْرِ الْمَرَاضِعِ تَرْضَعُ[8]

---

1) كلها من معجزاته وبشائر ولادته صلى الله عليه وسلم.
2) يقال شرب فلان حتى تضلع أي أكثر من الشرب حتى تمدد جنبه وأضلاعه. اللسان: ضلع.
3) بده يبده بدا: فرقه. اللسان: بدد.
4) تشيع في الشيء: استهلك في هواه. اللسان: شيع.
5) في ديوان شعره: وجاءت بأسرار الأغاني.
6) في ديوان شعره: في أرْضِ الفصاحة.
7) في ديوان شعره: وقد وردت ماء النباهة والصفا.
8) في ديوان شعره: ثدي الفطانة.

قَدَ اوْدَعْتُهَا دُرَّ السَّلَامِ مُمَسَّكـــــاً   بِمِسْكِ الثَّنَا عَلَّ الْـوَدِيعَةَ تَنْفَعُ[1]

وَمَا زَالَ مَنْ أَسْدَى الْـقَرِيضَ يَحُوكُهُ   وَيُـطْـعِـمُـهُ لَـكِـنْ إِلَـيْـهِ تَطَلُّعُ[2]

وَيَسْأَلُ عَنْ أَرْبَابِهِ وَرِجَالِـــــــهِ   وَيَـقْـطِـفُ مِنْهُ زَاهِـراً يَتَضَوَّعُ

يَهِيمُ بِوَادٍ ضَلَّ عَنْهُ جَمَاعَـــــــةٌ   يَـرُومُ نِـظَـاماً وَجْـهُـهُ مُتَقَنِّعُ

تَأَلَّقَ يُزْرِي بِالْـبُرُوقِ بِبَـــــــارِقٍ   وَحَــلَّ مَحَـلًّا سَـافِـراً يَتَلَمَّعُ[3]

فَيَا رَاكِباً يَطْوِي الْـقِفَارَ تُقِلُّـــــهُ   سَـفِـيـنَـةُ بَـرٍّ سَـيْرُهَـا مُـتَـنَـوِّعُ

تَطِيرُ بِهِ مِثْلَ الطُّيُورِ وَتَـــــارَةً   إِذَا نَـابَهَـا عِـيٌّ تَخُـبُّ وتُهْـرَعُ[4]

تَخُوضُ بِهِ بَحْرَ السَّرَابِ كَأَنَّـــــهُ   وَمِيضُ بَرِيقٍ فِي السَّمَا يَتَرَفَّعُ[5] // (15)

فَأَدِّ إِذَا جِئْتَ الْـهُمَامَ إِمَامَنَـــــا   سَلَاماً كَأَنَّهُ الْـوِشَاحُ الْـمُوَشَّعُ[6]

هُوَ الْـحَسَنُ السُّلْطَانُ وَالْـمُحْسِنُ الَّذِي   لِإِحْسَانِهِ تَعْنُو الْـمُلُوكُ وَتَـضْرَعُ

وَلاَ تَنْسَ إِنْشَادَ الْـقَصِيدَةِ عَاجِـــلاً   فَيَخْفِضُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَرْفَعُ

وَلَا تَرْتَبِعْ إِلَّا بِرَبْعِ قَـــــــرَارِهِ   فِي ذَلِكَ الْـمُصْطَافُ وَالْـمُتَرَبَّعُ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ خَدِيـمِ الْـمَقَامِ إِذْ   فَمَقَامُكُمْ بِالْـجُودِ وَالْـفَضْلِ يَنْبُعُ.[7]

---

1) في ديوان شعره: وأودعتها.

2) في ديوان شعره: وناظمها أسدى القريض يحوكه وأطعمه.

3) بارق: ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة، وقد ذكره الشعراء فأكثروا. معجم البلدان: 1/ 319.

4) الخبب: ضرب من العدو. اللسان: خبب.

5) هذا البيت سقط من ديوان شعره.

6) في ديوان شعره: الإمام همامنا.

- وشع القطن وغيره ووشعه كلاهما: لفه. اللسان: وشع.

7) في ديوان شعره: من مقام الخديم.

وَمِنْهَا: [البسيط]

تَبَسَّمَ الْبَرْقُ إِذْ بَدَتْ ثَنَايَاهُ فَاهْتَزَّ نَجْدٌ وَأَشْرَقَتْ ثَنَايَاهُ[1]
وَبَاتَ يَسْقِي رُبَا سَلْعٍ وَكَاظِمَةٍ وَرَامَةٍ فَازْدَهَى كُلٌّ بِسُقْيَاهُ[2]
وَافْتَرَّ فِي إِضَمٍ يَهْدِي لِذِي سَلَمٍ غَيْثاً مَرِيعاً يَرُوقُ الطَّرْفَ مَرْعَاهُ[3]
وَظَلَّ يَرْوِي بِوَجْرَةٍ وَأَرْجَائِهَا هَوَامِلَ الْوَحْشِ لَا وَهَتْ رَوَايَاهُ[4]
ثُمَّ انْثَنَى ثَانِياً عِنَانَ عَزْمٍ إِلَى وَادِي الْعَقِيقِ فَجَلَّى عَنْ مُحَيَّاهُ[5]
يَا أَيُّهَا الْبَارِقُ الَّذِي تَرَاءَى لَنَا وَاللَّيْلُ سَارٍ فَسَرَّنَا بِمَرْآهُ
أَنْهِ السَّلَامَ لِهَاتِيكَ الْخِيَامِ الَّتِي حَوَتْ سَنَاءً تَوَلَّى اللهُ مَبْنَاهُ
وَانْهَلَّ فِي أُحُدٍ خَيْرِ الْجِبَالِ وَلَا تَنْسَ الْبَقِيعَ فَكُنْ بِالرِّيِّ تَغْشَاهُ[6]

---

1) القصيدة في كاملة ديوان شعره: 16، وقد أتى بقسم صغير منها هنا. الثنايا في صدر البيت جمع ثنية وهي الأسنان الأربع التي في مقدم الفم. والثنايا التي في العجز جمع ثنية وهي الطرق في الجبل كالنقب. اللسان: ثني.

2) سلع جبل بسوق المدينة، وقيل موضع بقرب المدينة. معجم البلدان: 3/ 236.
- كاظمة: جو على سيف البحر قرب البصرة، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. معجم البلدان: 4/ 431.
- رامة: وهي منزلة تبعد عن البصرة باثنتي عشرة مرحلة، وهي جبل لبني دارم. معجم البلدان: 3/ 18.

3) في ديوان شعره: مديها.
- إضم: ماء بين مكة واليمامة وقيل واد بجبال تهامة وله ذكر في سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم معجم البلدان: 1/ 214.
- راعيت فلانا مراعاة ورعاء إذا راقبته وتأملت فعله. اللسان: رعي.

4) تأتي عادة عروض البسيط مخبونة، لكن الشاعر أوردها في هذا البيت وأبيات أخرى من هذه القصيدة التي تليه تامة، وهو استعمال شاذ.
- وجرة: اسم موضع بين مكة والبصرة بينها وبين مكة نحو أربعين ميلا. معجم البلدان: 5/ 362.
- الراوية المزادة فيها الماء، ويسمى البعير راوية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه، والجمع روايا. اللسان: روي.

5) العقيق في بلاد العرب أربعة أعقة وهي أودية عادية شقتها السيول، من أشهرها وأسيرها في الشعر عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل. معجم البلدان: 4/ 138

6) أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه سمي بقيع الغرقد، وهي مقبرة أهل المدينة. معجم البلدان: 1/ 473.

وَحَيٍّ طَيْبَةَ مَا أَدْرَاكَ مَا طَيْبَـــةٌ حِمَى الرَّسُولِ الَّذِي أَجَلَّهُ اللهُ
مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ مَنْ سَبَقَـتْ لَهُ الْعِنَايَةُ وَالرَّحْمَانُ حَيَّاهُ
قَدْ شَيَّدَ اللهُ فَضْلَهُ وفَضَّلَـــهُ عَلَى النَّبِيئِينَ إِذْ فِي نُورِهِ تَاهُوا
وَكَوَّنَ الْكَوْنَ مِنْهُ فَانْجَلَى فِيـهِ إِذْ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ شَيْئاً كَانَ لَوْلَاهُ
فَيَا سَعَادَةَ مَنْ أَجَابَ دَعْوَتَـــهُ هَـذَا أَحَبَّهُ رَبُّهُ فَأَوْلَاهُ

ومنها:

يَا لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ الْأَسْنَى بِسَـيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مُتَّقٍ لِمَوْلَاهُ
أَمْسَى سُرُورُكِ فِي الْآفَاقِ مُنْبَسِطاً فَوْقَ الْبَسِيطَةِ فَانْجَلَتْ خَفَايَاهُ
أَحْيَاكِ مَالِكُنَا الْمَحْمُودُ طَالِعُـــهُ وَالْمُحْسِنُ الْحَسَنُ السَّنِي مُحَيَّاهُ
مَنْ صَيَّرَ الْجُودَ وَالْإِحْسَانَ شِرعَتَهُ وَأَصْلَحَ اللهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ[1]
أَجْلَى الطُّغَاةَ الْبُغَاةَ الْمَارِقِينَ وَقَدْ ضَحَّى بِهِمْ فَتَعَدَّدَتْ ضَحَايَاهُ
صُفَّتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمِي لِوَاهُ كَمَـا صُفَّتْ لِطَلْعَتِهِ الشَّمَّا صَفَايَاهُ
كُلٌّ لَهُ حُظْوَةٌ تُدْنِيهِ مِنْهُ لِمَـا يُرْضِي كَمَا حَظِيَتْ بِهِ حَظَايَاهُ
أَمِّنْهُ يَا مُؤْمِنُ بِأَمْنِكَ الْمُرْتَضَـى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ
وَانْصُرْ عَسَاكِرَهُ فِي كُلِّ شَارِقَـةٍ بِالنَّصْرِ يَطْوِي رَوَاحَهُ وَمَغْدَاهُ
وَأَبْقِهِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَمَـا يَنْفَكُّ فِي حَالَةٍ يَرْعَى رَعَايَاهُ
وَجَازِهِ الْخَيْرَ يَا مَنْ خَيْرُهُ فَائِضٌ وَزِدْهُ يَا رَبِّ فَوْقَ مَا تَمَنَّاهُ[2]

1) في ديوان شعره: قد أحسن
2) في ديوان شعره: ما ترجاه.

وأَسْمِهِ فِي سَمَاءِ الْـمُلْكِ مُقْتَعِـــداً فِي مَقْعَدٍ يَتَحَامَى الْـخَلْقُ مَرْقَاهُ
وَانْظِمْهُ فِي سِلْكِ رَاحَةٍ وَعَافِيَـــةٍ يَجْنِي الْـمُنَى فِي مَصِيفِهِ وَمَشْتَاهُ
مُعَانِقاً زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَـــا مُبَاهِياً مُتَعَالِياً بِعَلْيَاهُ
وَأَسْقِهِ كَأْسَ أُنْسٍ لَمْ يُعَلَّ بِهَا أَبُو نُوَاسٍ وَلَا تُرْضِى حُمَيَّاهُ
وَوَفِّقَنْهُ لِفِعْلِ كُلِّ صَالِحَةٍ كَمَا تَوَافَقَ سِرُّهُ وَنَجْوَاهُ.

وهِيَ قَصِيدةٌ أَنَافَتْ عَلَى الْـمِئَةِ بِعِشْرِينَ بَيْتاً، وَلَعَلَّ هَذَا الْـقَدْرَ كَافٍ فِي تَأْدِيَةِ بَعْضِ حُقُوقِ سَيِّدِنَا، وَمُغِيثِنَا وَمُنْجِدِنَا، وَإِلَّا فَقَدْرُهُ تَضِيقُ عَنْهُ الْـعِبَارَةُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الطُّيُورُ الطَّيَّارَةُ، بَلْ وَلَا النُّجُومُ السَّيَّارَةُ. وَمَنْ يَخُوضُ بُحُورَ تِلْكَ الْـمَعَانِي فَيَسْتَخْرِجُ مِنْهَا دُرَرَ الْـكَلَامِ، حَتَّى تُنَظِّمُهَا فِي سِلْكِ فَضَائِلِ سَيِّدِنَا أَسِنَّةُ الْأَقْلَامِ، وتُقْضَى حُقُوقُ أَمِيرِ الْـمُسْلِمِينَ // وَالْإِسْلَامِ، وَتَرْتَضِيهِ الْـعُلَمَاءُ الْأَعْلَامُ، فِي مِصْرَ (16) وَالشَّامِ وَدَارِ السَّلَامِ، وَمَنْ يَهْتَدِي لِرَفِيعِ الْأَدَبِ، فَتَنْسَلُّ إِلَيْهِ مَعَانِيهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ، وَمَنْ يَشِيمُ بُرُوقَ تِلْكَ الثَّنَايَا، فَتَبْدُو لَهُ مِنْهَا النَّوَاجِدُ وَالثَّنَايَا. وَمَنْ يَقْطَعُ مَفَاوِزَ الْـبَيَانِ وَالْـبَدِيعِ، فَيَقْطِفُ مِنْهَا أَزَاهِرَ سَيِّدِنَا الرَّفِيعِ الْبَدِيعِ. وَمَنْ يَصْعَدُ لِسَمَاءِ الْـمَجْدِ وَالْـفَخَارِ، فَيَنْظُرُ مَا حَوَى مَوْلَانَا مِنْ رَفِيعِ الْـمِقْدَارِ، وَمَنْ يَفْتَرِعُ حِبَالَ الْأَمْرِ وَالِائْتِمَارِ، فَيُشَاهِدُ مَا حَوَتْ قَصَبَاتُهُ فِي ذَلِكَ الْـمِضْمَارِ، وَمَا لَهُ فِيهَا مِنَ الشُّمُوسِ الْـبَازِغَةِ وَالْأَقْمَارِ، السَّامِيَةِ أَنْ تُسَامَى بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَعْمَارِ، فَضْلاً أَنْ تُدْرَكَ بِالْأَبْصَارِ، وَمَنْ يَصِلُ لِذَلِكَ الْـمَنَارِ، الْـوَاضِحِ وُضُوحَ النَّهَارِ، دُونَ إِنْكَارٍ، وَمَنْ لَهُ مَلَكَةٌ يَصِفُ بِهَا ذَلِكَ الدُّرَّ النَّظِيمَ، أَوْ يَمْتَطِي ذِرْوَةَ ذَلِكَ الطَّوْدِ الْـعَظِيمِ. وَمَنْ يَتَصَدَّى لِجَمْعِ مَحَاسِنِهِ الْـجَمِيلَةِ، وَإِحْصَاءِ مَنَاقِبِهِ الْـجَلِيلَةِ، وَتَشْيِيدِ مَفَاخِرِهِ الْأَصِيلَةِ، وَتَدْوِينِ مَرَاحِلِهِ الْـعَرِيضَةِ الطَّوِيلَةِ، كَلَّا وَلَوِ اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ بِالْـقَبِيلَةِ وَالْـفَصِيلَةِ، وَكَيْفَ وَالْـفِكْرَةُ عَلِيلَةٌ، وَالْـقَرِيحَةُ قَرِيحَةٌ نَحِيلَةٌ، وَرُسُومُ الْأَدَبِ مُحِيلَةٌ؟!

فَأَحْوَالُ سَيِّدِنَا جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ، وَرِيَاضٌ مُحْتَفَّةٌ بِالأَنْوَارِ وَالأَزْهَارِ، وَلَا تُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ الْعُقُولُ، وَلَا تُحْصِي فَضَائِلَهُ النُّقُولُ.

أَبْقَى اللهُ سَيِّدَنَا يَخْتَالُ فِي كَتَائِبِهِ الْكَثِيفَةِ، وَعَسَاكِرِهِ الْمُخِيفَةِ، يُعِيدُ وَيُبِيدُ، وَيُبْدِئُ وَيُعِيدُ، وَمَنْ، وَمَنْ، وَمَنِ ... اللَّهُمَّ احْرُسْ بِعَيْنِكَ عَسَاكِرَ سَيِّدِنَا الْمَنْصُورَةِ، وَاجْعَلْ عَاقِبَةَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ مَقْصُورَةً، وَأَبْقِ كَلِمَتَهُ مَجْمُوعَةً، وَامْدُدْهُ بِفَاكِهَةِ التَّمْكِينِ لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً.

وَهَذِهِ الْعُجَالَةُ إِنْ لَمْ تَكُنْ خَمْراً فَخَلٌّ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ[1]؛ وَالْمَقْصُودُ هُوَ التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ مَآثِرِ سَيِّدِنَا الظَّرِيفَةِ، وَمَرَاتِبِهِ الْمُنِيفَةِ، وَمَنَاصِبِهِ الشَّرِيفَةِ، وَخِلَافَتِهِ الَّتِي هِيَ أَشْهَى مِنَ الظِّلَالِ الْوَرِيفَةِ.

فَدُونَكَ أَيُّهَا النَّاظِرُ هَذِهِ النُّبْذَةَ الْمُتَمَحِّضَةَ كَالزُّبْدَةِ، فَاسْتَمْتِعْ بِهَا كَمَا اسْتَمْتَعَ بِثَغْرِ الْبَتُولِ عُودُ الأَرَاكِ[2]، فَإِنَّ الْعَجْزَ عَنِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ[3]!

* **وَمِنْهُمْ صِنْوُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّرِيفُ مَوْلَانَا عُثْمَانُ**[4]: نَادِرَةُ الزَّمَانِ، أَبْهَجُ مِنَ الْمَرْجَانِ وَالْجُمَانِ، يُجْلَبُ مِنْ عُمَانَ، تَوَشَّحَ بِالسَّكِينَةِ عَلَى مَكَانَتِهِ الْمَكِينَةِ، وَنَافَسَ فِي اقْتِنَاءِ الْحَسَنَاتِ، وَدَرْءِ السَّيِّئَاتِ، مُعْرِضاً عَنْ هَذَا الْعَرَضِ الْفَانِي،

---

1) وظف الكاتب الآية الكريمة 265 من سورة البقرة: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ لإقامة فاصلة سجعه. والطل: المطر الصغار القطر الدائم، وهو أرسخ المطر ندى. اللسان: طلل.

2) فيه إشارة إلى قصة منسوبة لسيدنا عليّ كرم الله وجهه مع زوجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها، حين دخل عليها ذات يوم فوجدها تستاك، فتحركت غيرته عليها من عود السواك كيف أنه قد حظيّ بثغرها الكريم، فجاء إليها، وأخذ السواك من يدها مداعباً، ونظر إليه وخاطبه قائلا:

حظيت يا عود الأراكِ بثغرها — أما خفت يا عود الأراك أراكا

لو كنت من أهل القتال قتلتك — ما فاز مني يا سِواكُ سِواكا.

فضحكت الزهراء حتى أشرق وجهها من مداعبته رضي الله عنهما.

3) هذا صدر بيت منسوب لعلي بن أبي طالب وتمامه: وَالبَحْثُ عَنْ سِرِّ ذَاتِ السِّرِّ إِشْرَاكُ، ينظر مفاتيح الغيب: 146/1.

4) الأمير عثمان بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، من إخوان السلطان الحسن الأول، كان خليفة لأبيه في فاس، ولأخيه في مراكش، ترجمته في: الدرر البهية والجواهر النبوية: 1/ 234-235، المعلمة: 18/ 5980.

عَلَى رُغْمِ الْقَالِي وَالشَّانِي[1]، لَهُ وُلُوعٌ بِالْأَدَبِ وَنَاسِهِ، يَسْتَحْضِرُهُ عِنْدَ حُضُورِ كَاسِهِ، وَتَنَوُّرِ وَرْدِهِ وَآسِهِ، مُعْتَكِفاً عَلَى تَنْفِيذِ أَوَامِرِ السُّلْطَانِ، تَارِكاً لِمَا سِوَاهَا مِنَ الْأَشْطَانِ[2]. وَلَهُ هِمَّةٌ يَنْحَطُّ عَنْهَا دَرَنٌ[3]، فَلَا يُلِمُّ بِسَاحَتِهِ دَرَنٌ[4]، كَلِفَ بِمُجَالَسَةِ الْخِيَارِ، فِي الضَّرُورَةِ وَالِاخْتِيَارِ، وَمُبَاعَدَةِ الْأَشْرَارِ، وَنَظَرَهُمْ بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ.

وَعَلَى ذَلِكَ فَهُوَ الآنَ مُقِيمٌ بِذَلِكَ الدِّيوَانِ، مُكَلَّفٌ بِحِفْظِ الْإِيوَانِ، مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ الْخَوَّانِ، لَا يَسْتَفِزُّهُ الطَّمَعُ، وَلَا يُخَامِرُهُ الْهَلَعُ، مَعَ امْتِدَادِ خِلَافَتِهِ، وَاخْتِبَارِ رِعَايَتِهِ، قَلَّدَ جِيدَ الْعَصْرِ قِلَادَةَ عَدْلِهِ، وَاهْتَمَّ بِأَدَاءِ فَرْضِهِ وَنَفْلِهِ، وَهَامَ بِسَرْدِ كُتُبِ الْحَدِيثِ، فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، حَسَنُ الْمُذَاكَرَةِ عِنْدَ الْمُحَاضَرَةِ، مَلِيحُ الْمُبَادَرَةِ فِي مَجْلِسِ الْمُنَاظَرَةِ، حَسَنُ الشَّارَةِ، لَطِيفُ الْإِشَارَةِ، مَعَ اخْتِصَارِ الْكَلَامِ فِي الْعِبَارَةِ، مُحَافِظا عَلَى رُتْبَتِهِ السَّنِيَّةِ، فِي عِيشَتِهِ الرَّاضِيَةِ الْهَنِيَّةِ، مُشْتَمِلاً عَلَى حَصَانَةٍ وَرَزَانَةٍ، وَدِرَايَةٍ وَفَطَانَةٍ.

وَلَهُ وَقَارٌ يَغَارُ مِنْهُ رَضْوَى[5]، وَحَدِيثٌ أَشْهَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، مُتَبَرِّئاً مِنَ الدَّعْوَى، مَاشِياً عَلَى مُقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[6] مُنِيباً بِعِلْمِهِ لِعَالِمِ السِّرِّ وَالنَّجْوَى، مُنْكِراً عَلَى مَنْ يَزْعُمُ تَأْثِيرَ النُّجُومِ وَالْأَنْوَا، وَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ إِذَا أَنْهَى إِلَيْهِ الشَّكْوَى، تَارِكاً لِمُتَابَعَةِ الْأَغْرَاضِ وَالْأَهْوَا. فَهَذِهِ حَالُهُ، وَاللهُ يَحْفَظُهُ وَيَرْعَاهُ، وَيَشْكُرُ مَسْعَاهُ.

---

1) الشانئ: المبغض. اللسان: شنأ.

2) الشطَن: الحبل، والجمع: أشطان، في حديث علي كرم الله وجهه وقد ذكر الحياة: إن الله جعل الموت خالجا لأشطانها، الخالج المسرع في الأخذ، واستعار الأشطان للحياة لامتدادها. اللسان شطن.

3) درن بالتحريك تقع ضمن جبال الأطلس الكبير، يقول فيها ابن عباد:

هذي جبال درن　　حفت بكل درن

يا ليتني لم أرها　　وليتها لم ترني

4) الدَّرَنُ: الوسخ. اللسان: درن.

5) رضوى: اسم جبل بمكة. معجم البلدان: 3/51.

6) سورة المائدة: الآية: 2.

وَأَوَّلُ مَا خاطَبْتُهُ بِهِ لَمَّا مَاتَ وَالِدُهُ السُّلْطَانُ // الْـمُقَدَّسُ، سَقَى اللهُ ثَرَاهُ، (17)
وَأَجْزَلَ قِرَاهُ، مَرْثِيَّةٌ تَنْهَدُّ لَهَا الأَعْلَامُ، وَتُنْصِتُ لِسَمَاعِهَا دَارُ السَّلَامِ، وَلَا غَرْوَ، فَإِنَّهَا جَمَعَتْ مَنَاقِبَ وَالِي الْـمُسْلِمِينَ وَالإِسْلَامِ، وَمَنْ عَجَزَتْ عَنْ إِحْصَاءِ فَضَائِلِهِ وَتَعْدَادِ شَمَائِلِهِ الْـمَحَابِرُ وَالأَقْلَامُ. وَهَذَا مَطْلَعُ الْـقَصِيدَةِ: [الكامل]

كَتَمَ الْـمُحِبُّ الْـحُبَّ يَا عُثْمَـانُ وَطَـوَاهُ حَتَّى ضَرَّهُ الْـكِتْمَانُ[1]

وَتَأَجَّجَتْ نَارُ الْفِرَاقِ بِلُبِّـهِ فَـتَـأَوَّهَـتْ مِـنْ حَـرِّهَـا الـنِّيرَانُ

فَرَّتْ كَتَائِبُ صَبْرِهِ وَتَبَـدَّدَتْ كَيْفَ اصْطِبَارُهُ وَالأَحِـبَّـةُ بَانُوا

وَجَرَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ عِنْدَ فِرَاقِهِـمْ جَـرْيـاً يَـلُـوحُ كَـأَنَّـهُ الـطُّـوفَـانُ

قَدْ غَادَرُوا دَارَ الْـفَنَاءِ وَيَمَّمُـوا دَارَ الْـبَقَا فَـكَـأَنَّـهُـمْ مَـا كَانُوا

غَدَرَ الزَّمَانُ بِهِمْ وَخَانَ عُهُـودَهُ لَكِنَّهُمْ فِي عَهْدِهِمْ مَا خَانُوا

نَالُوا مُهِمَّاتِ الأُمُورِ بِهِمَّـةٍ يَـنْـحَـطُّ قَـدْراً دُونَـهَـا كِـيـوَانُ[2]

كَمْ مِنْ مَفَاخِرَ فِي الْـبَسِيطَةِ شَيَّـدُوا مَا شَـادَهَـا قَحْطَانُ أَوْ عَدْنَانُ

هَذِي مَسَاكِنُهُمْ تَغَيَّرَ حُسْنُهَـا إِنَّ الْـمَسَاكِنَ سِرُّهَـا السُّكَّانُ

فَعَلَيْهِمُ بَكَتِ السَّمَاءُ وَأَهْلُهَـا وَالأَرْضُ حَتَّى إِنْسُهَا وَالْـجَانُ

حَتَّى الْـمَوَاكِبُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَـا حَتَّى الْـحِمَى وَالْـقَصْرُ وَالإِيوَانُ

يَا ابْنَ الْـخَلَائِفِ لَا تَحِدْ عَنْ نَهْجِهِمْ إِذْ هُمْ بُـدُورُ الْـحَقِّ وَالشُّهْبَانُ

وَهُدَاهُمُ نِعْمَ الْـهُدَى وَتُرَاثُهُـمْ نِعْمَ الـتُّرَاثُ، اَلْـمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ

1) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

2) كيوان: اسم زحل بالفارسية، المنجد في اللغة والأعلام.

أَنْتَ الْـمُوَشَّحُ بِالْـمَهَابَةِ وَالْبَهَـــا   أَنْـتَ الْـمُنَى وَالـرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ
أَنْجِدْ وَأَتْهِمْ فِي عَلَائِكَ وَاقْتَطِــفْ   زَهْـرَ الـسُّرُورِ فَقَدْ أَتَـى الْإِبَّـانُ
خُذْهَا عَلَى رُغْمِ الْـحَسُودِ خَرِيـدَةً   مِـنْ نَظْمِ شِعْرٍ زَانَهَـا الْإِحْـسَانُ
أَهْدَى جَوَاهِرَهَا لَبِيبٌ حَــــاذِقٌ   وَنَبِيهُ عَـصْرِكَ شَـأْنُـهُ الْإِتْـقَـانُ
لَوْ أَدْرَكَتْ عَصْرَ الَّذِينَ تَقَدَّمُـــوا   مَـا عَـابَهَـا كَـعْـبٌ وَلَا حَـسَّـانُ[1]
جُدْ بِالْـقَبُولِ وَبِالرِّضَى عَنْهَا فَقَــدْ   جَـادَتْ بِـهَا الْأَفْـكَـارُ وَالْأَذْهَـانُ
وَاكْتُمْ عَجَائِبَ سِرِّهَا الْأَسْنَى كَمَـا   كَتَمَ الْـمُحِبُّ الْـحُبَّ يَا عُثْمَانُ.

وَقَالَ فِي تَهْنِئَتِهِ بِيَوْمِ الْـعِيدِ السَّعِيدِ: [الطويل]

تَعَمَّمَ بِالْإِسْعَادِ عِيدُ الْـخَلِيفَـــةِ   وَبَاهَتْ بِهِ الدُّنْيَا شُمُوسُ الْـخِلَافَةِ[2]
وَأَرْبَتْ عَلَى سَعْدِ السُّعُودِ سُعُودُهَـا   وَطَافَتْ بِأَرْجَاءِ السُّهَى وَالْـمَجَرَّةِ
تَطَاوَلَتِ الْأَبْصَارُ تَنْظُرُ حُسْنَهَــــا   وَبَهْجَتَهَا رَوْضَ الْبَهَا وَالْـمَسَرَّةِ
إِذَا ظَفِرَتْ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِنَظْـــــرَةٍ   فَلَا تَعْتَرِضْ ظَبْيَ اللِّوَى وَالصَّرِيمَةِ[3]
فَكُنْ رَاغِبًا فِي حُبِّ عُثْمَانَ وَاغْتَنِــمْ   مَـوَدَّتَـهُ تَظْفَرْ بِـرَوْحٍ وَرَاحَـةِ
وَعِشْ مُسْتَظِلًّا فِي ظِلَالِ نَوَالِـــهِ   تَفُزْ وَتَمَـتَّـعْ بِالظِّلَالِ الْـوَرِيفَةِ

1) يقصد كعب بن زهير بن أبي سلمى، وحسان بن ثابت الأنصاري.

2) القصيدة لم ترد في ديوان شعره، وقافية القصيدة ضعيفة لأنها مبنية على هاء السكت (التاء المربوطة)، وقد أنهى الشاعر قصيدة بنفس الشطر الذي افتتحها به وقد فعل نفس الشيء في قصائد أخرى في ديوان شعره وكتابه الدرة السنية.

3) اللوى: واد من أودية بني سليم أكثرت الشعراء من ذكره. معجم البلدان: 5/ 23.
– الصريمة: اسم موضع قال فيه جابر بن حني التغلبي:
فيا دار سلمى بالصريمة فاللـوى   إلى مدفع القيقاء فالمتثلـم
أقامت بها بالصيف ثم تذكـرت   مصائرها بين الجواء فعيهم.
معجم البلدان: 3/ 405.

تَوَشَّحَ بِالْإِحْسَانِ وَالْحِلْمِ وَالْحَيَا وَزَادَ اشْتِمَالاً بِالْخِلَالِ الظَّرِيفَةِ
وجَمَّلَهُ الإِيثَارُ وَالصِّدْقُ وَالْوَفَا وَقَامَ اعْتِنَاءً بِاللَّيَالِي الشَّرِيفَةِ
وَشَيَّدَ مَجْداً لَاحَتِ الشَّمْسُ دُونَهُ وَأَمْطَرَ جُوداً كَالْغُيُومِ الْمَطِيرَةِ
تَحَلَّى بِحَلْيِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالصَّفَا وَلَا صَفْوَ إِلَّا مِنْ صَفَاءِ السَّرِيرَةِ
فَلاَ غَرْوَ أَنْ حَازَ الْمَحَامِدَ وَالثَّنَا مَفَاخِرَ خُطَّتْ فِي بُطُونِ الصَّحِيفَةِ
لِأَنَّهُ عَيْنٌ مِنْ عُيُونٍ تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُهَا مِنْ بَحْرِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ لِلنَّاسِ رَحْمَةً وَجَهَّزَ لِلْأَعْدَاءِ كُلَّ كَتِيبَةِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ وَآلِهِ وَالصَّحْبِ النُّجُومِ الْمُنِيرَةِ
فَلَا زِلْتُمُ تَسْمُونَ كُلَّ مُعَانِدٍ وَتَجْنُونَ فِي الْأَطْوَارِ كُلَّ كَرِيمَةِ
وَلَا انْفَكَّتِ الْأَقْدَارُ تَحْرُسُ مَجْدَكُمْ بِحَقِّ كَلَامِ اللهِ فِي كُلِّ آيَةِ // (18)
وَلَا فَتِئَ الرَّحْمَنُ يَنْظِمُ مُلْكَكُمْ كَنَظْمِ الْعُقُودِ الرَّائِقَاتِ السَّنِيَّةِ
وَلَا بَرِحَتْ أَعْيَادُكُمْ مُسْتَنِيرَةً تَلُوحُ جِهَاراً كَاللَّئَالِي النَّظِيمَةِ
وَعِيدُكُمُ الْمُعْتَمُّ فَضْلاً مُبَارَكٌ سَعِيدٌ رَقِيقُ السَّعْدِ حَاوِي الْفَضِيلَةِ
فَدُمْ بِدَوَامِ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةِ
وَخُذْهَا فَتَاةً مِنْ قَرِيضٍ تَوَسَّطَتْ بِبَحْرٍ طَوِيلٍ تَنْتَقِي كُلَّ دُرَّةِ
لَقَدْ حَسُنَتْ لَفْظاً وَمَعْنًى وَأَثْمَرَتْ بَدِيعاً تَجَلَّى لِلْعُقُولِ السَّلِيمَةِ
بَعَثْتُ بِهَا حُبّاً تَزُورُ مَقَامَكُمْ لِأَنَّكُمُ أَهْلٌ لِفَضْلِ الزِّيَارَةِ
لِتَحْظَى لَدَيْكُمْ بِالْقَبُولِ وَبِالرِّضَى وَيُبْصِرُ مَا فَاهَتْ بِهِ ذُو بَصِيرَةِ

فَإِنْ أَخطَأَتْ فَابْسُطْ لَهَا الْـعُذْرَ مِنَّـةً وكَيْفَ يُرادُ الْـعُذْرُ مِنْ بِنْتِ سَاعَةِ
تَعَمَّمَتِ الْإِتْقَانَ وَالْـفَهْمَ مِثْلَمَـــا تَعَمَّمَ بِالْإِسْعَادِ عِيدُ الْـخَلِيفَةِ.

وَقَالَ فِي حَقِّهِ: [الكامل]

حُلَلُ الْـخِلَافَةِ وُشِّيَتْ بِالطَّابَــعِ بُـشْرَاكَ بِالْـخَبَرِ الْـيَقِينِ الشَّائِعِ
بُشْرَاكَ يَا عُثْمَانُ بِالْأَمْرِ الَّـــذِي أَصْبَحْتَ تُحْكِمُهُ بِحُكْمِ الشَّارِعِ
قَلَّدْتَ أَجْيَادَ الْـخِلَافَةِ بِالْـبَهَــا وَالْـجِدِّ وَالْـعِزِّ الْـمَدِيدِ الْـمَانِعِ
حَسَّنْتَهَا لِلنَّاظِرِينَ فَأَصْبَحَـــتْ تَخْتَالُ فِي الْحُسْنِ الْـبَدِيعِ الرَّائِعِ
وَغَدَرْتَ مَرْمَاهَا سَنِيّاً سَامِيــاً فَـوْقَ السَّمَا لَا يَنْجَلِي لِلطَّـامِعِ
وَجَلَوْتَهَا مِثْلَ الْـعَرُوسِ جَلِيَّـــةً تَلْتَاحُ كَالْـقَمَرِ الْـمُنِيرِ السَّاطِعِ
وَأَجَرْتَهَا مِنْ مَرْتَعِ الْـجَوْرِ الَّـــذِي يَلْوِي لِوَا الْـعَدْلِ الْـحَمِيدِ النَّافِعِ
وَرَفَعْتَ رَايَتَهَا فَرِيئَتْ جَهْــرَةً تَسْمُو عَلَى النَّسْرِ السَّمِيِّ الْـوَاقِعِ
وَجَلَا مُحَيَّاهَا فَأَصْبَحَ نُـــورُهَا يُغْنِي عَنِ الْـفَجْرِ الصَّدُوقِ الصَّادِعِ
جَمَعَتْ مَحَاسِنُهَا السَّنَاءَ مَعَ السَّنَـــا فَحَكَتْ سَنَا الْـبَرْقِ السَّنِيِّ اللَّامِعِ
طَلَعَتْ بِلَا عَيْبٍ سَوَاءَ طُلُـــوعِهَا بِالْـمَغْرِبِ الْأَقْصَى الْـفَسِيحِ الْـوَاسِعِ
وَصَقَلْتَ جَوْهَرَهَا الصَّقِيلَ فَأَصْبَحَتْ لِلْـحَقِّ كَالسَّيْفِ الرُّدَيْنِي الْـقَاطِعِ[1]
وَتَفَجَّرَتْ أَنْهَارُهَـا وَتَفَتَّحَـــتْ أَزْهَـارُهَـا مِـنْ غَـيْرِ رَيْـبٍ وَاقِـعِ
وَتَضَوَّعَتْ أَخْلَاقُكَ الْـحُسْنَى بِمَـا أَنْسَى شَذَى الْـمِسْكِ الْـفَتِيقِ الضَّائِعِ

1) السيف الرديني والرمح الرديني: زعموا أنها منسوبة إلى ردينة امرأة السمهري. اللسان: ردن.

وَجَرَتْ طَوَالِعُ سَعْدِكَ الْأَسْمَى وَقَدْ ... تَاهَتْ عَلَى النَّجْمِ السَّعِيدِ الطَّالِعِ

بِعْتَ الَّذِي يَفْنَى بِمَا يَبْقَى فَمَـــا ... أَزْكَـاهُمَـا مِـنْ مُـشْـتَرٍ أَوْ بَـائِـعِ[1]

لَا زَالَ أَمْرُكُمُ السَّعِيدُ وَجَمْعُكُـــمْ ... مُـتَـأَلِّـفَـيْنِ غَــدَاةَ أَمْـــرٍ جَـامِـعِ

وَالْـمُلْكُ مَقْصُورٌ عَلَيْكُمْ حُكْمُـــهُ ... وَالْـخَلْقُ حَوْلَـهُ مِنْ مُطِيعٍ سَامِعِ

خَرَّتْ لَكُمْ حَتَّى الرَّوَاسِي وَالـذُّرَى ... فَاسْتَقْبِلُوا مِنْ سَاجِدٍ أَوْ رَاكِعِ

وَزَرَعْتُمُ حُبَّ الْـمَحَبَّةِ فِي الْـــوَرَى ... وَالـــزَّرْعُ مَحْـكُـومٌ بِـهِ لِـلـزَّارِعِ[2]

وَوَضَعْتُمُ الْأَشْيَاءَ مَوْضِعَهَا فَلَـــمْ ... تُهْمَلْ وَلَمْ تَحْتَجْ لِوَضْعِ الْـوَاضِعِ

وَغَرَسْتُمُ كَرْمَ الْـكَرَامَةِ فِي الْـحَشَـا ... وَشَهَرْتُمُ أَدَبَ الْأَدِيـبِ الْـبَارِعِ

وَوَصَلْتُمُ جَوْبَ الْـمَفَاوِزِ وَالسُّـرَى ... وَرَزَقْـتُـمُ الْـمُعْتَرَّ مِثْلَ الْـقَانِعِ[3]

وَنَهَجْتُمُ نَهْجَ الْـهِدَايَةِ وَالتُّقَــــــى ... وَالْـبِرِّ فَاعْلَمْ مَا لِـذَا مِنْ دَافِـعِ

جَلَّتْ فَضَائِلُكُمْ فَلَمْ تُحْصَرْ وَلَـــمْ ... تُنْكَرْ عَلَى رُغْمِ الْـحَسُودِ الْـقَاطِعِ

يَا مَنْ شَمَائِلُهُ تَضَوَّعَ نَشْرُهَـــــــا ... فِي الْـخَافِقَيْنِ سَرَتْ بِطِيبٍ ذَائِعِ[4]

صِنْوُ الْـخَلِيفَةِ وَالْـخَلِيفَةُ جَـــدُّهُ ... وَأَبُـــوهُ أَبْـنَـاء الـنَّـبِـيِّ الشَّافِعِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا سَحَّ الْـحَيَـــــا ... وَهَمَـــتْ غَـمَـائِـمُـهُ بِقَطْرٍ هَامِعِ

خُذْهَا عَقِيلَـــةَ فِكْـرَةٍ مَشْغُولَـــةٍ ... بِالْـخَوْضِ فِي بَحْرِ الذَّكَاءِ الضَّائِعِ // (19)

---

1) بيت مقتبس من قول الشاعر:
بِعْتَ الَّذِي يَبْقَى بِمَا يَفْنَى غَدًا ... يَا مَنْ رَضِيَ بِغَبِينَةِ الْـمُبْتَاعِ.

2) هذا حكم فقهي معروف، ينظر في: الذخيرة للقرافي: 1/ 53.

3) المعتر: الفقير، وقيل المتعرض للمعروف من غير أن يسأل. اللسان: عرر. ومعنى البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ سورة الحج: الآية: 36.

4) الخافقان: المشرق والمغرب. اللسان. خفق.

حَوْرَاءَ بَاهِيَةَ الحُلَى لَكِنَّهَـــــا   تَشْتَاقُكُمْ شَوْقَ الْـحَبِيبِ النَّازِعِ
وَرَدَتْ حِمَاكُمْ تَبْتَغِي مَرْضَاتَكُـــمْ   وَتَقُومُ إِجْلَالاً بِقَلْبٍ خَاشِـــعِ
فَإِذَا رَأَتْ أَنْوَارَ وَجْهِكَ سَلَّمَـــتْ   جَهْراً سَلَامَ الْـمُخْبِتِ الْـمُتَوَاضِعِ
وَتَشَفَّعَتْ بِالْـمَجْدِ وَالْـعِزِّ الَّــذِي   حَلاَّ الثُّرَيَّا هَلْ لَهَا مِنْ شَافِعٍ ؟!
لَوْ أَدْرَكَتْ عَصْرَ الَّذِينَ تَقَدَّمُـــوا   حَيَّا مُحَيَّاهَا الْإِمَـــامُ الشَّافِعِي
وَصَبَا لَهَا حُبّاً حَبِيبٌ وَاقْتَفَـــى   آثَـارَهَـا قَـيْسٌ بِـنَظْمٍ تَـابِعِ[1]
هَذَا وَعِيدُكُمُ السَّعِيدُ مُبَـــارَكٌ   يَـخْـتَـالُ يَوْمُهُ فِي السُّرُورِ الْـيَانِعِ
يُعْشِي الْـعُيُونَ بَهَاؤُهُ فَكَأَنَّــــهُ   أَسْــلَاكُ دُرٍّ فَـوْقَ صَـدْرٍ رَائِـعِ
إِسْتَيْـقِـظَا يَا صَاحِبَيَّ لِـتَـنْـظُـــرَا   حُلَلَ الْـخِلَافَةِ وُشِّيَتْ بِالطَّابَعِ.

* **وَمِنْهُمُ الْـوَحِيدُ الْأَوْحَدُ، اَلْفَقِيهُ الْـوَزِيرُ سَيِّدِي مُوسَى بْنُ أَحْمَدَ**[2]: دُرَّةُ الصَّدَفِ، وَرَوْضَةُ السُّرُورِ وَالظَّرْفِ، نَشَأَ فِي حِجْرِ الدَّوْلَةِ فَحَسُنَتْ نَشْأَتُهُ، وَغُذِّيَ بِلَبَنِهَا الْـخَالِصِ فَزَكَتْ دَرَّتُهُ[3].

اسْتَوْزَرَهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ الْـمُقَدَّسُ، فَرَضِيَ وِزَارَتَهُ مُلْكُهُ الْـمُؤَسَّسُ، قَامَ بِأَعْبَائِهَا أَحْسَنَ قِيَامٍ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الاِهْتِمَامِ، حَتَّى غَادَرَهَا أَصْفَى مِنْ مَاءِ الْـغَمَامِ، وَأَحْسَنَ مِنَ الزَّهْرِ فِي الْـكِمَامِ، وَأَوْضَحَ مِنَ الْـبَدْرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ، فَطَارَتْ

---

1) يقصد حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف المتوفى سنة 231هـ.

2) أبو عمران موسى بن أحمد بن مبارك البخاري، حاجب المولى محمد بن عبد الرحمن، واستوزره المولى الحسن الأول فصار الوزير الحاجب، كان شعلة ذكاء، وتمثال فطنة ودهاء، توفي سنة 1296هـ، ترجمته في: فواصل الجمان: 91، الاستقصا: 8/ 183، إتحاف أعلام الناس: 4/ 370، الإعلام: 7/ 306، معلمة المغرب: 4/ 1099.

3) الدَّرُّ: اللبن ما كان. اللسان: درر.

أَخْبَارُهَا فِي سَائِرِ الآفَاقِ، وَسَارَتْ بِمَحَاسِنِهَا الرِّفَاقُ، وَأَبْرَزَهَا لِلنَّاظِرِينَ حَالِيَةَ الأَطْوَاقِ، وَارِيَةَ الأَشْوَاقِ، نَافِقَةَ الأَسْوَاقِ، تَرْتَاحُ لِسَمَاعِ حَدِيثِهَا أَرْبَابُ الأَذْوَاقِ.

وَمَا زَالَ عَلَى هَذَا الْحَالِ، فِي الْمُقَامِ وَالتَّرْحَالِ، حَتَّى ذَهَبَ سُلْطَانُهُ لِرَبِّهِ، مُؤَمِّلاً لِقُرْبِهِ، فَأَبْقَاهُ نَجْلُهُ سُلْطَانُ الْعَصْرِ، وَرَفِيقُ النَّصْرِ فِي وِزَارَتِهِ، مُغْتَبِطاً بِكِفَايَتِهِ، فَعَظُمَتْ مَكَانَتُهُ، وَظَهَرَتْ أَمَانَتُهُ، وَرَاقَتْ شَارَتُهُ، فَقَلَّدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْزَارَهَا، وَجَعَلَ إِلَيْهِ إِيرَادَهَا وَإِصْدَارَهَا، وَقَضَى عَلَى رُغْمِ الْمُعَانِدِ أَوْطَارَهَا، وَاقْتَحَمَ أَخْطَارَهَا، وَأَدْنَى أَنْصَارَهَا، وَفَتَحَ أَبْصَارَهَا، وَقَابَلَهَا بِالإِحْسَانِ، وَأَنْزَلَهَا مَنْزِلَةَ سَوَادِ الْعَيْنِ مِنَ الإِنْسَانِ. فَقَرَّظَهَا بِآرَائِهِ، وَكَفَّ عَنْهَا عَادِيَةَ أَعْدَائِهِ، وَصَيَّرَ أَوْجَ الْخِلَافَةِ، أَبْهَى مِنَ السُّلَافَةِ، خَلَعَ فِي جَانِبِهَا الرَّسَنَ، وَطَرَدَ مِنْ سَاحَتِهَا الْوَسَنَ، تَعَمَّمَ بِالسَّعَادَةِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ فِي الْبَدْءِ وَالإِعَادَةِ.

عَفَّى وِزَارَةَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى[1]، وَتَسَنَّمَ تِلْكَ الرُّتْبَةَ الْعُلْيَا، فَتَنَاوَلَ فِي عُلُوِّهِ الْبُطَيْنَ وَالثُّرَيَّا، فَحَيَّى اللهُ ذَلِكَ الْمُحَيَّا، الْمُوَشَّى بِالإِغْيَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْيَوْمَ فِي الأَحْيَا، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ تُوُفِّيَ وَالِدُهُ الْمُقَدَّسُ مُخَيِّماً بِبِلَادِ حَاحَةَ، مُغْتَبِطاً بِهَا غُدُوَّهُ وَرَوَاحَهُ، فَحَلَّ بِالْفَقِيهِ الْوَزِيرِ مِنْ هَذَا الرُّزْءِ الْجَلِيلِ، الَّذِي كَادَتْ تَنْهَدُّ لَهُ جِبَالُ دَرَنٍ وَجَبَلُ الْجَلِيلِ، مَا خَامَرَ عَقْلَهُ، وَاسْتَشْعَرَ ثِقْلَهُ، وَأَجْرَى دُمُوعَ كُلِّ مُقْلَةٍ، ثُمَّ رَاجَعَ نَفْسَهُ، وَأَوْتَرَ قَوْسَهُ، وَقَامَ عَلَى قَدَمِ الرِّضَى، وَاسْتَسْلَمَ لِلْقَدَرِ الْمَقْدُورِ وَرَضِيَ بِالْقَضَا، وَاسْتَرْجَعَ وَاعْتَبَرَ، وَفَوَّضَ أَمْرَهُ للهِ وَاصْطَبَرَ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقِ جِدِّهِ، وَأَنْفَقَ فِي جَمِيعِ مَا دَبَّرَهُ مِنْ بِضَاعَةِ وُجْدِهِ، حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ رِفْعَةُ

1) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الفضل، وزير الرشيد العباسي ومدبر أمر دولته، وهو من أفصح الوزراء وأبلغهم، نقم الرشيد عليه وعلى أسرته، فقتله سنة 187هـ. ترجمته في: تاريخ الطبري: 8/ 287، تاريخ بغداد: 7/ 152، وفيات الأعيان: 1/ 328، والبداية والنهاية: 10/ 189.

مَجْدِهِ، وَأَمْعَنَ نَظَرَهُ فِي غَوْرِ هَذَا الْأَمْرِ وَنَجْدِهِ، فِي بَدْئِهِ وَعَوْدِهِ، وَأَلْهَمَهُ اللهُ سُؤْلَ رُشْدِهِ، فِي صَدْرِهِ وَوِرْدِهِ.

فَأَوَّلُ مَا افْتَتَحَ بِهِ أَنْ جَمَعَ الْقُوَّادَ وَالْأُمَرَاءَ، وَالْكُتَّابَ وَالْكُبَرَاءَ، وَخُصُوصاً سَادَتِنَا الْأَشْرَافَ، وَأَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الْأَجِلَّاءِ وَالْأَطْرَافِ، وَكَانَ الْفَقِيهَ الْمُقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ، مِنْ غَيْرِ مَلَامٍ، مِنْ أُولَئِكَ الْأَعْلَامِ، وَتَفَاوَضُوا فِيمَنْ يَسْتَحِقُّ مَنْصِبَ الْخِلَافَةِ، الَّتِي هِيَ أَبْهَى مِنْ كُؤُوسِ السُّلَافَةِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمُ الْفَقِيهُ بِبَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَسْكِينِ رَوْعَةِ الْمُسْلِمِينَ، لِيَأْمَنَ الضَّعِيفُ الْخَائِفُ، وَيَرْتَدِعَ الْقَوِيُّ الْحَائِفُ[1]، لِكَوْنِهِ وَلِيَّ // عَهْدِهِ، وَصَفِيحَةَ غِمْدِهِ، وَنَتِيجَةَ قِيَاسِ عَقْدِهِ، (20)
وَيَتِيمَةَ عِقْدِهِ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ، وَسَبِيكَةَ حُبِّهِ وَوُدِّهِ، وَطَالِعَ سَعْدِهِ، وَمُنْجِزَ وَعِيدِهِ وَوَعْدِهِ، وَصَبِيبَ بَرْقِهِ وَرَعْدِهِ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَكُلُّهُمْ وَافَقُوهُ عَلَى بَيْعَتِهِ، وَتَقْلِيدِ طَاعَتِهِ، وَالِاسْتِظْلَالِ بِظِلِّ خِلَافَتِهِ، وَحَمْلِ رَايَتِهِ، فَمَا مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّفَ أَوْ تَرَدَّدَ، أَوْ أَبَى أَوْ تَمَرَّدَ، هَذَا وَالدَّارُ الْعَالِيَةُ بِاللهِ مَشْحُونَةٌ بِالصِّيَاحِ وَالْعَوِيلِ، لِهَوْلِ هَذَا الْمُصَابِ الْعَظِيمِ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ، فَمَا ثَنَاهُ عَنْ مُرَادِهِ، وَلَا ثَبَّطَهُ عَنْ بُغْيَةِ رُوَّادِهِ.

وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْبَيْعَةِ الْمُتَحَتِّمِ الْوُجُوبِ، الَّذِي أَشْرَفَتْ مِنْهُ الْخِلَافَةُ عَلَى الْوُجُوبِ، وَفِيهِ تَأَسَّى بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، يَوْمَ مَاتَ مُحَمَّدٌ الشَّفِيعُ الشَّفِيقُ، اشْتَغَلَ حِينَئِذٍ بِتَجْهِيزِ مَخْدُومِهِ الْمُقَدَّسِ، وَانْتِخَابِ كَفَنِهِ الْمُسَنْدَسِ، فَوَارَى جَسَدَهُ الشَّرِيفَ، بِضَرِيحِ سَلَفِهِ مَوْلَانَا عَلِيٍّ الشَّرِيفِ، فَأَضْجَعُوهُ فِي لَحْدِهِ، وَخَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَاللَّيْلُ زَاهِرٌ بِالنُّجُومِ الْمُعَدَّةِ لِلرُّجُومِ، وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ، جَلَسَ الْفَقِيهُ فِي الْإِيوَانِ يَتَوَقَّدُ كَالْمِصْبَاحِ، وَنَادَى مُنَادِيهِ حَيَّ عَلَى الصَّلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ.

---

1) الحائف: الظالم الجائر. اللسان: حيف.

فَمَا وَصَلَ السُّلْطَانُ نَصَرَهُ اللهُ لِلْحَضْرَةِ، وَاضِحَ الْغُرَّةِ، حَتَّى وَجَدَ أُمُورَ الْخِلَافَةِ قَدْ تَقَرَّرَتْ، وَأَحْوَالَهَا قَدْ تَنَظَّمَتْ، فَشَكَرَ لِلْفَقِيهِ الْوَزِيرِ سَعْيَهُ، وَأَكَّدَ رَعْيَهُ، وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ، وَنَبَّهَ عَلَى تَعْظِيمِهِ وَاحْتِرَامِهِ، فَكَانَ لَا يُبْرِمُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ إِلَّا عَنْ مَشُورَتِهِ، حَسْبَمَا تَقْتَضِيهِ جَلَالَةُ وِزَارَتِهِ.

وَكَانَ عُظَمَاءُ النَّصَارَى يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَيَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، فِي مَطَالِبِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ، وَقَوَانِينِهِمُ الْمَرْعِيَّةِ، فَيَتَوَسَّطُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ، نَصَرَهُ اللهُ، فَيَقَعُ الْفَصْلُ فِيهَا بِوَجْهٍ جَمِيلٍ، بِأَصَالَةِ رَأْيِهِ الأَصِيلِ، أَنَالَهُ اللهُ مَا يُؤَمِّلُهُ وَيَرْجُوهُ، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ[1].

اصْطَفَّ بِنَادِيهِ التَّرَفُ وَالْحُبُورُ، وَهَبَّتْ بِسُعُودِهِ الصَّبَا وَالدَّبُورُ[2]، وَشَعَرَتْ بِرِفْعَةِ مَكَانَتِهِ الشِّعْرَى وَالْعَبُورُ[3]، وَتَحَلَّتْ مَجَالِسُهُ بِالْفَضَائِلِ وَالْأَفَاضِلِ كَمَا حُلِّيَتْ بِالذَّهَبِ النُّحُورُ، وَلَفِظَتْ شَفَتَاهُ دُرَرَ الْقَوْلِ كَمَا لَفِظَتِ الدُّرَّ الْبُحُورُ، وَبَلَغَ مِنَ الشَّرَفِ حَيْثُ تَبْلُغُ الْبُدُورُ، وَوَقَفَتْ بِبَابِهِ الْأَمَاجِدُ وَالصُّدُورُ، تَلْتَهِبُ وُجُوهُهُمْ كَأَنَّهَا قِطَعُ الشُّذُورِ، فَأَوْرَدَهُمْ أَنْهَارَ الْمَبَرَّةِ، وَحِيَاضَ الْمَسَرَّةِ، فَحَمِدُوا الْوُرُودَ وَالصُّدُورَ، وَأَيِسَ الْمُعَانِدُ مِنْ إِدْرَاكِهِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ[4].

فَإِذَا حَلَّ بِالْإِيوَانِ السَّعِيدِ، وَامْتَلَأَ مِنْهُ ذَلِكَ الصَّعِيدُ، بِالْأَحْرَارِ وَالْعَبِيدِ، حَدَّقَتْ إِلَيْهِ الْحُدَّاقُ بِأَبْصَارِهَا، وَحَفَّتْ بِهِ الْأَعْيَانُ لِقَضَاءِ أَوْطَارِهَا، فَيَقْضِي مَا قَضَى اللهُ مِنْ مَقَاصِدِهِمْ، وَيُنَفِّذُ مَا تَيَسَّرَ مِنْ مُرَادِهِمْ، ثُمَّ يَتَفَاوَضُ مَعَ السُّلْطَانِ

---

1) وظف الكاتب الآية 106 من سورة آل عمران لإتمام فواصل سجعه.

2) الدَّبور: بالفتح، الريح التي تقابل الصبا والقبول، وتهب من نحو المغرب ومن دبر الكعبة. اللسان: دبر.

3) الشعرى والعبور، وهما شعريان، أحدهما الغميصاء، وهو أحد كوكبي الذراعين، وأما العبور فهي مع الجوزاء تكون نيرة، سميت عبورا لأنها عبرت المجرة، وتزعم العرب أن الأخرى بكت على إثرها حتى غمضت، فسميت الغميصاء. اللسان: شعر.

4) وظف الكاتب الآية 13 من سورة الممتحنة لإتمام فواصل سجعه.

فِيمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَسْرَارِ، وَمَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ يَتَهَادَى، وَقَدْ بَوَّأَهُ اللهُ مِنَ الْـعِزِّ مِهَادًا.

احْتَفَتْ بِهِ الْأَجْنَادُ، وَمَشَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَنْصَارُ وَالْأَنْجَادُ، وَالْأَفَاضِلُ وَالْأَمْجَادُ. فَيَسْتَقِرُّ بِنَادِيهِ، وَالْأَلْطَافُ بِالتَّهْنِئَةِ تُجِيبُهُ وَتُنَادِيهِ، وَالسُّرُورُ يُرَاوِحُهُ وَيُغَادِيهِ، وَالْأَقْدَارُ بِنَيْلِ الْـمَقْدُورِ تَحْدُوهُ وَتُحَادِيهِ، وَالْأَيَّامُ تُدَارِيهِ وَتُهَادِيهِ، وَبِكُلِّ مَا تَمْلِكُ تَفْدِيهِ وَتُفَادِيهِ، وَالسَّعْدُ يَقْضِي بِسَعَادَتِهِ فِي عِزَّةِ تَمَادِيهِ. فَمَنْزِلُهُ مَنْهَلٌ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ، وَالْـبَادِي وَالْـحَاضِرِ، وَالْـمُقِيمِ وَالْـمُسَافِرِ، يَلْقَاهُمْ بِوَجْهِهِ السَّافِرِ، عَلَى رُغْمِ أَنْفِ الشَّيْطَانِ الْـكَافِرِ، وَيَغْشَاهُ جِلَّةُ الْأَشْرَافِ وَالْـعُلَمَاءِ، وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْـكُرَمَاءِ، وَالْـحُكَّامِ وَالْـحُكَمَاءِ، وَالنُّبَهَاءِ وَالنُّجَبَاءِ، وَالْأُدَبَاءِ وَالْـخُطَبَاءِ، فَيَصْدُرُونَ عَنْهُ بِنَيْلِ مَرْغُوبِهِمْ، وَإِنْجَازِ مَطْلُوبِهِمْ.

وَطَبْعُهُ مَجْبُولٌ عَلَى حُبِّ الشُّرَفَاءِ، وَالْأَخْيَارِ وَالظُّرَفَاءِ، تَدُورُ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ قَهْوَتِهِ، عِنْدَ قُعُودِهِ عَلَى عِزَّةِ صَهْوَتِهِ، وَتَقُومُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ خَوَاصُّ فِتْيَتِهِ، فَبِهَذَا وَصَلَ إِلَى غَايَةِ مُنْيَتِهِ، وَتَكَافَلَتْ أَسْبَابُ غُنْيَتِهِ، فَلَا يَتَّسِمُ بِعُجْبٍ وَلَا كِبْرٍ، وَلَا يَتَرَفَّعُ عَلَى جَلِيسِهِ وَلَوْ بِشِبْرٍ.

تَوَشَّحَ بِالصَّدْرِ الْـجَمِيلِ، وَتَأَدَّبَ بِأَدَبٍ يَرْضَاهُ كُثَيِّرٌ وَجَمِيل، وَتَخَلَّقَ بِالْـخُلُقِ الْـحَسَنِ، //الَّذِي هُوَ مُنْيَةُ السُّلْطَانِ مَوْلَانَا الْـحَسَنِ، وَتَعَمَّمَ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، يُزْرِي (21)
بِمُعَاطَاةِ الْـعُقَارِ[1]، وَلَفْظُهُ الصَّرِيحُ أَمْضَى مِنْ ذِي الْـفَقَارِ[2]، وَاتَّخَذَ التَّوَاضُعَ دَيْدَنَهُ، وَمَرْبَعَهُ وَمَسْكَنَهُ، وَآوَى إِلَيْهِ سَكَنَهُ، صَفَّى اللهُ مِنَ الْأَكْدَارِ سِرَّهُ وَعَلَنَهُ، وَحَيَّا حَلَّهُ وَظَعَنَهُ، وَنَهَجَ فِي جَانِبِ الْـجِدِّ سَنَنَهُ، وَأَحْيَى مِنْ مَوَاتِ الْإِنْصَافِ فَرْضَهُ وَسُنَنَهُ،

1) العُقار: الخمر، سميت بذلك لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدَّنَّ أي لازمته. اللسان: عقر.

2) ذو الفقار: اسم سيف النبي صلى الله عليه وسلم، سمي ذا الفقار لأنه كانت فيه حفر صغار حسان، والمفقَّر من السيوف الذي فيه حزوز مطمئنة عن متنه. اللسان: فقر.

وَخَلَعَ فِي مَحَبَّةِ الْأَشْرَافِ رَسَنَهُ[1]، وَهَجَرَ فِي جَانِبِ خِدْمَتِهِمْ وَسَنَهُ[2]، وَانْتَظَمَ فِي سِلْكِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ[3]، وَفَهِمَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: رَحِمَ اللهُ مَنْ صَنَعَ شَيْئاً فَأَتْقَنَهُ[4] وَتَبَوَّأَ الصِّدْقَ وَاسْتَوْطَنَهُ، وَهَامَ بِالْإِحْسَانِ وَاسْتَحْسَنَهُ، وَتَهَيَّأَ لِلسَّفَرِ الْبَعِيدِ بِشَهَادَةِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَاسْتَيْقَنَهُ. وَاسْتَوْهَبَ اللهَ غُفْرَانَ زَلَلِهِ، وَإِنْقَاذَهُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَوَجَلِهِ، فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ[5]، إِنَّهُ لَأُعْجُوبَةُ زَمَانِهِ، وَنَادِرَةُ أَوَانِهِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ، وَوَحِيدُ أَعْيَانِهِ، وَكِفَايَةُ السُّلْطَانِ فِي تَهْذِيبِ كُتَّابِ دِيوَانِهِ[6]، وَحِفْظِ سُلْطَانِهِ وَإِيوَانِهِ.

يَهِيمُ بِوَادِي حُبِّهِ الصَّاحِبُ وَالْحَبِيبُ، وَالْخَلِيلُ وَاللَّبِيبُ، فَإِذَا جَالَ فِي مَيْدَانِ صِدْقِهِ النَّجِيبُ، يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهِ الْعَجِيبِ. يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيُفِيضُ عَلَى كُلِّ مُسْتَمْطِرٍ نَوَالَهُ وَوَدْقَهُ، وَيُرْسِلُ عَلَى مُسْتَرْفِدِيهِ رَعْدَهُ وَبَرْقَهُ، حَتَّى يَعُمَّ أُفُقَهُ غَرْبَهُ وَشَرْقَهُ، وَيَسُوقُ نَجَائِبَ الْخَيْرَاتِ وَيُحْسِنُ سَوْقَهُ، وَيُنْشِئُ سَحَائِبَ الْحُبِّ وَيُثِيرُ غَرَامَهُ وَشَوْقَهُ، وَيَتَحَمَّلُ فِي اقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ الْمَشَقَّةَ، وَيَجْتَهِدُ فِي تَحْصِيلِهَا وَلَوْ بَعُدَتْ عَلَيْهِ الشُّقَّةُ، فَهُوَ نِعْمَ الرَّفِيقُ لِلرُّفْقَةِ، وَالْمُقِيمُ عَلَى عَهْدِ الْمَحَبَّةِ وَسَابِغِ الْمَوَدَّةِ فِي الِاجْتِمَاعِ وَالْفُرْقَةِ.

---

1) الرسن: ما كان من الأزمة على الأنف والجمع أرسان وأرسنٌ. اللسان: رسن.

2) الوسن: أول النوم. اللسان: وسن.

3) وظف الكاتب الآية 18 من سورة الزمر لإتمام فواصل سجعه.

4) «رحم الله من عمل عملا وأتقنه»، قال النجم: لا يعرف بهذا اللفظ لكن عند أبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها: «أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه». كشف الخفاء: 1/ 513.

5) وظف الكاتب الآيات 16 – 17 – 18 من سورة الانشقاق لإتمام فواصل سجعه.

6) قال صاحب الإعلام في ترجمة موسى بن أحمد ووصف حاله مع كتاب الديوان: «وكُتَّابُ ديوانه غالبهم أهل علم وأدب، وهم زهاء الثلاثين، وينفق على الجميع، وينزلهم بإزائه، ويباسطهم مع حفظ المقام، ولا يواجههم بمكروه.» الإعلام للمراكشي: 7/ 307.

تَتَشَوَّقُ الْعُيُونُ لِرُؤْيَتِهِ، وَتُبْهِرُ لِظُهُورِ طَلْعَتِهِ، لَا تُمَلُّ مُنَادَمَتُهُ، وَلَا تُسْأَمُ مُكَالَمَتُهُ، وَلَا تُسْتَثْقَلُ مُؤَانَسَتُهُ، وَلَا تُهْمَلُ مُذَاكَرَتُهُ، وَلَا تُذَمُّ مُحَاضَرَتُهُ، وَلَا تُحْمَدُ مُكَابَرَتُهُ، وَلَا تَخْفَى بَشَاشَتُهُ وَمُبَاشَرَتُهُ، وَلَا تُرْضَى مُهَاجَرَتُهُ، وَلَا يُخْطِأُ تَوَسُّمُهُ وَإِشَارَتُهُ، وَلَا تُعَرِّجُ بِلَحْنٍ عِبَارَتُهُ، وَلَا تُلِمُّ بِوِزْرٍ وِزَارَتُهُ، وَلَا تُنْتَقَدُ مُخَاطَبَتُهُ، وَلَا تُتَعَقَّبُ مُنَاظَرَتُهُ، وَلَا تُنْكَرُ مُعَاقَرَتُهُ، وَلَا تَضُرُّ مُجَاوَرَتُهُ، وَلَا تَنْجَحُ مُحَاوَرَتُهُ، وَلَا تُنْتِجُ ظَفَراً مُسَاوَرَتُهُ[1]، وَلَا تَعْدِمُ نُجْحاً مُشَاوَرَتُهُ، وَلَا تُجْدِي نَفْعاً مُفَاخَرَتُهُ، وَلَا تُبْقِي غِلاًّ مُسَامَرَتُهُ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْ صَوَابٍ مُصَادَرَتُهُ، وَلَا تَتَّجِهُ بِالْجَمِيلِ مُوَاجَهَتُهُ، وَلَا تُكَيَّفُ بِكَيْفٍ كِفَايَتُهُ، وَلَا تَنْبَغِي إِلاَّ بِالتَّقْبِيلِ مُقَابَلَتُهُ، وَلَا تَحْصُلُ عَلَى طَائِلٍ مُجَادَلَتُهُ، وَلَا تَتَأَتَّى مُخَاتَلَتُهُ[2]، وَلَا تَرْجِعُ بِنَفْعٍ مُرَاجَعَتُهُ، وَلَا تَقْطَعُ نِزَاعاً مُنَازَعَتُهُ أَوْ مُقَارَعَتُهُ، وَلَا تَدْفَعُ ضَيْماً مُدَافَعَتُهُ، وَلَا تُعْقِبُ إِلاَّ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ مُصَانَعَتُهُ، وَلَا تَصْحَبُ إِلاَّ بِالْبِرِّ مُصَاحَبَتُهُ، وَلَا تَنْهَلُّ إِلاَّ بِالْقُرْبِ مُقَارَبَتُهُ، وَلَا تُسْتَنْكَفُ مُخَاطَبَتُهُ، وَلَا تَنْفَصِلُ إِلَّا عَنْ رِفْقٍ مُرَافَقَتُهُ، وَلَا تَدُورُ إِلاَّ عَلَى الْوِفَاقِ مُوَافَقَتُهُ، وَلَا تَحِيدُ عَنْ مَطْلَعِ التَّحْقِيقِ مُطَالَعَتُهُ، وَلَا تُدْرَكُ بِتَدْبِيرٍ غَايَتُهُ، وَلَا تُعْرَفُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ بِدَايَتُهُ أَوْ نِهَايَتُهُ، وَلَا تُرْوَى إِلاَّ عَنْ تَصْحِيحٍ رِوَايَتُهُ، وَلَا تُوجَدُ عِنْدَ أَحَدٍ كِفَايَتُهُ، وَلَا تَقِفُ عَلَى حَدٍّ دِرَايَتُهُ، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالٍ مُوجِبٍ مُجَاوَبَتُهُ، وَلَا تُوصَفُ إِلاَّ بِالصَّفْحِ مُصَافَحَتُهُ، وَلَا تَعْدِمُ السَّمَاحَ مُسَامَحَتُهُ، وَلَا تَخُوضُ إِلاَّ فِي الصَّلَاحِ مُصَالَحَتُهُ، وَلَا تَعُودُ إِلاَّ بِالسَّبْقِ مُسَابَقَتُهُ، وَلَا تَهَابُ صَارِماً صَرَامَتُهُ، وَلَا تَخْفَى عَلَى شَهْمٍ شَهَامَتُهُ، وَلَا تَخْلُو عَنْ كَرَمٍ كَرَامَتُهُ، وَلَا تُخْطِئُ الْغَرَضَ رِمَايَتُهُ، وَلَا تَسْمُو إِلاَّ عَنْ عِزٍّ عِنَايَتُهُ، وَلَا تَتَوَقَّفُ عَلَى حَامٍ حِمَايَتُهُ، وَلَا تَكُونُ إِلاَّ بِاللهِ وِقَايَتُهُ، وَلَا تَحْمِلُ الضَّيْمَ إِبَايَتُهُ، وَلَا تُحْكَى إِلاَّ بِجِدٍّ حِكَايَتُهُ، وَلَا تُرْفَعُ إِلاَّ لِمَجْدٍ مُجَادَتُهُ،

1) ساوره مساورة وسوارا واثبه وغالبه. اللسان: سور.

2) المخاتلة: مشي الصياد قليلا قليلا في خفية لئلا يسمع الصيد حِسَّهُ، ثم جُعل مثلا لكل شيء وُرِيَ بغيره وستر على صاحبه. اللسان: ختل.

وَلَا تَحُلُّ إِلاَّ فِي السُّعُودِ سَعَادَتُهُ، وَلَا تَهِيمُ إِلاَّ بِالسُّؤْدَدِ سِيَادَتُهُ، وَلَا تَحْتَاجُ لِتَنْجِيمِ نَجَامَتُهُ، وَلَا تُنْمَى إِلَى زَعِيمٍ زَعَامَتُهُ، وَلَا تَنْفَكُّ عَنْ دِينٍ دِيَانَتُهُ، وَلَا تُنْعَتُ بِسُوءٍ بِطَانَتُهُ، وَلَا تَغِيبُ عَنْ فَطِينٍ فَطَانَتُهُ، وَلَا تَتَحَوَّلُ عَنِ // 22 الْـعَلْيَا مَكَانَتُهُ، وَلَا تُخْفَرُ[1] ذِمَّتُهُ وَضَمَانَتُهُ، وَلَا تَخْتَلُّ عَلَى مَرِّ الْآمَادِ أَمَانَتُهُ، وَلَا يَخُونُ مَنْ خَانَ وَلَوْ ثَبَتَتْ خِيَانَتُهُ، وَلَا تَخْفَى عَلَى نَجِيبٍ نَجَابَتُهُ، وَلَا تَسْتَقِرُّ إِلاَّ فِي صَوْنٍ صِيَانَتُهُ، وَلَا تَحُومُ عَلَى خَيْرٍ خِيَارَتُهُ، وَلَا تُزَفُّ بِزُورٍ زِيَارَتُهُ، وَلَا تُمَازُ عَنْ صُبْحٍ صَبَاحَتُهُ، وَلَا تُلْفَى فِي طَوْدٍ رَجَاحَتُهُ، وَلَا فِي عَقْلٍ رَزَانَتُهُ، وَلَا تَرْضَى إِلاَّ بِالْـكِرَامِ رِيَاضَتُهُ، وَلَا يَطُوفُ إِلاَّ بِالْـعَفَافِ زَجْرُهُ وَعِيَافَتُهُ، وَلَا تُبَشِّرُ إِلاَّ بِالْأَضْيَافِ ضِيَافَتُهُ، وَلَا تَهْتِفُ إِلاَّ بِالرَّأْفِ رَأْفَتُهُ، وَلَا تَدِينُ إِلاَّ بِالصِّدْقِ صَدَاقَتُهُ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ صَوَابٍ فِرَاسَتُهُ، وَلَا تُزَحْزِحُهُ عَنِ الْـحَقِّ رِيَاسَتُهُ، وَلَا تُوجَدُ عِنْدَ سَائِسٍ سِيَاسَتُهُ، وَلَا تُرَدُّ بِوَجْهٍ شَفَاعَتُهُ، وَلَا تَضْرَعُ إِلاَّ للهِ ضَرَاعَتُهُ، وَلَا تُلْتَمَسُ مِنْ فَصِيحٍ فَصَاحَتُهُ، وَلَا تُسْنَدُ عَنْ بَلِيغٍ بَلَاغَتُهُ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالٍ جَمَاعَتُهُ، وَلَا تَرِيمُ[2] عَنْ نِزَالٍ مُنَازَلَتُهُ، وَلَا تَنْفَصِلُ عَنْ غَزَلٍ مُغَازَلَتُهُ، وَلَا تَجُولُ إِلاَّ فِي مَيَادِينِ النِّضَالِ مُنَاضَلَتُهُ، وَلَا تَتَنَفَّسُ بِنَفَسٍ مُنَافَسَتُهُ، وَلَا تَنْقَاسُ بِقِيَاسٍ مُقَايَسَتُهُ، وَلَا تُعَافُ مُفَاكَهَتُهُ، وَلَا تَلْتَبِسُ نَبَاهَتُهُ، وَلَا تَحْتَجِبُ نَجَابَتُهُ، وَلَا تُرَامُ بِمِرَاسٍ مُمَارَسَتُهُ، وَلَا تُعْرَفُ لِكَيِّسٍ كِيَاسَتُهُ، وَلَا تُمْكِنُ لِـمُمَاثِلٍ مُمَاثَلَتُهُ، وَمَا تُسْتَطَاعُ لِمُسْتَطِيعٍ اسْتِطَاعَتُهُ، أَوْ مُشَاكِلٍ مُشَاكَلَتُهُ، أَوْ مُعَادِلٍ مُعَادَلَتُهُ، أَوْ مُفَاضِلٍ مُفَاضَلَتُهُ، أَوْ مُجَامِلٍ مُجَامَلَتُهُ، أَوْ مُعَامِلٍ مُعَامَلَتُهُ، أَوْ مُوَاصِلٍ مُوَاصَلَتُهُ، أَوْ مُحَاوِلٍ مُحَاوَلَتُهُ، أَوْ مُنَاوِلٍ مُنَاوَلَتُهُ، أَوْ مُطَاوِلٍ مُطَاوَلَتُهُ، أَوْ مُقَاوِلٍ مُقَاوَلَتُهُ، أَوْ مُزَاوِلٍ مُزَاوَلَتُهُ، أَوْ مُكَاثِرٍ مُكَاثَرَتُهُ، أَوْ مُفَاخِرٍ مُفَاخَرَتُهُ، أَوْ مُسَاوِرٍ مُسَاوَرَتُهُ، أَوْ مُشَاوِرٍ مُشَاوَرَتُهُ، أَوْ مُصَاهِرٍ مُصَاهَرَتُهُ، أَوْ مُسَايِرٍ مُسَايَرَتُهُ، أَوْ مُقَاوِمٍ مُقَاوَمَتُهُ، أَوْ

---

1) أخفر الذمة لم يف بها. اللسان: خفر.

2) رام يريم ريما إذا برح. اللسان: ريم.

مُسَاوِقٍ مُسَاوَقَتُهُ، أَوْ مُشَارِفٍ مُشَارَفَتُهُ، أَوْ مُضَارِبٍ مُضَارَبَتُهُ، أَوْ مُوَادِعٍ مُوَادَعَتُهُ، أَوْ مُطَابِقٍ مُطَابَقَتُهُ، أَوْ مُؤَانِسٍ مُؤَانَسَتُهُ، أَوْ مُصَادِمٍ مُصَادَمَتُهُ، أَوْ مُهَادِنٍ مُهَادَنَتُهُ، أَوْ مُقَارِنٍ مُقَارَنَتُهُ، أَوْ مُطَالِبٍ مُطَالَبَتُهُ، أَوْ مُنَاصِبٍ مُنَاصَبَتُهُ، أَوْ مُدَاعِبٍ مُدَاعَبَتُهُ، أَوْ مُرَاقِبٍ مُرَاقَبَتُهُ، أَوْ مُحَاسِبٍ مُحَاسَبَتُهُ، أَوْ مُنَاسِبٍ مُنَاسَبَتُهُ، أَوْ مُرَابِحٍ مُرَابَحَتُهُ، أَوْ مُفَاتِحٍ مُفَاتَحَتُهُ، أَوْ مُنَاصِحٍ مُنَاصَحَتُهُ، أَوْ مُطَاوِحٍ مُطَاوَحَتُهُ، أَوْ مُطَارِحٍ مُطَارَحَتُهُ، أَوْ مُبَادِرٍ مُبَادَرَتُهُ، أَوْ مُنَافِرٍ مُنَافَرَتُهُ، أَوْ مُظَاهِرٍ مُظَاهَرَتُهُ، أَوْ مُنَاجِزٍ مُنَاجَزَتُهُ، أَوْ مُنَاضِلٍ مُنَاضَلَتُهُ، أَوْ مُصَادِفٍ مُصَادَفَتُهُ، أَوْ مُلَاطِفٍ مُلَاطَفَتُهُ، أَوْ مُرَافِقٍ مُرَافَقَتُهُ، أَوْ مُرَاوِغٍ مُرَاوَغَتُهُ، أَوْ مُكَارِمٍ مُكَارَمَتُهُ، أَوْ مُنَاطِحٍ مُنَاطَحَتُهُ، أَوْ مُرَاوِدٍ مُرَاوَدَتُهُ، أَوْ مُبَاكِرٍ مُبَاكَرَتُهُ، أَوْ مُبَاسِطٍ مُبَاسَطَتُهُ، أَوْ مُفَاوِضٍ مُفَاوَضَتُهُ، أَوْ مُعَاتِبٍ مُعَاتَبَتُهُ، أَوْ مُشَابِهٍ مُشَابَهَتُهُ، أَوْ مُشَافِهٍ مُشَافَهَتُهُ، أَوْ مُجَانِسٍ مُجَانَسَتُهُ، أَوْ مُغَارِسٍ مُغَارَسَتُهُ، أَوْ مُسَارِعٍ مُسَارَعَتُهُ، أَوْ مُصَابِرٍ مُصَابَرَتُهُ، أَوْ مُعَاوِنٍ مُعَاوَنَتُهُ، أَوْ مُسَاكِنٍ مُسَاكَنَتُهُ، أَوْ مُحَاسِنٍ مُحَاسَنَتُهُ، أَوْ مُعَايِنٍ مُعَايَنَتُهُ، أَوْ مُحَابٍ مُحَابَاتُهُ، أَوْ مُوَاتٍ مُوَاتَاتُهُ، أَوْ مُحَاجٍّ مُحَاجَّاتُهُ، أَوْ مُحَاجٍ مُحَاجَاتُهُ، أَوْ مُحَادٍ مُحَادَاتُهُ، أَوْ مُنَادٍ مُنَادَاتُهُ، أَوْ مُهَادٍ مُهَادَاتُهُ، أَوْ مُبَارٍ مُبَارَاتُهُ، أَوْ مُجَارٍ مُجَارَاتُهُ، أَوْ مُدَارٍ مُدَارَاتُهُ، أَوْ مُجَازٍ مُجَازَاتُهُ، أَوْ مُعْطٍ مُعَاطَاتُهُ، أَوْ مُوَالٍ مُوَالَاتُهُ، أَوْ مُرَامٍ مُرَامَاتُهُ، أَوْ مُدَانٍ مُدَانَاتُهُ، أَوْ مُرَاعٍ مُرَاعَاتُهُ، أَوْ مُصَافٍ مُصَافَاتُهُ، أَوْ مُبَاهٍ مُبَاهَاتُهُ، أَوْ مُدَاوٍ مُدَاوَاتُهُ، أَوْ مُسَاوٍ مُسَاوَاتُهُ، أَوْ مُغَالٍ مُغَالَاتُهُ، أَوْ مُوَازٍ مُوَازَاتُهُ، أَوْ مُوَافٍ مُوَافَاتُهُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنَاقِبُهُ لَا تُحْصَى، وَفَضَائِلُهُ لَا تُسْتَقْصَى، بَلْ تَجِلُّ عَنِ الْعَدِّ وَالْإِحْصَا، بَلَّ اللهُ صَدَاهُ[1]، وَأَجَابَ صَدَاهُ[2]، وَلَبَّى نِدَاهُ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ نَدَاهُ، وَبَصَّرَهُ

1) الصدى: شدة العطش. اللسان: صدي.

2) الصدى: ما يجيبك من صوت الجبل أو نحوه بمثل صوتك. اللسان: صدي.

هُدَاهُ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمَ يَنْظُرُ الْـمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ[1]. وَمَا زَالَ يَخُوضُ مِنَ الْـوِزَارَةِ بُحُورَهَا، وَيُقَلِّدُ نُحُورَهَا، وَيَقْتَنِصُ حُورَهَا، حَتَّى أَتَاهُ حِمَامُهُ، وَغَرَّدَ بِمَوْتِهِ حَمَامُهُ، وَخَسَفَ //بَدْرُهُ بَعْدَمَا تَمَّ تَمَامُهُ، وَحَصَلَ مُرَامُهُ، فَأَسِفَتْ لِفَقْدِهِ الْـقُلُوبُ، وَجَلَّتْ (23)
لِمَوْتِهِ الْـخُطُوبُ، وَجَرَّتْ أَذْيَالَهَا بِرُسُومِهِ الصَّبَا وَالْـجَنُوبُ، فَحُشِرَ مَعَ مَخْدُومِهِ الْـمُقَدَّسِ، بِذَلِكَ الضَّرِيحِ الْـمُؤَنَّسِ، وَحَضَرَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ جَنَازَتَهُ، وَوَارَى نَجْدَتَهُ وَمَجَادَتَهُ، وَزَوَّدَهُ دُعَاءَهُ، وَأَتْحَفَهُ رِضَاهُ جَزَاءً لِوَفَائِهِ فِي حَمْلِ لِوَائِهِ.

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى ذَا الْـوِزَارَتَيْنِ، لِإِنْجَادِهِ الْـمُلْكَ مَرَّتَيْنِ، وَشُقَّتْ لِمُصِيبَتِهِ الْـجُيُوبُ، وَأَمَّا حَالُهُ فَمِمَّا انْفَرَدَ بِهِ عَلَّامُ الْـغُيُوبِ، وَالْأَلْسِنَةُ الْآنَ هَامِيَةٌ بِشُكْرِهِ، لَاهِجَةٌ بِذِكْرِهِ، وَلَمْ تَعْدِمْ أَنْجَالُهُ بَعْدَهُ بَرَكَةً، فِي سُكُونٍ أَوْ حَرَكَةٍ، رَحِمَهُ اللهُ. وَهَذَا أَوَّلُ مَا خَاطَبْتُهُ بِهِ مِنَ الشِّعْرِ: [مخلع البسيط]

بُشْرَاكَ يَـا ذَا الْـوِزَارَتَيْـنِ ... وَمُنْـجِـدَ الْـمُـلْـكِ مَـرَّتَـيْـنِ[2]

وَمَنْ سَمَا قَدْرُهُ الثُّرَيَّـا ... وَذِكْـرُهُ عَـمَّ الْـمَـغْـرِبَـيْـنِ[3]

يَا تُحْفَةَ الْـعَصْرِ يَا مُحَلَّـى ... بِحِلْيَةِ الْـفَضْلِ دُونَ مَـيْـنِ[4]

مَعْدِنُكَ الْـجَوْهَرِيُّ أَصْفَـى ... مِـنْ مَـعْـدِنِ الـتِّـبْرِ وَالـلُّـجَـيْـنِ[5]

لَا زِلْتَ تَعْلُـو عَلَى الْـبَرَايَـا ... وَلِـثِـمَارِ الـسُّرُورِ تَجْـنِـي[6]

---

1) وظف المؤلف الآية 40 من سورة النبأ ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ لإقامة فاصلة سجعه.

2) القصيدة في ديوان شعره 58 مع اختلاف في ترتيب الأبيات وزيادة ونقصان. وقد استعمل ابن داني بعض في بعض أبيات هذه مفعولن عوض فاعلن، سالك مسلك الشاعر القائل:
فَسِرْ بِوُدٍّ أَوْ سِرْ بِكُرْهٍ ... مَا سَارَتِ الذُّلُلُ السِّرَاع
في ديوان شعره: أصبحت يا ذا الوزارتين ... تؤازر الملك مرتيـــن.

3) في ديوان شعره: وفضلكم حل المشرقيـن ... وذكركم عم المغربيـــن.

4) في ديوان شعره: يا أحمد السعد.

5) اللجين: الفضة. اللسان: لجن.

6) في ديوان شعره: لا زلت تسمو سما المعالي. وفي قافية هذا البيت سناد واضح.

حَتَّى تُرَى فِي الْعُلَا نَزِيلاً　　مَنْزِلَةَ النَّطْحِ وَالْبُطَيْنِ
مُنَاوِلاً هَامَةَ الثُّرَيَّا　　مُبَاهِياً حُسْنَ النَّيِّرَيْنِ
بِحُرْمَةِ الْمُصْطَفَى الْمُصَفَّى　　وَالْحَسَنِ السِّبْطِ وَالْحُسَيْنِ
فَأَنْتَ بَدْرُ الْهُدَى الْمُجَلَّى　　تَطْلُعُ بِالسَّعْدِ وَالتَّهَنِّي [7]
وَلَمْ تَخِبْ قِدْحُكَ الْمُعَلَّى　　خُذِ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ عَنِّي
وَافَتْكَ حَوْرَاءُ مِنْ قَرِيضٍ　　تَرْفُلُ فِي بَهْجَةٍ وَحُسْنِ
تَوَشَّحَتْ نَحْوَ سِيبَوَيْهٍ　　وَيَرْتَضِي سَبْكَهَا ابْنُ جِنِّي
وَأَحْرَزَتْ غَايَةَ الأَغَانِي　　فَأَصْبَحَتْ بُغْيَةَ الْمُغَنِّي [8]
أَنْشَأَهَا مُنْشِئٌ لَبِيبٌ　　يُقَرِّضُ الشِّعْرَ كُلَّ أَيْنِ [9]
نَهَجَ فِي حُبِّكُمْ سَبِيلاً　　وَمَنْهَجُ الْحُبِّ غَيْرُ هَيْنِ
يَسْأَلُ مِنْ دَهْرِهِ الْتِفَاتًا　　وَيَقْطَعُ الْعُمْرَ بِالتَّمَنِّي
فَإِنْ تَلُحْ شَمْسُهُ بِأُفْقٍ　　تَغْرُبُ فِي غُرْبَةٍ وَبَيْنِ [10]
إِنِّي أَسِيرُ الْهَوَى فَخُذْنِي　　وَبِزِمَامِ الْحَيَا فَقُدْنِي [11]
وَإِنَّنِي بِالْهَوَى خَبِيرٌ　　فَإِنْ تُرِدْ شَرْحَهُ فَسَلْنِي [12]
يَعْذِرُنِي مَنْ هَوَاهُ عُذْرِي　　إِنِّي جَمِيلٌ فَلَا تَلُمْنِي

7) في ديوان شعره: بالبشر والتهني.
8) في ديوان شعره: قد احرزت غاية الأماني.
9) في ديوان شعره: كيس لبيب.
10) في ديوان شعره: فإن جلت شمسه.
11) في ديوان شعره: فسقني وبزمام الرضا.
12) في ديوان شعره: لأنني بالهوى.

لاَ تُولِنِي الْـهَجْـرَ فِي هَوَاكُـــم	وَمِــنْ عَــذَابِ الْــغَـرَامِ زِدْنِي

يَا رَافِعَ الْـمَجْدِ وَالْـمَـــزَايَا	إِنِّي مَـرِيـضُ الْــهَـوَى فَـعُـدْنِي

وَاحْمِلْ عَلَيَّ الْـهَوَى جَمِيعــا	وَفِي لَـظَـى نَــارِهِ فَــذَرْنِي

إِنِّيَ صَالٍ بِنَــارِ شَــوْقٍ	بِـحُـرْمَـةِ الْــوُدِّ لَا تَشُقْنِي[1]

إِذْ حُبُّكُمْ فِي الْـحَشَــى مُقِيـمٌ	صَرِّحْ بِمَحْضِ الْـهَوَى وَكَنِّي

دَامَتْ عُلَاكُمْ فَــدُمْ عَلِيًّا	يَـا مُوسَى يَـا ذَا الْــوِزَارَتَـيْنِ.[2]

وَقَالَ أَيْضا يَمْدَحُهُ سَامَحَهُ اللهُ: [الوافر]

عَدَاكَ الْـوِزْرُ يَا مُوسَى الْـوَزِيـــرُ	وَحَـفَّ بِرَبْعِكَ الْـبِرُّ الْغَزِيرُ[3]

وَحَنَّ لِفَضْلِكَ الْـفَضْلُ الْـمُحَـلَّى	وَلَـيْـسَ لِـمَا تُحَـاوِلُــهُ نَـظِيرُ

وَفَازَ بِفَوْزِكَ الْـقِدْحُ الْـمُعَـــلَّى	وَخَـرَّ لِمَجْـدِكَ الـطَّـوْدُ الْكَبِيرُ

وَزَارَتْكَ الْـمَسَرَّةُ كُلَّ حِيـــنٍ	يَـوَدُّ قِوَامَهَا الْـغُصْنُ النَّضِيرُ

وَطَلْعَتُكَ السَّنِيَّةُ لَا تُضَاهَــى	يَـوَدُّ سَنَاءَهَا الْـقَمَرُ الْـمُنِيرُ

وَهِمَّتُكَ السَّمِيَّةُ لَا تُسَامَــى	يَخِرُّ لِقَدْرِهَا الْـعَلَمُ الشَّهِيـرُ// (24)

يَفُوقُ صَفَاؤُكَ الْـعَسَلَ الْـمُصَفَّـى	وَيَـشْـكُـرُ فِعْلَكَ اللهُ الشَّكُورُ

وَشِيمَتُكَ الزَّكِيَّةُ لَا تُبَــارَى	يَـوَدُّ ذَكَـاءَهَـا الْأَقْـوَى الْـعَبِيرُ

وَمَعْدِنُ دُرِّكَ الْأَصْفَى تَبَاهَــى	يَــوَدُّ بَهَــاءَهُ الــدُّرُّ الـنَّـثِيرُ

بَلَى وَجَوَادُ عَزْمِكَ لَا يُـجَـارَى	وَلَا يَقْوَى لَـهُ الظَّبْيُ الْـغَرِيرُ

---

1) في ديوان شعره: صليت في الحب نار شوقي.

2) سقط هذا البيت من ديوان شعره.

3) القصيدة في ديوان شعره: 89.

وَمَنْزِلُ سَعْدِكَ الْأَسْمَى تَسَامَى ... عَلَى الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرُ
فَلَا زَالَتْ سِيَادَتُكُمْ تُحَيَّى ... وَيُسْمِي قَدْرَهَا اللهُ الْقَدِيرُ
وَلَا بَرِحَتْ إِبَايَتُكُمْ تُحَفَّى ... بِلِينٍ يَسْتَلِينُ لَهُ الْحَرِيرُ
وَلَا انْفَكَّتْ سَمَاحَتُكُمْ تَمَادَى ... يَوَدُّ سَمَاحَهَا الْغَيْثُ الْكَثِيرُ
وَدُرُّ كَلَامِكَ الْمَقْبُولُ عَذْبًا ... يَوَدُّ نَظِيرَهُ الْعَذْبُ النَّمِيرُ[1]
تَمِيسُ بِمُلْكِ سَيِّدِنَا الْمُحَفَّى ... بِنَصْرِ اللهُ وَاللهُ النَّصِيرُ
تَوَشَّحْنَا سَلَامَتَهُ وَشِدْنَا ... إِفَاقَتَهُ وَحَيَّانَا السُّرُورُ
وَقُلْنَا الشِّعْرَ ثُمَّ لَقَدْ بَعَثْنَا ... إِلَيْهِ لَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ[2]
وَنَوَّعْنَا الْمَدَائِحَ فِي شِفَاهُ ... وَذَا فِي حَقِّ مَوْلَانَا يَسِيرُ[3]
أَدَامَ اللهُ رَاحَتَهُ وَدَامَتْ ... مَكَانَتُهُ وَدَامَ لَهُ السَّرِيرُ
أَتَتْكَ خَرِيدَةٌ مِنْ دُرِّ شِعْرٍ ... يَهِيمُ بِهَا الْفَرَزْدَقُ بَلْ جَرِيرُ[4]
وَيَرْضَاهَا نُصَيْبٌ بَلْ جَمِيلٌ ... وَمِهْيَارٌ وَبَشَّارُ الضَّرِيرُ[5]

1) في ديوان شعره: المنظوم عذبا يود نظيرها.

2) كذا في ديوان شعره والشطر الثاني من البيت مكسور، فيه اقتباس من قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾.

3) في ديوان شعره: في جنب مولانا.

4) في ديوان شعره: يهيم به.

5) قول الشاعر: وَمِهْيَارٌ وَبَشَّارُ أوقعه في ضرورتين، الأولى تنوين راء مهيار وحقها عدم التنوين لأنها ممنوعة من الصرف بسبب العلمية والعجمة، والثاني عدم تنوين بشار، وحقها التنوين لأنها غير ممنوعة من الصرف، ولعل ما ألجأ الشاعر إلى هذه الضرورة هو حرصه على ربط الموصوف بصفته أي بشار بالضرير، وكان يغنيه عن تجشم مثل هذا المرتقى قوله: وبشارٌ ومهيارُ الشَّهيرُ.

— مهيار بن مرزويه الديلمي أبو الحسن شاعر كبير، في معانيه ابتكار، وفي أسلوبه قوة توفي سنة 428 هـ. تنظر ترجمته في: تاريخ بغداد: 13 / 276، وفيات الأعيان: 5 / 359، البداية والنهاية: 12 / 41، شذرات الذهب: 3 / 342.

كُمَاةُ الشِّعْرِ صَارُوا بِالْـمَنَـايَا بِبَطْنِ الْأَرْضِ مَا مِنْهُمْ خَبِيرُ
فَعَدِّ عَنِ التَّوَغُّلِ فِي سِوَاهُمْ عَدَاكَ الْوِزْرُ يَا مُوسَى الْوَزِيرُ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [الوافر]

يَوَدُّ الطَّوْدُ يَا طَوْدَ الْوِزَارَهْ وَقَارَكَ أَوْ تَكُونَ هُنَاكَ جَارَهْ[1]
عَمَرْتَ رُبُوعَهَا وَتَخِذْتَ فِيهَا مَقَامًا يَقْتَضِي حُبَّ الْعِمَارَهْ
وَأَحْرَزْتُمْ حَقِيقَتَهَا وَصَارَتْ لِغَيْرِكُمُ مَجَازًا وَاسْتِعَارَهْ[2]
وَزِدْتَ الْمُلْكَ إِجْلَالًا وَحُسْنًا رَعَاكَ اللهُ إِذْ تَرْعَى جِوَارَهْ
وَشِدْتَ فَخَارَهُ حَتَّى تَسَامَى سُمُوًّا لَا تُكَيِّفُهُ الْعِبَارَهْ
وَقُدْتَ جُمُوعَهُ وَطَلَعْتَ لَكِنْ طُلُوعَ الشَّمْسِ فِي جَوِّ الْإِمَارَهْ
وَرُضْتَ الصَّعْبَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَلَمْ تَحْفِلْ بِأُبَّهَةٍ وَشَارَهْ
وَحُزْتَ السَّعْدَ حَوْزاً مُسْتَمِرًّا وَلَكِنْ كَانَتِ الشِّعْرَى شِعَارَهْ
وَرُمْتَ الْمَجْدَ فِي أُفُقِ الْجَوَارِي وَجُبْتَ وَقَدْ ظَفِرْتَ بِهِ قِفَارَهْ
وَخُضْتَ بِحَارَهُ وَسَبَحْتَ فِيهَا وَفِي حَيِّ الْعُلَا آنَسْتَ نَارَهْ[3]
يَدُورُ الْمُلْكُ مَقْصُوراً عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ قُطْبُهُ أَعْنِي مَدَارَهْ

---

1) القصيدة في ديوان شعره: 90.

2) في ديوان شعره: فصارت.

3) في ديوان شعره: جو العلا، وفي البيت اقتباس من الآية 10 من سورة طه: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ...﴾

وَأَصْبَحْتُمْ كَعَمْرٍو فِي سُلَيْمٍ   وَمِثْلَ حُذَيْفَةٍ بِبَنِي فَزَارَهْ[1]
وَحَيَّتْكَ الصُّدُورُ بِكُلِّ نَادٍ   عَظِيمٍ تَسْتَحِقُّ بِهِ الصَّدَارَهْ
إِذَا مَا لُحْتَ بِالْإِيوَانِ قَامَتْ   أَكَابِرُهُ تَخُصُّكَ بِالْإِشَارَهْ
وَقَاكَ اللهُ يَا مُوسَى لِتَبْقَى   تَسُوسُ الْمُلْكَ أَوْ تَحْمِي ذِمَارَهْ
فَلَا يُحْصِي ثَنَاكَ الْعَدُّ حَتَّى   يَعُدَّ الرَّمْلَ مَنْ عَانَى بِحَارَهْ
وَلَا يَرْتَابُ فِي عَلْيَاكَ إِلَّا   سَلِيبُ الْعَقْلِ يَرْمِي بِالْحِجَارَهْ
فَلَا زَالَتْ مَآثِرُكُمْ تُحَلَّى   بِحَلْيِ الْفَضْلِ لَمْ تَعْدِمْ سِوَارَهْ[2]
وَلَا زَالَتْ مَجَامِعُكُمْ تُحَيَّى   بِحُسْنِ البِشْرِ مَا دَامَتْ بِشَارَهْ
فَخُذْهَا حُلَّةً مِنْ دُرِّ شِعْرٍ   سَنِيٍّ نَائِرٍ بَادِي الْإِنَارَهْ[3]
جَرَتْ فِي وَافِرِ الْبَحْرِ الْمُحَشَّى   بِدُرِّ النَّظْمِ لَمْ تُدْرِكْ قَرَارَهْ // (25)
تَزُورُ مَقَامَكُمْ غِبًّا وَتَرْوِي   حَدِيثاً مُوجِبًا غِبَّ الزِّيَارَهْ
فَلَا تَقْرَبْ غَبِيًّا مِنْ حِمَاهَا   يَجُرُّ عَلَى غَبَاوَتِهِ إِزَارَهْ[4]
يَصُولُ الْبَرْدُ أَنْ يَنْظِمْ قَرِيضًا   فَلَا يَدْرِي الْبُرُودَةَ وَالْحَرَارَهْ[5]

---

1) عمرو بن الحارث بن الشريد سيد سليم وأبو الشاعرة المشهورة الخنساء. وسليم قبيلة عظيمة من قيس غيلان والنسبة إليهم سلمي وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس غيلان وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر. الجمهرة: 1/ 261، ونهاية الأرب: 273.
– حذيفة بن بدر بن عمرو بن فزارة يقال له رب معد. وبنو فزارة بطن من ذبيان من قبيلة غطفان وهم من القحطانية. الجمهرة: 255، ونهاية الأرب: 359.

2) فلا زالت وزارتكم. في ديوان شعره

3) من حوك شعر. في ديوان شعره

4) في ديوان شعره: فلا تدني.

5) معنى الشطر الأول مضطرب.

تَوَلَّى حَوْكَهَا صَبٌّ لَبِيبٌ خَبِيرٌ يَحْمَدُ السَّبْرُ اخْتِبَارَهْ
يَهِيمُ بِوَادِ شَوْقِكُمُ وَيُعْنَى وَيَخْلَعُ فِي مَحَبَّتِكُمْ عِذَارَهْ
تَرَاهُ حَاضِراً فِي زِيٍّ بَادٍ وَقَدْ عَانَى الْبَدَاوَةَ وَالْحَضَارَهْ
غَرِيقٌ فِي الصَّبَابَةِ مُسْتَهَامٌ أَسِيرٌ فِي الْهَوَى فَافْكُكْ إِسَارَهْ
وَحِيدٌ فِي الْمَحَبَّةِ مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْحُبِّ الَّذِي يُعْلِي مَنَارَهْ
نَزِيلٌ فِي مَغَانِيهِ مُقِيمٌ أَسِيفٌ لَيْلُهُ يُزْجِي نَهَارَهْ
يَحِنُّ إِلَى مَعَالِمِهِ اشْتِيَاقاً وَيَبْكِي مِنْ تَوَاجُدِهِ دِيَارَهْ
أَدَامَ اللهُ سَعْدَكَ فِي صُعُودٍ مَعَ الْمَلِكِ الَّذِي أَسْمَى فَخَارَهْ
حَمَلْتَ الْمُلْكَ حَمْلاً مُسْتَقِلّاً كَمَا حُمِّلْتَ يَا مُوسَى الْوِزَارَهْ.

وَقَالَ يَرْثِيهِ وَيُعَزِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مُصِيبَتِهِ: [الطويل]

مَلِيكَ الْبَرَايَا عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكُمْ وَصَيَّرَ فِي نَشْرِ الْفَضَائِلِ عُمْرَكُمْ[1]
وَأَخْصَبَ مَرْعَاكُمْ وَأَنْجَحَ سَعْيَكُمْ وَأَسَّسَ مَبْنَاكُمْ وَأَبَّدَ نَصْرَكُمْ
وَأَحْسَنَ عُقْبَاكُمْ وَخَلَّدَ مُلْكَكُمْ وَجَمَّلَ دُنْيَاكُمْ وَأَسْعَدَ عَصْرَكُمْ
وَحَسَّنَ مَرْآكُمْ، وَشَيَّدَ فَخْرَكُمْ وَأَمَّنَ مَثْوَاكُمْ، وَأَيَّدَ أَمْرَكُمْ
وَمَدَّدَ مَحْيَاكُمْ، وَطَيَّبَ ذِكْرَكُمْ وَقَرَّبَ مَرْمَاكُمْ، وَصَوَّبَ رَأْيَكُمْ
وَجَلَّى سُعُودَكُمْ، وَوَالَى صُعُودَكُمْ وَعَمَّرَ عَلْيَاكُمْ، وَوَفَّى عُهُودَكُمْ
وَأَوْرَدَكُمْ بَحْرَ الْمَسَرَّةِ وَالْهَنَا وَنَظَّمَ فِي سِلْكِ الدَّرَارِي مَقَامَكُمْ[2]

1) القصيدة في ديوان شعره: 25.
2) كوكب دري: ثاقب مضيء والجمع دراري. اللسان. درر.

وَأَيَّدَ بِالنَّصْرِ الْـعَزِيزِ جُنُودَكُـــــمْ وَأَنْجَزَكُمْ مَرْغُوبَكُمْ وَمُرَادَكُمْ
وَأَرْضَاكُمْ فِي كُلِّ مَا تَسْأَلُونَـــــهُ وَخَوَّلَكُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِكُمْ
هَوَى مُغْرِبًا نَجْمُ الْـوِزَارَةِ وَاخْتَفَـى وَلَكِنَّهُ فِي رَوْضَـةٍ مِنْ رِيَاضِكُمْ
ثَوَى بِإِزَاءِ الْـمَالِكِ الشَّهْمِ وَاهْتَـدَى لِمَوْضِعِهِ إِذْ كَـانَ يَتْبَعُ هَدْيَكُمْ
لَقَدْ كَانَ سَعْدًا مِنْ كِبَارِ سُعُودِكُـــمْ وَقَدْ بَذَلَ الْـمَجْهُودَ فِي سَمْكِ مُلْكِكُمْ
لَئِنْ أَنْشَبَتْ فِيهِ الْـمَنِيَّةُ ظُفْرَهَـــــا فَقَدْ كَانَ حِينًا تَحْسِبُونَهُ ظُفْرَكُمْ[1]
وَإِنْ أَبْرَمَتْ أَحْكَامَهَا وَصُرُوفَهَـــا عَلَيْهِ فَقِدْمًا كَانَ يُـبْرِمُ حُكْمَكُمْ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِــــدٍ إِلَى نَسَبِ الْأَمْجَـادِ يُرْفَعُ مَجْدُكُمْ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْلُو عُلَاكَ وَيَرْتَقِــي سَمَاكَ لِأَنَّ اللهَ أَسْمَى فَخَارَكُمْ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُغْنِي غِنَاكَ وَيَبْتَنِـــي بِـنَـاكَ لِأَنَّ اللهَ أَعْـلَى بِـنَـاءَكُـمْ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطِي عَطَاكَ وَيَرْتَدِي نَـدَاكَ لِأَنَّ اللهَ أَرْضَى نِـدَاءَكُـمْ
وَإِنِّي وَإِنْ حَلَّيْتُكُمْ وَمَدَحْتُكُـــــمْ فَفِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ قَدْ جَاءَ مَدْحُكُمْ[2]
وَإِنْ كُنْتُ أَوْرَيْتُ الْـقَرِيحَةَ زَنْـدَهَا وَبَجَّلْتُكُمْ فَـاللهُ أَوْرَى زِنَادَكُمْ
وَإِنْ كُنْتُ وَشَّحْتُ الْـمَدِيحَ وَزِنْتُـهُ وَشَرَّفْـتُـهُ فَـاللهُ شَرَّفَ قَـدْرَكُـمْ
تَوَشَّحْ وِشَاحَ الْـحِلْمِ وَالصَّفْوِ وَالرِّضَى فَإِنَّ الرِّضَى مِنْ نَعْتِكُمْ وَصِفَاتِكُمْ[3]

---

1) في ديوان شعره: وإن نشبت فيه المنية ظفرها فقد كان. والبيت مقتبس من قول أبي ذؤيب الهذلي:
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع.

2) في ديوان شعره: التنزيل جاء مديحكم.

3) في ديوان شعره: والعفو والرضى.

أَلَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ وَالْـمَلِكُ الّــذِي   جَمِيعُ مُلُوكِ الْأَرْضِ دَانَتْ لِمُلْكِكُمْ
فَأَيُّ وَزِيرٍ صَادَهُ الْـمَوْتُ غِـــرَّةً   وَقَلَّتْ لَـهُ الْأَمْثَالُ فِي وُزَرَائِكُمْ
تَحَمَّلَ أَوْزَارَ الْـوِزَارَةِ بُرْهَـــــةً   وَأَسْلَمَهَا كَالزَّهْرِ غِبَّ الْـحَيَا لَكُمْ[1]
وَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ الثَّنَا وَشَكَرْتُكُـمْ   عَلَانِيَةً فَـاللهُ أَوْجَــبَ شُكْرَكُمْ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْـمُـؤْمِنِينَ عَقِيلَــــةٌ   مِنَ الشِّعْرِ زَارَتْ صَبَّةً بِمَزَارِكُمْ // (26)
لَقَدْ ضَلَّتِ السُّبْــلَ الْـجَلِيَّةَ وَاخْتَفَتْ   عَلَيْهَا جَمِيعًا فَاهْتَدَتْ بِمَنَارِكُمْ
تَحُومُ عَلَى مَعْنًى غَرِيـبٍ وَمَطْلَــبٍ   عَزِيزٍ فَسُبْحَانَ الَّذِي شَادَ عِزَّكُمْ
أَلَا يَا بَنِي بِنْتِ الرَّسُولِ بِبَابِكُـــمْ   وَصِيفٌ ضَعِيفٌ لَائِذٌ بِجَنَابِكُمْ
يَرُومُ لَدَيْكُمْ عَطْفَــــــةً وَمَبَرَّةً   وَيَرْغَبُ فِي الإِكْثَارِ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ
وَيَمْرَحُ فِي مَرْضَاتِكُمْ وَصِلَاتِكُـــمْ   وَيَرْفُلُ فِي إِحْسَانِكُمْ وَنَوَالِكُمْ[2]
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ طَيِّـــــبٌ وَتَحِيَّــــةٌ   تُصَافِحُكُمْ فِي حَلِّكُمْ وَارْتِحَالِكُمْ
وُصِفْتُمْ بِأَوْصَافٍ حِسَانٍ سَنِيَّــــةٍ   مُـنَـظَّـمَـةٍ كَـالـدُّرِّ للهِ دَرُّكُــمْ!
فَلَا زِلْتُمُ تَبْنُونَ كُــــلَّ مَزِيَّـــــةٍ   تُـسَرُّ بِهَـا آبَـاؤُكُـمْ وَجُـدُودُكُـمْ
وَلَا زَالَ لُطْفُ اللهِ فِي كُلِّ طَرْفَــــةٍ   يَطُوفُ وَيَسْعَى فِي رِحَابِ فِنَائِكُمْ[3]
تَفَجَّرَ يَنْبُوعُ الْـوُجُــــودِ بِمَكَّــــةٍ   وَمِنْهَا جَرَى فِي طَيْبَةٍ جَلَّ طِيبُكُمْ

---

1) في ديوان شعره: غب حياتكم.
2) في ديوان شعره: ويرغب في مرضاتكم وصلاتكم   ويرغب في الإكثار من حسناتكم.
3) في ديوان شعره: في كل لمحة.

وَفِي يَنْبُعٍ كَمْ مِنْ نُفُوسٍ زَكِيَّـــــةٍ تَزَكَّتْ بِهِ لَا شَيْءَ مِثْلُ زَكَائِكُمْ[1]
وَمَا زَالَ ذَاكَ الْـجَرْيُ بِالشَّرْقِ تَـارَةً وَبِالْـغَرْبِ أُخْرَى حَتَّى حَلَّ بِدَارِكُمْ
لَقَدْ بَذَلَ الْمَــجْهُودَ فِي جَرَيَانِـــهِ وَطَابَتْ بِهِ أُصُولُكُمْ وَفُرُوعُكُمْ
أَنَارَتْ بِهِ الْأَكْوَانُ قَاطِبَـــةً وَقَـدْ تَشَعْشَعَتِ الْأَنْوَارُ مِنْ أَصْلِ نُورِكُمْ.

* **وَمِنْهُمْ نَجْلُهُ الدُّرُّ الْـمَكْنُونُ، الْقَائِمُ بِالْـمَفْرُوضِ وَالْـمَسْنُونِ، وَالْـهَائِمُ بِالشِّعْرِ الْـمَلْحُونِ مِنْهُ وَالْـمَوْزُونِ، اَلْفَقِيهُ اَلْـحَاجِبُ الْأَمْجَدُ الْـمُمَجَّدُ سَيِّدِي أَحْمَـدُ**[2]، غُرَّةٌ وَاضِحَةٌ، وَتِجَـارَةٌ رَابِحَةٌ، وَدِيمَةُ فَضْلٍ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ، وَطِلْبَةٌ نَاجِحَةٌ، وَذُرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ، وَنَفْسٌ لِكُلِّ بِرٍّ طَامِحَةٌ، وَمَلَكَةٌ سَيَّالَةٌ، وَلِدَرْكِ مَا تُرِيدُ فَعَّالَةٌ، وَقَرِيحَةٌ وَقَّادَةٌ، وَفِكْرَةٌ نَقَّادَةٌ، وَلَهُ هِمَّةٌ سَامِيَةٌ، وَسَجِيَّةٌ هَامِيَةٌ.

جَلَسَ فِي مَرْتَبَةِ أَبِيهِ، الْـوَزِيرِ النَّبِيهِ، فَحَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ، وَتَنَظَّمَتْ أَعْلَاقُهُ، وَطَابَتْ أَعْرَاقُهُ، وَبَهَرَ إِشْرَاقُهُ، وَظَهَرَ فِيمَا يُحَاوِلُهُ مِصْدَاقُهُ، وَنَفَقَتْ أَسْوَاقُهُ. لَزِمَ مُبَاشَرَةَ أُمُورِ الْـمُلْكِ، الْـبَاهِرِ كَالسِّلْكِ، لُزُومَ الدَّنِّ[3] لِلسُّكْرِ، فَلَا يَبْرَحُ عَنْهُ فِي الْـعَشِيِّ وَالْـبُكَرِ، مُلَبِّيًا دَعْوَاهُ، حَامِلاً لِسِرِّهِ وَنَجْوَاهُ، يُعَامِلُ الْـمَقَامَ الْـكَرِيمَ، وَالْـمَلِيكَ الْـحَلِيمَ، بِالْـقَلْبِ السَّلِيمِ.

طَلَعَ فِي فَلَكِ الْـمُلْكِ السَّعِيدِ، طُلُوعَ السَّعْدِ السَّعِيدِ، فَأَوْلَاهُ مِنَ السُّرُورِ وَالْـمَسَرَّةِ، وَالْـبُرُورِ وَالْـمَبَرَّةِ مَا تَبْتَهِجُ بِهِ نُجُومُ الْـمَجَرَّةِ. شَيَّدَ مَفَاخِرَ يَنْحَطُّ

---

1) في ديوان شعره: تزكت بها.
- ينبع: قرية عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة وفيها عيون عذاب غزيرة. معجم البلدان: 5/ 449-450
2) أبو العباس أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك البخاري، عرف ببَّاحْماد حاجب المولى الحسن الأول، ووزير المولى عبد العزيز ومدبر أمر دولته، كان مستبدا شديد الذكاء والفطنة والدهاء، توفي سنة 1318هـ، ترجمته في: الثغر البسام في مآثر الوزير أحمد بن موسى الهمام، فواصل الجمان: 98، إتحاف أعلام الناس: 1/ 393، الإعلام: 2/ 443، معلمة المغرب: 1/ 175.
3) الدن: وعاء للخمر والخل وغيرهما، والجمع دنان. اللسان: دنن.

عَنْ قَدْرِهَا السَّرَطَانُ[1]، وَسَارَت بِهَا الرُّكْبَانُ، فِي سَائِرِ الْأَوْطَانِ. وَسِيرَتُهُ تَوَدُّهَا الْأَسْلَاكُ، وَتَهِيمُ بِحُسْنِهَا الْأَفْلَاكُ وَالْأَمْلَاكُ، عَاكِفًا عَلَى خِدْمَةِ مَخْدُومِهِ، عَارِفاً بِمَنْطُوقِهِ وَمَفْهُومِهِ، وَمَنْثُورِهِ وَمَنْظُومِهِ، مُحِيطًا بِإِجْمَالِهِ وَتَفْصِيلِهِ، وَتَرْتِيبِهِ وَتَحْصِيلِهِ.

وَلَهُ نَادٍ يَشْتَمِلُ عَلَى بُدُورِ الطَّلَبَةِ، وَصُدُورِ النُّجَبَاءِ الْكَتَبَةِ، يَحْسُدُ دَوَرَانَهُمُ الْفَلَكُ الدَّوَّارُ، عَلَى مَرِّ الْأَدْوَارِ، وَتَعَاقُبِ الْأَطْوَارِ. وَتَغَارُ مِنْ هَيْأَتِهِمُ الْأَنْوَارُ، فِي الْأَنْجَادِ وَالْأَغْوَارِ، بَرَزُوا كَأَنَّهُمُ السِّوَارُ فِي سَاعِدِ النَّوَارِ[2]، الرَّائِقَةِ الْأَخْبَارِ فِي سَالِفِ الْأَعْصَارِ. يَغْشَاهُمْ وَقَارٌ وَسُكُونٌ، وَلَا سُكُونَ الطَّيْرِ فِي الْوُكُونِ، إِذَا كَتَبُوا طَرَّزُوا الْقَرَاطِيسَ، وَبَهْرَجُوا الْفَهَارِيسَ، كَأَنَّهَا الطَّيَالِيسُ.

وَهَذَا الْحَاجِبُ نَشَأَ فِي عَفَافٍ، وَتَجَمَّلَ بِجَمِيلِ الْأَوْصَافِ، وَسَلَكَ مَسْلَكَ الْإِنْصَافِ. وَهَامَ فِي مَحَبَّةِ عُبَابِهِ، وَسُمُوِّ جَنَابِهِ، وَتَيَسُّرِ آرَابِهِ وَطِلَابِهِ. مُنَادَمَتُهُ أَشْهَى مِنَ الْمُدَامَةِ، وَمُجَالَسَتُهُ يَوَدُّهَا الْغَرِيضُ[3] وَمَعْبَدٌ[4] وَقُدَامَةُ[5]، إِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِيكِ حَيَّى مُحَيَّاهُ الْوَسِيمَ، وَجَنَابَهُ الْجَسِيمَ، بِالسَّلَامِ الْعَمِيمِ، وَوَاجَهَهُ بِوَجْهِهِ الْبَسِيمِ.

---

1) السرطان: من بروج الفلك. اللسان: سرط.

2) النَّوار: النفر من الظباء والوحش. اللسان: نور، والنوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي، تزوجها الفرزدق ثم طلقها، فندم على ذلك ندما شديدا. وقال في ذلك:

ندمتُ ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلَّقة نـوار
وكانتْ جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرارُ

تنظر ترجمتها في: الشعر والشعراء: 386–387، الأغاني: 21/ 290، وفيات الأعيان: 6/ 99، أعلام النساء: 5/ 193.

3) عبد الملك مولى العبلات الملقب بالغريض من أشهر المغنين في صدر الإسلام وأحذقهم، توفي نحو 95هـ، جمع صاحب الأغاني طائفة كبيرة من أخباره. تنظر ترجمته في: الأغاني: 2/ 359، نهاية الأرب للنويري: 4/ 284، الأعلام: 4/ 156.

4) معبد بن وهب أبو عباد المدني نابغة الغناء العربي في العصر الأموي وكان إلى جانب ذلك أديبا فصيحا، أصواته وأخباره كثيرة جمع صاحب الأغاني طائفة كبيرة منها. تنظر ترجمته في: الأغاني: 1/ 36، نهاية الأرب للنويري: 4/ 262، الأعلام: 7/ 264.

5) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، كاتب من بلغاء العرب وفصحائهم، يضرب به المثل في البلاغة، توفي سنة 337هـ، تنظر ترجمته في: الفهرست: 209، معجم الأدباء: 5/ 2235، النجوم الزاهرة: 3/ 297.

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَوْصَافُهُ تَتَشَوَّفُ لَهَا الدُّهُورُ، وَتَبْهَتُ عِنْدَ ذِكْرِهَا الزُّهُورُ،
وَتَنْقَضِي دُونَ حَدِّهَا الْأَعْوَامُ وَالشُّهُورُ، وَتَنْقَطِعُ الظُّهُورُ، وَلَا تُدْرِكُ مِنْهَا الظُّهُور،
وَهُوَ الْآنَ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ ذَلِكَ الْمُلْكِ، الْبَهِيِّ السِّلْكِ، وَيَحْمِي حِمَى ذَلِكَ الْقَصْرِ
الْمَشِيدِ، الَّذِي لَمْ يُشَيِّدْهُ الْمُتَوَكِّلُ // وَلَا الرَّشِيدُ، وَيَسْعَى بَيْنَ الْكُرْسِيِّ (27)
وَالسَّرِيرِ، الْمُزْدَرِي بِالْخَوَرْنَقِ[1] وَالسَّدِيرِ[2]، الْفَائِقِ حُسْنُهُ حُسْنَ الظَّبْيِ الْغَرِيرِ.
وَضَّاحَ الْجَبِينِ، مُولَعًا بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ، وَيُنْهِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَلَا يَخْشَى صَوْلَةَ قَاعِدٍ أَوْ قَائِمٍ، وَمُحَاضَرَتُهُ
أَلَذُّ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي السَّمَائِمِ، وَحَسَنَاتُهُ تَنْهَلُّ كَالْمَطَرِ الدَّائِمِ، وَقِرَاءَتُهُ تُغْنِي
عَنْ غِنَاءِ الْحَمَائِمِ، يُغِيثُ الْمُسْتَغِيثَ بِهِ فِي الْعَظَائِمِ، وَتَرُوقُ بِشْرَتُهُ[3] كَالزَّهْرِ فِي
الْكَمَائِمِ، وَالصَّيِّبِ فِي الْغَمَائِمِ، وَرِفْعَتُهُ يَقْصُرُ عَنْهَا النَّعَائِمُ، وَأَيَّامُهُ كُلُّهَا مَوَاسِمٌ
وَوَلَائِمٌ.

وَأَوَّلُ مَا خَاطَبْتُهُ بِهِ: [الوافر]

تَقَلَّدْتَ الْوِزَارَةَ وَالْحِجَابَهْ ... وَأَحْرَزْتَ النَّبَاهَةَ وَالنَّجَابَهْ[4]

وَأَطْلَعْتَ الْعِنَايَةَ فِي سَمَاهَا ... وَأَرْسَلْتَ الْيَرَاعَ عَلَى الْكِتَابَهْ

وَطَيَّرْتَ الْبَشَائِرَ فَاسْتَطَارَتْ ... حَبَاكَ اللهُ مَنْ يَرْعَى كِتَابَهْ

وَشَيَّدْتَ الْمَفَاخِرَ وَالْمَزَايَا ... وَجَمَعْتَ الظَّرَافَةَ وَاللَّبَابَهْ

وَآوَيْتَ الْإِبَايَةَ فِي حِمَاهَا ... حَمَاكَ اللهُ إِذْ تَبْغِي ثَوَابَهْ

---

1) الخورنق: اسم قصر كان بظهر الحيرة أمر ببنائه النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي، وقد صيغت حوله قصص عدة. معجم البلدان: 2/ 401.

2) السدير: قصر عظيم، وقيل موضع بالحيرة فارسي معرب. معجم البلدان: 3/ 201.

3) البِشر: طلاقة الوجه وبشاشته. اللسان: بشر.

4) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

وَأَوْلَاكُمْ جَمِيلَ السِّتْرِ فَضْــــلًا فَتَأْتُونَ الـصَّـوَابَ مَـعَ الْإِصَـابَـهْ
وَحَيَّاكُمْ بِمَا يُرْضِــي وَأَثْنَـــى عَـلَى دَعَـوَاتِـكُـمْ وَقْـتَ الْإِجَـابَـهْ
وَبَجَّلْتُمْ مَقَامَ الْـمُقْسِــطِ الْـمَا لِـكِ الْأَزْكَــى وَقَـبَّـلْـتُـمْ تُـرَابَـهْ
وَحَفَّيْتُمْ وَجَاهَتَــهُ فَرَاقَــتْ وَأَمْـسَـى فَضْلُهَا يَقْضِي عُجَابَهْ
فَنِعْمَ الْـمَاجِدُ الْأَسْمَى حَجَبْتُــمْ عَـنِ الـدَّهْمَا وَسَهَّلْتُمْ حِجَابَهْ
أَدَامَ اللهُ مُحَيَّاهُ الْـمُحَــلَّى بِحُسْنِ الـرَّأْيِ لَا يَعْدِمْ صَوَابَهْ
تَعَالَى فَامْتَطَى قُطْبَ الْـمَــعَالِي وَأَعْـلَا اللهُ فِي الْعَلْيَا رِكَـابَـهْ
وَمَارَسْتُمْ أَحَادِيثَ الْـبُخَــارِي وَقَـلَّـبْـتُـمْ حَـدِيـثَ أَبِي قِـلَابَـهْ[1]
وَنَوَّرْتُمْ مَجَامِعَــهُ بِــدَرْسٍ وَأَطْلَعْتُمْ عَـلَى الدُّنْيَا شِهَابَهْ
وَشَهَّرْتُمْ غَرِيبَ النَّقْــلِ فِيهِ وَأُولِـعْـتُـمْ بِـتَـدْوِيـنِ الْـغَرَابَهْ
صَبَتْ أَرْوَاحُكُمْ شَوْقـاً إِلَيْــهِ لِأَنَّ الصَّبَّ مُـغْـرًى بِالصَّبَابَهْ
لَئِنْ هِمْتُــمْ بِهِ فِي كُــلِّ وَادٍ وَأَدَّيْـتُـمْ إِلَى الْـعَلْيَا نِصَابَهْ
فَقِدْماً هَامَ مَجْنُــونٌ بِلَيْــلَى وَقَـدْ أَشْـفَـى يَـزِيـدٌ مِـنْ حُبَابَهْ[2]
وَتِهْتُمْ بِهِ أَقَمْتُــمْ أَمْ ظَعَنْتُــمْ وَجَمَّـرْتُـمْ بِـخَـتْـمَـتِـهِ رِحَـابَـهْ[3]

1) عبد الله بن زيد بن عمرو أبو قلابة الجرمي عالم بالقضاء والأحكام، ناسك من أهل البصرة، أرادوه على القضاء، فهرب إلى الشام فمات فيها، وكان من رجال الحديث الثقات، توفي سنة 104 هـ. تنظر ترجمته في: طبقات ابن سعد: 7/ 183، حلية الأولياء: 2/ 282، سير أعلام النبلاء: 4/ 468، تهذيب التهذيب: 5/ 224.

2) حبابة جارية يزيد بن عبد الملك مغنية من ألحن من رؤي في عصرها كان يحبها حبا كبيرا ماتت سنة 105 هـ فحزن عليها، ومات بعدها بأربعين. تنظر ترجمتها في: الأغاني: 15/ 119 الأعلام: 2/ 163، أعلام النساء: 1/ 195.

3) أجمرت الثوب وجمرته إذا بخرته بالطيب. اللسان: جمر.

وَسَيِّدُنَا إِمَامُ الْعَصْرِ أَفْنَى   اغْتِبَاطًا فِي قِرَاءَتِهِ شَبَابَهْ
وَقَاهُ اللهُ حِرْزاً لِلْبَرَايَا   وَأَزْهَرَ مُدَّةَ الدُّنْيَا قِبَابَهْ
بِحَقِّ الْمُصْطَفَى مَنْ جَلَّ قَدْراً   وَعَظَّمَ رَبُّنَا الْمَوْلَى جَنَابَهْ
عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ فِي كُلِّ آنٍ   تَطُوفُ بِآلِهِ حَتَّى الصَّحَابَهْ
تَقَبَّلْ يَا ابْنَ مُوسَى بَيِّنَاتٍ   مِنَ الشِّعْرِ الَّذِي تَهْوَى خِطَابَهْ
تَفَجَّرَ عَذْبُهُ فَانْسَابَ يَجْرِي   إِلَى الْأَفْكَارِ مَا أَشْهَى انْسِيَابَهْ
جَرَى فِي وَافِرِ الْبَحْرِ امْتِثَالًا   لِحُبِّكُمُ الَّذِي أَجْرَى عُبَابَهْ
فَكَمَّلَ بِالرِّضَى مَا فِيهِ نَقْصٌ   وَأَصْلَحَ مَا بِهِ خَلَلٌ فَعَابَهْ
عَلَى أَنَّ الْقَرِيضَ الْغَضَّ غَارَتْ   يَنَابِعُهُ سِوَى هَذِي الصُّبَابَهْ[1]
فَقَلِّدْهَا الرِّضَى كَرَمًا وَصَفْحًا   وَنَاوِلْهَا إِلَى تِلْكَ الْعِصَابَهْ
لِأَنَّكَ طَوْدُهَا الْمَرْصُوصُ لَمَّا   تَقَلَّدْتَ الْوِزَارَةَ وَالْحِجَابَهْ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [الهزج]

قَطَفْتُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا   بِتِلْكَ الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا[2]
وَنِلْتُمْ كُلَّ مَرْغُوبٍ   بِتِلْكَ الرُّتْبَةِ الْعُلْيَا // (28)
وَأَحْيَيْتُمْ رُفَاتًا مِنْ   عُلَاهَا يَا أَبَا يَحْيَى
وَوَشَّيْتُمْ حُلَاهَا مَنْ   يُجِيدُ الرَّقْمَ وَالْوَشْيَا
وَرَامَيْتُمْ بِهَا الْأَكْفَا   وَقَدْ أَحْسَنْتُمُ الرَّمْيَا

1) الصُّبة والصُّبابة بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الإناء والسقاء. اللسان: صبب.
2) القصيدة لم ترد في ديوان شعره. وفيها اقتباسات كثيرة من ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه.

وَأَنْشَأْتُمْ بِهَـــــا سُحْبًـــــا ثِـقَـالًا تَـسْـكُـبُ الـرَّيَّـا

وَأَوْرَيْتُمْ زِنَـــــادَ الْجِـــــدِّ فِي أَرْجَـائِـهَـا وَرْيَـا

وَبَارَيْتُمْ بِهَـــــا لَمَّـــــا بَـرَيْـتُـمْ سَـهْـمَـهَـا بَـرْيَـا

تَشَيَّعْتُمْ لَهَـــــا لَكِـــــنْ كَـفَـلْـتُـمْ أَمْـرَهَـا وَحْـيَـا

بِحَقِّ اللهِ هَـــــلْ نِلْتُـــــمْ هُـدَى ذِي الْكِفْلِ أَوْ شِعْيَا[1]

وَفَجَّرْتُـــــمْ يَنَابِيعًـــــا بِهَـا لَا تَـعْـدِمُ الـرَّيَّـا

وَأَجْرَيْتُمْ جَـــــدَاوِلَهَـــــا فَـمَـنْ يَـشْـرَبْ بِهَـا يَحْـيَـى

وَلَاحَتْ شَمْـــــسُ صَحْـــــوٍ لَا تَـرَاهَـا مُـقْـلَـةٌ عَـمْـيَـا

تَرَى مَا تَشْتَهِـــــي فِيهَـــــا أَثَـاثًـا رَاقَ أَوْ رِئْـيَـا[2]

تَطَلَّـعْ فِـي سَمَاهَـــــا وَامْـــــرَحْ فِيهَا إِنْ تُـرِدْ مَشْيَا

وَطُفْ حَوْلَ الْـحِمَى وَاضْمُـــــمْ لَـهُ الْإِحْـرَامَ وَالـسَّـعْـيَـا

يُرِيدُ الْغَمْـــــرُ أَنْ يَسْمُـــــو سَـمَاهَـا الْـمُـعْـتَـلِي بَـغْـيَـا

وَيَصْطَادُ الظَّبْـــــا وَالْحَـــــلُ لَا تَـلْـوِي لَـهُ ظَبْـيَـا

وَحُزْتُمْ كُـــــلَّ مَحْبُـــــوبٍ بِـــلَا شَرْطٍ وَلَا ثُـنْـيَـا[3]

وَفُقْتُمْ كُـــــلَّ مَوْسُـــــومٍ بِـفَـهْـمٍ عَـارَضَ الْـوَلْـيَـا[4]

---

1) شعيا بن أمصيا من أنبياء الله إلى بني إسرائيل، بعث قبل عيسى وزكرياء ويحيى عليهم السلام. تاريخ الطبري: 1/ 532.

2) الرئى: المنظر. اللسان: رأي. والبيت مقبس من قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾ سورة مريم، الآية: 74.

3) الثنيا والثنوى ما استثنيته. اللسان: ثني.

4) الولي: المطر الذي يأتي بعد المطر. اللسان: ولي.

وَأَحْرَزْتُمْ مِنَ الْآدَا   بِ حَظًّا يَمْلَأُ النِّحْيَا[1]
وَأُوحِيتُمْ إِلَى الْكُتَّا   بِ لَا تَسْتَغْرِبُ الْوَحْيَا
لَقَدْ شَاعَتْ مَزَايَاكُمْ   وَعَمَّتْ سَائِرَ الْأَحْيَا
وَجَلَّاكَ الْمَلِيكُ السَّعْـ   ـدُ تَجْلُو الْأَمْرَ وَالنَّهْيَا
وَأَسْمَاكُمْ كَمَا أَسْمَى   قَدِيمًا حَاتِمٌ طَيًّا[2]
حَبَاهُ اللهُ مَا يَهْوَى   بِلَا حَدٍّ وَلَا إِغْيَا[3]
وَأَبْقَى مُلْكَهُ الْأَسْمَى   وَحَيَّا ذَلِكَ الْمَحْيَا
يَخَافُ اللهَ مَوْلَانَا   بَدِيعَ الْمَوْتِ وَالْإِحْيَا
أَلَا فَلْتَدْعُ يَا دَاعٍ   لَهُ إِنْ فَاءَتِ الْأَفْيَا[4]
وَمَنْ نَاوَاهُ لَا يَبْرَحْ   يُعَانِي الذُّلَّ وَالْخِزْيَا
فَكَمْ مِنْ بِدْعَةٍ أَفْنَى   وَكَمْ مِنْ سُنَّةٍ أَحْيَا
رَعَاهُ اللهُ مَغْبُوطًا   مُغِيظًا حَالُهُ الْأَحْيَا
مَجِيدًا مُنْجِدًا بَرًّا   سَعِيدًا رَوْنَقَ الْأَشْيَا
رَشِيدًا مُرْشِدًا شَهْمًا   يُبِينُ الرُّشْدَ وَالْغَيَّا
مَلِيكًا مُقْسِطًا سَعْدًا   مُدِيرًا فِي الْوَرَى الرَّأْيَا

---

1) النحي عند العرب الزق الذي فيه السمن خاصة. اللسان: نحا.
2) قال أبو عبيدة: أجود العرب ثلاثة: كعب بن مامة، وحاتم طيء، وهرم بن سنان. جمهرة الأمثال: 1/ 80.
3) إغيا هنا بمعنى الغاية.
4) الأفياء جمع فيء وهو ما كان شمسا فنسخه الظل. اللسان: فوا.

فَضَائِلُهُ تَفُـــوقُ الْعَـــدْ ـــدَ بَـلْ جَـلَّـتْ عَـنْ الْإِغْـيَـا
فَمَنْ يُحْصِي الْـحَـصَى أَمْ مَـــنْ يَـعُـدُّ الـرَّمْـلَ بَــلْ يَـعْـيَـى
فَكُنْ يَا أَحْمَـــدُ تَجْنِـــي رِضَـاهُ الْـمُـجْـتَـنَـى وَلْـيَـا
وَبَـــادِرْ وَارْعَ مَا يُوحِـــي إِلَـيْـكُـمْ وَالْـــزَمِ الـرَّعْـيَـا
فَلَا زَالَـــتْ مَزَايَاكُـــمْ يُـسَـامِـي سَـمْـكَـهَـا الْـجَـدْيَـا
وَدُمْتُمْ يَا ابْــنَ مُوسَـــى فِي نَـعِـيـمٍ لَا يَــرَى الْإِعْـيَـا
وَجَـــازَاكُمْ جَمِيلًا مَـــنْ يُجَـازِي الْـمَـيْـتَ وَالْـحَـيَّـا // (29)
فَهَاكُـــمْ غَـــادَةً مِنْ دُرْ رِ شِـعْـرٍ أَحْــرَزَتْ زِيَّـا
جَـرَتْ تُذْكِي مَيَادِينَ الـــذْ ـــذَكَـا إِذْ تُحْـسِـنُ الْـجَـرْيَـا
فَنَـــاوِلْهَا ذَوِي الْأَبْـــصَا رِ لَا تُخْـــبِرْ بِهَــا الْـعُـمْـيَـا
وَثَبِّتْهَـــا وَكُـــنْ تَنْحُـــو بِهَــا الْإِثْـبَــاتَ لَا الـنَّـفْـيَـا
تَحَلَّتْ بِالْبَيَـــانِ الَّلـــذْ غَـــدَا يَـسْـتَـحْـقِـرُ الْـحَـلْـيَـا
لَقَدْ هَشَّـــتْ لِلُقْيَاكُـــمْ كَـهَـشِّ الــرَّوْضِ لِـلـسُّـقْـيَـا
وَمَاسَتْ فِي نِظَـــامٍ مُسْـــ ـــتَـنِـيرٍ يَـسْـتَـبِـي الْـعُـشْـيَـا[1]
وَنَابَتْ عَنْ حُضُـــورِ الصَّبْـــ ـــبِ لَمَـا شَـطَّـتِ الُّلـقْـيَـا
وَصَارَتْ فِي رِفَـــاقِ الشَّـــوْ قِ تَـطْـوِي الْـمُـنْـتَـأَى طَيَّا

---

1) العشو جمع أعشى وقد قلب الشاعر الواو ياء للضرورة. اللسان: عشا.

وَكَــــمْ مِنْ مَهْمَــهٍ دَوٍّ   طَــوَتْ مَـا مَسَّـهَا الْإِعْـيَـا[1]

وَلَوْ سَاقَتْ رِكَــابَ الْمَــدْ   حِ فِـيكُـمْ لَمْ تَجِـدْ عِـيًّا

وَأَهْدَتْ نَظْمَــهَا لَـمَّــا   رَأَتْــهُ يُـشْـبِـهُ الْـهَـدْيَا

وَأَبْلَتْ جُهْدَهَا حَــتَّى   تُــرَاءى مَـشْـيُـهَـا سَـعْـيَـا

فَإِنْ صَدَّقْتَهَــا فَاصْـدَعْ   بِـإِبْـرَاهِـيـمَ فِي الـرُّؤْيَـا

هَوَاهَــا فِيكُـمُ عَــفًّى   هَــوَى غَـيْـلَانَ فِي مَـيَّـا[2]

فَيَا قَاضِي الْـهَـوَى احْكُـمْ بِا   لَــذِي تَـرْضَـاهُ فِي الْـفُـتْـيَا

فَـإِنْ قَصَّــرْتُ فِي الْإِحْسَــا   نِ وَاسْـتَـفْـرَغْـتُ مَـا فِـيَّا

فَبِالْـهَــزَجِ اسْتَطَالَــتْ لَا   بِـتِـلْـكَ الْــعُـدْوَةِ الـدُّنْـيَا

وَمَــا مَكْنَاسَــةُ الزَّيْتُــو   نِ إِلَّا جَـنَّـةُ الـدُّنْـيَـا.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [مخلع البسيط]

اِحْتَزِمِ الْـحَزْمَ يَا ابْــنَ مُوسَــى   فَالْـوَقْـتُ إِنْ تَخْـتَـبِرْهُ مُوسَى[3]

وَكَيْدُهُ لَا يُــرَامُ لَكِــنْ   صَــادَ بِـهِ الـنَّـمْـرَ وَالـنُّـمُـوسَا

فَاجْنَحْ إِلَى سِلْمِــهِ وَبَــادِرْ   لَا تَــكُ مِـنْ وُدِّهِ يَـؤُوسَـا

1) الدو: الفلاة الواسعة. اللسان: دوا.

2) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي أبو الحارث الشهير بذي الرمة من شعراء العصر الأموي، كان أحد عشاق العرب المشهورين، وكان كثير التشبيب بمية بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية في شعره، توفي سنة 117 هـ، ترجم في: الشعر والشعراء: 437 الأغاني: 18/ 5، الموشح: 170، تزيين الأسواق: 1/ 88، خزانة الأدب: 1/ 106.

3) القصيدة في ديوان شعره: 83 مع زيادة أبيات أخرى.
- في ديوان شعره: فَالدَّهْرُ إِنْ تَخْتَبِرْهُ.

وَاشْرَبْ بِأَسْحَارِهِ صَبُوحَا وَأَتْرِعِ الْجَامَ وَالْكُؤُوسَا[1]
وَضَاحِكِ الشَّرْبَ وَانْبَسِطْ فِي وُجُوهِهِمْ لَا تَكُنْ عَبُوسَا[2]
مَعْ قَيْنَةٍ رَجَّعَتْ بِصَوْتٍ تَهُزُّ مِنْ لَحْنِهِ الرُّؤُوسَا[3]
وَغَادَةٍ تَزْدَهِي بِحُسْنٍ تَسْبِي بِأَوْصَافِهَا الْجَلِيسَا[4]
وَقَهْوَةٍ مِنْ زَمَانِ كِسْرَى تَسْتَعْبِدُ الصَّبَّ وَالْأَنِيسَا[5]
فَدُمْ تَقُودُ السُّعُودَ دَامَتْ سُعُودُكُمْ تَطْرُدُ النُّحُوسَا
لَا زِلْتَ صَدْرَ الْأَوَانِ حَتَّى تُجْرِي بِهِ الْبَدْرَ وَالشُّمُوسَا
حَجَبْتَ سُلْطَانَنَا الْمُجَلَّى كَالشَّمْسِ لَا زِلْتُمُ شُمُوسَا
وَشِدْتَ فِي مُلْكِهِ الْمَزَايَا حَتَّى بَدَا يُخْجِلُ الْعَرُوسَا
وَقَمَرُ الشِّعْرِ غَابَ حَتَّى دَرَسَ فِي عَصْرِنَا دُرُوسَا
وَكُلُّ أَرْبَابِهِ تَفَانَوْا وَسَكَنُوا اللَّحْدَ وَالرُّمُوسَا
قَدْ رَكِبُوا بَحْرَهُ وَغَاصُوا وَاسْتَخْرَجُوا دُرَّهُ النَّفِيسَا[6]
عَسَاكَ يَا أَحْمَدُ الْمُفَدَّى تَعْمُرُ مِنْ رَبْعِهِ الدُّرُوسَا[7]
وَلَمْ يَكُنْ فِعْلُكَ الْمُعَدَّى بِقَاصِرٍ عِشْ وُقِيتَ بُوسَا

---

1) الجام: إناء للشراب من فضة أو نحوها. المعجم الوسيط: جوم.
2) الشَّرْبُ والشُّروب: القوم يشربون ويجتمعون على الشراب. اللسان: شرب.
3) في ديوان شعره: بقينة رجعت بصوت تهز من حسنه.
4) في ديوان شعره: أضنت بأوصافها.
5) في ديوان شعره: تستعبد الخل.
6) في ديوان شعره: كم ركبوا.
7) في ديوان شعره: من درسه.

وَتَبْتَنِي مِنْـهُ مَا تَدَاعَى   وَتَغْرِسُ الْكَرْمَ وَالْغُرُوسَا
وَتَكْتَسِي مِنْ كُسَاهُ شَتَّى   حَتَّى نَرَاهُ لَكُمْ لَبُوسَا[1]
وَيَغْتَدِي رَبُّـهُ رَئِيسًا   لَا زِلْتُمُ فِي الْوَرَى رُؤُوسَا // (30)
وَيُنْشِدُ الصَّبُّ مَا هَوَاهُ   وَيَرْقُمُ الرَّاقِمُ الطُّرُوسَا
وَمِثْلُكُمْ مَارَسَ الدَّوَاهِي   وَمَيَّزَ التِّبْرَ وَالْفُلُوسَا
قَدْ فُزْتَ فِي قِدْحِكَ الْمُعَلَّى   فَاحْتَزِمِ الْحَزْمَ يَا ابْنَ مُوسَى.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [المجتث]

كَمْ هَامَ قَلْبِي الْمُعَنَّى   فِي الْحُبِّ حِسًّا وَمَعْنَى[2]
وَكَمْ عَلَا بَحْرَهُ إِذْ   يَسْبَحُ ظَهْرًا وَبَطْنَا[3]
وَكَمْ نَهَجْتُ فَضَاهُ   وَجُبْتُ سَهْلًا وَحَزْنَا
وَكَمْ حَمَيْتُ حِمَاهُ   وَشِمْتُ بَرْقَهُ حُسْنَا
وَكَمْ تَغَالَيْتُ فِي تَحْـ   ـصِيلِهِ نَقْدًا وَدَيْنَا
وَكَمْ حَمَلْتُ لِوَاهُ   أُرْضِيهِ ضَرْبًا وَطَعْنَا
وَبِعْتُ مَا كَانَ حَتَّى   أَفْنَيْتُ عَرْضًا وَعَيْنَا
دُونَهُ قَفْرٌ يَبَابٌ   لَا تَحْسِبِ الْحُبَّ هَيْنَا

1) في ديوان شعره: حتى نراه.
2) هذه القصيدة لم ترد في ديوان شعره.
3) وردت التفعيلة الأولى «مستفعلن» في مجموعة من أبيات هذه القصيدة ناقصة على وزن «مفتعلن» وهو من الزحافات غير المألوفة في بحر المجتث.

فَلاَ تَقِسْ بِهَوَايَ الصْـ ـصِرْفِ هَوَى قَيْسٍ لُبْنَى[1]

لَهْفِي عَلَى حَامِلِي الآ دَابِ الأُلَى غَابُوا عَنَّا[2]

فَالنَّفْسُ مِنْ بَعْدِهِمْ تَحْـ ـتَرِقُ وَالْقَلْبُ مُضْنَى

وَالشَّوْقُ مِنْهُمْ تَلَظَّى وَالصَّدْرُ يُلْهَبُ حُزْنَا

وَأَيْنَ مَنْ يَعْرِفُ الشَّوْ قَ وَالتَّشَوُّقَ أَيْنَا؟!

وَالصَّبْرُ عِيلَ وَوَلَّى مَهْمَا غَدَوْنَا وَرُحْنَا

يَا أَحْمَدُ الْحَاجِبُ الْمَا جِدُ الْفَقِيهُ الْمُهَنَّا

لاَ زِلْتَ مُسْتَغْرِقًا فِي نَهْرِ السُّرُورِ الْمُثَنَّى

تَرْتَعُ فِي زَهْرِ عَيْشٍ تَهْصِرُ غُصْنًا فَغُصْنَا[3]

وَلاَ بَرِحْتَ الْمُحَلَّى بِحِلْيَةِ الْفَضْلِ مِنَّا

فِي هِمَّةٍ هَامَتِ الأَطْـ ـوَادُ بِهَا حَيْثُ هِمْنَا

بِكَ النَّوَادِي ازْدَهَتْ إِذْ بَهَرْتَ إِنْسًا وَجِنَّا

وَفَضْلُكُمْ غَيْرُ خَافٍ لِعَارِضِ الْبَيْنِ عَنَّا

وَسَعْدُكُمْ مُسْتَنِيرٌ يَسْحَرُ أُذْنًا وَعَيْنَا

أَقْبَلْتُ أَسْعَى إِلَيْكُمْ لاَ تَكُ تُعْرِضُ عَنَّا

---

1) قيس بن ذريح من بني كنانة أحد عشاق العرب المشهورين، توفي سنة 68هـ. ترجمته في: الشعر والشعراء: 628، الأغاني: 9/ 174، تزيين الأسواق: 1/ 182.

- لبنى بنت الحباب الكعبية من ربات الحسن والجمال وهي عشيقة قيس بن ذريح. تنظر ترجمتها في: الأغاني: 9/ 211، وأعلام النساء: 4/ 276.

2) الألى على وزن العلى بمعنى الذين.

3) الهصر: عطف الشيء الرطب كالغضن ونحوه. اللسان: هصر.

فَالظَّنُّ فِيكُمْ جَمِيلٌ فَدُمْ تُحَسِّنُ ظَنَّا
خُذِ الْقَرِيضَ الْمُحَفَّى بِالْحُسْنِ كَالرَّوْضِ زَيْنَا
كَأَنَّهُ سِمْطُ دُرٍّ فِي جِيدِ حَوْرَاءَ عَيْنَا
وَافَتْكَ مِنْهُ فُصُوصٌ خُذْهَا فُرَادَى وَمَثْنَى
أَلِنْ لَهَا الْقَوْلَ وَارْفُقْ رُزِقْتَ رِفْقاً وَلِينَا
فَالشِّعْرُ صَعْبٌ طَوِيلٌ سُلَّمُهُ رَاقَ لَوْنَا[1]
أَبُوكُمُ الْحَبْرُ قَدْ كَا نَ أَنْوَرَ النَّاسِ ذِهْنَا
يَا رَبِّ فَارْحَمْهُ وَارْحَمْ ضُعْفَ الْكَئِيبِ الْمُعَنَّى.

*** وَمِنْهُمْ حَامِلُ أَلْوِيَةِ الْأَعْلَامِ الْقَائِدُ إِدْرِيسُ بْنُ الْعَلَّامِ**[2]، اَلْفَارِسُ الْمِقْدَامُ، الثَّابِتُ الْأَقْدَامِ، إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ وَتَمَيَّزَتِ الْأَبْطَالُ بِالتَّقَدُّمِ وَالْإِقْدَامِ، وَتُعُوطِيَتْ كُؤُوسُ الْمَنُونِ، وَكَثُرَتِ الْإِرْجَافَاتُ وَبَطُلَتِ الظُّنُونُ. تَبَاهَى بِهِ الْمَشْوَرُ السَّعِيدُ، وَخَافَ سَطْوَتَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَتَكَفَّلَ بِإِنْجَازِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، قَامَ فِيهِ وَقَعَدَ، وَبَرَقَ وَرَعَدَ، وَزَأَرَ كَالْأَسَدِ الْوَرْدِ[3]، فِي الْمَقَالِ وَالرَّدِّ //. (31)

---

1) البيت مقتبس من قول الحطيئة:

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

ديوان شعره: 291، والأغاني: 2/ 196.

2) القائد إدريس بن العلام البخاري، كان قائدا للمشور في عهد المولى الحسن الأول، ومراقبا لشؤون العمال، توفي في فاتح محرم عام 1318هـ، ودفن بمراكش، ترجمته في: التنبيه المعرب: 62، إتحاف أعلام الناس: 2/ 196، الإعلام: 2/ 448، المعلمة: 18/ 6132.

3) الورد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة. اللسان: ورد. قال المتنبي:

وليس حياءُ الوجه في الذئب شيمةً ولكنه من شيمة الأسد الورد

ديوان شعره: 291، والأغاني: 2/ 196.

اخْتَصَّهُ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ بِمَكَاتِبِ الْـعُمَّالِ، الَّتِي يَبْعَثُونَهَا فِي شَأْنِ جِبَايَةِ الْأَعْمَالِ، فَلَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ، وَلَا تُجَازُ أَجْوِبَتُهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُدْفَعَ إِلَيْهِ، وَتَرِدَ عَلَيْهِ، وَيَحْضُرُ أَرْبَابُهَا لَدَيْهِ.

طَلَعَ فِي فَلَكِ الْـمُلْكِ سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلَ مِنَ تِلْكَ الْـمُعْصِرَاتِ مَاءٍ ثَجَّاجًا[1]، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِ أَخْبَارُ الْـجُنْدِ وَالرَّعَايَا أَفْرَادًا وَأَزْوَاجًا، وَأَتَتْهُ الْـوُفُودُ أَفْوَاجًا، فَإِذَا طَافُوا بِكَعْبَةِ الْـمُلْكِ حَسِبْتَهُمْ عُمَّارًا أَوْ حُجَّاجًا، وَاتَّخَذَ سُلُوكَ الْـحَقِّ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا[2].

هَذَا وَالْـمِشْوَرُ السَّعِيدُ غَاصٌّ بِالْـمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ، وَالْـقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَالْـمُنْهَمِكِ وَالْـعَفِيفِ، وَالْـحُرِّ وَالْـوَصِيفِ، يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَتَحَلَّوْنَ بِحَلْيِهِ، وَيَقِفُونَ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. فَمِنْهُمْ مُتَكَلِّمٌ وَبَاهِتٌ، وَنَاطِقٌ وَصَامِتٌ، فَإِذَا رَأَيْتَهُ اسْتَحْضَرْتَ فِي ذِهْنِكَ صُورَةَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ[3].

جَلَالَتُهُ تَعْنُو لَهَا الْـجِبَالُ، وَبَسَالَتُهُ تُقِرُّ بِهَا الْأَبْطَالُ فِي الْـمَجَالِ، وَشَهَامَتُهُ تَشْهَدُ بِهَا رَبَّاتُ الْـحِجَالِ. يَنْقَضُّ عَلَى مُخَالِفِيهِ كَالرَّعْدِ الْـقَاصِفِ، وَيَهْدِرُ عَلَيْهِ بِمَا لَا يَصِفُهُ الْـوَاصِفُ، وَيُسْرِعُ فِي تَنْفِيذِ الْأَوَامِرِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَالتَّكَالِيفِ الْـمَخْزَنِيَّةِ، كَالرِّيحِ الْـعَاصِفِ، وَالْـبَرْقِ الْـخَاطِفِ.

---

1) اقتبس الكاتب لفظ الآيات الكريمة 13 و 14 من سورة النبأ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ لتسوية فواصل سجعه وفي أسلوبه مبالغة مستهجنة.

2) اقتبس الكاتب لفظ الآية الكريمة رقم: 48 من سورة المائدة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ لتسوية فواصل سجعه.

3) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد الصحابي الجليل الورع، شهد العقبة وسائر المشاهد، ومات بالرملة من بيت المقدس سنة 34هـ. ترجمته في: الاستيعاب: 5/ 323، أسد الغابة: 3/ 148، الإصابة: 5/ 322، وفي أسلوب الكاتب مبالغة لا تخفى.

فَإِذَا رَكِبَ السُّلْطَانُ وَاحْتَفَّتْ بِهِ الْجُنُودُ، وَطَافَتْ بِهِ الْأَلْوِيَّةُ وَالْبُنُودُ، تَقَدَّمَهُمْ كَالْإِمَامِ، وَحَظُّهُمْ عَلى التَّوْقِيرِ وَالْإِعْظَامِ، لِجَانِبِ سَيِّدِنَا الْمُظَفَّرِ الْهُمَامِ، لَا يُفَارِقُ رِكَابَهُ حَتَّى تُشَيِّدَ الْخِدْمَةُ قِبَابَهُ، وَتَسْدُلَ حُجَّابَهُ، وَتَحْرُسَ أَبْوَابَهُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ طَلَّاعُ الثَّنَايَا، وَسَيَّارُ السَّرَايَا، فِي تَمْهِيدِ الرَّعَايَا، وَهَّابُ الْعَطَايَا، مُشِيدُ الْمَزَايَا، كَشَّافُ الرَّزَايَا، رَكَّابُ الْمَطَايَا، وَرَّادُ الْمَنَايَا، عَيُوفٌ لِلدَّنَايَا. وَهُوَ الْآنَ عَاكِفٌ عَلَى كُلَفِهِ، مُحَافِظٌ عَلَى مَرْتَبَتِهِ وَمَرْتَبَةِ سَلَفِهِ، سَاكِنٌ بِبَيْتِ شَرَفِهِ، كَلِفٌ بِتَشْيِيدِ قُصُورِهِ وَغُرَفِهِ. ذَهَبَ بِالْجُنْدِ مَذْهَبَ التَّأْدِيبِ، وَهَذَّبَهُمْ وَجَرَى بِهِمْ إِلَى غَايَةِ التَّهْذِيبِ، وَأَلْزَمَهُمْ حِرَاسَةَ الْإِيوَانِ، وَحِيَاطَةَ الدِّيوَانِ، وَاصْطِحَابَ الشُّرَطِ[1] وَالْأَعْوَانِ، عَلَى اخْتِلَافِ الْأَلْسِنَةِ وَالْأَلْوَانِ. وَكَلِفَ بِاقْتِحَامِ الْأَخْطَارِ، كَلَفَ الْمَعْطِسِ بِالنَّسِيمِ الْمِعْطَارِ. وَحَلَّيْتُهُ بِقَصِيدَةٍ تَضَمَّنَتْ أَحْوَالَهُ فِي الْإِيوَانِ، عَلَى مَرِّ الْمَلَوَانِ[2]، وَهِيَ: [الكامل]

نِلْتُمْ مُنَاكُمْ يَا بَنِي الْعَلَّامِ ... بِاللهِ جَلَّ الْعَالِمِ الْعَلَّامِ[3]

وَبَنَيْتُمُ مَجْدًا تَسَامَى لِلسَّمَا ... طَمَحَتْ إِلَيْهِ بَصَائِرُ الْأَعْلَامِ

وَسَمَكْتُمُ فَخْراً تَرَفَّعَ قَدْرُهُ ... حَتَّى بَدَا يَعْلُو عَلَى الْأَعْلَامِ[4]

وَأَخَذْتُمُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ سَهْمَكُمْ ... حَتَّى حَوَيْتُمْ أَعْظَمَ الْأَسْهَامِ

وَقَرَيْتُمُ الضَّيْفَ الْمُجَلَّلَ بِالطَّوَى ... وَقَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ بِالْإِشْمَامِ[5]

---

1) الشُّرَطُ: جمع شرطي. اللسان: شرط.

2) الملوان: الليل والنهار واحد هما ملا. اللسان: ملا.

3) القصيدة في ديوان شعره: 114.

4) في ديوان شعره: جلا.

5) الطَّوى والطِّوى: الجوع. اللسان: طوي.

وَسَمَاحُكُمْ عَزَّ الْحَيَا وَسُعُودُكُمْ ... تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ[1]

وَحِمَاكُمُ الْوَزَرُ الرَّفِيعُ بِنَاؤُهُ ... بَارٍ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالآثَامِ[2]

جَلَّتْ فَضَائِلُكُمْ عَنِ الْإِحْصَا فَلَا ... تُحْصَى مَدَى الْأَزْمَانِ وَالْأَعْوَامِ

أَقْسَمْتُمُ أَلَّا تَرَوْا مِنَّا وَأَنْ ... تَسْتَقْسِمُوا هَيْهَاتَ بِالْأَزْلَامِ

أَنْجِدْ وَأَتْهِمْ فِي الْمَعَالِي وَاعْتَصِمْ ... بِاللهِ فِي الْإِنْجَادِ وَالْإِتْهَامِ

فَلْتَعْلَمُوا أَنَّ الْقِيَادَةَ خَيَّمَتْ ... فِي دَارِكُمْ مَنْشُورَةَ الْأَعْلَامِ

للهِ مَا أُوتِيتُمُ مِنْ رِفْعَةٍ ... دَامَتْ رِعَايَتُهَا مَدَى الْأَيَّامِ

حَتَّى تَنَالُوا رُتْبَةً تَرْضَى بِهَا ... رُتَبَ الْأُلَى حَاطُوا حِمَى الْإِسْلَامِ[3]

وَتُجَدِّدُوا مَا رَثَّ مِنْ أَثَرِ الْعُلَا ... تَعْنُو إِلَيْهَا جِدَّةُ الْأَهْرَامِ

قَدْ أَقْسَمَتْ عَلْيَاكُمُ لَا تَنْتَهِي ... حَتَّى تَحُوزُوا أَوْفَرَ الْأَقْسَامِ

دُرْتُمْ عَلَى قُطْبِ الْمَعَالِي نَجْمَنَا ... وَأَمِيرَنَا الْحَسَنِ الْعَظِيمِ السَّامِي[4]

وَطَلَعْتُمُ بِالْمِشْوَرِ الْفَرْدِ الَّذِي ... مَا رِيءَ مِثْلُهُ فِي بِلَادِ الشَّامِ // (32)

أَرْبَى عَلَى إِيوَانِ كِسْرَى بَهْجَةً ... لَكِنَّهُ قَدْ حُفَّ بِالْإِنْعَامِ

لُحْتُمْ بِهِ كَالشَّمْسِ فِي رَأْدِ الضُّحَى ... وَأَفَضْتُمُ جُودًا عَلَى الْأَقْوَامِ[5]

---

1) في ديوان شعره: بارى الحيا.

2) الوَزَرُ: الملجأ، وأصل الوزر الجبل المنيع الذي يلتجأ إليه. اللسان: وزر.

3) في ديوان شعره: ترضونها رتب الألى حاموا

4) في ديوان شعره: ملكنا.

5) رأد الضحى: ارتفاعه حين يعلو النهار. اللسان: رأد.

أَبْرِقْ وَأَرْعِدْ فِي سَحَابِ سَمَائِــــهِ بِـالله ذِي الْإِجْــلَالِ وَالْإِكْـرَامِ[1]

وَاخْشَ الْإِلَاهَ الْـفَرْدَ جَلَّ جَلَالُــهُ لَا تَخْـشَ دَيَّـاراً مِـنَ الْآنَـامِ[2]

وَأَفِضْ بِهِ الْـعَدْلَ الَّذِي أَخْبَــارُهُ قَـدْ خَطَّهَا الْـحُذَّاقُ بِـالْأَقْـلَامِ[3]

وَاقْدِمْ عَلَى اللَّيْثِ الْـهَصُورِ بِغَابِــهِ إِذْ مِثْلُكُمْ يُعْزَى إِلَى الْإِقْـدَامِ

وَارْكَبْ عِتَاقَ الْـخَيْلِ فِي يَوْمِ الْـوَغَى إِذْ غَـيْرُكُـمْ يَمْشِي عَـلَى الْأَقْـدَامِ

وَأْمُرْ رُؤُوسَكَ بِالتَّوَغُّلِ فِي الْـعِدَى بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ الْـمُزِيلِ الْـهَامِ[4]

وَاحْفَظْ مَقَامَكَ لَا تَرُمْ عَنْــهُ وَذُدْ عَنْهُ الْـعِدَى كَاللَّيْـثِ فِي الْآجَامِ

وَأَقِمْ لِجِرْمِ الْـمُلْكِ تَحْمِي عِرْضَــهُ مَا قَامَتِ الْأَعْـرَاضُ بِـالْأَجْـرَامِ[5]

لَا زِلْتُمُ تَجْنُونَ كُـــلَّ فَضِيلَـــةٍ وَيَفِيضُ جَانِبُكُمْ بِفَضْلٍ هَامِي[6]

بِوُجُودِ سَيِّدِنَا الْـمُـؤَيَّدِ نَصْــرُهُ حَامِي الْـحِمَى الْـمَحْمُودِ فِي الْأَحْكَامِ

رَاعِي الرَّعَايَا بِالسِّيَاسَةِ وَالـــدَّهَا وَالْـحِلْمِ حَتَّى الْـعَدْلِ فِي الْـحُكَّامِ

أَبْقَاهُ رَبُّ الْـعَالَـمِــينَ عِنَايَـــةً لِلـدِّينِ وَالـدُّنْـيَا بِمُلْكٍ سَـامِ

يَرْعَى مَكَانَتَهُ السَّمِيَّةَ لِلسَّـــمَـا وَيَسُوسُهَا بِالنَّقْضِ وَالْإِبْـرَامِ

وَيَقُومُ فِي مُلْكٍ كَبِيرٍ شَامِــــخٍ بِـالله رَبِّي الْـقَائِـمِ الْـقَيَّامِ

---

1) في ديوان شعره: والإعظام.

2) في ديوان شعره: واخش الإله الرب. يقال ما بِالدَّارِ دَيَّارٌ أَيْ أَحدٌ، وَلا يُسْتَعْمَلُ إلاَّ في النَّفْيِ. ومنه قوله تعالى في سورة نوح: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾.

3) في ديوان شعره: الكتاب

4) الهامة: الرأس، والجمع هامٌ. اللسان: هوم.

5) في ديوان شعره: الدين تحمي عرضه ما دامت الأعراض

6) في ديوان شعره: تبنون.

حَتَّى يُرَى عَبْدُ الصَّلِيبِ مُذَمَّمًا ... يَدْعُو عَلَى الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ
بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ مَعْ صَحْبِهِ ... وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ مَدَى الْأَيَّامِ
فَعَلَيْهِمُ أَزْكَى سَلَامٍ عَاطِرٍ ... يَغْشَاهُمُ فِي كُلِّ حِينٍ نَامِي
فَلْيَفْدِهِ الدَّهْرُ الْعَقِيمُ بِمِثْلِهِ ... بَلْ سَائِرُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
وَلْتَفْدِهِ غُرَرُ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا ... وَالنَّاسُ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ
هَاكُمْ فَتَاةً مِنْ قَرِيضٍ رَائِقٍ ... بَاهِي الْحُلَى يَنْفِي صَدَى الْإِيهَامِ[1]
سَبَحَتْ سَفَائِنُهَا بِبَحْرٍ كَامِلٍ ... بِالشِّعْرِ كَالدُّرِّ الْمُنَضَّدِ طَامِي[2]
فَامْنُنْ عَلَيْهَا بِالْقَبُولِ وَبِالرِّضَى ... لَا تُقْصِهَا عَنْ وَجْهِكَ الْبَسَّامِ
وَلْتَحْمِهَا مِنْ كُلِّ جِلْفٍ جَاهِلٍ ... تَدْرِي جَفَاهُ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ
إِنَّ الْجَهَالَةَ غَادَرَتْ أَرْبَابَهَا ... يَهْوُونَ فِي الْأَهْوَاءِ وَالْأَوْهَامِ
فَهُمُ وَإِنْ لَمْ يَعْبُدُوا صَنَمًا فَقَدْ ... عَكَفُوا عَلَى الدِّينَارِ وَالدِّرْهَامِ
نَالَتْ مُنَاهَا بِالذَّكَا الْأَذْكَى كَمَا ... نِلْتُمْ مُنَاكُمْ يَا بَنِي الْعَلَّامِ.

* وَمِنْهُمُ الْمُولَعُ بِالْبَحْثِ وَالتَّفْتِيشِ، مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ وَلَا تَفْيِيشٍ[3]، عَلَى أَشْعَارِ الْعُرَيْبِ وَالْحَرِيشِ[4]، وَأَهْلِ طَيْبَةَ وَالْعَرِيشِ[5]، اشْتَهَرَ بِالْإِغْرَاءِ

1) في ديوان شعره: باهي الحمى.
2) في ديوان شعره: الشعر المنظم.
3) التفييش: من فعل فايشه مفايشة وفياشا إذا فاخره. اللسان: فيش.
4) الحريش: الكركدن، والحريش الضب المحروش أي المصاد، وهي قرية من كورة الفرج من أعمال الموصل، وأظنها سميت بالقبيلة، وهو الحريش، واسمه معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. معجم البلدان: 2/ 205.
5) العريش: مدينة معروفة في مصر.

وَالتَّحْرِيشِ[1]، وَتَنْمِيقِ الْكَلَامِ وَالتَّزْوِيرِ والتَّرْقِيشِ[2]، مُعْرِضًا عَن جَمْعِ الْحُطَامِ وَالرِّيشِ[3]، مُقْبِلًا عَلَى قَطْفِ أَزَاهِرِ الْقَوْلِ دُونَ الْحَشِيشِ، يَبْرِي وَيَرِيشُ[4]، وَيَرْمِي الْغَرَضَ فَيُصِيبُهُ إِلَّا أَنَّ سِهَامَهُ لَا تَطِيشُ، لَا يَعْبَأُ بِإِرْجَافِ الْمُرْجِفِينَ وَلَا يَحِيشُ[5]، وَلَا يُلِمُّ بِمَنَازِلِ التَّهْوِيشِ[6] وَالتَّشْوِيشِ، نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ جَرِيشٍ[7]، أَيِّدٍ بَطِيشٍ، إِنْ غَاضَبْتَهُ جَاشَ كَالْبَحْرِ يَجِيشُ، **اَلْقَائِدُ إِدْرِيسُ بْنُ الْمَرْحُومِ الْحَاجِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعِيشَ**[8] ، تَسَرْبَلَ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ بِالنَّجَابَةِ، وَتَقَلَّدَ بِاللَّبَابَةِ، وَتَمَسَّكَ بِأَسْبَابِ الصَّبَابَةِ، فَعَفَّى **دِيوَانَ الصَّبَابَةِ**[9]، وَفَاقَ أَتْرَابَهُ، أَغَاضَ حُسَّادَهُ وَأَضْرَابَـهُ، وَأَحْـرَزَ مِنَ الْأَدَبِ نِصَابَهُ، وَبَـرَّزَ بِنُبْلِهِ عَلَى هَاتِيكِ الْعِصَابَهْ.

كَانَ وَالِدُهُ رَحِمَهُ اللهُ مُلَازِماً لِرِكَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَغِيَاثِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، شَاهَدْتُهُ مِرَارًا بِقُبَّةِ الصَّوِيرَةِ، الْمُحْتَفَّةِ بِالْأَنْوَارِ الْمُنِيرَةِ، وَالْأَزْهَارِ الزَّهِيرَةِ، مُكَلَّفًا بِعَرْضِ الْعَسَاكِرِ //وَالْجُنُودِ، وَإِشْهَارِ الْأَلْوِيَةِ وَالرَّايَاتِ وَالْبُنُودِ، (33)
لَهُ صَوْتٌ جَهِيرٌ، وَصِيتٌ شَهِيرٌ، فَمَكَثَ فِي الْخِدْمَةِ السَّعِيدَةِ، مُدَّةً مَدِيدَةً، حَتى فَاجَأَهُ أَجَلُهُ، وَانْقَضَى أَمَلُهُ، وَطَلَعَ نَجْلُهُ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ فِي الْإِيوَانِ السَّعِيدِ شِهَابًا

1) التحريش: إغراؤك الإنسان والحيوان وتهييجه ليقع بعضه على بعض، حرَّش بينهم: أفسد وأغرى بعضهم ببعض. اللسان: حرش.
2) الرقش والترقيش: الكتابة والتنقيط. اللسان: رقش.
3) الريش: المتاع والأموال. اللسان: ريش.
4) راش السهم ريشا وارتاشه ركّب عليه الريش. اللسان: ريش.
5) حاش يحيش حيشا إذا فزع. اللسان: حيش.
6) الهوشة: الفتنة والفساد، وهاشَ القومُ وهَوِشُوا هَوَشا وقعوا في فساد. اللسان: هوش.
7) رجل جريش: صارم نافذ. اللسان: جرش.
8) إدريس بن محمد يعيش كان خليفة لقائد المشور أيام المولى الحسن الأول، وقائدا له أيام المولى عبد العزيز، وكان عاملا على مدينة وجدة، ثم ثغر تطوان. ترجمته في: إتحاف أعلام الناس 2/ 196، معلمة المغرب: 22/ 7672.
9) ديوان الصبابة، لأحمد بن يحيى بن أبي بكر بن أبي حجلة التلمساني (ت. 776هـ)،
كتاب حوى أخبار من قتل الهوى   وسار بهم في الحب كل مذهـب.
رتبه على مقدمة ثلاثين بابا وخاتمة، وهو مطبوع.

سَارِيًا، وَزِنَادًا وَارِيًا، طَائِفًا بِكَعْبَتِهِ سَاعِيًا، وَنَبَعَ بَيْنَ أُولَئِكَ الْأَفَاضِلِ، والْأَكَابِرِ والْأَمَاثِلِ، زُلَالًا صَافِيًا، وَبِأَوْصَافِ الرِّئَاسَةِ حَالِيًا، وَنَزَلَ مِنْ سَمَاءِ الرِّعَايَةِ وَدْقًا هَامِيًا، وَأَحْيَا رَسْمَ النَّبَاهَةِ وَكَانَ عَافِيًا، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ الْإِمَارَةِ ذَاهِبًا وَجَائِيًا، وَجَابَ أَوْدِيَتَهَا وَادِيًا وَادِيًا، وَعَمَرَ أَنْدِيَةَ الْـحَضْرَةِ نَادِيًا نَادِيًا، وَجَالَ فِي أَرْجَائِهَا وَصَدَحَ فِي أَحْيَائِهَا مُنَادِيًا، وَأَصْبَحَ لِأَصْفِيَائِهَا مُصَافِيًا، وَلِأَوْلِيَائِهَا مُوَالِيًا، وَلِأَعْدَائِهَا مُعَادِيًا، وَلِمُبَارِيهَا مُبَارِيًا، وَلِمُنَاوِيهَا مُنَاوِيًا، وَلِرُعَاتِهَا مُرَاعِيًا، وَبِأُبَّهَاتِهَا مُبَاهِيًا، وَلِخُدَّامِهَا آمِرًا وَنَاهِيًا، وَلِعَلِيلِهَا طَبِيبًا مُدَاوِيًا، وَلِنَجِيِّهَا مُنَاجِيًا، وَلِغَيْثِ بَرَكَاتِهَا طَامِعًا رَاجِيًا، وَمُهْتَمًّا بِأَحْوَالِهَا صَائِفًا وَشَاتِيًا، وَصَارِمًا لِحِمَاهَا حَامِيًا، وَكَوْكَبًا فِي سَمَائِهَا جَارِيًا، وَفِي فِتْيَتِهَا مُفْتِيًا وَقَاضِيًا، وَبِمَا حُمِّلْتَهُ رَاضِيًا، وَلِمَا تَسْخَطُهُ قَالِيًا، وَفِي رُمَاتِهَا رَامِيًا، وَشَيَّدَ فِي عُلَاهَا فَخْرًا سَامِيًا، وَمَجْدًا عَالِيًا، وَأَسْنَدَ فِي أَخْبَارِهَا خَبَرًا شَافِيًا، وَفِي حَدِيثِهَا حَدِيثًا فَاشِيًا، وَلِطَاعَتِهَا دَاعِيًا، وَلِمَآرِبِهَا سَاعِيًا، وَلِكَلِمَتِهَا وَاعِيًا، وَلِمَا تَصُوغُهُ مِنَ الْأَوَامِرِ صَاغِيًا، وَلِكُلَفِهَا[1] كَافِيًا، وَلِمَعَارِجِ حِرَاسَتِهَا رَاقِيًا، وَبِكُؤُوسِ مُصَافَاتِهَا سَاقِيًا، وَلِحُلَلِ مَرْضَاتِهَا حَاوِيًا، وَبِكُسَى حِمَايَتِهَا كَاسِيًا، وَلِأَحَادِيثِ عِنَايَتِهَا رَاوِيًا، وَمِنْ بِحَارِ مَشَارِبِهَا رَاوِيًا، وَعَنْ سِوَاهَا طَاوِيًا، مُوَاظِبًا عَلَى خِدْمَتِهَا لَا وَانِيًا وَلَا مُتَوَانِيًا.

تَكَفَّلَ بِأَمْرِ حِجَابَةِ الْـحَاجِبِ، وَأَنْزَلَهَا مَنْزِلَةَ الْـعَيْنِ مِنَ الْـحَاجِبِ، حَتَّى كَانَتْ أَحْسَنَ مِنْ قَوْسِ حَاجِبٍ، وَقَامَ بِشَأْنِهَا الْـوَاجِبِ، وَاقْتَرَنَ بِحِيَاطَتِهَا[2] وَلَا اقْتِرَانَ الْـغَزَالَةِ[3] وَالْـكَاتِبِ، وَرَمَى غَرَضَهَا بِسَهْمِهِ الصَّائِبِ، فَلَمْ يَتْرُكْ بِسَاحَتِهَا عَيْبًا لِعَائِبٍ، صَارَ بِخَبَرِهِ الرَّاجِلُ وَالرَّاكِبُ، وَالصَّدِيقُ وَالصَّاحِبُ، وَالْـجَادُّ

1) يقال فلان يتكلف لإخوانه الكُلَف والتكاليف أي يتجشمها. اللسان: كلف.

2) حاطه يحوطه حوطا وحيطة وحياطة: حفظه وتعهده. اللسان: حوط.

3) الغزالة: الشمس عند طلوعها. اللسان: غزل.

وَاللَّاعِبُ، وَهَتَفَ بِهِ السَّانِحُ وَالنَّاعِبُ، وَالْـمُحِبُّ وَالرَّاغِبُ، وَالْـجَائِي وَالذَّاهِبُ، وَالْـحَبْرُ وَالرَّاهِبُ. حَبَاهُ اللهُ وَأَوْلَاهُ أَسْنَى الْـمَطَالِبِ، وَأَسْمَى الْـمَرَاتِبِ، وَأَعْظَمَ الْـمَنَاصِبِ، وَكَسَاهُ أَحْسَنَ الْـمَنَاقِبِ، وَقَضَاهُ كُلَّ الْـمَآرِبِ، وَأَوْرَدَهُ أَعْذَبَ الْـمَوَارِدِ وَالْـمَشَارِبِ، وَسَيَّرَ ذِكْرَهُ فِي الْـمَشَارِقِ وَالْـمَغَارِبِ، وَالْأَعَاجِمِ وَالْأَعَارِبِ، وَوَقَاهُ جَمِيعَ الْـمَعَاطِبِ وَالْـمَصَائِبِ، وَوَهَبَهُ أَجَلَّ الْـمَوَاهِبِ، وَسَلَكَ بِهِ أَحْسَنَ الْـمَذَاهِبِ، وَرَفَعَ مَوْكِبَهُ فِي الْـمَوَاكِبِ، وَجَعَلَهُ قَائِدَ الْـمَقَانِبِ[1]، وَأَحْسَنَ عَاقِبَتَهُ فِي الْـعَوَاقِبِ، وَبَلَّغَهُ غَايَةَ الْـمَقَاصِدِ وَالْـمَطَالِبِ، وَأَرْكَبَهُ أَعَزَّ الْـمَرَاكِبِ، حَتَّى يُزَاحِمَ النُّجُومَ بِالْـمَنَاكِبِ، وَيَعْتَمَّ بِالْـكَوَاكِبِ، وَتَتَشَوَّفَ لِطَلْعَتِهِ الطَّوَالِعُ وَالْـغَوَارِبُ، وَيَقْضِي الْـوَاصِفُونَ مِنْ أَوْصَافِهِ دُيُونَ الْـعَجَائِبِ، وَيُدْمِجُونَهَا فِي الْـحِكَايَاتِ وَالْـغَرَائِبِ، وَأَدَامَ حَيَاتَهُ فِي أَلَذِّ الْأَطَايِبِ.

وَبِالْـجُمْلَةِ فَهُوَ بُغْيَةُ الرَّائِدِ وَالطَّالِبِ، وَمُنْيَةُ الرَّامِي وَالنَّابِلِ وَالنَّاشِبِ[2]، فَهُوَ لَيِّنُ الْـجَانِبِ، الرَّافِعُ لِرَايَةِ الْـمَجْدِ النَّاصِبِ، الْـهَاصِرُ[3] لِأَطْرَافِ السَّمَاحَةِ اللَّاعِبُ، وَالْـمُؤَجِّجُ نَارَ الْـقِرَى إِذَا وَقَبَ[4] الْـوَاقِبُ، وَاغْبَرَّتِ الْآفَاقُ وَاقْشَعَرَّتِ الْـغَيَاهِبُ، وَضَنَّ الْـمُصَدِّقُ وَالْـوَاهِبُ، فَضَائِلُهُ يَقْصُرُ عَنْ حُسْبَانِهَا وَكَتْبِهَا الْـحَاسِبُ وَالْـكَاتِبُ، وَإِنْ تَبَارَتِ الْـفُضَلَاءُ فِي الْـفَضْلِ فَهُوَ الْإِمَامُ الرَّاتِبُ، قَدْ أُغْرِيَ بِتَجْهِيزِ الْـعَصَائِبِ بَعْدَ الْـعَصَائِبِ، وَزَمِّ النَّجَائِبِ، وَدَفْعِ النَّوَائِبِ، وَتَرْحِيلِ الرَّكَائِبِ، وَتَحْرِيرِ الْـجَوَائِبِ[5].

---

1) المقانب جمع مِقنب وهي جماعة الخيل والفرسان، وقيل هي دون المئة. اللسان: قنب.

2) النُّشَّابُ: النبل، ومنه سمي الرجل ناشبا. اللسان: نشب.

3) الهصر: عطف الشيء الرطب كالغصن ونحوه وكسره من غير بينونة. اللسان: هصر.

4) وقَبَ الشيءُ يقِبُ وقبا دخل. اللسان: وقب.

5) الجوائب: الأخبار الطارئة لأنها تجوب البلاد. اللسان: جوب.

وَبَلَغَنَا عَنْهُ الْآنَ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ فِي نَادِيهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْأُدَبَاءِ وَالظُّرَفَاءِ، وَالنُّجَبَاءِ وَالشُّرَفَاءِ، يَتَعَاطَى مَعَهُمْ كُؤُوسَهُ، وَيُجَمِّلُ بِهِمْ مَجْلِسَهُ وَجُلُوسَهُ، وَيَعُدُّهُمْ أَقْمَارَهُ وَشُمُوسَهُ، وَالسَّعْدُ يُهْدِي إِلَيْهِمْ سُعُودَهُ، وَالدَّهْرُ يُبَاعِدُ عَنْهُمْ نُحُوسَهُ، وَيَنْشُرُ عَلَيْهِمْ وِفَاقَهُ // وَيَطْوِي عُكُوسَهُ، وَيُتْحِفُهُمْ نُعْمَاهُ وَيُذْهِبُ بُؤْسَهُ. (34)

أَبْقَاهُ اللهُ يُزْجِي سَفَائِنَ مَكَانَتِهِ، وَخَلَّدَهُ فِي مَهَابَتِهِ، وَأَسْمَى سَمَاءَ مَجَادَتِهِ، يَخْتَالُ فِي عِنَايَتِهِ، وَيَشْمَئِزُّ فِي إِبَايَتِهِ، وَزَادَهُ فِي رِفْعَةِ عِزَّتِهِ، وَبَلَّغَهُ أَقْصَى أُمْنِيَتِهِ، وَأَنَالَهُ بَسْطًا فِي رَاحَتِهِ، وَأَبْعَدَ كُلَّ سُوءٍ عَنْ سَاحَتِهِ، مَا تَعَاقَبَ الْـمَلَوَان، وَسَبَّحَ الثَّقَلَان.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ: [الطويل]

جَرَى ابْنُ يَعِيشٍ فِي سَمَاءِ سُعُــودِهِ ... وَأَوْرَى بُرُوقًا فِي سَحَابِ رُعُودِهِ[1]

وَشَيَّدَ فَخْرًا شَامِخًا مُتَصَاعِــــدًا ... بِأُفْقِ الْـمَعَالِي سَامِكًا لِعَمُودِهِ

وَحَالَفَ خِلَّ الصِّدْقِ وَالْـوَعْدِ وَالْـوَفَا ... فَـعُـدَّ وَفِـيًّـا مُـنْـجِـزًا لِـوُعُــودِهِ

وَشَدَّ عُقُودَ الْـمَكْرُمَاتِ بِــأَسْرِهَا ... وَمَا حَل عَقْداً وَاحِداً مِنْ عُقُودِهِ

فَمَا حَالَ عَنْ حَالِ النَّبَاهَةِ وَالذَّكَــا ... وَلَا يَــوْمَ حَيًّا حَلَّهُ فِي مُـهُــودِهِ

وَمَجْلِسُهُ الْأَسْنَى الْـبَهِيُّ تَحُلُّــــهُ ... شُمُوسُ أُنَاسٍ قَدْ كَفَاهُمْ بِجُودِهِ

تَخَيَّرَهُمْ إِذْ جَالَ فِيهِمْ بِرَأْيِــــهِ ... فَـمَا مِـنْـهُـمُ إِلَّا سَبِيكَةُ وُدِّهِ

وَرَادَهُمُ حَتَّى اهْتَدَى لِوِدَادِهِــمْ ... وَمَا حَالُ هَدْيِ الْـمُهْتَدِي لِوَدُودِهِ!

وَأَوْرَدَهُمْ نَهْرَ الْـمَبَرَّةِ وَالنَّــدَى ... وَقَدْ أَحْرَزُوا كُلَّ الْـمُنَى مِنْ وُرُودِهِ

فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تَرْفَعُ قَــدْرَهُ ... وَتَـرْعَـاهُ فَـرْدًا مَائِسًا فِي بُـرُودِهِ

1) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

وَتَحْرُسُهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ يَرُومُــــــهُ وَيَــأْمَــنُ فِي قِيَــامِـهِ وَقُــعُــودِهِ
وَأَحْيَاهُ كَيْمَا يُحْيِي كُـــلَّ فَضِيلَةٍ وَجَــلَّاهُ شَهْـمًا مُوفِيًا بِعُهُودِهِ
وَكَانَ لَـهُ فِي حَالِ نَوْمٍ وَيَقْظَـــةٍ وَرَقَّــاهُ فِي إِصْـعَـادِهِ وَصُـعُــودِهِ
وَلَا زَالَ سَمْحًا يَغْلِبُ الْقَطْرَ سَمْحُهُ بِبَسْطِ يَـدَيْـهِ فِي صُنُوفِ نُقُودِهِ
تَحَفَّى أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ بِشَأْنِــــهِ وَوَلَّاهُ عَـرْضَ جَيْشِهِ وَجُـنُـودِهِ
فَقَامَ بِأَمْرِ الْـمَالِكِ السَّعْدِ وَاعْتَنَـى بِـمَا حَـدَّهُ لَمْ يَنْتَقِلْ عَـنْ حُـدُودِهِ
وَحَاوَلَ تَنْفِيذَ الْأَوَامِرِ جُهْـــــدَهُ يُنَاوِلُ قُرْبًا حَائِدًا عَنْ صُـدُودِهِ
أَدَامَ إِلَاهُ الْـعَرْشِ عَرْشَ مَلِيكِنَـــا يُحَامِـي حِـمَـى آبَـائِـهِ وَجُــدُودِهِ
وَأَوْلَاهُ فِي أَمْرِ الْـبُغَاةِ مُـــــرَادَهُ يَرَى كُلًّا مِنْهُمْ رَاسِفًا فِي قُيُودِهِ
وَحَيَّا مُحَيَّاهُ الْـجَمِيلَ وَحَاطَــــهُ وَسَرَّهُ فِي أَحْـزَابِـهِ وَوُفُــودِهِ
وَرَاعَاهُ فِي أَشْبَالِهِ زَهْرَةَ الدُّنَــــا وَأَعْـلَـى عُـلَاهُ خَـالِـدًا فِي خُلُودِهِ
وَأَبْقَاهُ سِيدًا خَادِرًا مُتَكَفِّــــلًا بِدَفْعِ الْـعِدَى يَخْتَالُ بَيْنَ أُسُـودِهِ[1]
فَمَا يَجْحَدُ الْإِحْسَانَ مِنْ حَالِهِ سِوَى جَحُودٍ كَفُورٍ رَاسِـخٍ فِي جُحُودِهِ
فَيَا رَبِّ زِدْهُ رِفْعَةً فِي سُمُــــوِّهِ وَزِدْهُ اشْتِهَارًا بِاشْتِهَارِ بُنُودِهِ
وَفَتْكُمْ فَتَاةٌ مِنْ قَرِيضٍ مُهَـــذَّبٍ بِبَحْرٍ طَوِيلٍ هَـاجَ بَعْدَ رُكُــودِهِ
تَدَانَتْ عَلَى رُغْمِ الْـغَبِيِّ عَرُوضُــهُ وَرِيـحُ الْـقَوَافِي هَبَّ بَعْدَ هُمُـودِهِ
وَأَضْرَابُهُ عَزَّتْ فَمَنْ شَاءَ رَامَهَـــا بِذِهْنٍ جَرَى بَلْ سَالَ بَعْدَ جُمُودِهِ
فَهِمْ وَاضْطَرِبْ فِي وَادِهَا وَاسْتَبِقْ إِلَى شَهَادَةِ قَـاضِي عَصْرِنَا وَشُهُودِهِ

1) السِّيدُ: الأسد. خدر الأسد وأخدر فهو خادرٌ ومخدِرٌ أقام في عرينه وأجمته. اللسان: سيد وخدر.

فَتَخْضَعُ أَصْوَاتُ الْأَغَانِي لِلَحْنِـهَا وَمَا صَوْتُ إِبْرَاهِيمَ فِي نَقْرِ عُودِهِ[1]

وَيَرْكَعُ مَنْ يُصْغِي لِحُسْنِ نِظَامِهَـا وَرُبَّـتَـمَا يَهْـوِي لَهَـا فِي سُـجُـودِهِ

وَمَنْ يَتَعَاطَ الشِّعْرَ جَهْلًا لَقَدْ غَـوَى وَلَا فَـرْقَ بَـيْنَ عُدْمِهِ وَوُجُـودِهِ

وَتَاهَ فَلَمْ يُدْرِكْ مَرَامًا بِتِيهِـهِ وَقَـدْ ضَـلَّ فِي إِتْهَـامِـهِ وَنُـجُـودِهِ

فَمِيزَانُهُ الْـمَشْهُورُ طَاحَ وَجَمْـرُهُ تَكَنَّفَهُ الْإِبْـرَادُ بَـعْـدَ خُمُـودِهِ[2]

وَأَعْلَامُهُ الْأَعْلَامُ بَادُوا بِأَسْرِهِـمْ فَكُلٌّ تَـوَارَى فِي الثَّرَى بِلُحُودِهِ

وَجَوْهَرُهُ الْـمَعْشُوقُ غَاضَتْ بُحُورُهُ وَظَبْيُ حِمَـاهُ ضَلَّ بَعْدَ نُـدُودِهِ// (35)

وَرَاعَ الْـحِسَانَ الرَّائِعَاتِ بِحُسْنِـهِ وَقَدْ حَسَدَ النِّسْرِينُ وَرْدَ خُدُودِهِ

فَبِاللهِ يَا إِدْرِيسُ صُنْهَا عَنِ الْـعِـدَى وَلَا تَعْدِلَنْ ظَبْيَ الْـحِمَى بِقُرُودِهِ

تَقَبَّلْ رَعَاكَ اللهُ مَا قَـدْ وَفَاكَ مِـنْ أَسِيرِ هَـوَاكُـمْ مُـولَمًا بِحَسُودِهِ

يَرُوقُ كَمَا رَاقَ الْـعَرُوسَ ابْتِسَامُـهُ وَحَـازَ ارْتِفَاعًا بِارْتِفَاعِ نُهُـودِهِ

جَرَتْ سُفُنُ الْأَفْكَارِ فِي بَحْرِهَا كَمَـا جَرَى ابْنُ يَعِيشٍ فِي سَمَاءِ سُعُودِهِ.

*** وَمِنْهُمُ الْـعَالِمُ النَّبِيهُ الْـوَزِيرُ الْـفَقِيهُ أَبُو الْـحَسَنِ سَيِّدِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْـمَسْفِيوِيُّ الْـمُرَّاكُشِيُّ دَارًا وَقَـرَارًا[3]: مُخْبِتٌ[4] مُتَوَاضِعٌ، وَلِثَدْيِ الْـمَحَاسِنِ**

---

1) أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان الموصلي، أوحد أهل زمانه في الغناء واختراع الألحان، وكان من ندماء الخلفاء، مات سنة 188 هـ، تنظر ترجمته في: الأغاني: 5/ 154 كتب، تاريخ بغداد: 6/ 175، معجم الأدباء: 1/ 93، وفيات الأعيان: 1/ 42.

2) الإبراد: انكسار الوهج والحر. اللسان: برد.

3) أبو الحسن علي بن محمد المسفيوي المراكشي مؤرخ من أهل مراكش، كان وزير الشكايات أيام حكم المولى الحسن الأول والمولى عبد العزيز، توفي سنة 1316هـ، تُنظر ترجمته في: فواصل الجمان: 91، الحلل البهية: 2/ 207، إتحاف أعلام الناس: 5/ 481، الإعلام: 9/ 262، دليل مؤرخ المغرب: 147، الأعلام: 5/ 18.

4) الإخبات: الخشوع والتواضع. اللسان: خبت.

وَالْـمَكَارِمِ رَاضِعٌ، وَوَضْعُهُ الْـحَسَنُ مِنْ آثَارِ وَضْعِ الْـوَاضِعِ، نَشَأَ فِي عَفَافٍ وَصِيَانَةٍ، وَمُـرُوءَةٍ وَدِيَانَةٍ. اشْتَغَلَ فِي صِغَرِهِ بِتَعَاطِي الْـفِقْهِ فِي الدِّينِ، بَعْدَ حِفْظِ الْـكِتَابِ الْـمُبِينِ، فَعَكَفَ عَلَيْهِ مُدَّة، وَسِنِينَ عِدَّة، ثُمَّ سَمَتْ بِهِ هِمَّتُهُ، وَقَوِيَتْ عَزْمَتُهُ، فَرَحَلَ لِحَضْرَةِ فَاسٍ فِي طَلَبِ الْـعِلْمِ الشَّرِيفِ، فَحَصَلَ مِنْهُ عَلَى الْـخِصْبِ وَالرِّيفِ، وَأَنْفَقَ فِي تَحْصِيلِهِ مَا لَهُ مِنَ التَّلِيدِ وَالطَّرِيفِ، وَلَقِيَ بِهَا الْأَعْلَامَ مِنْ عَالِمٍ أَوْ أَدِيبٍ أَوْ ظَرِيفٍ، فَاغْتَبَطَ فِي غَيْبَتِهِ، بِبُلُوغِ بُغْيَتِهِ، وَمَلْءِ عَيْبَتِهِ[1].

وَلَمَّا قَضَى تِلْكَ الْأَوْطَارَ، طَارَ وَأَسْرَعَ فِي الْـمَطَارِ، إِلَى هَذِهِ الْأَقْطَارِ، فَهَشَّتْ لِلِقَائِهِ، وَرَحَّبَتْ بِمَقْدَمِهِ وَقَامَتْ بِاعْتِنَائِهِ، وَحُمِدَتْ سَفْرَتُهُ فِي ابْتِدَائِهِ وَانْتِهَائِهِ. وَاهْتَزَّتْ فَرَحًا بِهِ جِبَالُ دَرَنٍ عَلَى سُكُونِهَا، وَاسْتَبْشَرَتْ بِهِ الطَّيْرُ فِي وُكُونِهَا. فَاسْتَقَرَّ بِالْـحَضْرَةِ الْـمُرَّاكُشِيَّةِ اسْتِقْرَارَ الدُّرِّ فِي صَدَفِهِ، وَالْـعَذْبِ فِي نُطَفِهِ. وَعَكَفَ عَلَى تَدْرِيسِ الْـعُلُومِ، وَتَحْرِيرِ الْـمَنْطُوقِ وَالْـمَفْهُومِ، بِثَوَاقِبِ الْـفُهُومِ. وَكَمْ شَفَا مِنْ غَلِيلٍ، **بِمُخْتَصَرِ الشَّيْخِ خَلِيلٍ**، فَتَبَسَّمَتْ فِي وَجْهِهِ الدُّنْيَا، وَمَلَكَ أَزِمَّةَ الْـفُتْيَا، مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَلَا ثُنْيَا[2]، وَرَدَتْ عَلَيْهِ الْـقَضَايَا وَالنَّوَازِلُ، مِنْ جَمِيعِ الْـجِهَاتِ وَالْـمَنَازِلِ، ثُمَّ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ الدَّوْلَةُ، فَأَنْزَلَتْ مَكَانَتَهُ مَنْزِلَةَ الشَّوْلَةِ[3]، كَمَا هِيَ عَادَتُهَا فِي الِاسْتِئْثَارِ بِالذَّخَائِرِ، وَاخْتِصَاصِهَا بِالْأَفَاضِلِ وَالْأَخَايِرِ، فَكَانَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ[4] أَيَّامَ وَالِدِهِ الْـمُقَدَّسِ يَتَعَاطَى مَعَهُ كُؤُوسَ الْـعِلْمِ الرَّفِيعِ، وَيَخُوضَانِ بِحَارَ النَّحْوِ وَالْـبَيَانِ وَالْـبَدِيعِ، فَعَمَّرَ أَسْوَاقًا نَفَقَتْ فِيهَا مُذَاكَرَاتٌ رَائِعَاتٌ، وَمُنَاظَرَاتٌ يَانِعَاتٌ، يَصْبُو لِسَمَاعِهَا اللَّبِيبُ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهَا الْـعَجِيبِ. فَمَكَثَا عَلَى هَذَا

---

1) العيبة: وعاء من أدم يكون فيها المتاع، والجمع عياب وعيب. اللسان: عيب. ولابن رشيد السبتي رحلة مشهورة سماها: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة المعروفة، بعض أجزائها مطبوعة.

2) الثنيا والثنوى: ما استثنيته اللسان: ثني.

3) الشولة: منزلة، وهي كوكبان نيران متقابلان ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب. اللسان: شول.

4) يقصد السلطان الحسن الأول وكان حينئذ خليفة لأبيه السلطان محمد بن عبد الرحمن على مراكش.

الْـحَالِ بُرْهَةً، يَقْطِفَانِ فِي كُلِّ لَـمْحَةٍ نُزْهَةً، إِذْ كَانَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ فَارِغَ الْـبَالِ، وَغُصْنُ شَبَابِهِ مُعْتَمٌّ بِالْإِقْبَالِ.

ثُمَّ لَمَّا مَضَى وَالِدُهُ لِحَالِهِ، وَجَدَّ فِي تَرْحَالِهِ، اخْتَصَّ الْـفَقِيهَ الْـمَذْكُورَ بِصُحْبَتِهِ، وَنَظَمَهُ فِي سِلْكِ خِدْمَتِهِ، وَشَارَكَهُ فِي نِعْمَتِهِ، وَرَاعَى لَهُ حُقُوقَ حُرْمَتِهِ، قَلَّدَهُ بِتَقْيِيدِ الْـمَظَالِمِ، وَتَمْيِيزِ الْـمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، فَقَامَ بِأَعْبَاءِ تِلْكَ الْـخُطَّةِ[1]، مُتَقَلِّبًا فِي سُرُورٍ وَغِبْطَةٍ، وَاقِفًا عِنْدَ حَدِّهِ، مُشَمِّرًا عَنْ سَاقِ جِدِّهِ، رَافِعًا لِلِوَاءِ مَجْدِهِ، مُسْتَنْشِقًا عَرَارَ نَجْدِهِ، مُنْفِقًا عَلَى إِبْقَاءِ رُتْبَتِهِ مِنْ وُجْدِهِ، حَرِيصًا عَلَى وَفَاءِ عَهْدِهِ، وَإِنْجَازِ وَعْدِهِ.

اتَّسَمَ بِوَقَارٍ يُقِرُّ بِهِ العَلَمُ، وَيَحَارُ فِي كُنْهِهِ الْـكُتَّابُ بِالْـقَلَمِ، وَجِوَارُهُ تَوَدُّهُ جِيرَانُ ذِي سَلَمٍ[2]، وَبَشَاشَتُهُ تَحْسُدُهَا بُرُوقُ سَلْعٍ[3] وَإِضَمٍ[4]، وَسَمَاتُهُ يَعْتَرِفُ بِهَا الْـبَحْرُ الْـخِضَمُّ، فَهُوَ الْآنَ يَقْضِي مَا عَلَيْهِ لِلْعَلْيَاءِ مِنَ الدُّيُونِ، وَيُفَجِّرُ خِلَالَهَا شَرَائِعَ الْأَنْهَارِ وَالْـعُيُونِ، لِتَرْضَى الْـمَكَارِمُ صُنْعَهُ وَتَقَرَّ مِنْهَا الْـعُيُونُ. فَأَحْوَالُهُ تَصُولُ بِالْإِرْعَادِ وَالْإِبْرَاقِ، مَعَ ذَلِكَ الْإِطْرَاقِ، وَأَفْعَالُهُ الْـمُتَعَدِّيَةُ تَخْتَالُ فِي الشُّمُولِ وَالِاسْتِغْرَاقِ، وَمَنْظَرُهُ يَلْتَهِبُ بِالْإِشْرَاقِ، وَكَلِمُهُ الطَّيِّبُ يُنْبِئُ عَنْ طِيبِ الْأَعْرَاقِ، وَأَخْلَاقُهُ أَذْكَى مِنْ أَنْفَاسِ الْـعِرَاقِ، وَفُكَاهَتُهُ يَخْجَلُ مِنْهَا الزَّهْرُ الْـفَائِحُ، وَمَجَادَتُهُ يَعْرِفُهَا الْـغَادِي وَالرَّائِحُ، وَعِنَايَتُهُ يَنْحَطُّ دُونَهَا السِّمَاكُ الرَّامِحُ، وَجَلَالَتُهُ يَهْتِفُ بِهَا الْـبُلْبُلُ الصَّادِحُ، وَالشَّمْسُ غَنِيَّةٌ عَنْ مَدْحِ الْـمَادِحِ.

خَاطَبْتُهُ بِقَصِيدَةٍ عَامَ خَمْسَةٍ وَتِسْعِينَ أُعَزِّيهِ بِهَا فِي مُصَابِهِ بِأَخِيهِ الْـفَقِيهِ الْـقَاضِي السَّيِّدِ مَنْصُور رَحِمَهُ اللهُ، //وَهِيَ: [الكامل] (36)

---

1) الخطة: الحال والأَمْرُ والخطب، وفي الحديث: إنَّه قد عرض عليكم خُطَّة رُشدٍ فاقبلوها. اللسان: خطط.

2) ذو سلم: موضع بالحجاز، وقد أكثر الشعراء من ذكره. معجم البلدان: 3/ 240.

3) سلع جبل بسوق المدينة، وقيل موضع بقرب المدينة. معجم البلدان: 3/ 236.

4) إضم: ماء بين مكة واليمامة، وقيل واد بجبال تهامة وله ذكر في سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي شعر العرب. معجم البلدان: 1/ 214.

دَعْنِي مِنِ اغْرَائِي بِوَصْفِ الْحُـورِ وَمُرُوحِهِنَّ بِسَاحِ تِلْكَ الـدُّورِ[1]
وَغِنَائِهِنَّ الْـمُطْرِبِ الْحَسَنِ الَّذِي تُغْرَى الْحِسَانُ بِصَوْتِهِ الْـمَشْهُورِ
وَمِنَ اخْتِيَالِ الْغِيدِ فِي أَثْوَابِهَـــا تَسْبِي الْعُقُولَ بِشَعْرِهَا الْـمَضْفُورِ
وَمِنَ ابْتِسَامِ الثَّغْرِ مِنْ بَعْدِ الْجَفَـا فِي وَجْـهِ خِـدْنٍ حَائِرٍ مَسْحُورِ[2]
وَمِنَ افْتِرَارِ الْـبَرْقِ فِي غَسَقِ الدُّجَى يَسْقِي الرِّيَاضَ بِوَبْلِهِ الْـمَمْطُورِ
وَتَجَاوُبِ الْأَطْيَارِ فِي رَوْضَاتِهَـــا وَالـزَّهْـرُ زَاهٍ سَـاطِعٌ بِالنُّورِ
وَتَفَاوُتِ الْأَوْتَارِ فِي نَغَمَاتِهَـــا كُـلٌّ يَـبُـوحُ بِلَحْنِهِ الْـمَأْثُورِ
وَتَمَايُسِ الْأَغْصَانِ فِي أَشْجَارِهَـــا وَالْغُصْنُ سَـامٍ مُـرْتَـدٍ بِحُبُورِ
وَتَعَانُقِ الْـخِلَّانِ فِي أَسْرَارِهَـــا حِفْظًا لِرُتْبَةِ حُبِّهَا الْـمَسْتُورِ
وَتَحَاوُرِ السُّمَّـــارِ فِي أَسْمَارِهَـــا وَالَّـلـيْـلُ سَـارٍ سَـادِلٌ لِسُتُورِ
وَتَفَاخُرِ الشُّعَــــرَاءِ فِي أَشْعَارِهَا كُـلٌّ يَهِـيـمُ بِـــوَادِهِ الْـمَعْمُورِ
وَتَطَاوُلِ الْأَجْوَادِ فِي إِيثَارِهَـــا كُـلٌّ يَجُــودُ بِـحَـظِّـهِ الْــمَـوْفُـورِ
لَا تَدْنُ مِنْ سَلْمَى وَلَا جَارَاتِهَـــا وَاهْجُرْ مَرَابِعَ رَبْعِهَا الْـمَهْجُورِ
وَاصْرِمْ حَبَائِلَ حُبِّهَا وَوِدَادِهَـــا وَافْـزَعْ لِطَيِّ كِتَابِهَا الْـمَنْشُورِ
وَانْدُبْ عَظِيمَ الْـقَدْرِ مَنْصُــورًا وَلَا تَبْخَلْ بِـسَرْدِ حَدِيثِهِ الْـمَسْطُورِ
وَاذْكُرْ فَضَائِلَهُ الَّتِي أَرْبَتْ وَلَـــمْ تُحْـصِ الْأَفَـاضِـلُ عَدَّهَا بِسُطُورِ

1) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.
2) الخدن والخدين: الصديق. اللسان: خدن.

وَانْظِمْ مَفَاخِرَهُ السَّمِيَّةَ لِلسَّمَـــا نَظْمَ الْفَتَاةِ لِدُرِّهَا الْمَنْثُورِ
وَانْثُرْ مَآثِرَهُ الْعَلِيُّ سِنَادُهَـــــا فِي كُـلِّ نَـادٍ زَاهِـرٍ مَـسْرُورِ
وَابْكِ الصَّفَا وَالْمَجْدَ وَالْعِزَّ الَّذِي وَدَّتْ دَعَائِمَهُ جِبَالُ الطُّورِ[1]
لَا تَرْوِ إِلَّا فَضْلَهُ وَحَدِيثَـــــهُ حَتَّى تُحِيطَ بِسَعْيِهِ الْمَشْكُورِ
إِنْ مِتَّ يَا مَنْصُـورُ دُمْ فِي جَنَّـــةٍ ذَاتِ السَّنَاءِ وَبَهْجَةٍ وَسُرُورِ
وَاسْأَلْ بِهَا مَا شِئْتَ تُعْطَ وَلَا تَـزَلْ مُتَظَلِّـــلًا بِنَخِيلِهَـــا الْمَأْبُورِ[2]
زُرْتَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا مَعْ حِزْبِـــــهِ أَهْــلًا بِـكُـلِّ زَائِـرٍ وَمَـزُورِ
صَبْرًا أَبَا حَسَنٍ وَلَا تَضْجَرْ فَمَـــا بَـشَرٌ يَـدُومُ فِـدَاكَ كُـلُّ صَبُورِ
فَعَسَى يُضَاعِفُ أَجْرَكُمْ وَثَوَابَكُـمْ مَا قَدْ أَصَابَ الْمَوْتُ مِنْ مَنْصُورِ
وَعَسَى الْإِلَاهُ يَسُرُّهُ حَتَّى يُـــرَى مُتَنَصِّلًا مِنْ ذَنْبِهِ الْمَغْفُورِ
إِذْ كُنْتُمَا نَجْمَيْنِ فِي فَلَكِ الْعُـــلَا كُـلٌّ يَـسِيرُ بِـسَيْرِهِ الْمَقْدُورِ
فَهَوَى وَحِيدُهُمَا وَغُيِّبَ فِي الثَّـرَى فَسَهَى الْوَرَى عَنْ غَيْبَةٍ وَحُضُورِ
بَلْ كُنْتُمَا كَالْفَرْقَدَيْـــنِ يَرَاكُمَـــا قَطْعًا أُولُو الْأَبْصَارِ فِي الدَّيْجُورِ[3]
بَلْ عِشْتُمَا دَهْرًا كَغُصْنَيْ بَانَـــــةٍ فِي أُلْـفَـةٍ وَمَـــوَدَّةٍ وَبُـــرُورِ

1) الطور: في كلام العرب الجبل، وهو اسم جبل بعينه بالقرب من مصر عند موضع يسمى مدين. معجم البلدان: 4/ 47.

2) أبر النخل والزرع يأبره فهو مأبور أي أصلحه. اللسان: أبر.

3) الديجور: الظلمة، ووصفوا به فقالوا: ليل ديجور أي مظلم. اللسان: دجر.

فِي نَخْلَتَيْ حُلْوَانَ فَاعْلَمْ إِسْوَةٌ   يُرْوَى حَدِيثُهُمَا بِلَا تَنْكِيرِ[1]
دَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمَا فتَفَرَّقَا   بَعْدَ اجْتِمَاعٍ رَائِقٍ مَنْضُورِ
مَا هَذِهِ الدُّنيَا سِوَى مَحْضِ الْعَنَا   بَلْ سَاكِنُوهَا فِي شَقًا وَغُرُورِ
وَمَنِ اقْتَفَاهَا مِنْ عَمَاهُ فَإِنَّمَا   يَقْفُو طَرِيقَةَ جَاهِلٍ مَغْرُورِ
خُذْهَا قَلَائِدَ مِنْ قَرِيضٍ نَيِّرٍ   يُزْرِي بِدُرٍّ قَلَائِدٍ بِنُحُورِ
وَافَتْكَ مِنْ حِبٍّ لَبِيبٍ رَاضِعٍ   ثَدْيَ الْهَوَى فِي حُبِّكُمْ مَأْسُورِ
إِنَّ الْقَرِيضَ لَقَدْ تَغَرَّبَ بَلْ قَضَى   مِثْلَ الْغَرِيبِ الْمَيِّتِ الْمَقْبُورِ
إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ صُحْبَتِي يَا صَاحِبِي   دَعْنِي مِنِ اغْرَائِي بِوَصْفِ الْحُورِ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [الطويل]

قِفَا خَبِّرَانِي عَنْ كَوَاكِبَ أَدْلَجَتْ   وَأَمَّتْ بِلَادَ الْغَرْبِ حَيْثُ تَنَوَّرَتْ[2] // (37)
لَقَدْ زَهَرَتْ مُرَّاكُشٌ بِطُلُوعِهَا   بِهَا وَتَمَاسَتْ فِي السُّرُورِ وَأَسْرَفَتْ
وَحَلَّتْ بِهَا أَرْجَاءَهَا وَتَقَلَّدَتْ   مَحَاسِنَهَا ثُمَّ ارْتَدَتْ وَتَأَزَّرَتْ
وبَاهَتْ بِهَا أَكْفَاءَهَا وَتَعَمَّمَتْ   فَضَائِلَهَا لَمَّا انْجَلَتْ وَتَوَضَّحَتْ
وَلَكِنَّ فِي تِلْكَ الْكَوَاكِبِ إِنْ بَدَتْ   شُمُوسًا وَأَقْمَارًا سَمَتْ وَتَرَفَّعَتْ
فَشَمْسُ ضُحَاهَا قَدْ أَنَارَتْ وَأَشْرَقَتْ   وَبَدْرُ دُجَاهَا يَسْتَقِلُّ إِذَا هَوَتْ

---

1) نخلات حلوان موضع أكثر الشعراء من ذكره، وكان أول من ذكره في شعره مطيع بن إياس الليثي الذي اضطر إلى بيع جارية له كان يحبها، فلما نزل حلوان استند إلى نخلة على عقبة وإلى جانبها نخلة أخرى فتذكر جاريته وأنشد:

أسعداني يا نخلتي حلوان   وأبكياني من ريب هذا الزمان

القصة كاملة في معجم البلدان: 2/ 292.

2) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

وَأَعْنِي بِهَذَا الْبَدْرِ فَرْدًا مُعَيَّنًا عَلَيْهِ تَدُورُ النَّيِّرَاتُ إِذَا جَرَتْ
عَلَاهَا وَقَدْ حَازَ الْعُلُوَّ لِأَنَّهُ عَلِيٌّ زَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَعَدَّدَتْ
وَأَكْثَرُهَا عِلْمًا وَأَجْوَدُهَا ذَكًا وَأَشْمَخُهَا فَخْرًا إِذَا مَا تَفَاخَرَتْ
وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا لَدَى الْمَلِكِ الَّذِي بِهِ جُمْلَةُ الْأَمْلَاكِ طَافَتْ وَقَدْ سَعَتْ
أَقَرَّتْ لَهُ الْأَعْلَامُ بِالْعِلْمِ وَالذَّكَا وَبَاهَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ إِذْ هِيَ خَطَّطَتْ
وَأَحْيَا دُرُوسَ الْعِلْمِ بَعْدَ انْدِرَاسِهَا فَصَارَتْ مَغَانِيهَا جِنَانًا تَزَخْرَفَتْ
وَصَيَّرَهَا تَسْبِي اللَّبِيبَ بِحُسْنِهَا وَأَرَّجَهَا فِي دَرْسِهِ فَتَأَرَّجَتْ
فَمَا الْحُسْنُ إِلَّا مَا يُوَشِّي بِبَحْثِهِ فَدَعْ عَنْكَ أَتْرَابًا حِسَانًا تَبَرَّجَتْ
أَحَادِيثُهُ قَدْ أَيْمَنَتْ ثُمَّ أَشْأَمَتْ وَآثَارُهُ قَدْ شَرَّقَتْ ثُمَّ غَرَّبَتْ
بِهِ الدَّوْلَةُ الْغَرَّاءُ هَامَتْ وَشَيَّدَتْ مَفَاخِرَهُ الشَّمَّاءَ حَتَّى تَرَفَّعَتْ
وَضَمَّتْهُ حَتَّى نَالَ مَجْدًا وَرِفْعَةً وَفِي دُرٍّ مَا يُهْدِي إِلَيْهَا تَنَافَسَتْ
وَعَمَّتْهُ بِالْإِجْلَالِ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ وَخَصَّتْهُ بِالْإِحْسَانِ إِذْ بِهِ أَحْسَنَتْ
وَآوَتْهُ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ وَأَنْجَزَتْ مَوَاعِدَهُ لَمَّا رَأَتْهَا تَأَكَّدَتْ
غَدَتْ زُمْرَةُ الْكُتَّابِ تَرْوِي كَلَامَهُ وَتُودِعُهُ الْأَوْرَاقَ وَالصِّدْقَ أَوْدَعَتْ
تَطَلَّعَ بَدْرًا وَالْأَهِلَّةُ حَوْلَهُ وَلَكِنَّهَا حَازَتْ سَنَاهُ فَأَقْمَرَتْ[1]
فَهَامَ بِوَادِيهَا وَقَدَّرَ قَدْرَهَا كَرَوْضٍ أَرِيضٍ أَوْ بُرُوقٍ تَأَلَّقَتْ[2]

1) معنى الشطر الأول من البيت مقتبس من قول النابغة الذبياني: كأنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ. ديوان شعره: 46.

2) استعمل الشاعر التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول سالمة غير مقبوضة عكس العادة في الطويل.

وَغَادَرَهَا كَالزَّهْرِ تُزْهِرُ حُسْنًــــا أَوْ وَزَانَ حِمَاهَا بِالصَّفَا فَتَزَيَّنَتْ
وَإِنْ تَعْتَبِرْهَا وَهْوَ فِيهَا تَخَالُهَـــــــا قُدُودًا تَمَاسَتْ أَوْ خُدُودًا تَوَرَّدَتْ
دَعَاهُ أَمِيرُ الْمُـــؤْمِنِينَ مَحَبَّـــــةً فَـــأَوْرَدَهُ أَنْهَـــارَ بِـــرٍّ تَـدَفَّـقَـتْ
وَأَسْكَنَهُ رَوْضَ الْمَسَرَّةِ وَالْـهَنَـــا فَدَوْحَتُهُ الشَّمَّاءُ بِالْـمَجْدِ أَثْمَرَتْ
أَبَا حَسَنٍ خُذْهَا بُنَيَّةَ فِكْـــــرَةٍ أَتَتْكُمْ وَقَدْ أَبْدَتْ هَوَاهَا وَأَفْرَطَتْ
وَوَافَتْكُمُ رَهْنَ الصَّبَابَةِ وَالْـجَـــوَى وَقَدْ طَالَمَا صَبَتْ بِكُمْ وَتَشَوَّقَتْ
لَقَدْ لَقَطَتْ دُرًّا نَفِيسًا مُنَضَّـــــدًا وَفِي لُجَجِ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ تَوَسَّطَتْ
إِذَا دِنْتُمَا يَا صَاحِبَيَّ بِصُحْبَتِـــــي قِفَا خَـبِّرَانِي عَنْ كَوَاكِبَ أَدْلَجَتْ.

وَلَهُ فِي وَلِيمَةِ عُرْسٍ: [الكامل]

قَدْ فَاقَ عُرْسُكَ سَائِرَ الْأَعْـــرَاسِ مُتَكَشِّرَ الْأَنْـيَـابِ وَالْأَضْرَاسِ[1]
يَخْتَالُ فِي زِيٍّ عَظِيـــمٍ مُـــونِقٍ مِـنْ غَـيْرِ مَـا رَيْـبٍ وَلَا إِلْـبَاسِ
جَلَّى مُحَيَّاهُ السُّرُورَ مَـعَ الْـهَـــنَا وَأَضَـاءَ كَالْـمِصْبَاحِ وَالنِّبْرَاسِ
يُعْشِي الْـعُيُونَ بَهَاؤُهُ وَسَنَـــاؤُهُ مُتَوَشِّحًا بِالسَّمْتِ وَالْإِيـنَـاسِ
وَأَنَارَ كَالرَّوْضِ الْـمُـــفَتَّحِ زَهْـرُهُ لَكِنْ شَـذَاهُ عَـاطِـرُ الْأَنْـفَـاسِ
بَاهَتْ بِهِ مُرَّاكُشٌ كُـلَّ الْـقُـــرَى حَتَّى حِمَـى مَكْنَاسَةٍ أَوْ فَـاسِ
يَا أَيُّهَا الْـحَبْرُ الْـوَزِيرُ الْـمُـــرْتَدِي عِــزًّا سَمِيًّا مَـا بِـهِ مِـنْ بَـاسِ
قَدْ طَالَ دَرْسُكَ لِلْعُلُومِ مُرَجِّحًـــا نَصًّا صَحِيحًا أَوْ جَـلِيَّ قِيَاسِ

1) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

إِذْ هِمْتَ بِالْـمِعْيَارِ دَهْرًا وَافِـــيًا   وَعَرَفْتَ مِنْهُ نَـوَازِلَ الْأَحْبَاسِ[1]

شَيَّدَتَ فِي الْـدُّنْيَا بِنَـــــاءً شَامِخًا   مِثْلَ الـرَّوَاسِي بَاهِرَ الْأَقْـوَاسِ // (38)

وَحَفَفْتَهُ بِصُنُوفِ زَهْرٍ فَاتِـــــحٍ   بَاهِي السَّنَا مِنْ سَوْسَنٍ أَوْ آسِ

هَيَّأْتَ فِيهِ مَشَـــارِبًا مُخْتَـــارَةً   وَأَدَرْتَ فِيهَا مُشْتَهَى الْأَكْـوَاسِ

مِثْلَ النُّجُومِ تَنَوَّعَتْ أَوْصَافُهَـــــا   تَسْقِي السُّقَاةُ بِهَا رُؤُوسَ النَّاسِ

هَذِي وَلِيمَتُكَ الْـحَرِيَّةُ بِالثَّـــــنَا   تُنْسِي الْـوَلَائِمَ فِي بَنِي الْـعَبَّاسِ

وَتَبَرَّجَتْ فِي زِينَـــةٍ مَشْهُـــورَةٍ   يَصْبُو لَهَا الْـقَلْبُ الْـجَفِيُّ الْـقَاسِي!

مَا الرَّوْضَةُ الْـغَنَّاءُ نَاحَتْ طَيْرُهَـــا   تَشْدُو بِصَوْتٍ مَائِلٍ لِلـرَّاسِ!

أَوْ طَلْعَةُ الْـبَدْرِ الْـمُنِـــــيرِ بِتَمِّهِ   أَوْ غُـصْـنُ بَـانٍ نَـاعِـمٍ مَـيَّاسِ

أَوْ وَصْلُ مَحْبُوبٍ حَبِيباً هَائِــــمًا   فِي حُبِّهِ وَاخْـتَـلَّ بِالْـوَسْوَاسِ

أَوْ لَـمْحُ بَرْقٍ لَاحَ فِي جُنْحِ الدُّجَـ+ـى   وَافْــتَرَّ يَــرْوِي سَـائِـرَ الْأُنَّـــاسِ

أَوْ فَجْرُ صُبْحٍ جَاءَ فِي حُلَلِ الْـبَهَـــا   إِذْ وَجْهُهُ قَدْ بَـانَ كَالْـقِرْطَاسِ

أَوْ سَحُّ غَيْثٍ هَاطِلٍ مُتَــــرَادِفٍ   فِي بَـلْـدَةٍ سِيئَتْ بِمَحْلٍ رَاسِي

بِأَلَذَّ مِنْ هَذِي الْـوَلِيمَةِ إِذْ حَـــوَتْ   أَصْنَافَ مَا تَهْوَى نُفُوسُ النَّاسِ

لَمْ تَسْمَعِ الْآذَانُ قَطُّ بِمِثْلِهَــــــا   بِبَنِي مَـرِيـنٍ أَوْ بَنِي وَطَّـاسِ

هِيْ الرَّأْسُ وَالْأَذْنَابُ قَطْعًا غَيْرُهَـــا   هَلْ يَسْتَوِي ذَنَـبٌ بِهَـامِ الـرَّاسِ[2]

---

1) يقصد المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي (ت. 914هـ).

2) معنى البيت مقتبس من قول الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم   ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا. البيت في ديوانه: 15.

خُذْهَا عَلَى فَقْدِ الْقَرِيضِ خَرِيدَةً مِنْ دُرِّ شِعْرٍ يَزْدَرِي بِالْكَاسِ
زَارَتْ حِمَاكُمْ تَسْتَعِزُّ بِعِزِّهِ وَتُحَبِّرُ الْأَشْعَارَ لِلْجُلَّاسِ
وَتَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ نَوَالُهُ مِنْ شَرِّ ذَاكَ الْمَارِدِ الْخَنَّاسِ
مَا حَاكَهَا غَيْلَانُ مَيٍّ بَلْ وَلَا مَجْنُونُ لَيْلَى فَادَّكِرْ يَا نَاسِي[1]
رَكِبَتْ بِبَحْرٍ كَامِلٍ مُتَهَايِجِ الْـ أَمْوَاجِ لَا يَنْقَاسُ بِالْمِقْيَاسِ
قَدْ جَمَّعَتْ أَدَبًا رَفِيعًا رَائِعًا يَحْمِي حِمَاهُ كَيِّسُ الْأَكْيَاسِ
فَاقَتْ نِظَامَ الْمُزْدَرِينَ بِهَا كَمَا قَدْ فَاقَ عُرْسُكَ سَائِرَ الْأَعْرَاسِ.

* **وَمِنْهُمُ الْفَقِيهُ النَّبِيهُ، الصَّدْرُ الْوَجِيهُ، سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْجَامِعِيُّ الْفَاسِيُّ**[2]: الطَّوْدُ الْعَالِي الْجَامِعُ لِأَشْتَاتِ الْمَعَالِي، وَزِيرٌ عَظِيمٌ، وَدُرٌّ نَظِيمٌ، وَنَخْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ[3]. زَانَتْهُ التُّؤَدَةُ[4] وَالرَّزَانَةُ، وَالْفُتُوَّةُ وَالْفَطَانَةُ، وَالْعِفَّةُ وَالصِّيَانَةُ.

نَشَأَ فِي الْخِدْمَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَشَبَّ فِي تَحْبِيرِ الْأَحْوَالِ الْمَخْزَنِيَّةِ، بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ[5]، الْعَدِيمِ الشَّبِيهِ، فَكَانَ عَلَى جَلَالَتِهِ وَظَرْفِهِ، وَشُمُوخِ أَنْفِهِ، تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ،

---

1) اختلف الرواة في اسم المجنون فمن قائل: مهدي بن الملوح أو قيس بن الملوح أو قيس بن معاذ أو معاذ بن كليب المجنون، وهو شاعر من عشاق العرب المشهورين له أخبار كثيرة مع صاحبته ليلى بنت مهدي بن سعيد بن مهدي أم مالك العامرية. ترجمته في: الشعر والشعراء: 563، الأغاني: 2/ 1، المؤتلف والمختلف: 48، معجم الشعراء: 292 سمط اللآلي: 350، تزيين الأسواق: 97. وتنظر ترجمتها: الأغاني: 2/ 11، النجوم الزاهرة: 1/ 170، أعلام النساء: 4/ 308.

2) الوزير ابن الوزير محمد الكبير بن العربي الجامعي نشأ في الخدمة السلطانية، وشب في تحبير الأحوال المخزنية، كان فقيها نبيها، ورئيسا وجيها، تولى وزارة الحرب في عهد محمد بن عبد الرحمن وأقره عليها المولى الحسن الأول، بل ولاه الصدارة والوزارة إلى أن أقعده المرض، وتوفي سنة 1333هـ. ترجمته في: الاستقصا: 9/ 83 - 165، الإتحاف: 2/ 186، الإعلام: 7/ 214، موسوعة أعلام المغرب: 2890، معلمة المغرب: 9/ 2885.

3) لرصف فواصل سجعه اقتبس المؤلف الآية الكريمة 148 من سورة الشعراء: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾.

4) التُّؤدة: التأني والتمهل والرزانة. اللسان: وأد.

5) توفي أبوه الوزير الصدر العربي بن المختار الجامعي المتوفى سنة 1276هـ. له ترجمته في: الإعلام: 9/ 21، والمعلمة: 9/ 2882.

كَأَنَّمَا تُطَالِبُهُ بِالدُّيُونِ، إِلَى أَنْ آوَاهُ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ السُّلْطَانِ الْـمُقَدَّسِ الْـمَكِينِ، فَنَظَرَهُ بِعَيْنِ الْـاِعْتِنَا، وَسَوَّغَهُ الْـمُنَى، وَأَرَاحَهُ مِنْ ذَلِكَ الْـعَنَا، وَرَاعَى لَهُ الرَّحِمَ وَالْـخُؤُولَةَ[1]، وَبَلَّ رَحِمَهُ الْـمَوْصُولَةَ، فَأَوَّلًا كَلَّفَهُ قِيَادَةَ الْـعَسْكَرِ السَّعِيدِ، وَخَاضَ عُبَابَ ذَلِكَ الْـبَحْرِ الْـمَدِيدِ، فَقَامَ بِأَمْرِهِ الْـوَكِيدِ، وَفِيهِ الْـكَهْلُ وَالْـوَلِيدُ. وَسَاسَ ذَلِكَ الْـجَيْشَ الْـعَرَمْرَمَ، وَاهْتَمَّ بِجَانِبِهِ الْـمُحْتَرَمِ، حَتَّى قَضَى الْـوَزِيرُ الْـكَبِيرُ، الَّذِي هُوَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرٌ، اَلْفَقِيهُ سَيِّدِي مُوسَى بْنُ أَحْمَدَ[2]، سَقَى اللهُ ثَرَاهُ، وَأَجْزَلَ قِرَاهُ، فَالْـتَفَتَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ إِلَى الْـفَقِيهِ الْـمَذْكُورِ، وَجَازَاهُ بِسَعْيِهِ الْـمَشْكُورِ، فَأَسْمَى سَمَاءَ مَجْدِهِ، وَوَلَّاهُ رُتْبَةَ أَبِيهِ وَجَدِّهِ[3]، وَحَمَّلَهُ الْـوِزَارَةَ فَتَحَمَّلَ أَوْزَارَهَا، وَجَرَّ عَلَى رُغْمِ شَانِئِيهِ ذَيْلَهَا وَإِزَارَهَا.

وَأَطْلَعَ السُّلْطَانُ فِي فَلَكِ الْـمَعَالِي شَمْسَهُ وَبَدْرَهُ، وَرَفَعَ فِي أَوْجِ الْـعِنَايَةِ قَدْرَهُ، فَكَانَتِ الْـوُفُودُ تَطُوفُ بِكَعْبَةِ بَابِهِ، وَتَدِينُ بِتَعْظِيمِ جَنَابِهِ، فَقَامَ عَلَى قَدَمِ الْـجِدِّ، سَالِكًا سَبِيلَ الْأَبِ وَالْـجَدِّ. فَتَعَمَّمَ بِالْـبَهَا، وَتَوَشَّحَ بِالدَّهَا، وَحَارَتْ فِي صِفَةِ طَلْعَتِهِ النُّهَى، وَبَلَغَ مَبْلَغَ السُّهَى، وَوَصَلَتْ أَخْبَارُهُ مَرْوَ[4] وَالرُّهَا[5]، اصْطَفَّ بِنَادِيهِ التَّرَفُ وَالْـحُبُورُ، وَجَرَتْ بِسُعُودِهِ // الصَّبَا وَالدَّبُورُ، وَشَعَرَتْ بِعُلُوِّ مَكَانَتِهِ (39)
الشِّعْرَى الْـعَبُورُ.

وَبِالْـجُمْلَةِ فَفَضَائِلُهُ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ بِالتَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ، وَمَنْ ذَا يُحْصِي الرِّمَالَ، وَتَكَامَلَتْ أَوْصَافُهُ وَللهِ جَلَّ جَلَالُهُ الْـكَمَالُ، فَالْـعُذْرُ بَادٍ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ

---

1) زَوَّجَ الوزير الصدر العربي بن المختار الجامعي أخته للسلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام، وابنه محمد الكبير هو خال السلطان الحسن الأول.

2) توفي سنة 1296هـ، كما مر في ترجمته.

3) جده هو الوزير الصدر المختار بن عبد الملك الجامعي المتوفى سنة 1251هـ. له ترجمته في: فواصل الجمان: 60، الإعلام: 7/ 232، والمعلمة: 9/ 2885.

4) مرو: مدينة مشهورة في بلاد تركمنستان، تمتد على ضفاف نهر المرغاب.

5) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. معجم البلدان: 3/ 106.

بُلُوغِ مَرَامِهِ بِالْإِدْرَاكِ، وَقَدْ قِيلَ: اَلْعَجْزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ، إِلَى أَنْ حَلَّ بِهِ الْأَلَمُ الَّذِي عَاقَهُ عَنِ الْحَرَكَةِ، وَمُبَاشَرَةِ أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ[1]، فَكَانَ يُلَازِمُ السُّلْطَانَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، وَلَمَّا تَزَايَدَ أَلَمُهُ، وَتَضَاعَفَ سَقَمُهُ، أَمَرَهُ السُّلْطَانُ نَصَرَهُ اللهُ بِالِاسْتِقْرَارِ بِدَارِهِ، وَالسُّكُونِ فِي كِنِّهِ[2] وَقَرَارِهِ، فَهُوَ الْآنَ يَتَنَسَّمُ نَسِيمَ الْفَرَجِ، وَيَسْتَنْشِقُ رِيحَ ذَلِكَ الْأَرَجِ، شَفَاهُ اللهُ مِنْ دَائِهِ، وَأَتَاهُ بِدَوَائِهِ.

خَاطَبْتُهُ بِقَصَائِدَ غُرَرٍ، كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَرٌ، مِنْهَا وَهِيَ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ[3]:

سَلَامٌ عَلَى الصَّدْرِ الْوَزِيرِ مُحَمَّدِ   يُوَافِيهِ مِنْ صَبٍّ مَشُوقٍ مُسَهَّدِ
سَلَامٌ عَلَى مُعْطِي الْوِزَارَةِ حَقَّهَا   وَمُورِدِهَا وِرْدَ السُّرُورِ الْمُؤَبَّدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ شَيَّدَ اللهُ فَخْرَهُ   وَنَاهِيكَ بِالْفَخْرِ الصَّمِيمِ الْمُشَيَّدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ وَسَّعَ اللهُ صَدْرَهُ   لِحَمْلِ الدَّهَا وَالْحِلْمِ فِي الْيَوْمِ وَالْغَدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ عَظَّمَ اللهُ قَدْرَهُ   وَأَنْهَجَهُ نَهْجَ الرَّشَادِ الْمُمَهَّدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ طَيَّبَ اللهُ ذِكْرَهُ   وَعَمَّمَ بِالْمَجْدِ الرَّفِيعِ الْمُخَلَّدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَوْجَبَ اللهُ شُكْرَهُ   وَسَوَّرَ بِالْعِزِّ الْمَدِيدِ الْمُمَدَّدِ[4]
سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَسْعَدَ اللهُ عَصْرَهُ   كَأَنَّهُ فِي سَعْدِ السُّعُودِ الْمُوَقَّدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ زَيَّنَ اللهُ خَلْقَهُ   فَمَا زِينَةُ الدُّرِّ النَّظِيمِ الْمُقَلَّدِ[5]!

1) بقي الوزير محمد الكبير الجامعي يباشر أعمال الوزارة إلى حدود سنة 1303هـ، ولما أصيب بالفالج كان الفقيه محمد بن أحمد الصنهاجي ينوب عنه في تحمل أعبائها، ولما طال مرض الجامعي عين بدلا منه.

2) الكِنُّ والكِنة والكنان: وقاء كل شيء وستره، والكن البيت، والجمع أكان وأكنة. اللسان: كنن.

3) القصيدة في ديوان شعره: 97.

4) في ديوان شعره: المؤيد.

5) في ديوان شعره: سَلَامٌ عَلَى مَنْ حَسَّنَ اللهُ خَلْقَهُ   فَمَا زِينَةُ الدُّرِّ النَّظِيمِ الْمُنَضَّدِ.

سَلَامٌ عَلَى مُحْيِي الْـمَكَارِمِ وَالنَّـــدَى   وَمُنْجِدِهَا بِالْـجُودِ وَالْـكَرَمِ النَّدِي
سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَدْرَكَتْـــهُ بِرِفْعَـــةٍ   عِنَايَةُ مَـوْلَانَـا الْإِمَــامِ الْـمُؤَيَّدِ
سَلَامٌ عَلَى خَالِ الْـخَلِيفَةِ ذِي الِّلـوَا   وَمَـنْ طَبَّقَ الدُّنْيَا بِفَخْرٍ وَسُـؤْدَدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَزَلْ نُورُ ذِهْنِـــــهِ   يُضِيءُ بِهِ فَنُّ الْـقَرِيضِ الْـمُوَلَّدِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ يَمَّمَتْهُ قَصِيــــــدَةٌ   بِـبَـحْـرٍ طَـوِيـلٍ هَـائِـلٍ مُـتَـمَـدِّدِ
وَلَمْ تُلْهِهِ عَنْ سَمْكِ أَبْنِيَةِ الْـعُـــــلَا   مُـقَـرَّطَـةٌ تَسْبِي بِـخَـدٍّ مُـوَرَّدِ
وَلَمْ تَلْوِهِ عَنْ ذَاكَ رَائِقَةُ الْـحُـــــلَى   وَلَــوْ أَنَّهَــا كَـانَـتْ بِـصَرْحٍ مُمَـرَّدِ[1]
أَتَتْكُمْ عَلَى شَوْقٍ تُـــؤَدِّي تَحِيَّـــةً   وَتُـــدْلِي بِحُبٍّ سَـالِـفٍ مُتَجَدِّدِ
وَتُنْبِئُ عَنْ وُدٍّ وَتُفْصِحُ عَنْ وَجْـــدٍ   وَتُعْرِبُ عَن رَأْيٍ سَدِيدٍ مُسَدَّدِ
فَيَا غَادِيًا يَطْوِي السُّرَى مُتَوَجِّـــهَا   لِحَضْرَةِ فَاسٍ ذِي الْـبَهَاءِ الْـمُسَرْمَدِ
إِذَا أَنْتَ بُلِّغْتَ الْـمُرَادَ فَأَبْلِغَـــــنْ   سَلَامِي إِلَى الصَّدْرِ الْـوَزِيرِ مُحَمَّدِ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [مخلع البسيط]

جَمَعْتَ مَا شِئْتَ يَا ابْنَ جَــــامِعْ   مِنَ النَّدَى فَاسْمُ فِي الْـمَجَامِعْ[2]
كَمْ شِدْتَ فِي الدَّهْرِ مِنْ مَـــــزَايَا   سَـلَّـمَ أَخْـبَـارَهَـا الْــمُـنَـازِعْ
أَبْدَعْتَ فِي سَمْكِـكَ الْـمَبَـــــانِي   مَـقَـاصِرًا بَهْـجَـةَ الْـمَصَانِعْ

---

1) في ديوان شعره: ولم تلهه.

2) القصيدة لم ترد في ديوان شعره، وقد وردت في مجموعة من أبياتها مفعولن عوض فاعلن، لأن ابن داني سلك الشاعر مسلك قول الشاعر:

فَسِرْ بِوُدٍّ أَوْ سِرْ بِكُرْهٍ   مَا سَارَتِ الذُّلُلُ السِّرَاع

وقد سلك مهيار الديلمي هذا المسلك، وهذا الوزن هو الذي سماه حازم القرطاجني اللاحق. تنظر مقالة الأستاذ محمد الدناي: **مخلع البسيط ليس من البسيط** في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.

حَتَّى بَدَتْ لِلْوَرَى جَمِيعًا   تَبْرُقُ أَسْيَافُهَا الْقَوَاطِعْ
وَاسْتَوْقَفَتْ كُلَّ مَنْ رَآهَا   بِنُورِ أَقْمَارِهَا السَّوَاطِعْ
حَشَدْتَ كُلَّ الصُّنَاعِ حَتَّى   تَخَيَّرُوا أَحْسَنَ الصَّنَائِعْ
وَأَبْدَعُوا رَوْضَةً فَفَاقَتْ   زُهُورُهَا زَهْرَ كُلِّ يَانِعْ
لَاحَتْ بِأُفْقِ الْعُلَا نُجُومًا   تُزْهِرُ مِنْ غَارِبٍ وَطَالِعْ
يَهْوَى مُحَيَّاهَا كُلُّ حَيٍّ   وَلَا هَوَى الشُّهْبِ لِلْمَوَاقِعْ
وَذِكْرُكَ الْمُسْتَطِيرُ زَارٍ   بِحَامِلِ الْمِسْكِ وَهْوَ ضَائِعْ //
وَمَجْدُكَ الْمُسْتَطِيلُ سَامٍ   تَنْحَطُّ عَنْ قَدْرِهِ الصَّوَامِعْ
وَفَهْمُكَ الْمُسْتَنِيرُ وَارٍ   كَالْبَرْقِ يَنْهَلُّ وَهْوَ لَامِعْ
وَفَخْرُكَ الْمُعْتَلِي تَعَالَى   وَانْقَطَعَتْ دُونَهُ الْمَطَامِعْ
وَفِعْلُكَ الْمُسْتَفِيضُ مَاضٍ   فَمَا لَهُ الْيَوْمَ مِنْ مُضَارِعْ
وَجُودُكَ الْمُسْتَمِرُّ هَامٍ   عَلَى الْمَسَاكِينِ غَيْرَ قَالِعْ
وَفَضْلُكَ الْمُسْتَبِينُ حَالٍ   تَهْتَزُّ مِنْ وَصْفِهِ الْمَسَامِعْ
وَأَمْرُكَ الْجِدُّ غَيْرُ خَافٍ   فَمَا لَهُ الْآنَ مِنْ مُقَارِعْ
وَعِزُّكَ الْمُرْتَدِي ارْتِفَاعًا   تَحْتَلُّ مِنْ دُونِهِ الطَّوَالِعْ
وَمَنْ أَبَى فِعْلَكَ الْمُعَدَّى   يَسْتَوْجِبُ الضَّرْبَ بِالْمَقَامِعْ
رَزَقَكَ اللهُ جَلَّ شَأْنًا   وِزَارَةً مَا لَهَا مُنَازِعْ
قَدْ صُنْتَهَا جُهْدَكَ اعْتِنَاءً   بِشَأْنِهَا الْوَاضِحِ الشَّوَارِعْ

وَقَدْرُهَا احْتَلَّ فِي الثُّرَيَّا لَكِنَّهَا زَهْرَةُ الْمَطَالِعْ
أَوْرَدْتَهَا أَبْحُرًا عِظَامًا لَكِنَّهَا عَذْبَةُ الْمَشَارِعْ
وَرَدَهَا جِلَّةُ الْبَرَايَا مِنْ كُلِّ عَاصٍ وَكُلِّ طَائِعْ
وَقَصَدَتْ جَوَّهَا الْمَطَايَا وَرِيحُهَا هَبَّ وَهْوَ ضَائِعْ
إِنْ أَنْتَ بَالَغْتَ فِي هَوَاهَا تَظْفَرْ بِغِزْلَانِهَا الرَّوَاتِعْ
أَوْ جُبْتَ أَوْطَانَهَا انْتِبَاهًا تُحِطْ بِأَرْجَائِهَا الشَّوَاسِعْ
أَمَرْتَهَا الْخَيْرَ فَاسْتَقَامَتْ فَاصْدَعْ بِهَا وَاغْدُ فِي الصَّوَادِعْ
وَاسْتُرْضِعَتْ فِي بَنِي نُمَيْرٍ وَانْتَخَبَتْ أَفْضَلَ الْمَرَاضِعْ[1]
فَلَوْ بَدَتْ لِلْعِدَى لَمَاتُوا لَكِنْ عُيُونُ الْعِدَى هَوَاجِعْ
لَقَدْ سَمَتْ وَارْتَقَتْ وَكَادَتْ تُفْصِحُ عَنْ أَمْرِهَا السَّوَاجِعْ[2]
يَحْسِبُهَا النَّاظِرُونَ حُورًا سُودَ الْأَفَانِينِ وَالْمَدَامِعْ[3]
لَوْ حَضَرَ الْغَيْرُ يَشْتَرِيهَا فَالْمُشْتَرِي أَنْتَ وَهْوَ بَائِعْ
فَخَلِّهَا تَرْتَعِي وَتَلْعَبْ يَا حَبَّذَا تِلْكُمُ الْمَرَاتِعْ[4]
أَنْتُمْ سَرَاةُ السَّرَاةِ وَاهًا لِرَعْدِكُمْ صَابَ بِالْمَنَافِعْ[5]

---

1) بنو نمير بطن من عامر بن صعصعة وهم بنو نمير بن عامر بن صعصعة. نهاية الأرب: 393.

2) السواجع: جمع ساجعة وهي الحمامة، وسجع الحمام هدل على جهة واحدة. اللسان: سجع.

3) الأفانين جمع أفنان وأفنان جمع فنن وهو الخصلة من الشعر. اللسان: فنن.

4) الشطر الأول من البيت مقتبس من الآية 12 من سورة يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

5) سَراة جمع سَرِي وهو الذي فيه المروءة والشرف والسخاء. اللسان: سرا.

قَدْ حُزْتَ مِنْ جِيلِكَ الْـمَعَـــــالِي فَـكُـلُّـهُـمْ فِي حِـبَـاكَ كَـــارِعْ[1]

وَكُلُّهُـــــمْ قَلَّدُوكَ شُكْـــرًا وَلِمَــرَامِــيــكَ كَــالـتَّــوَابِــعْ

إِنْ قِيلَ أَيْنَ الْـمُـــــنَى أَشَارَتْ لِمَــنْــكَ الْــكَــفُّ بِــالْأَصَــابِــعْ[2]

لِيَهْنِكَ السَّعْـــدُ يَا سَعِيـــدُ فَــارْقَ سَـمَا الْـعِزِّ غَـيْرَ رَاجِـعْ

بِحُرْمَةِ الْـمُصْطَفَى وَمَنْ حَـــ ـجَّ الْـبَيْتَ مِـنْ سَاجِدٍ وَرَاكِـعْ

عَلَيْهِ مِنْ رَبِّنَـــــا صَـلَاةٌ مُحْـتَـفَّـةٌ بِـالـرِّضَى الْـمُشَايِعْ

مَا غَنَّتِ الطَّيْرُ فِي شَــدَاهَا الْـــ ـمَحْبُوبِ مِـنْ طَـائِـرٍ وَوَاقِــعْ

حَسَّنْتُمُ دَوْلَـــةَ الْـمُــحَيَّـــا اَلْحَسَـنِ الْـمُحْسِنِ الْـمُسَارِعْ

اَلسَّامِكِ الْـمَجْـــدِ وَالْـمَزَايَـــا اَلْـــوَازِعِ الْـمُعْتَدِي الْـمُنَازِعْ

اَلْـمَالِكِ الْـمَـاجِدِ الَّـــذِي لَـمْ تُـــدْرِكْ بِهَـا مُـلْـكِـهِ الـتَّـبَـابِـعْ[3]

وَكَمْ غَزَا مَعْشَرَ الْأَعَـــــادِي وَكَــمْ لَــهُ فِيهِمْ مِــنْ وَقَـائِـعْ

وَكَمْ سَبَا مِنْهُـــمُ حَـــرِيمًا وَكَــمْ جَفَاهُمْ عَـنِ الْـمَضَاجِعْ

سِيرَتُهُ الْـعَــــــدْلُ فِي الرَّعَايَا وَحِــلْـمُــهُ لِـلْـمُـنِـيبِ شَـافِـعْ

وَجِدُّهُ مَا بِـــــهِ مِـــــزَاحٌ وَحُـكْـمُـهُ كَـالـسُّـيُوفِ قَـاطِـعْ

وَعَرْفُــــهُ كَالرِّيَاحِ جَـــارٍ وَجُــودُهُ كَالسَّحَابِ هَـامِـعْ[4] // (41)

---

1) الحباء: ما يحبو به الرجل صاحبه ويكرمه به. اللسان: حبا. والكارع: الذي رمى بفمه في الماء. اللسان: كرع.

2) وهو مقتبس من قول الشاعر: إِذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ أَشَارَتْ كُلَيْبٌ بِالْأَكُفِّ الْأَصَابِعُ

3) التبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضا كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له على مثل سيرته، وزادوا في التبابعة لإرادة النسب. اللسان: تبع.

4) همع الدمع والماء ونحوهما وأهمع: سال. اللسان: همع.

وَصَبْرُهُ الْمُرْتَضَى جَمِيلُ وَأَمْرُهُ لِلْقُلُوبِ جَامِعْ
وَشِرْعَةُ الْهَادِي مَا عَدَاهَا إِذْ شَرْعُهُ أَفْضَلُ الشَّرَائِعْ
هِمَمُهُ السَّامِيَاتُ هَامَتْ بِطَلْعَةِ الْجَيْشِ وَالطَّلَائِعْ
فَمَا لَهُ فِي الْمُلُوكِ كُفْؤٌ كُلُّ مَلِيكٍ إِلَيْهِ خَاضِعْ
لَمْ يُدْرِكُوا شَأْوَهُ الْمُغَيَّا وَهَلْ ضَلِيعٌ عَدَاهُ ظَالِعْ؟![1]
وَافَتْكَ يَا بَهْجَةَ اللَّيَالِي قَصِيدَةٌ لَمْ يَحُكْهَا بَارِعْ
زَارَتْ حِمَاكُمْ بِحَرِّ شَوْقٍ وَعُذْرُهَا فِي الْقَبُولِ ذَائِعْ
وَاتَّخَذَتْ بَحْرَهَا بَسِيطًا لِبَسْطِ كَفَّيْكَ يَا ابْنَ جَامِعْ
فَصُبْحُهَا وَاضِحٌ جَلِيٌّ أَيُجْهَلُ الصُّبْحُ وَهْوَ شَائِعْ؟!
قَدْ حَسُنَتْ فِي الْعُيُونِ لَكِنْ تَرْتَاعُ مِنْ حُسْنِهَا الرَّوَائِعْ
غَدَتْ مَغَانِي الْقَرِيضِ قَفْرًا فَهْيَ مِنَ ارْبَابِهَا بَلَاقِعْ[2]
ضَلَّهُ جُلُّ الْوَرَى فَهَامُوا بِغَيْرِ وَادِيهِ فَلْتُرَاجِعْ
وَأَقْبَلَ الْمُهْتَدِي يُنَادِي مَنْ يَحْفَظِ الشِّعْرَ فَهْوَ ضَائِعْ
وَحُورُهُ الْقَاصِرَاتُ غَابَتْ وَاسْتَتَرَتْ عَنَّا بِالْبَرَاقِعْ
وَامْتَنَعَتْ فِي ذُرَى الرَّوَاسِي وَمَنَعَتْ دَرْكَهَا الْمَوَانِعْ
وَأَهْلُهُ الصَّالِحُونَ فَاضُوا وَلَيْسَ مِنْهُمْ فَتًى بِرَاجِعْ

1) الضليع: العظيم الخلق الشديد. اللسان: ظلع. والظالع: الذي يعرج ويغمز في مشيه. اللسان: ظلع.
2) أرض بلاقع: خاوية. يقال اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع. اللسان: بلقع.

كَمْ سَبَكُوا تِبْرَهُ بِنُبْلٍ وَفَجَّرُوا عَذْبَهُ يَنَابِعْ

يَا طَالَمَا قَرَّطُوا قَرِيضًا تُصْغِي إِلَى حُسْنِهِ الْمَسَامِعْ

لَمَّا نَأَوْا أَوْحَشُوا حِمَاهُمْ وَطَبَعُوا وَحْشَهُمْ بِطَابِعْ

وَوَدَّعُونَا ضُحًى وَسَارُوا لَا غَرْوَ فِي الرَّدِّ لِلْوَدَائِعْ

وَأَضْرَمُوا فِي الْقُلُوبِ نَارًا وَفَجَعُوا الصَّبَّ بِالْفَجَائِعِ

وَنَاظِمُ الشِّعْرِ فِي هَوَاكُمْ لَمْ يَدْرِهِ الْآنَ وَهْوَ طَامِعْ

قَدْ نَوَّعَ الْمَدْحَ فِي رِضَاكُمْ وَحُبُّكُمْ رَامَ وَهْوَ نَافِعْ

فَقَلْبُهُ الْبَائِسُ الْمُعَنَّى جَرَتْ بِهِ الْجِيرَةُ النَّوَازِعْ

يَضْرَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَسَاوِي يَا رَبِّ إِنِّي إِلَيْكَ ضَارِعْ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [مخلع البسيط]

حُزْتَ الْبَهَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ تَاللهِ مَا مِثْلُكُمْ وَزِيرُ[1]

جَمَعْتَ أَشْتَاتَ كُلِّ فَضْلٍ وَقَدْ سَمَا قَدْرُكَ الْكَبِيرُ

نِلْتَ الْعُلَا وَاقْتَعَدْتَ فِيهَا مَا لَكَ فِي عَصْرِنَا نَظِيرُ

وَلُحْتَ فِي ذَا الزَّمَانِ بَدْرًا حِينَ جَلَا وَجْهُكَ الْمُنِيرُ

وَرَدْتَ بَحْرَ الصَّفَا اشْتِيَاقًا لَمَّا صَفَا مِنْكُمُ الضَّمِيرُ

وَخُضْتَ فِي لُجِّهِ اغْتِبَاطًا لَمَّا رَسَا دُرُّهُ النَّثِيرُ

---

1) القصيدة في ديوان شعره: 113.

وَشِدْتَ طَوْدَ الْوَفَا اعْتِنَاءً	يَا مَنْ هَوَاهُ الْوَفَا الْغَزِيرُ
تَبَخْتَرَ الْمُلْكُ فِي حُلَاكُمْ	إِذْ مِنْكُمُ الْـمَالِكُ الْأَمِيرُ
سَيِّدُنَا مَلْجَأُ الرَّعَايَا	حَسَنٌ اَلْـمُحْسِنُ الشَّهِيرُ
شِيمَتُهُ الْجُودُ وَالْعَطَايَا	وَشُغْلُهُ التَّاجُ وَالسَّرِيرُ
لَا زَالَ يَحْمِي الْحِمَى وَيُعْلِي	كِلْمَتَهُ النَّاصِرُ النَّصِيرُ
وَيَرْتَقِي جَيْشُهُ الصَّيَاصِي	وَطَرْفُهُ دَائِمًا قَرِيرُ[1]
حَتَى تَلِينَ الصِّعَابُ كَرْهًا	كَأَنَّهَا طَوْعَهُ الْحَرِيرُ
وَتَتَّقِيهِ الْعُدَاةُ رُعْبًا	فَلَا يُرَى فِيهِمُ سَمِيرُ // (42)
فَاللهُ يُبْقِيهِ فِي عُلَاهُ	سُبْحَانَهُ الْقَادِرُ الْقَدِيرُ
يَا نَاشِدًا ضَالَّةَ الْمَعَالِي	بُشْرَاكَ إِنِّي لَكَ الْبَشِيرُ[2]
إِقْصِدْ حِمَى الْمُرْتَدِي سُرُورًا	مُحَمَّدِ الرِّضَى الْوَزِيرُ
نَجْلِ الْكِرَامِ الَّذِينَ نَالُوا	كُلَّ الْمُنَى مَا لَهُمْ نَكِيرُ
وَابْتَهَجَ الْمُلْكُ فِي مَدَاهُمْ	وَمِنْهُمُ الصَّدْرُ وَالْمُشِيرُ[3]
حَتَّى قَضَوْا نَحْبَهُمْ وَسَارُوا	لِرَحْمَةٍ غَيْثُهَا كَثِيرُ[4]
وَخَلَّفُوا سَيِّدًا عَظِيمًا	عَظَّمَهُ رَبُّنَا الْكَبِيرُ

---

1) الصياصي: الحصون. اللسان: صيص.

2) في ديوان شعره: يا منشدا. وجد بخط بعض الفضلاء ما نصه: «لم يلتق ساكنان في الشعر إلا في المتقارب ولو جعل بدل ضالة درة كان أولى» طرة بهامش الديوان.

3) في ديوان شعره: فمنهم.

4) في ديوان شعره: عيشها غزير.

وَزَانَهُ الْحِلْمُ عَنْ عِدَاهُ وَالصَّفْحُ يَا حَبَّذَا الْعَشِيرُ

وَافَتْكَ يَا بَهْجَةَ اللَّيَالِي قَصِيدَةٌ وَجْهُهَا نَضِيرُ

وَنَظْمُهَا لَاحَ كَالَّآلِي يُغْرَى بِهَا الشَّاعِرُ الضَّرِيرُ[1]

وَيَرْتَضِيهَا الْبَهَا زُهَيْرٌ وَيَقْتَفِي نَهْجَهَا جَرِيرُ[2]

حُلَلُهَا لَمْ تُحَكْ بِصَنْعَا وَحَوْكُ أَمْثَالِهَا عَسِيرُ

تَسْأَلُ مِنْ فَضْلِكُمْ قَبُولًا وَفَضْلُكُمْ فِي الْوَرَى أَثِيرُ

وَاتَّخَذَتْ بَحْرَهَا بَسِيطًا وَالْبَسْطُ مِنْ شَأْنِكُمْ يَسِيرُ

فَاسْدُلْ عَلَى عَيْبِهَا رِضَاكُمْ وَمِثْلُكُمْ بِالرِّضَى جَدِيرُ[3]

وَاشْرَبْ عَلَى سَرْدِهَا كُؤُوسًا وَاللهُ يَرْعَاكَ يَا وَزِيرُ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [المتقارب]

قَضَيْتَ الْوِزَارَةَ أَوْطَارَهَا وَلَكِنْ تَحَمَّلْتَ أَخْطَارَهَا[4]

وَرُمْتَ أَحَادِيثَهَا مُدَّةً وَلَكِنْ تَتَبَّعْتَ آثَارَهَا

وَأَلْبَسْتَهَا بَهْجَةً وَبَهَا وَآنَسْتَ فِي حَيِّهَا نَارَهَا

وَوَشَّحْتَهَا بِالصَّفَا وَالْوَفَا وَفَجَّرْتَ فِي الْأَرْضِ أَنْهَارَهَا

---

1) يقصد بشار بن برد.

2) سقط من ديوان شعره.

3) في ديوان شعره: فاسحب.

4) القصيدة في ديوان شعره: 58، ويحاكي فيها ابن داني قصيدة أبي العتاهية في مدح الخليفة المهدي:

أَتَتْهُ الخِلافَةُ مُنقادَةً إِلَيهِ تُجَرِّرُ أَذيالَهَا

وَلَم تَكُ تَصلُحُ إِلّا لَهُ وَلَم يَكُ يَصلُحُ إِلّا لَهَا

وفيها بعض الاقتباسات من القرآن الكريم.

وَصَيَّرْتَهَا رَوْضَـــــةً تُشْتَهَـــى   وَفَـتَّـحْـتَ بِـالـرِّفْـقِ أَزْهَـارَهَـا

وَسَوَّرْتَهَا بِالْـحَبَـــا وَالْـحَيَـا   وَأَنْـطَـقْـتَ بِالصِّدْقِ أَطْيَارَهَا[1]

وَأَوْضَحْتَ مِنْهَاجَهَا لِلْـــوَرَى   وَجُبْتَ عَـلَى الْـبُعْدِ أَقْطَارَهَا

وَأَطْلَعْتَهَا فِي سَمَاءِ الْـعُـــلَا   وَأَسْـمَـيْـتَ فِي الْـجَوِّ أَقْـدَارَهَـا

وَعَاشَرْتَهَا بِاكْتِتَامِ الْـهَـــوَى   فَـلَـمْ تُـفْـشِ لِلنَّاسِ أَسْرَارَهَـا

وَأَلْزَمْتَهَا الصَّمْــتَ فَامْتَثَلَــتْ   فَـمَا تَـسْـمَـعُ الْأُذْنُ أَخْـبَـارَهَـا

وَغَادَرْتَهَا بَـــرْزَةً حُلْـــوَةً   وَأَشْرَقْــتَ بِالْـحَقِّ أَنْـوَارَهَـا[2]

وَنَزَّهْتَهَا عَنْ قَبُـــولِ الرِّشَـــا   وَشَـيَّـدْتَ بِالْـعَدْلِ أَسْـوَارَهَـا

وَبَاعَدْتَ كُـــلَّ عَدُوٍّ لَهَـــا   وَقَـــرَّبْــتَ وَاللهِ أَبْــرَارَهَــا

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَقَـــدْ وَضَعَـــتْ   كَـمَا تَضَعُ الْـحَرْبُ أَوْزَارَهَـا

وَآوَيْتَهَا بَعْـــدَ غُرْبَتِهَـــا   وَحَـيَّـتْ عَـلَى الـنَّـأْيِ أَوْكَـارَهَـا

إِذَا الْـحُـــرُّ فَارَقَ أَوْطَانَـــهُ   دَرَى عِـنْـدَ ذَلِـكَ مِـقْـدَارَهَـا

وَوَهَّجْتَ فِي عَصْرِنَـا شَمْسَهَـــا   وَأَطْـلَـعْـتَ بِالْـغَرْبِ أَقْـمَارَهَـا

فَطَالَتْ عَلَى الشُّـمِّ لَمَّا سَمَـــتْ   أَطَـالَ الْـمُهَيْمِنُ أَعْـمَارَهَـا

وَسَايَرْتَهَا فِي سُرَاهَـــا وَقَـــدْ   أَخَـذْتَ مِـنَ اعْـدَائِـهَـا ثَـأْرَهَـا[3]

أَحَطْتَ بِأَرْجَـــاءِ أَنْجَادِهَـــا   وَأَصْـبَـحْـتَ تَقْطَعُ أَغْـوَارَهَـا

1) في ديوان شعره: وسورتها بالحبا والحيا.

2) البرزة من النساء الجليلة التي تظهر للناس ويجلس إليها القوم، وامرأة برزة بارزة المحاسن. اللسان: برز.

3) في ديوان شعره: في مداها.

وَلَاحَتْ كَوَاكِبُ لِلْوُزَرَا   فَكُنْتَ وَلَا غَرْوَ، سَيَّارَهَا[1]

وَلَاحُوا بِحَاراً بِهَذَا الْمَدَى   فَكُنْتَ وَلَا شَكَّ زَخَّارَهَا

وَرَاقَتْ وَرَقَّتْ دَوَاوِينُهُمْ   فَكُنْتَ لَدَى السَّبْرِ مِعْيَارَهَا // (43)

فَخُذْهَا مُحَمَّدُ غَانِيَةً   مِنَ الشِّعْرِ تَغْلِبُ أَنْظَارَهَا

أَتَتْكَ تُمَهِّدُ فِي عُذْرِهَا   تَقَبَّلْ، وَلَا لَوْمَ، أَعْذَارَهَا

وَشَقَّتْ بُحُورًا سِوَى أَنَّهَا   غَدَا الْمُتَقَارِبُ تَيَّارَهَا

قَضَتْ مِنْ حُقُوقِكَ بَعْضًا كَمَا   قَضَيْتَ الْوِزَارَةَ أَوْطَارَهَا[2]

* **وَمِنْهُمْ صِنْوُهُ الْفَقِيهُ سَيِّدِي مُحَمَّدٌ الصَّغِيرُ**[3]: أَسَدٌ خَادِرٌ، وَبَازِلٌ[4] هَادِرٌ، وَوَارِدٌ بِحَارَ الْمَعَارِكِ وَصَادِرٌ، الذَّائِدُ الْحَامِي، الْحَاذِقُ الرَّامِي، وَالْبَحْرُ الطَّامِي، وَالْفَضْلُ النَّامِي، وَالْعَارِضُ الْهَامِي، وَالْمَجْدُ السَّامِي.

نَشَأَ فِي حِجْرِ الدَّوْلَةِ، وَشَبَّ مَعَ أَشْبَالِ تِلْكَ الصَّوْلَةِ، فَأَغْرَتْهُ بِاقْتِنَاءِ الْفَضَائِلِ، وَتَهْذِيبِ الشَّمَائِلِ، وَفَضَّلَتْهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ، وَحَذَّرَتْهُ غَائِلَةَ الْغَوَائِلِ، فَشَمَّرَ عَنْ سَاقٍ، وَصَرَفَ عِنَايَتَهُ لِحَرْبِ الْفُسَّاقِ، فَجَرَّعَهُمْ الْحُتُوفَ وَالْتَفَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ[5].

---

1) في ديوان شعره: كواكبها للورى.

2) في ديوان شعره: قضى من حقوقك.

3) القائد محمد الصغير بن العربي الجامعي الفاسي كان كاتبا ثم وزيرا للحربية في عهد المولى الحسن الأول، وقد بطش به الحاجب احماد بن موسى بعد وفاة المولى الحسن توفي سنة 1323 هـ. تنظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس: 2/ 513، موسوعة أعلام المغرب: 2841، معلمة المغرب: 9/ 2883.

4) بعير بازل إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه. اللسان: بزل.

5) وظف المؤلف الآيتين الكريمتين 29 - 30 من سورة القيامة: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ لإتمام فاصلة سجعه.

قَلَّدَهُ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ قِيَادَةَ الْعَسْكَرِ الْجَرَّارِ، وَفِيهِمُ الْأَبْرَارُ وَالْفُجَّارُ، وَالْـخِيَارُ وَالْأَشْرَارُ، وَالْعَبِيدُ وَالْأَحْرَارُ، فَقَامَ بِرِئَاسَتِهِ، وَهَامَ بِسِيَاسَتِهِ، قَطَعَ بِهِ الْأَنْجَادَ وَالْأَغْوَارَ، عَلَى مَمَرِّ الْأَدْوَارِ، وَتَعَاقُبِ الْأَحْوَالِ وَالْأَطْوَارِ، وَفَرَعَ بِهِ الثَّنَايَا، وَوَرَدَ حِيَاضَ الْـمَنَايَا، فَإِذَا أَرْعَدَ تَنْهَدُّ لِصَوَاعِقِهِ الْأَبْرَاجُ وَالْأَسْوَارُ، وَإِذَا أَبْرَقَ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ[1]، فَكَمْ أَسْرَى فِي الْأَسْحَارِ، وَخَاضَ لُجَجَ تِلْكَ الْبِحَارِ، فَإِذَا أَظْلَمُوا أَضَاءَ لَهُمْ كَالْكَوْكَبِ الزَّهَّارِ، وَأَشْرَقَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ.

وَبِالْـجُمْلَةِ فَأَوْصَافُهُ رِيَاضٌ تَبَسَّمَتْ فِيهَا الْأَزْهَارُ، وَأَخْلَاقُهُ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَهُوَ الْفَارِسُ الْـمِغْوَارُ، الْـهَاطِلُ بِنَوَالِهِ الْـمِدْرَارِ، الْـمَحْمُودُ فِي الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ، وَبَدْرُهُ لَا يَعْرِفُ السِّرَارَ، وَصَدْرُهُ خِزَانَةٌ لِلْأَسْرَارِ، فَإِذَا احْتَلَّ بِالْـمِشْوَرِ السَّعِيدِ، وَشُحِنَ بِالْأُمَرَاءِ ذَلِكَ الصَّعِيدُ، فَمِنْهُمْ قَائِمٌ وَقَعِيدٌ، أَشَارَتْ إِلَيْهِ الْأَصَابِعُ، وَحَدَّقَتْ إِلَيْهِ الْعُيُونُ كَالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ، كَأَنَّهَا تَنْظُرُ الْبُدُورَ السَّوَاطِعَ. فَإِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ، وَتَمَيَّزَ الْـمَرْؤُوسُ وَالرَّئِيسُ، وَالسَّعِيدُ وَالنَّحِيسُ، وَتَبَيَّنَ الْـحَصَا مِنَ الدُّرِّ النَّفِيسِ، قِيلَ هَذَا مُحَمَّدٌ الْـحِنِّيسُ[2]، وَدَارَتْ فِي حَوْمَةِ الْـوَغَى كُؤُوسُ الْـمَنَايَا عِوَضًا عَنِ الْـخَنْدَرِيسِ[3]، وَأَخَذَ اللهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ[4]. طَالَمَا طَرَقَهُمْ كَالْـخَيَالِ الزَّائِرِ، وَالطَّيْرِ الطَّائِرِ، حَتَّى أُدْرِجَ حَدِيثُهُ فِي **الْـمَثَلِ السَّائِرِ**[5]، فَمَا زَالَ يُذِيقُهُمُ الْكَرْبَ، وَيُوَالِي عَلَيْهِمُ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَ، فَحَشَدَ مِنَ الْأَجْنَادِ مَعَدَّهَا وَنِزَارَهَا، وَغَشِيَهُمْ مِرَارًا حَتَّى تَضَعَ الْـحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَزَارَتْ أَكَابِرُهُمُ الْـمَقَابِرَ، وَضُرِبَتْ فَرَحًا فِي مَحَلَّتِهِمُ الطُّبُولُ وَالطَّنَابِرُ.

---

1) وظف الكاتب الآية 43 من سورة النور لتسوية فواصل سجعه، وفي السياق ما لا يخفى من المبالغة.

2) الحنِّيس من الرجال الشجاع الذي لا يضيمه أحد. اللسان: حنس.

3) الخندريس: الخمر القديمة. اللسان: خندرس.

4) وظف المؤلف قسم من الآية 165 من سورة الأعراف لإتمام فاصلة سجعه.

5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير (ت.637هـ)

جَابَ مَفَاوِزَ الْـقِفَارِ وَالتُّلُولِ، وَتَقَلَّبَ فِيهَا بِالتَّرَحُّلِ وَالْـحُلُولِ، وَالْـمُقَامِ وَالنُّزُولِ، بِتِلْكَ الْأَجْبَالِ وَالسُّهُولِ، وَخَيَّمَ بِالصَّعْبِ وَالذُّلُولِ، وَأَلَمَّ بِهَاتِيكَ الْـمَرَاسِمِ وَالطُّلُولِ، وَتَبَخْتَرَ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَالرِّمَاحِ وَالنُّصُولِ، وَرَدَّ بِحَرْبِهِ الْـفُرُوعَ وَالْأُصُولَ، وَأَفَلَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ تَرْضَ شَمْسُهُ بِالْأُفُولِ، وَاشْتَهَرَ حَدِيثُهُ بَيْنَ رَبَّاتِ الْـحُجُولِ[1]، هَذَا مَا تَحَصَّلَ مِنَ النُّقُولِ، وَمَا وَرَاءَهُ لَا تُدْرِكُهُ الْـعُقُولُ، وَدَعْ عَنْكَ مَا يَعْتَقِدُهُ الْـجَهُولُ، الْـمُسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْـغَفْلَةُ وَالذُّهُولُ، فَقَدْ جَرَّتْ جُيُوشُهُ بِسَاحَةِ الْـعَدُوِّ الذُّيُول، وَسَالَتْ بِتِلْكَ الْأَبَاطِحِ كَالسُّيُول. يَعْدُو فِي الْأَعْدَاءِ كَالْـغَزَالِ الطَّامِرِ[2]، عَلَى الْأَدْهَمِ الضَّامِرِ، وَيُرْوَى حَدِيثُهُ فِي مُسَامَرَةِ السَّامِرِ، وَيَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِهِلَالِ بْنِ عَامِرٍ[3]، وَمَا أَدْرَاكَ هَذَا الصِّيتُ، الَّذِي لَمْ يُدْرِكْهُ الْـخِرِّيتُ! إِلَّا بِعِنَايَةِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ، السُّلْطَانِ الْـمُظَفَّرِ الْـهُمَامِ، الْـمُزْدَرِي جُودُهُ بِالْـغَمَامِ، الَّذِي يَخْضَعُ لِطَلْعَتِهِ بَدْرُ التَّمَامِ، أَبْقَاهُ اللهُ وِقَايَةً لِلدِّينِ الْـحَنِيفِ، يَخْتَالُ فِي مُلْكِهِ الْـمُنِيفِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

قَالَ فِي حَقِّهِ: [الطويل]

خَلِيلَيَّ إِنْ عَرَّجْتُمَا بِالْـمَجَـــامِعِ ... فَعُوجَا عَلَى الصَّدْرِ الْـجَلِيلِ ابْنِ جَامِعِ[4]

وَطُوفَا بِهِ وَاسْتَقْبِلَا وَجْهَـــهُ وَلَا ... تَحِيدَا عَنِ النَّهْجِ الْـقَوِيمِ الْـمُتَابَعِ // (44)

فَتًى حَاوَلَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ أَهْلُـــهُ ... فَـأَدْرَكَـهُ مِـنْ غَـيْرِ تَقْدِيرِ مَانِعِ

تَصَدَّى إِلَى قَوْدِ الْـعَسَاكِرِ وَاعْتَنَـــى ... بِحَمْلِ لِـوَاءِ الْـجُنْدِ غَيْرَ مُدَافَعِ

1) الحَجْلُ والحِجل جميعا الخلخال، والجمع أحجال وحجول، وربات الحجول كناية عن النساء. اللسان: حجل.
2) الغزال الطامر: المستفز للوثب والعدو. اللسان: طمر.
3) هلال بن عامر بن صعصعة، من هوازن، جد جاهلي لبنيه أخبار كثيرة في كتب الأخبار والأنساب. جمهرة أنساب العرب: 273.
4) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

إِذَا الْعَسْكَرُ الْجَرَّارُ حَلَّ بِبُقْعَةٍ ... تَبَاهَتْ بِهِ أَصْوَاتُ تِلْكَ الْمَدَافِعِ
رَعَى اللهُ مَرْعَاهُ الْخَصِيبَ وَحَاطَهُ ... وَكَانَ لَهُ وَقْتَ الْعُيُونِ الْهَوَاجِعِ
قَدْ اخْجَلَ وَجْهَ الدُّرِّ مَجْلِسُهُ الَّذِي ... تَحِنُّ لَهُ الْحِسَانُ سُودُ الْمَدَامِعِ
أَلَا فَارْقَ أَعْلَامَ الْعُلَا يَا مُحَمَّدٌ ... وَقُلْ قَوْلَكَ الْمَقْبُولَ غَيْرَ مُرَاجَعِ
وَقُمْ فِي مَقَامِ الْعِزِّ وَالْفَضْلِ وَالْبَهَا ... وَصُلْ صَوْلَةَ الرَّعْدِ الْعَظِيمِ الْمَنَافِعِ
وَدُمْ تَبْتَنِي الْفَخْرَ الْمُخَيِّمَ فِي السُّهَى ... وَتَطْلُعُ فِي مَرْقَاةِ تِلْكَ الْمَطَالِعِ
وَلُحْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ وَالسَّعْدِ طَالِعًا ... وَأَمْطِرْ نَوَالًا فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ
وَجُدْ بِاللُّهَى إِنَّ اللُّهَى تَفْتَحُ اللَّهَى ... وَتَحْمَدُ عُقْبَاهَا جَمِيعُ الشَّرَائِعِ[1]
وَرُدْ مَوْرِدَ الْإِحْسَانِ وَالْحِلْمِ وَالتُّقَى ... وَكُنْ فِي الْأَعَادِي كَالشَّجَا غَيْرَ ضَارِعِ[2]
تَغَيَّبْتُمُ عَنْ أَرْضِنَا زَمَنًا وَقَدْ ... طَلَعْتُمْ بِأُخْرَى كَالنُّجُومِ الطَّوَالِعِ
وَأُبْتُمْ بِحَمْدِ اللهِ فِي غِبْطَةٍ وَقَدْ ... سَطَعْتُمْ بِنُورٍ كَالْبُدُورِ السَّوَاطِعِ
وَأَرْعَدْتُمُ فِي قَوْلِكُمْ وَخِطَابِكُمْ ... وَأَبْرَقْتُمُ مِثْلَ الْبُرُوقِ اللَّوَامِعِ
حَكَمْتُمْ فَمَا جُرْتُمْ فَلِلَّهِ حُكْمُكُمْ ... جَلَا لِلْوَرَى مِثْلَ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ
وَأَمْرُكَ مَشْهُورُ النُّفُوذِ مُبَجَّلٌ ... وَفِعْلُكَ مَاضٍ مَا لَهُ مِنْ مُضَارِعِ

1) اللُّهى: عظام العطايا. واللَّهاة من كل ذي حلق اللحمة المشرفة على الحلق. اللسان: لها. وهو مثل عربي ومعناه أن الإحسان وتوارد العطايا الحسان، يطلق اللسان بالثناء والشكران، وهذا المثل وقع في كلام الكميت الذي قيل له: لم صارت أشعارك في بني أمية أطيب منها في بني هاشم؟ فقال: إن اللهى تفتح اللهى. زهر الأكم: 1/ 132.

2) الشجا ما اعترض في حلق الإنسان والدابة من عظم أو عود وغيرهما. والضارع: المتذلل. اللسان: شجا وضرع.

جَمَعْتُمْ وَلَكِنْ كَانَ جَمْعَ سَلَامَـــةٍ فَأَنْتُمْ بِهَذَا الْعَصْرِ **جَمْعُ الْجَوَامِعِ**[1]
وَنِلْتُمْ سُمُوًّا لَا كِفَاءَ لَــهُ وَقَــدْ سَمَا قَدْرُكُمْ فَوْقَ الذُّرَى وَالصَّوَامِعِ
أَتِرْبَ الْمَعَالِي عَظَّمَ اللــهُ أَجْـرَنَا وَأَجْـرَكُـمُ فِي الرَّاحِلِينَ النَّوَازِعِ
هَوَى الْقَمَرَانِ النَّيِّرَانِ فَأَظْلَمَــتْ مَعَالِمُ فَاسٍ وَالْبِلَادِ الشَّوَاسِعِ
وَقَدْ أَفَلَتْ شَمْسُ الزَّمَانِ وَكُـوِّرَتْ بِمُرَّاكُشَ الْحَمْرَاءِ ذَاتِ الْمَصَانِعِ
مَحَاسِنُهُمْ مِثْلُ النُّجُـومِ إِذَا بَــدَتْ وَأَوْجُهُهُمْ مِثْلُ الْفُجُورِ الصَّوَادِعِ
كَأَنَّهُمُ كَانُوا وَدَائِــعَ عِنْدَكُــمْ وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ لِرَدِّ الْوَدَائِعِ[2]
لِتَبْكِهِمُ الشُّهْبُ الْمُنِيرَةُ فِي الدُّجَى وَتَنْدُبْهُمُ كُلُّ الْحِسَانِ الرَّوَائِعِ
وَتَرْثِهِمُ أَهْلُ الْمَــدَائِنِ وَالْقُرَى كَأَهْلِ الْبَرَارِي وَالطُّيُورِ السَّوَاجِعِ
وَتَسْقِ ثَرَاهُمْ كُــلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَــةٍ عُيُونُ السَّحَابِ الْهَامِيَاتِ الْهَوَامِعِ
أَلَا لَا أَرَاكَ اللهُ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِــمْ رَزِيَّةَ سُوءٍ بَلْ سُعُودَ الْمَطَالِعِ
وَلَا أَحْبَطَ الرَّحْمَانُ أَجْرَكَ فِيهِــمُ وَلَا عَاوَدَتْكَ عَائِدَاتُ الْفَجَائِعِ
وَلَا زِلْتَ مَتْبُوعًا عَلَى رُغْمِ مَنْ قَـلَى عَظِيمَ الْمَزَايَا بَلْ كَثِيرَ التَّوَابِعِ
وَمَنْ لَمْ يُجَبِّرْ شِعْرَهُ فِي مَدِيحِكُــمْ يُعَنَّفْ وَيُضْرَبْ تَارَةً بِالْمَقَامِعِ
وَرَدْتُمْ بِحَارًا مِنْ سُرُورٍ مُؤَبَّــدٍ وَلَكِنَّهَا فِي الذَّوْقِ عَذْبُ الْمَشَارِعِ
فَخُذْ بِزِمَامِ الْمَكْرُمَاتِ بِأَسْرِهَــا وَلَا تَتْرُكَنْ فِيهَا طِمَاعًا لِطَامِعِ

1) كتاب جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي (ت.771هـ) وهو من الكتب المشهورة في أصول الفقه.

2) المعنى مأخوذ من قول لبيد:
وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إِلاَّ وَدِيعَةٌ وَلاَبُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ. ديوان شعر لبيد: 170.

أَتَتْكَ الْقَوَافِي رَغْبَــةً وَتَجَمَّعَــتْ   بِبَابِكَ فَابْذُلْهَا الْمُنَى يَا ابْنَ جَامِعِ.

وَقَالَ فِي حَقِّهِ أَيْضًا: [الطويل]

أَعِدْ مَا جَرَى فِي أُنْسِكُمْ يَا مُحَمَّــدُ   بِزَيْنَبَ ذَاتِ الْخَالِ فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ[3]
وَذَاتِ سِوَارٍ حُبُّهَا يُنْتِجُ الْمُنَــى   لَهَا جَبْهَةٌ غَرًّا وَجِيدٌ مَقَلَّدُ
وَطَرْفٌ كَحِيلٌ لَمْ يُكَحَّلْ بِإِثْمِــدٍ   وَرِيقٌ شَهِيٌّ وِرْدُهُ مُتَعَدِّدُ
لَهَا شَعَرٌ مِثْلُ الْغُرَابِ مُرَجَّــلٌ   وَقَدٌّ لَهَا سَامٍ وَخَدٌّ مُوَرَّدُ
وَوَجْهٌ بَهِيٌّ كَالْغَزَالَةِ فِي الضُّحَــى   تَبَدَّى مُنِيرًا دَائِمًا يَتَوَقَّدُ
وَثَغْرٌ جَلَا كَالْبَرْقِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَــا   وَإِنْسَانُ عَيْنٍ نَعْتُهُ مُتَوَحِّدُ// (45)
تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي بَدِيعِ جَمَالِهَــا   وَتَمْرَحُ وَالدُّنْيَا لَهَا تَتَوَدَّدُ[4]
إِذَا نَطَقَتْ تَسْبِي الْعُقُولَ بِلَفْظِهَــا   وَتَرْوِي حَدِيثًا فِي الْهَوَى يَتَخَلَّدُ
يُرَى الدُّرُّ مِنْ أَلْفَاظِهَا مُتَنَاثِــرًا   إِذَا هِيَ غَنَّتْ فَالْغِنَا يَتَقَيَّدُ[5]
وَإِنْ بَرَزَتْ يَوْمًا بِمَحْفِلِ نِسْــوَةٍ   يَكُونُ لَهَا فَضْلٌ يَرُوقُ وَيُنْشَدُ
مُحَجَّبَةٌ فِي الْخِدْرِ عَنْ كُلِّ نَاظِــرٍ   تَحَلَّى بِهَا الْقَصْرُ الرَّفِيعُ الْمُشَيَّدُ
لَهَا شُهْرَةٌ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ كُلِّهِــمْ   وَحُبٌّ قَدِيمٌ فِي الْفُؤَادِ مُخَلَّدُ
وَإِنْ أَوْرَدَتْهُمْ فِي حَدِيثٍ مُسَلْسَــلٍ   تَرَاهُمْ سُكَارَى وَالْجَوَى يَتَوَقَّدُ[6]

---

3) القصيدة في ديوان شعره: 75.
ـ العود أحمد مثل عربي ورد في أعجاز أبيات كثير من الشعراء منها قول أحدهم:
فإن كان مني ما كرهتِ فإنني   أعودُ لما تهوين فالعود أحمد جمهرة الأمثال: 2/ 38.

4) في ديوان شعره: تتوقد.

5) في ديوان شعره: تَرَى الدرَّ.

6) في ديوان شعره: حديث معنعن تراهم سكارى والجوى متوقد.

تَقُوتُ الْمُحِبِّينَ الْمُرِيدِينَ حُبَّهَا   فَكُلُّهُمُ مِنْ قُوتِهَا يَتَزَوَّدُ[1]

وَإِنْ زَارَهَا يَوْمًا خَلِيلٌ تَبَرَّجَتْ   وَثَارَ عَلَيْهِ حُبُّهَا الْمُتَزَايِدُ[2]

إِذَا نَظَرَتْ شَزْرًا غَرِيقًا بِحُبِّهَا   يَلُوحُ بِعَيْنَيْهَا الْحُسَامُ الْمُهَنَّدُ[3]

وَتَحْسِبُهُ الدُّنْيَا بَلِيدًا وَلَمْ يَكُنْ   كَمَا ظَنَّ إِلَّا أَنَّهُ يَتَبَلَّدُ

فَلَوْ أَنْصَفَ الْعُشَّاقُ طَلْعَةَ حُسْنِهَا   لَطَافُوا بِهَا حَتَّى الْمَلِيكُ الْمُؤَيَّدُ

عَلَى الْحُبِّ فَاعْكِفْ يَا مُحَمَّدُ وَاصْطَبِرْ   وَكُنْ دَائِمًا تَرْعَاهُ إِنَّكَ أَيِّدُ[4]

وَكُنْ مِثْلَ قَيْسٍ أَوْ كُثَيِّرِ عَزَّةٍ   وَغَيْلَانَ مَيٍّ أَمْرُهُمْ مُتَقَيِّدُ

وَلَا تَكْثَرِتْ يَا ابْنَ الْكِرَامِ بِلَائِمٍ   يَلُومُ فَإِنَّ اللُّؤْمَ فِيهِمْ مُشَاهَدُ[5]

وَخُذْ غَادَةً مِنْ نَظْمِ شِعْرٍ مُحَبَّرٍ   يَهِيمُ بِهِ الدُّرُّ النَّظِيمُ الْمُنَضَّدُ

لَقَدْ مَجَّدَتْ عَلْيَاكَ غَايَةَ جُهْدِهَا   لِأَنَّكَ شَهْمٌ مَاجِدٌ وَمُمَجَّدُ

وَقَدْ أَعْرَبَتْ عَنْ كُنْهِ فَضْلِكَ رَغْبَةً   وَسَحَّتْ بِنَحْوٍ يَرْتَضِيهِ الْمُبَرِّدُ

وَغَاصَتْ عَلَى أَصْدَافِ دُرِّكَ جُمْلَةً   لِأَنَّكَ سَيِّدٌ سَدِيدٌ مُسَدَّدُ

فَلَا زِلْتَ فِي النَّعْمَا مُقِيمًا مُخَلَّدًا   يَسِيحُ بِمَغْنَاكَ النَّعِيمُ الْمُخَلَّدُ

وَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تُولِيكَ رُتْبَةً   يَخِرُّ لَهَا الطَّوْدُ الْعَظِيمُ الْمُمَرَّدُ[6]

---

1) في ديوان شعره: المريدين حبها.

2) المتزايد كذا في الأصل، وفيه عيبان عروضيان، الأول: زخاف القبض في سباعي الطويل وهو مستثقل، والثاني عيب في القافية، إذ فيه سناد التأسيس، ويزول العيب باستعمال نحو: المتزيد.

3) في ديوان شعره: المجرد.

4) رجل أيد: قوي. اللسان: أيد.

5) في ديوان شعره: فيه مشاهد.

6) التمريد: التمليس والتسوية والتطيين، وقيل الممرد بناء طويل. اللسان: مرد.

فَدُمْ وَاثِقًا بِاللهِ جَلَّ جَلَالُــــــهُ   يُعَـافِي وَيَعْفُو وَالشَّفِيعُ مُحَمَّدُ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللهِ مَا حَنَّ عَاشِـــــقٌ   لِمَعْشُوقِهِ إِذْ عِشْقُهُ يَـتَـزَايَـدُ[1].

* وَمِنْهُمُ الْـفَقِيهُ الْـوَزِيرُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ ابْنُ دَانِي[2]: اَلْقِطْفُ[3] الدَّانِي اَلْـمَاهِرُ بِتَشْيِيدِ أَلْفَاظِ الْـمَعَانِي، وَتَأْسِيسِ تِلْكَ الْـمَبَانِي، عَلَى رُغْمِ أَنْفِ الشَّانِي، الْـهَائِمُ بِتَرْجِيعِ الْـمَثَانِي[4]، عِوَضًا عَنْ تَرْجِيعِ الْـمَثَالِثِ وَالْـمَثَانِي[5]، وَتَجْوِيدُهِ لِلْكِتَابِ الْـعَزِيزِ تَهِيمُ بِهِ الْـغَوَانِي، فِي سَبْكِ الْأَغَانِي، وَيَدُورُ عَلَيْهِ الْإِحْسَانُ وَلَا دَوْرَ السَّوَانِي، الرَّاقِمُ الْـوَاشِي. أَحْيَى رُسُومَ الْـكِتَابَةِ بَعْدَ التَّلَاشِي، وَتَدَارَكَ أَمْرَهَا الْـمُتَلَاشِي[6]، وَطِرَازُهُ لِلرَّسَائِلِ سَارَ بِخَبَرِهِ الرَّاكِبُ وَالْـمَاشِي، وَفَشَا حَدِيثُهُ الْـفَاشِي. وَفَصَاحَتُهُ أَنْسَتْ فَصَاحَةَ قُسِّ إِيَادٍ[7]، وَبَلَاغَتُهُ عَفَّتْ بَلَاغَةَ زِيَادٍ[8]، وَمَا أَدْرَاكَ مَا زِيَادٌ!، بَلَغَ أَمْرُهُ فِي الدَّهَا مِنَ الِازْدِيَـادِ، مَا عَجَزَتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ الصَّافِنَاتُ الْـجِيَادُ. وَتَحْبِيرُهُ لِلْخُطَبِ تُقِرُّ بِهِ الْأَوَائِلُ، حَتَّى سَحْبَانَ وَائِلٍ[9]، وَتَرْسِيلُهُ يَرْتَضِيهِ عَبْدُ

1) فيه سناد التأسيس، ويزول العيب باستعمال نحو: يَتَزَيَّدُ.
2) أحمد بن محمد بن محمد التازي المراكشي الشهير بابن داني الكبير كان من كتاب السلطان الحسن الأول، استوزره في خلافته الصغرى، وهو صهر مؤلف هذا الكتاب، توفي سنة 1305هـ. ترجمته في: الإعلام: 7 / 64، موسوعة أعلام المغرب: 8 / 72 - 73.
3) القِطْف: ما قطف من الثمر، وهو أيضا العنقود ساعة يقطف. اللسان: قطف.
4) المثاني من القرآن مرة بعد مرة، وقيل هي فاتحة القرآن، وقل هي القرآن كله. اللسان: ثني.
5) المثاني من أوتار العود الذي بعد الأول. اللسان: ثني. وفي كلام المؤلف جناس تام.
6) من بين الكتب المنتسخة بخط يده لخزانة المولى الحسن الأول كتاب «النكت المستخرجة من كتاب المشابكة» لأبي عبد الله محمد بن الحاج الشرفي الحسني، فرغ من نسخه يوم الجمعة 9 ربيع الثاني عام 1303هـ، منه نسخة محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 1352.
7) قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية وهو معدود في المعمرين أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورآه في عكاظ، توفي سنة 23 ق هـ. ترجمته في: البيان والتبيين: 1/ 43، الأغاني: 15/ 46، خزانة الأدب: 2/ 89، الأعلام: 5/ 196.
8) زياد بن أبيه، أمير من الولاة الدهاة، ومن الخطباء المبرزين، توفي سنة 53ه. ترجمته في: طبقات ابن سعد: 7/ 99، تاريخ الطبري: 5/ 176، مروج الذهب: 3/ 192، سير أعلام النبلاء: 3/ 494.
9) سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب يضرب به المثل في الفصاحة والبيان، اشتهر في الجاهلية، وعـاش زمنـا في الإسلام، توفي سنة 54هـ. ترجمته في: تاريخ الطبري: 6/ 484، جمهرة الأمثال: 1/ 202، خزانة الأدب: 10/ 371.

الْـحَمِيدِ[1]، وَيَشْهَدُ بِتَسْلِيمِهِ الصَّاحِبُ[2] وَابْنُ الْـعَمِيدِ[3]، وَخَطُّهُ الرَّائِقُ يَسْحَرُ كُلَّ مُقْلَةٍ، وَيَسْخَرُ بِخَطِّ ابْنِ مُقْلَةَ[4]، وَمَا زَالَ يَلِجُ فِي تِلْكَ الْأَبْوَابِ، حَتَّى عَفَّى أَثَرَ ابْنِ الْـبَوَّابِ[5]، فِي الْـمَقَالِ وَالْـجَوَابِ. دَرِبَ بِتَحْلِيَةِ الطُّرُوسِ، وَتَزْيِينِهَا كَالْـعَرُوسِ، فَآوِنَةً يَحُومُ عَلَى مَا يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ، وَتَارَةً يَنْهَجُ مَنْهَجَ الِاخْتِصَارِ.

وَكَانَ يَتَخَلَّقُ بِالْـخُلُقِ الْـحَسَنِ، وَيَتَزَيَّى بِالزِّيِّ الْـمُسْتَحْسَنِ، يَحْسُدُ الرَّوْضُ حُلَاهُ، وَيَغَارُ الطَّوْدُ مِنْ عُلَاهُ، وَيَخْجَلُ الْـوَرْدُ مِنْ حَيَاهُ، وَالْـغَيْثُ مِنْ حَيَاهُ[6]، وَيَوَدُّ الزَّهْرُ سَنَاهُ، وَالشُّمُّ سَنَاهُ. وَيَخْلَعُ فِي مَحَبَّةِ أَهْلِ الْـبَيْتِ الرَّسَنَ، وَيَطْرُدُ بِحَدِيثِ حُبِّهِمُ الْـوَسَنَ، وَخُصُوصًا مِنْهُمْ سِبْطَيِ الْـمُصْطَفَى اَلْحُسَيْنَ وَالْـحَسَنَ.

وَكَانَ سَيِّدُنَا الْـمُقَدَّسُ يُؤْثِرُهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ طَلَبَتِهِ، وَجَمَاهِيرِ كَتَبَتِهِ، وَيَقْضِي أَرَبَهُ، وَيَصِلُ // سَبَبَهُ، وَيُنْصِفُ أَدَبَهُ، وَيُنْفِقُ بُسْرَهُ[7] وَرُطَبَهُ، وَيُرْسِلُ عَلَيْهِ صَيِّبَهُ، (46)
رِعَايَةً لِغُرْبَتِهِ، وَجَزَاءً لِصَفَاءِ مَحَبَّتِهِ، وَيُبَالِغُ فِي إِكْرَامِهِ، وَيَحُضُّ عَلَى احْتِرَامِهِ، وَقَضَاءِ مَرَامِهِ. وَكَانَتْ لَهُ نَفْسٌ عَاصِمِيَّةٌ، وَلِكُلِّ بِرٍّ دَاعِيَةٌ، وَعَنْ كُلِّ مَا يَشِينُ نَابِيَةٌ، وَفِي

1) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء المعروف بالكاتب، يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون يقال: "فتحت الرسائل بعد الحميد وختمت بابن العميد"، ترجمته في: الوزراء والكتاب: 72، عيون الأخبار: 1/ 26، ثمار القلوب: 196، وفيات الأعيان: 3/ 228.

2) إسماعيل بن عباد بن العباس المعروف بالصاحب، وزير غلب عليه الأدب فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا، توفي سنة 385هـ. ترجمته في: يتيمة الدهر: 3/ 192، معجم الأدباء: 2/ 662، وفيات الأعيان: 1/ 228، سير أعلام النبلاء: 16/ 511.

3) محمد بن الحسين العميد بن محمد أبو الفضل، وزير من أئمة الكتاب لقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله، كان حسن السياسة خبيرا بتدبير الملك كريما ممدوحا، توفي 360هـ. ترجمته في: يتيمة الدهر: 3/ 158، معاهد التنصيص: 2/ 115، وفيات الأعيان: 5/ 103، شذرات الذهب: 3/ 31.

4) محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، وزير من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل، توفي سنة 328هـ. تنظر ترجمته في: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 210، وفيات الأعيان: 5/ 113، شذرات الذهب: 2/ 310.

5) علي بن هلال المعروف بابن البواب، الخطاط المشهور المتوفى سنة 423هـ. ترجمته في: معجم الأدباء: 5/ 1996، وفيات الأعيان: 3/ 342، سير أعلام النبلاء: 17/ 315، البداية والنهاية: 12/ 14.

6) حياه الأولى بمعنى الحياء، والثانية بمعنى المطر، وهو أيضا من الجناس التام.

7) البسر: الغض من كل شيء. والبسر: التمر قبل أن يرطب لغضاضته، واحده بسرة. اللسان: بسر.

مَسَاعِي الْأَجْرِ رَائِحَةٌ غَادِيَةٌ، وَبِحَظٍّ مَا قُسِمَ لَهَا رَاضِيَةٌ، وَبِحِلْيَةِ الْإِنْصَافِ حَالِيَة، وَأُذْنٌ لِكُلِّ خَيْرٍ وَاعِيَة، لَمْ يَتَقَدَّمْ نَظِيرُهُ إِلَّا النَّادِرَ فِي الْأَيَّامِ الْـخَالِيَةِ، وَالْأَعْصَارِ الْـمَاضِيَةِ، نَادِرَةُ أَوَانِهِ، وَدِيمَةُ فَضْلٍ هَامِيَةٌ عَلَى أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ.

وَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِهِ بِتَازَةَ كَاتِبًا مَعَ الْـعُمَّالِ، فِيمَا يَعْرِضُ لَـهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ. يُبْهِرُجُ الْـمَكَاتِبَ السُّلْطَانِيَّةَ، وَيَسْتَشِيرُونَهُ فِي الْأُمُورِ الْـقَاصِيَةِ وَالدَّانِيَةِ، فَحَمِدُوا عِشْرَتَهُ، وَتَلَقَّوْا بِالسُّرُورِ بِشْرَتَهُ، وَبَجَّلُوا خُطَّتَهُ، وَرَضُوا ذِمَّتَهُ، وَرَفَعُوا هِمَّتَهُ، وَأَسْمَوْا رُتْبَتَهُ، وَأَضْعَفُوا مِقَتَهُ[1]، وَعَضَّدُوا حُجَّتَهُ، وَأَوْضَحُوا غُرَّتَهُ، وَسَمَكُوا عِزَّتَهُ، وَأَثْبَتُوا وَطْأَتَهُ، وَحَيَّوْا طَلْعَتَهُ، وَشَكَرُوا سَعْيَهُ وَصَنْعَتَهُ، وَطَرَّزُوا بِالتَّنْبِيهِ عَلَى رِفْعَةِ قَدْرِهِ حُلَّتَهُ.

فَكَانَتْ مَكَاتِبُ الْـعُمَّالِ تَرِدُ عَلَى سَيِّدِنَا الْـمُقَدَّسِ بِخَطِّ يَدِهِ، فِي أَغْرَاضِهِ وَمَقَاصِدِهِ، وَمَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ، فَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي اتِّصَالِهِ بِحَضْرَةِ الْـمُلْكِ، الْـبَاهِرَةِ السِّلْكِ. ثُمَّ اسْتَدْعَتْهُ الْـحَضْرَةُ الْـعَالِيَةُ لِبَابِهَا، وَالْـتَحَمَ بِأَعْتَابِهَا، فَنَظَمَتْهُ فِي سِمْطِ كُتَّابِهَا، فَحَلَّى الْـقَرَاطِيسَ بِخَطِّهِ وَوَشَّاهَا، وَمَوَّهَ الْـفَهَارِيسَ وَغَشَّاهَا.

اسْتَوْزَرَهُ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِ أَبِيهِ، بِإِشَارَةٍ مِنْهُ وَتَنْبِيهٍ، وَلَمْ تَزَلْ حَالُهُ تَتَقَلَّبُ فِي هَاتِيكَ الْـقَوَالِبِ، وَتَمُوجُ بَيْنَ قَضَايَاهَا الْـمُوجِبَةِ وَالسَّوَالِبِ، وَتُعَرِّجُ عَلَى إِدْرَاكِ تِلْكَ الْـمَطَالِبِ، وَتَمْيِيزِ الْـمَطْلُوبِ مِنَ الطَّالِبِ، وَهُوَ يَتَحَرَّى أَغْلَبَهَا وَالْـحُكْمُ لِلْغَالِبِ[2]. إِلَى أَنْ حَلَّ بِهِ مَرَضُهُ، وَتَعَذَّرَ مَرَامُهُ وَغَرَضُهُ، فَلَزِمَ كِنَّه، وَاتَّخَذَهُ جُنَّه، فَأَجْرَى عَلَيْهِ السُّلْطَانُ نَصَرَهُ اللهُ جِرَايَةً وَاسِعَةً، وَعَيَّنَ لَهُ مَوَاهِبَ مُتَتَابِعَةً، مُعَامَلَةً لَهُ بِحُسْنِ عَهْدِهِ، وَسَالِفِ خِدْمَتِهِ عَلَى قَدْرِ جُهْدِهِ، حَتَّى انْقَضَى أَجَلُهُ،

1) أضعف الشيء وضعّفه وضاعفه أي جعله ضعفا. والمقة: المحبة. اللسان: ضعف. ومق.

2) الحكم للغالب قاعدة أصولية استندوا إليها في كثير من الأحكام.

وَوَقَفَ بِهِ جَمَلُهُ، فَفَاجَأَتْهُ مَنِيَّتُهُ، وَانْقَطَعَتْ بِهَا أُمْنِيَتُهُ، وَدَخَلَ قَبْرَهُ، وَسَكَنَ لَحْدَهُ، وَالْبَقَاءُ للهِ وَحْدَهُ.

فَمِمَّا قَالَ فِيهِ: [الوافر]

سَقَى نَوْءُ الثُّرَيَّا رَوْضَ فَاسِ ... فَيَزْهُو الزَّهْرُ مِنْ وَرْدٍ وَآسِ[1]
وَلَا زَالَتْ غُيُوثُ النَّطْحِ تَهْمِي ... عَلَى أَرْجَائِهَا حَتَّى الرَّوَاسِي
بِهَا حَلَّتْ ظِبَاءٌ آنِسَاتٌ ... فَإِنْ تَمْرَحْ فَمَا ظَبْيُ الْكِنَاسِ
لَقَدْ جَلَّتْ فَوَاكِهُهَا وَطَابَتْ ... لِأَنَّ الْأَرْضَ طَيِّبَةُ الْغِرَاسِ
كَأَنَّ الْوَادَ ثُعْبَانٌ تَلَوَّى ... بِهَا أَوْ لَيْثُ هَمَّ بِافْتِرَاسِ[2]
جَزَى اللهُ الَّذِي قَدْ شَادَ فِي مَدْ ... حِهَا بَيْتًا يُذَكِّرُ كُلَّ نَاسِي
فَأَمَّا أَرْضُهَا فَأَجَلُّ أَرْضٍ ... وَأَمَّا نَاسُهَا فَأَجَلُّ نَاسِ
وَقَاهَا اللهُ شَرَّ الْخَلْقِ طُرًّا ... وَأَنْجَى أَهْلَهَا مِنْ كُلِّ بَاسِ
وَلَا بَرِحَتْ تَرُوحُ عَلَى ابْنِ دَانِي ... وَتَغْدُو بِالسُّرُورِ بِلَا تَنَاسِي
وَلَا انْفَكَّ النَّعِيمُ يَفِيضُ فَيْضًا ... لَدَيْهِ بَيْنَ أَوْتَارٍ وَكَاسِ
لَقَدْ شَادَ الْمَفَاخِرَ وَالْمَزَايَا ... بِلَا رَيْبٍ يَرِيبُ وَلَا الْتِبَاسِ
فَلَا تَقِسِ السَّوَاءَ بِهِ فَقِدْمًا ... جَرَى شَرْطُ التَّسَاوِي فِي الْقِيَاسِ[3]
فَإِنْ نَاءَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ عَنَّا ... فَحُبُّهُ ثَابِتٌ فِي الْقَلْبِ رَاسِي

---

1) القصيدة في ديوان شعره: 73.

2) الشطر الثاني مكسور، كذا وجدته في الأصل.

3) يقصد بالتساوي في القياس أن تكون العلة مطردة منعكسة، وهي التي يبينها قول الأصوليين: «الحكم يدور مع علته نفيا وإثباتا ووجودا وعدما»، فإذا ثبتت العلة ثبت الحكم، وإذا انتفت العلة انتفى الحكم.

لَقَدْ عِشْنَا زَمَانًـــــا فِي صَفَـــاءٍ وَمَا عَيْشُ الصَّفَا غَيْرُ اخْتِلَاسِ
إِذَا خطَّ الصَّحِيفَـــةَ رِيءَ فِيهـــا جَوَاهِرُ أَوْجَبَتْ شُكْرَ ابْنِ شَاسِ[1]
فَإِنْ رُمْتَ الذَّكَاءَ الْـحُرَّ فَارْحَـــلْ إِلَـيْـهِ تَجِـدْهُ أَذْكَـى مِـنْ إِيَـاسِ[2]
وَإِنْ رُمْتَ الْـقَرِيضَ فَعَنْهُ خُـــذْ إِذْ جَرِيرٌ مِثْلُهُ وَأَبُـو فِـرَاسِ[3] // (47)
يَغِيظُ الْـحَاسِدِينَ لَـــهُ وَيَقْضِـي حَـيَاءً مِـنْ مُـوَاجَـهَـةِ الْأَنَـاسِي[4]
وَيُولِي الْـقَاطِعِينَ لَـهُ وِصَـــالًا فَهَذَا الْـفَخْرُ لَا فَخْرُ اللِّبَاسِ
وَيَفْتِكُ بِالنُّهَى لَفْـــظًا وَخَـــطًّا فَهَذَا الْـفَتْكُ لَا فَتْكُ الْـمَوَاسِ[5]
ويَفْضُلُهُـــمْ بِفَهْـــمٍ وَاطِّلَاعٍ فَـدَتْـهُ النَّفْسُ مِـنْ عَـيْنٍ وَرَاسِ
يَلِينُ الصَّخْرُ مِنْ طَوْدٍ وَمَـــا إِنْ يَلِينُ عَـلَى الـتَّـمَادِي قَلْبُ قَاسِي
فَلَا زَالَتْ سَعَادَتُـــهُ تَعُـــمُّ الْـــ ـعِدَى وَتَكُونُ مِنْهُمْ فِي احْتِرَاسِ
وَطَوْدُ فَخَارِهِ يَـزْدَادُ سَمْكًـــا وَجَــدُّ مُنَازِعِـيهِ فِي انْتِكَـاسِ[6]
فَإِنْ كَانَ التَّنَائِي نَـــالَ مِنَّـــا فَـقَـدْ كَـانَ الـتَّـدَانِي بَـعْـدَ يَـاسِ
فَهَاكَ عَقِيلَةً مِنْ حُـــرِّ شِعْـــرٍ أَضَـاءَتْ شَمْسُهَا يَا شَمْسَ فَاسِ

1) أبو محمد عبد الله بن محمد بن نجم بن شاس الجذامي السعدي المصري شيخ المالكية في عصره بمصر، من أهل دمياط، مات فيها مجاهدا سنة 616 هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان: 3/ 61، سير أعـلام النبلاء: 13/ 140 شذرات الذهب: 5/ 69، شجرة النور: 165.

2) إياس بن معاوية بن قرة المزني أبو واثلة قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء، يضرب المثل بذكائه، وصدق حسه، وعجيب فراسته، توفي سنة 122هـ. ترجمته في: البيان والتبيين: 1/ 56، حلية الأولياء: 3/ 123، وفيات الأعيان: 1/ 247.

3) المقصود بأبي فراس هنا الفرزدق.

4) في ديوان شعره: ويغضي.

5) في ديوان شعره: لفظا ومعنى.

6) سَمَكَ الشيء، علا وارتفع. اللسان: سمك.

جَرَتْ فِي وَافِرِ الْبَحْرِ الَّذِي طَــوْ ــوَقَ الدُّنْيَا فَقِسْهُ بِالْتِماسِ
سَمَا بُنْيَانُهَا الزُّهْرَ الــــدَّرَارِي وَلَكِنْ لَاحَ مَحْفُوظَ الْأَسَاسِ
وَأَوْرَى زَنْدَهَا حُبٌّ وَشَــوْقٌ فَلَمْ تَحْتَجْ لِقَبْسٍ وَاقْتِبَاسِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ مَا قَالَ صَبٌّ سَقَى نَوْءُ الثُّرَيَّا رَوْضَ فَاسِ

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [مجتث]

أَيُّهَا الْغَائِبُــــونَ عَنْ نَاظِرِي كَيْفَ أَنْتُمْ[1]
قَدْ رَحَلْتُــمْ بِمُهْجَتِــي وَبِــرُوحِــي ذَهَبْتُمْ
وَأَقَمْتُـــمْ قِيَامَتِــي وَبِــرُغْــمِــي ظَعَنْتُمْ
خَانَنِي الصَّبْـــرُ بَعْدَكُـــمْ إِذْ نَأَى مُذْ نَأَيْتُمْ
لَوْ قَضَى الدَّهْــرُ مُنْصِفًا مَا أَقَمْنَا وَسِرْتُمْ
وَلَوِ اعْتَـــمَّ بِالْوَفَا مَا حَضَرْنَا وَغِبْتُمْ
وَلَوِ احْتَـــاطَ لِلصَّفَا مَا وَقَعْنَا وَطِرْتُمْ
فَرَّقَ الـــدَّهْرُ بَيْنَنَا يَوْمَ بِنَّا وَبِنْتُمْ
وَرَمَيْتُـــمْ سِهَامَـــهُ وَفُـــؤَادِي أَصَبْتُمْ
إِنَّ فِي الْعَطْـــفِ رِقَّـــةً لَيْتَكُمْ لَوْ عَطَفْتُمْ
اِعْذِرُوا الصَّـــبَّ فِي الْهَـــوَى وَاحْكُمُوا كَيْفَ شِئْتُمْ
وَهَجَرْتُـــمْ أَلِيفَكُـــمْ لَيْتَكُمْ لَوْ وَصَلْتُمْ

---

1) هذه القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

وَغَرَبْتُمْ عَـنْ أَرْضِنَـا   وَبِأُخْرَى طَلَعْتُمُ[1]
إِنَّ قَلْبِـي لَحَاسِـدٌ   كُلَّ مَغْنًى نَزَلْتُمُ
قَدْ حَبَا اللهُ أَهْلَهُ   كُلَّ بِرٍّ حَوَيْتُمُ
وَرَفَعْتُمْ بِنَاهُ يَا   نِعْمَ مَا قَدْ رَفَعْتُمُ
وَكَنَزْتُمْ بِحِفْظِكُمِ   أَدَبًا مُنْذُ كُنْتُمُ
وَدَخَلْتُمْ رِيَاضَهُ   وَرُبَاهَا وَطِئْتُمُ
وَنَظَرْتُمْ غِيَاضَهُ   وَحُلَاهَا لَبِسْتُمُ
وَشَمِمْتُمْ زُهُورَهُ   وَجَنَاهَا جَنَيْتُمُ
قَدْ خَرَجْتُمْ مِنَ الْحِمَى   وَبِقَلْبِي سَكَنْتُمُ
وَتَبَدَّتْ بُرُوقُهُ   وَلَهَا ثَمَّ شِمْتُمُ[2]
وَتَسَامَتْ بُدُورُهُ   وَسَنَاهَا لَمَحْتُمُ
وَتَدَلَّتْ نُجُومُهُ   وَمُنَاهَا قَطَفْتُمُ
وَتَوَافَتْ شُمُوسُهُ   وَصَدَاهَا أَزَلْتُمُ
وَوَضَحْتُمْ طَرِيقَهُ   وَمَدَاهَا قَطَعْتُمُ
وَنَصَرْتُمْ جُمُوعَهُ   وَلِوَاهَا حَمَلْتُمُ

---

1) عروض هذا البيت هي الوحيدة التي وردت سالمة غير مخبونة في هذه القصيدة.

2) شام السحاب والبرق شيما نظر إليه أين يقصد وأين يمطر. اللسان: شيم.

وَعَمَّرْتُمْ دِيَارَهُ　　وَبِهَا قَدْ قَطَنْتُمْ

وَفَجَرْتُمْ يَنَابِعًا　　مِنْهُ لَمَّا نَبَعْتُمْ

وَوَرَدْتُمْ بِحَارَهُ　　وَفَضَاهُ سَلَكْتُمْ

وَقَطَعْتُمْ قِفَارَهُ　　وَظِبَاهَا قَنَصْتُمْ

وَشَرِبْتُمْ مَعِينَهُ　　وَصَفَاهُ نَشِقْتُمْ

وَرَقَيْتُمْ سَمَاءَهُ　　وَسُهَاهُ رَأَيْتُمْ

قَدْ تَوَلَّى الزَّمَانُ طَيْـ　　ـيَ سُرُورٍ نَشَرْتُمْ

يَا رَعَى اللهُ نَبْعَةً　　قَدْ رَعَتْكُمْ وَدُمْتُمْ

وَحَمَى اللهُ مَجْدَكُمْ　　وَقَضَى مَا أَرَدْتُمْ

لَوْ رَآكَ ابْنُ مُقْلَةٍ　　لَاقْتَفَى مَا اقْتَفَيْتُمْ

وَتَحَدَّى بِكُتْبِكُمْ　　وَارْتَضَى مَا كَتَبْتُمْ

وَوَقَى اللهُ شَخْصَكُمْ　　شَرَّ مَا مِنْهُ خِفْتُمْ

قَدْ عَرَفْتُمْ شِعَابَهُ　　وَبِوَادِيهِ هِمْتُمْ

وَفَرَعْتُمْ هِضَابَهُ　　وَبِنَادِيهِ طُفْتُمْ

طَالَمَا قَدْ نَثَرْتُمْ　　وَكَثِيرًا نَظَمْتُمْ

وَذَخَرْتُمْ خِيَارَهُ　　وَسِوَاهُ رَفَضْتُمْ

وَحَكَمْتُمْ بِشَرْعِهِ　　وَبِهِ قَدْ قَضَيْتُمْ

وَغَزَوْتُمْ مَلِيكَهُ　　وَسَبَايَاهُ حُزْتُمْ

وَغَنِمْتُمْ حِسَانَهُ   وَرَعَايَاهُ حُطْتُمُ

وَشَهِدْتُمْ حُرُوبَهُ   وَمَنَايَاهُ خُضْتُمُ

وَكَلِفْتُمْ بِلَفْظِهِ   وَبِمَعْنَاهُ تِهْتُمُ

وَنَشَرْتُمْ رَمِيمَهُ   وَبِمَرْعَاهُ عِشْتُمُ

وَجَمَعْتُمْ جُمُوعَهُ   وَسَرَايَاهُ قُدْتُمُ

وَخَطَبْتُمْ كَعَابَهُ   وَمَهَاهَا عَشِقْتُمُ

وَجُنِنْتُمْ بِحُورِهِ   وَلَمَاهَا لَثَمْتُمُ[1] // (48)

وَأَدَرْتُمْ كُؤُوسَهُ   وَحُمَيَّاهُ ذُقْتُمُ

وَأَغَثْتُمْ صَرِيخَهُ   وَنِدَاهُ أَجَبْتُمُ

وَحَمَلْتُمْ غَمَامَهُ   وَنَدَاهُ مَطَرْتُمُ

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ زَمْ   مُورَ بِالْفَضْلِ زُرْتُمُ[2]

بِابْنِ دَانٍ فَعَرِّجُوا   وَانْظُرُوهُ فُدِيتُمُ

وَسَلَامًا مُمَسَّكًا   أَبْلِغُوهُ سَلِمْتُمُ

اِقْبَلُوا شِعْرَ شَاعِرٍ   يَرْتَضِي مَا رَضِيتُمُ

تَخِذَ الْحُبَّ مَنْهَجًا   مَا بَقَى أَوْ بَقِيتُمُ.

---

1) اللَّمى مقصور سمرة الشفتين واللثات يُستحسن. اللسان: لما.

2) أزمور: مدينة مغربية تقع على ضفة نهر أم الربيع، قرب مدينة الجديدة.

وَقَالَ فِي حَقِّهِ أَيْضًا: [الطويل]

لَقَدْ غَابَ عَنَّا الْأُنْسُ مِنْ يَوْمِ غِبْتُمُ وَنَاءَ الْكَرَى وَالصَّبْرُ مُنْذُ نَأَيْتُمُ[1]
طَلَعْتُمْ سُعُودًا فِي سَمَا الْمَجْدِ وَالْعُلَا وَلَكِنَّكُمْ لَمَّا ظَهَرْتُمْ حُجِبْتُمُ[2]
لَقَدْ كُنْتُمُ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالْحَشَى شِفَاءً وَكَمْ مِنْ مُسْتَهَامٍ شَفَيْتُمُ
وَشِدْتُمْ فَخَارًا شَامِخًا عَانَقَ السُّهَى وَبَرْقَ الذَّكَا وَالْفَهْمِ وَالنُّبْلِ شِمْتُمُ[3]
وَرُمْتُمْ مَرَامًا تَنْجَلِي الشُّهْبُ دُونَهُ وَسَابَقْتُمُ خَيْلَ الذَّكَا فَسَبَقْتُمُ
وَسَعَّرْتُمْ نَارَ الْمَحَبَّةِ وَالْجَوَى وَغَادَرْتُمُونَا فِي الْعَنَا وَنَجَوْتُمُ[4]
وَصَيَّرْتُمُ لُبَّ الْمُحِبِّ مُسَعَّرًا بِنِيرَانِ شَوْقٍ أَمْرُهَا قَدْ عَرَفْتُمُ
وَأَنْشَبْتُمُ أَظْفَارَ بَيْنٍ وَفُرْقَةٍ بِمُهْجَتِهِ لَمَّا أَقَامَ وَبِنْتُمُ
فَإِنْ زُرْتُمُوهُ فِي حِمَى النَّوْمِ تُؤْجَرُوا وَأَدَّيْتُمُ دَيْنَ الْهَوَى وَقَضَيْتُمُ
وَجَاوَرْتُمُ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ لِأَنَّهُ قَرِينُكُمُ مَهْمَا جَرَى وَجَرَيْتُمُ
وَلَكِنَّهُ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ مُعْلَمٌ وَأَنْتُمْ بِوَصْفِ الْمَدِّ لَا الْجَزْرِ دِنْتُمُ
فَأَنْتَ ابْنُ دَانٍ فَادْنُ مِنْهُ وَلَا تَخَفْ فَإِنْ جَادَ بِالطَّافِي فَبِالْمَالِ جُدْتُمُ[5]
وَإِنْ لَفَظَ الدُّرَّ الْمُنَظَّمَ مَوْجُهُ فَقَدْ طَالَمَا دُرَّ الْكَلَامِ لَفَظْتُمُ[6]

1) القصيدة في ديوان شعره: 100، وهي في رثاء صهره ابن داني.
2) في ديوان شعره: لما طلعتم.
3) في ديوان شعره: طاول السهى.
4) في ديوان شعره: المحبة في الحشا.
5) الطافي من السمك لأنه يعلو ويظهر على رأس الماء. اللسان: طفا.
6) في ديوان شعره: فإن لفظ.

وَبَارَيْتُمُ السُّحْبَ الْـمُدِرَّةَ بِالْـحَيَـا ... فَإِنْ صَابَ بِالسُّقْيَا فَبِالْـفَضْلِ صِبْتُمُ[1]

وَطَاوَلْتُمُ الطَّوْدَ الْـعَظِيمَ بِقَدْرِكُـمْ ... وَأَخْجَلْتُمُ الْأَمْـطَـارَ لَمَّا مَطَرْتُمُ

جُبِلْتُمْ عَلَى حُبِّ الصَّفَا وَالْـوَفَـا وَقَدْ ... وَرَدْتُـمْ بِحَارَ الْأَذْكِيَا وَصَدَرْتُمُ[2]

وَقَارَنْتُمُ الشَّمْسَ الرَّفِيعَةَ فِي الْـعُـلَا ... وَأَخْفَيْتُمُ الْأَقْـمَارَ لَمَّـا ظَهَرْتُمُ

وَجَلَّلْتُمُ الدُّنْيَـا جَمَالًا وَبَهْجَـةً ... وَوَشَّحْتُمُ الْـعَلْيَا عَلَاءً وَزِدْتُـمُ[3]

وَقَارَعْتُمُ أُسْدَ الْـيَرَاعَةِ فَانْثَنَـوْا ... حَيَارَى وَسِيمُوا بِالْـعَيَاءِ وَسِرْتُمُ[4]

وَصَاحَبْتُمُ أَهْلَ الْـفَصَاحَةِ بُرْهَـةً ... وَأَخْرَسْتُمُ كُلَّ الَّلـهَى وَنَطَقْتُمُ

وَعَاصَرْتُمُ عَصْرَ النَّبَاهَةِ مُـدَّةً ... وَأَوْرَيْتُمُ زَنْدَ الْـحِجَا كَيْفَ شِئْتُمُ[5]

بَقِيتُمْ عَلَى رُغْمِ الْـحَسُودِ مُسَايِـرًا ... نُجُومَ الْـعُلَا مَهْمَا سَرَتْ وَسَرَيْتُمُ[6]

هَنِيئًا لِقَوْمٍ قَدْ حَلَلْتُمْ دِيَارَهُـمْ ... لَقَدْ عَمَّهَا الْإِشْرَاقُ لَمَّا شَرَقْتُمُ[7]

فَنِعْمَ الرَّفِيعُ الْـمَجْدِ وَالْـقَدْرِ أَنْتُـمُ ... عَـلَى أَنَّـكُـمْ رَمَّـدْتُـمُ إِذْ شَوَيْتُمُ

فَلَا زِلْتَ فِي أُفْقِ السَّعَادَةِ مُشْرِقًـا ... تُفِيضُونَ بِرًّا مَا غَدَوْتُمْ وَرُحْتُمُ

تُجَرِّرُ أَذْيَالَ الْـفَخَارِ وَتَرْتَقِـي ... مَرَاقِيَ فِي أَوْجِ الْـعُلَا مَا بَقِيتُمُ

وَلَا بَرِحَتْ دَارُ الْـكَرَامَةِ مَنْـزِلًا ... لَكُمْ وَلِأَهْلِيكُمْ إِذَا مَا حَيِيتُمُ

---

1) في ديوان شعره: المدرة للحيا.

2) في ديوان شعره: وردتم بحور.

3) في ديوان شعره: جلالا وبهجة.

4) في ديوان شعره: أسد البراعة.

5) في ديوان شعره: زند الحيا.

6) في ديوان شعره: نجوم السرى.

7) في ديوان شعره: نزلتم ديارهم.

أَيا تُحْفَةَ الْعَصْرِ الْعَقِيمِ بِمِثْلِهِ تَقَبَّلْ نِظَامًا يَرْتَضِي مَا رَضِيتُمُ
تَوَغَّلَ فِي الْبَحْرِ الطَّوِيلِ بِفِكْرَةٍ يُمِيرُ بِهَا الدُّرَّ النَّفِيسَ فُدِيتُمُ
وَوُشِّحَ بِالْمَعْنَى الْبَدِيعِ تَجَمُّلَا وَخُتِّمَ بِالْحُسْنَى وَنِعْمَ التَّخَتُّمُ[1]
لَقَدْ غَابَ فُرْسَانُ الْبَرَاعَةِ مِثْلَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا الْأُنْسُ مِنْ يَوْمَ غِبْتُمُ.[2]

وَقَالَ فِي حَقِّهِ أَيْضًا: [الوافر]

لَقَدْ عِشْنَا زَمَانًا يَا ابْنَ دَانِي مَدِيدٌ وَصْلُنَا وَالْوُدُّ دَانِي[3]
وَأُلْفَتُنَا بِهِ رَقَّتْ وَرَاقَتْ يَغَارُ عَلَيْهَا حَتَّى الْفَرْقَدَانِ // (49)
فَلَا شَيْءٌ يُضَاهِينَا ابْتِهَاجًا زَمَانَ الْوَصْلِ حَتَّى النَّيِّرَانِ
وَلَا زَهْرُ الرِّيَاضِ عَقِيبَ سُقْيَا وَلَا صَوْتُ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي[4]
يُفَاخِرُ وَصْلُنَا أَزْمَانَ قُرْبٍ مَضَى حَتَّى بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ[5]
فَأَغْرَى الدَّهْرُ بِالْجَمْعِ افْتِرَاقًا وَأَوْجَبَ بُعْدَنَا بَعْدَ التَّدَانِي[6]
وَقَابَلَنَا بِإِنْكَارٍ فَهَا نَحْنُ مِنْهُ الْيَوْمَ فِي حَرْبٍ عَوَانِ[7]
وَغَابَ الصَّبْرُ عَنَّا مُنْذُ غِبْتُمْ وَصَارَ الصَّدْرُ مِثْلَ حَمِيمٍ آنِ[8]

1) في ديوان شعره: توشح.
2) في ديوان شعره: البلاغة.
3) القصيدة كاملة في ديوان شعره: 85.
4) في ديوان شعره: عقيب غيث.
5) بنو عبد المدان وهم من بني مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن أدد. وهم بيت مذحج وأخوال أبي العباس السفاح. الجمهرة: 416.
6) في ديوان شعره: عوض التداني
7) حرب عوان: التي كان قبلها حرب. اللسان: عون.
8) أنى الماء سخن وبلغ في الحرارة. اللسان: أني.

وَأَصْبَحْنَا وَقَدْ ذُقْنَـــــا فِرَاقًـــا   وَرِيٌّ شَـوْقُـنَـا وَالـصَّــبْرُ فَـانِ
وَكُنْتَ الرِّدْءَ وَالْقِـــدْحَ الْمُـعَلَّى   تُجِيرُ الْجَارَ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ[1]
وَأَسْمَيْتَ الْمَـفَاخِـرَ فِي سَمَاهَـــا   غَـدَاةَ الْفَخْرِ يَا فَخْرَ الْأَوَانِ[2]
وَسَابَقَ طِرْفُ عَزْمِكَ كُلَّ طِـــرْفٍ   فَحَازَ السَّبْقَ فِي يَوْمِ الرِّهَانِ
أَغَارَ الدَّهْرُ ثُمَّ عَـــلَا عُلَانَـــا   بِـــإِسْرَاعٍ وَإِرْخَـــاءِ الْعِنَانِ
وَمَنْ جَارَاكَ فِي مَيْــدَانِ فَخْـــرٍ   كَمَنْ جَارَى السَّوَابِقَ بِالْأَتَانِ
وَأَحْرَزْتَ الْفَضَائِلَ وَالْمَزَايَـــا   فَنِعْمَ الْحِرْزُ يَا حِرْزَ الْأَمَانِي
نَعَمْ قَدْ طِبْتُمُ أَصْـــلًا وَفَرْعًـــا   وَطِيبُ النَّبْتِ مِنْ طِيبِ الْمَكَانِ[3]
فَإِنْ أَنْتُمْ بَنَيْتُمْ سُـــورَ مَجْـــدٍ   تَعَجَّبَ مِنْ بِنَائِهِ كُلُّ بَانِي
وَإِنْ أَوْدَعْتُمُ الْقِرْطَاسَ لَفْظًـــا   تَجَلَّى اللَّفْظُ فِي حُلَلِ الْمَعَانِي
وَإِنْ حَلَّيْتُمُوهُ بِالْبَدِيـــعِ الْـــ   ـلَذِي يُرْضَى تَحَلَّى بِالْبَيَانِ
وَإِنْ أَحْقَتْمُوهُ حُسْـــنَ خَـــطٍّ   تَرَاءَى مَا لَهُ فِي الْحُسْنِ ثَانِي[4]
وَإِنْ أَنْتُمْ نَظَمْتُـــمْ دُرَّ لَفْـــظٍ   غَدَا يُزْرِي بِأَطْوَاقِ الْحِسَانِ
وَأَمَّا نَثْرُكُمْ وَاللَّـــهُ يُبْقِـــي   مَآثِرُكُمْ فَمَا نَثْرُ الْجُمَانِ
وَأَشْفَيْتُمْ مِنَ الْإِنْشَا صُـــدُورًا   بِتَحْرِيرٍ غَدَا طَوْعَ اللِّسَانِ

---

1) الردء: العون والناصر. اللسان: ردأ.

2) في ديوان شعره: وأطلعت.

3) توظيف غاية في الحسن لمعنى الآية الكريمة: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾

4) في ديوان شعره: أتحفتموه.

وَحَقَّقْتُمْ جَمِيعًا مَا بَنَيْتُـــــمْ وَأُولِـعْـتُـمْ بِتَحْقِيقِ الْـمَبَانِي
يَحَارُ الطَّرْفُ فِيمَا قَدْ رَقَمْتُـــــمْ كَـأَنَّ الرَّقْمَ رَوْضَـاتُ الْـجِنَانِ
تَقَبَّلْ وَانْتَشِقْ أَزْهَـارَ شِعْـــرٍ جَنَاهَا مِنْ رِيَاضِ الْـحُسْنِ جَانِي
تَوَخَّاكُمْ بِهَا صَـــبٌّ لَبِيـــبٌ يُـوَالِي حُبَّكُـمْ فِي كُـلِّ آنِ[1]
تُغَنِّي صَوْتَهَا فِي كُـــلِّ لَحْـــنٍ فَأَغْنَتْ عَـنْ مُعَاطَاةِ الْأَغَـانِي[2]
يُحَيِّيهَا جَمِيلٌ بَــــلْ جَرِيـــرٌ وَيَشْكُرُ سَعْيَهَا الْـمَشْكُورَ مَانِي[3]
وَيُولِيهَا الْـمَـبَرَّةَ قَيْسُ لُبْنَـــى وَيَرْضَاهَا الْـمَعَرِّي وَابْـنُ هَانِي
وَيَهْوَاهَا أَدِيـــبٌ لَوْذَعِـــيٌّ سَلِيمُ الصَّدْرِ مَشْكُورُ الْـجَنَانِ
وَلَا يَدْنُو جَهُولٌ مِـنْ حِمَاهَـــا وَلَا خَـالٍ مِـنَ الْإِنْـصَـافِ شَانِي
وَلَخَّصْتُ الْـمُحَصَّلَ مِنْ حُـــلَاهَا وَقَـدْ صَبَّتْ بِتَلْخِيصِ الْـبَيَانِ
وَأَوْضَحْتُ الْـمُنَظَّـــمَ مِنْ عُلَاهَا وَقَـدْ هَامَتْ بِإِيضَاحِ الْـمَعَانِي.

وَقَالَ يَرْثِيهِ: [الطويل]

بَكَتْكَ الْـمَعَالِي يَا ابْنَ دَانِي مِنَ الشَّـوْقِ وَسَحَّتْ دُمُوعُ السُّحْبِ بِالرَّعْدِ وَالْـبَرْقِ[4]
وَنَاحَتْ عَلَى مَنْعَاكَ تَهْمِي صَبَابَـــةً تَسُوقُ حَيَاهَا الرِّيحُ طَيِّبَةَ السَّوْقِ
وَسُرَّتْ بِكَ الْأَمْوَاتُ حِينَ أَتَيْتَهُـــمْ تُحَيِّي حِمَاهُمْ بِالسَّعَادَةِ وَالرِّفْقِ

1) في ديوان شعره: خل حبيب.
2) في ديوان شعره: في كل فن.
3) محمد بن القاسم أبو الحسن المعروف بماني الموسوس، شاعر ظريف من أهل مصر، رحل إلى بغداد في عهد المتوكل العباسي، فكانت له فيها أخبار، توفي سنة 245 هـ. ترجمته في: الأغاني: 20 / 85، تاريخ بغداد: 3/ 169، الوافي بالوفيات: 4/ 346.
4) القصيدة في ديوان شعره: 83 مع اختلاف في ترتيب أبياتها.

وَسِرْتَ وَمَا تَلْوِي عَلَى مُتَعَـــــرِّجٍ وَحَوَّلْتَ رَحْلَ الْـبَيْنِ لِلْوَاحِدِ الْـحَقِّ[1]

وَشِقْتَ الْـحِمَى وَالْـحَيَّ وَالْأَهْلَ وَاخْتَفَتْ شَمَائِلُكَ الْـحُسْنَى عَلَى أَعْيُنِ الْـخَلْقِ[2]

وَهَشَّتْ لِلُقْيَاكَ الرُّفَـــاتُ عِنَايَـــةً بِمَقْدَمِكَ الْأَسْنَى الْـمُعَطِّرِ لِلْأُفْقِ

تُبَشَّرُ بِالْـحُسْنَى وَتُكْـــرَمُ بِالْـمُنَـــى وَتَقْدِمُ مَغْبُوطًا عَلَى أَشْرَفِ الْـخَلْقِ[3]

مُحَمَّدٍ الْـمَبْعُـــوثِ لِلنَّاسِ رَحْمَـــةً وَمَنْ جَاءَ بِالدِّينِ الْـحَنِيفِ وَبِالصِّدْقِ[4]

عَلَيْهِ مِنَ اللهِ الْـمُهَيْمِـــنِ رَبِّـــنَـــا صَلَاةٌ تَعُمُّ الْآلَ حَالِيَةَ الطَّـــوْقِ //

فَعِشْتَ سَعِيدًا يَا سَعِيـــدُ مُبَجَّـــلًا إِلَى أَنْ أَتَتْكُمْ سَكْرَةُ الْـمَوْتِ بِالْـحَقِّ[5]

وَبَرَّزْتَ فِي سَمْكِ الْـمَفَاخِرِ وَالْـعُلَا وَأَحْرَزْتَ غَايَاتِ التَّقَدُّمِ فِي السَّبْقِ[6]

لِتَبْكِ الدَّرَارِي السَّبْعُ عَلْيَاكَ وَلْتَغِبْ لِغَيْبَتِكَ الْـقُصْوَى الْـمُثِيرَةِ لِلشَّوْقِ

وَتَبْكِ الرَّوَاسِي الشَّامِخَاتُ عُلَاكَ بَـلْ وَتَبْكِكَ فِي الْأَسْحَارِ سَاجِعَةُ الْـوُرْقِ[7]

فَيَا نَائِحَاتِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًـــا تَعَالَيْنَ فَابْكِينَ الدُّمُوعَ كَمَا الْـوَدْقِ

وَيَا حَاشِرَ الْأَمْوَاتِ مَا لَكَ وَاجِمًـــا لِسَانُكَ سَاهٍ عَنْ مُنَاوَلَةِ النُّطْقِ

تَعَامَيْتَ عَنْ سُبْلِ الرَّشَادِ وَرَعْيِهَـــا فَغَيَّبْتَ مِصْبَاحَ الْـبَسِيطَةِ فِي شِقٍّ[8]

---

1) في ديوان شعره: لقد سرت ما تلوي.
– التعريج: أن تحبس مطيتك مقيما على رفقتك أو لحاجة. اللسان: عرج.

2) في ديوان شعره: مَحَاسِنُكَ الْـمُثْلَى.

3) في ديوان شعره: وتكرم بالرضى وتقدم مسرورا.

4) في ديوان شعره: للخلق رحمة.

5) البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ...﴾ الآية. سورة ق: الآية: 19.

6) في ديوان شعره: جمع الفضائل. التقدم في السبق

7) في ديوان شعره: عليك بل.

8) في هذا البيت والذي قبله مبالغة لا تخفى.

فَبِاللهِ يَا رِيحَ الشِّمَالِ تَحَمَّلِي إِلَيْهِ سَلَامًا عَاطِرًا نَاعِمَ الْعِذْقِ[1]

رُمِ الْعِزَّ يَا عَزُّوزُ مَاتَ عَزِيزُكُمْ وَفَارَقَكُمْ لَا بُدَّ لِلْجَمْعِ مِنْ فَرْقِ[2]

وَبَانَ مِنَ الدُّنْيَا فَمَنْ رَامَ رَدَّهُ فَقَدْ مَسَّهُ وَاللهِ ضَرْبٌ مِنَ الْحُمْقِ

إِذَا غَابَ مِنْكُمْ كَوْكَبٌ لَاحَ كَوْكَبٌ وَمَا غَابَ مَنْ أَمْسَى لِأَمْثَالِكُمْ يُبْقِي[3]

صُرُوفُ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا مُفَتَّحَةُ الْأَبْوَابِ وَاضِحَةُ الطُّرْقِ[4]

فَدُونَكَ يَا عَزُّوزُ نَظْمًا مُحَبَّرًا فَمَنْ ذَاقَهُ يَدْرِي الْفَضِيلَةَ لِلذَّوْقِ

يَهِيمُ اللَّبِيبُ اللَّوْذَعِيُّ بِحُسْنِهِ وَيَحْسِبُهُ هَيْفَاءَ بَاهِرَةَ الْخَلْقِ[5]

تَجَافَيْتَ عَنَّا يَا ابْنَ دَانِي بِرُغْمِنَا وَلَمْ تَجْفُ مِنْهَاجَ الْوَفَاءِ مَعَ الصِّدْقِ[6]

وَوَحْشُكَ أَمْسَى فِي الْفُؤَادِ مُخَيِّمًا يَنُوءُ بِهِ وَالرُّوحُ أَشْفَى عَلَى الْحَلْقِ

وَعِشْتَ سَلِيمَ الصَّدْرِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَسْرَفْتَ فِي الْإِحْسَانِ يَا حَسَنَ الْخُلْقِ

وَطَرَّزْتَ مِعْيَارَ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَجُدْتَ وَطِبْتَ النَّفْسَ يَا طَيِّبَ الرِّزْقِ[7]

دَعَاكَ الْإِلَاهُ الْحَقُّ لِلْقُرْبِ وَالرِّضَى وَرِضْوَانِهِ سُبْحَانَ مَنْ قَامَ بِالْحَقِّ[8]

فَلَا زَالَ فَضْلُ اللهِ يَغْشَاكَ سَيْبُهُ وَيَهْمِي عَلَيْكَ الْعَارِضُ الصَّيِّبُ الْوَدْقِ

---

1) في ديوان شعره: سلاما ناعما. العذق: كل غصن له شعب. وقيل النخلة. اللسان: عذق.

2) عزوز أحد أقرباء المؤلف، ولم نقف على اسمه فيما وجدنا من ومضات من سيرته، ولعله ابنه الذي كان يعمل معه ناسخا بمراكش.

3) معنى الشطر الأول من البيت ولفظه مأخوذ من قول عنترة:
لقد كنتم في آل عبس كواكبا إذا غاب منها كوكب لاح كوكب.

4) في ديوان شعره: سهام المنايا.

5) في ديوان شعره: ويحسبه حسناء.

6) في ديوان شعره: مباعدا ولم تجف منهاج السيادة والرفق.

7) في ديوان شعره: وشهرت معيار.

8) في ديوان شعره: من قال بالحق.

بَكَاكَ الْحَيَا وَالْفَضْلُ أَجْمَعُـــهُ كَمَـــا   بَكَتْكَ عُيُونُ السُّحْبِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ.

* **وَمِنْهُمُ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ، النَّبِيهُ اللَّبِيبُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ ابْنُ دَانِي الصَّغِيرُ**[1]: السَّرِيُّ الصَّدْرُ الْكَاتِبُ، السَّنِيُّ الَّذِي يَوَدُّ سَنَاهُ الْمُشْتَرِي وَالْكَاتِبُ، خَطَبَتْهُ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ الْمَرَاتِبُ، وَتَصَدَّرَ فِي تِلْكَ الْحَلْبَةِ فَكَانَ فِيهَا الْإِمَامَ الرَّاتِبَ، فَوَشَّى بِخَطِّهِ الرَّائِقِ الْقَرَاطِيسَ وَالْمَكَاتِبَ، وَاسْتَخْلَصَهُ رَئِيسُ الدَّوْلَةِ الْحَاجِبُ، وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ الطَّرْفُ وَالْحَاجِبُ، فَأَدَّى إِلَيْهِ الْحَقَّ الْوَاجِبَ، وَأَظْهَرَ فِيمَا أَسْنَدَهُ إِلَيْهِ الْعَجَائِبَ وَالْغَرَائِبَ، وَرَمَى أَغْرَاضَهُ فَلَمْ يُخْطِئْ سَهْمُهُ الصَّائِبُ، وَلَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِوَاشٍ أَوْ عَائِبٍ، وَأَجَابَ عَنْ مَرَامِهِ فَقَرَّطَ الْجَوَائِبَ، وَنَجَابَتُهُ يَعْرِفُهَا الشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ، وَالْمَنُوبُ وَالنَّائِبُ، وَالْمَاشِي وَالرَّاكِبُ، وَيَشْهَدُ بِبَرَاعَتِهِ الْجَلِيسُ وَالصَّاحِبُ، وَيَرْتَضِيهَا ابْنُ الْخَطِيبِ وَالصَّاحِبِ.

اشْتَغَلَ فِي صِغَرِهِ بِقِرَاءَةِ رِوَايَاتِ الْبُدُورِ السَّبْعَةِ[2]، وَفَجَّرَ نَمِيرَهَا مِنْ تِلْكَ النَّبْعَةِ، فَأَخَذَهَا عَنْ أَرْبَابِهَا أَشْهَرُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ[3] شَيْخُ مُرَّاكُش وَدَرْعَة، وَاتَّخَذَهُ مِنْهَاجًا وَشِرْعَةً[4]، وَأَخَذَ عَنْهُ عُلُومًا رَقِيقَةً، وَفُنُونًا دَقِيقَةً، فَهَذَّبَ طَبْعَهُ، وَحَرَّرَ وَضْعَهُ، وَعَمَرَ رَسْمَ الدُّرُوسِ وَرَبْعَهُ، وَعَرَفَ جِنْسَهُ وَنَوْعَهُ، وَأَحْكَمَ صُنْعَهُ.

---

1) محمد ابن داني الصغير المدعو ماخوخ، ولد بمراكش ونشأ بها، كان كاتبا عارفا بالإنشاء، شاعرا، توفي في كهولته في العشرة الأولى من القرن الرابع عشر. ترجمته في الإعلام: 7/ 86.

2) وهم القراء السبعة: أولهم هو نافع بن أبي نعيم (ت.169هـ)، والثاني هو أبو معبد عبد الله بن كثير المكي مولى عمرو بن علقمة (ت.120هـ)، والثالث هو أبو عمرو بن العلاء البصري المازني (ت.154هـ)، والرابع هو عبد الله بن عامر الدمشقي التابعي (ت.118هـ)، والخامس هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود، (ت.128هـ)، والسادس هو حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت. 154هـ)، والسابع هو علي بن حمزة النحوي الكسائي (ت.189هـ).

3) علي بن المقدم الدرعي المراكشي، شيخ الجماعة بمراكش، كان أستاذا حافظا للعشر، وهو الذي أحيا علم القراءات بها، توفي في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر. ترجمته في الإعلام: 9/ 254.

4) اقتبس الكاتب لفظ الآية الكريمة رقم: 48 من سورة المائدة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ لتسوية فواصل سجعه.

هَذَا وَطَلْعَتُهُ تُحَدِّقُ إِلَيْهَا الطَّوَالِعُ وَالْغَوَارِبُ، وَتُزْهِرُ بِهَا الْـمَشَارِقُ وَالْـمَغَارِبُ، وَتُقْضَى بِهَا الْأَوْطَارُ وَالْـمَآرِبُ، وَتَعْذُبُ لِعُذُوبَةِ لَفْظِهِ الْـمَوَارِدُ وَالْـمَشَارِبُ، فَهُوَ زَعِيمُ تِلْكَ الْكَتَائِبِ، الْـمُحْتَفَّةِ بِالرَّكَائِبِ وَالنَّجَائِبِ. وَلَهُ قَرِيضٌ جَمِيلٌ، يَرْتَاحُ لِسَمَاعِهِ جَرِيرٌ وَجَمِيلٌ، إِلَّا أَنَّ الْأَشْغَالَ السُّلْطَانِيَةَ تَمْنَعُهُ مِنَ التَّوَغُّلِ فِي بَحْرِهِ، وَالتَّحَدِّي بِسِحْرِهِ، فَلَمْ يُدْرِكْ مِنْهُ غَايَةَ بُغْيَتِهِ، وَلَا اسْتَقَلَّ بِحَمْلِ رَايَاتِهِ وَأَلْوِيَتِهِ، وَنُقْطَةٌ مِنْ بَحْرٍ تُؤْذِنُ بِعُذُوبَتِهِ أَوْ مُلُوحَتِهِ، وَهَامَ بِعِلْمِ الْعَرُوضِ، وَبَذَلَ فِي تَحْصِيلِهِ نَفَائِسَ النُّقُودِ وَالْعُرُوضِ، وَأَحْيَا مِنْهُ مَرَاسِمَ الْخَلِيلِ، // (51) وَشَفَى الْغَلِيلَ وَالْعَلِيلَ، وَتَقَلَّدَ طَرِيقَةَ التِّجَانِي[1]، وَجَنَى ثَمَرَهَا الدَّانِي، بَعْدَ أَنْ شَامَ بَرْقَهَا الْيَمَانِي.

طَلَعَ فِي جَوِّ الْـمَمْلَكَةِ بَدْرًا مُنِيرًا، وَجَلَى بِهَا عَلَمًا شَهِيرًا، وَأَمْسَى لِكُؤُوسِ سُرُورِهَا مُدِيرًا، وَاتَّسَمَ بِرَزَانَةٍ يُبَارِي بِهَا أَجَأَ وَسَلْمَى[2] وَثَبِيرًا[3]، وَقَلَّدَ بِأَلْفَاظِهِ الْـمَكَاتِبَ السُّلْطَانِيَّةَ دُرًّا بَهِيرًا، وَغَادَرَهَا تَتَرَآى ظَبْيًا غَرِيرًا، وَبَذَلَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ مِقْدَارَ جَهْدِهِ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا[4]، وَاهْتَدَى لِسَمْكِ فَخَارِ الْحَضْرَةِ الْـمَنْصُورَةِ بِاللهِ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا[5]، وَنَظَرَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ مَعَالِمَهَا السَّامِيَةَ فَهَامَ فِي مَصَاعِدِهَا وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا[6]، وَسَمَا لِسَمَاءِ مَجْدِهَا فَنَوَّرَهَا تَنْوِيرًا، وَرَجَمَ شَيَاطِينَهَا فَخَاسَ[7] كُلٌّ مِنْهُمْ ذَلِيلًا حَقِيرًا، وَشَاهَدَ شُمُوسَهَا وَأَقْمَارَهَا فَانْقَلَبَ

1) الطريقة التجانية من بين أكثر الطرق الصوفية انتشارا في العالم، مؤسسها هو الشيخ سيدي أحمد التجاني (ت.1230هـ).

2) أجأ وسلمى جبلان عن يسار سميراء. معجم البلدان: 1/ 94.

3) ثبير من أعظم جبال مكة بينها وبين عرفة. معجم البلدان: 2/ 73.

4) وظف الكاتب الآية 54 من سورة الفرقان لتسوية فواصل سجعه.

5) وظف الكاتب الآية 31 من سورة الفرقان لتسوية فواصل سجعه.

6) وظف الكاتب الآية 20 من سورة الفرقان لتسوية فواصل سجعه.

7) خاس: ذل، والتخييس التذليل. اللسان خيس.

الْـبَصَرُ خَاسِئًا حَسِيرًا، تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً[1]، وَاسْتَبْشَرَتْ بِهِ أَكَابِرُ الدَّوْلَةِ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهَا بَشِيرًا، وَعَاشَرَ أُولِي الْـمُرُوءَةِ وَالْـفُتُوَّةِ وَاتَّخَذَهُمْ صَاحِبًا وَعَشِيرًا، وَسَطَعَ بَيْنَهُمْ كَوْكَبًا زَهِيرًا، وَكَانَ لَهُمْ وَلِيًّا وَظَهِيرًا، وَغَيْثًا مَطِيرًا، وَرَوْضًا عَطِيرًا، وَغُصْنًا نَضِيرًا، وَأَنِيسًا وَسَمِيرًا، وَعَذْبًا نَمِيرًا، وَبَعَثَهُ السُّلْطَانُ فِي بَعْضِ أَغْرَاضِهِ سَفِيرًا، وَإِذَا رُمْتَ أَسْرَارَ الْـحَضْرَةِ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا[2]. قَدْ أَصْبَحَ فِي مَحَبَّةِ الْـمَلِكِ مَأْسُورًا، وَيَقُولُ فِي جَانِبِهَا قَوْلًا مَيْسُورًا[3]، وَيَرْوِي فِي فَضَائِلِهَا حَدِيثًا مَأْثُورًا، وَخَبَرًا مُسْنَدًا مَشْهُورًا، وَغَرَسَ فِي سَابِغِ وُدِّهَا نَخْلًا مَأْبُورًا، وَتَقَلَّبَ فِي قَوَالِبِ أَمْرِهَا عَبْدًا مَجْبُورًا، وَجَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهَا حِجَابًا مَسْتُورًا، وَوَظَّفَ عَلَى نَفْسِهِ وِرْدًا فِي الاِعْتِنَاءِ بِجَانِبِهَا وَخَطَّهُ كِتَابًا مَسْطُورًا، إِذَا أَوْرَدَتْكَ الْـمَجَامِعُ، الَّتِي انْقَطَعَتْ دُونَهَا الآمَالُ وَالْـمَطَامِعُ، أَلْفَاهُمْ فِي جَنَّةٍ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا، وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا[4]، سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا[5]، وَأُعْطِيَ مِنَ الْـقَبُولِ مَا لَا كِفَاءَ لَهُ إِلَّا الشُّكْرُ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا[6]. طَالَمَا حَذَّرَ فِي الْـمَكَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ سَطْوَةَ سَيِّدِنَا الْـمُؤَيَّدِ بِالْأَلْطَافِ الْإِلَهِيَّةِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا[7]، وَنَالَ مِنْ جَانِبِ السُّلْطَانِ نَصَرَهُ اللهُ الْـمَبَرَّةَ وَالْـمَسَرَّةَ حَظًّا مَوْفُورًا، وَسَعَى فِي مَرْضَاتِهِ فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهِ سَعْيًا مَشْكُورًا، وَطَوَّقَهُ عَلَى الْـوُقُوفِ عَلَى سَاقِ

1) سورة الفرقان: الآية: 61.
2) وظف الكاتب الآية 59 من سورة الفرقان لإقامة فواصل سجعه.
3) وظف الكاتب الآية 28 من سورة الإسراء لإقامة فواصل سجعه.
4) وظف الكاتب الآية 19 –20 من سورة الإنسان لإقامة فواصل سجعه.
5) وظف الكاتب الآية 2 من سورة الفرقان لإقامة فواصل سجعه.
6) وظف الكاتب الآية 20 من سورة الإسراء لإقامة فواصل سجعه.
7) وظف الكاتب الآية 57 من سورة الإسراء لإقامة فواصل سجعه.

جِدِّهِ وَبَذْلِ جُهْدِهِ حُبُورًا وَسُرُورًا، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا[1].

وَطَافَ بِكَعْبَةِ الشَّرَفِ، الْـمُشَيَّدَةِ الْقُصُورِ وَالْغُرَفِ، الْـمَحْفُوفَةِ بِالنِّعَمِ وَالتَّرَفِ. وَسَعَى بَيْنَ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ الرَّائِعَةِ، الَّتِي تَغَارُ مِنْ حُسْنِهَا الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ، وَالْبُدُورُ السَّاطِعَةُ، وَالْبُرُوقُ اللَّامِعَةُ، وَمَا زَالَ مُقِيمًا بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ عَلَى هَذَا الْحَالِ، فِي الْـمُقَامِ وَالِارْتِحَالِ. فَهُوَ الْآنَ مُخَيِّمٌ بِحِمَى السُّلْطَانِ الْـمُعَظَّمِ، كَالدُّرِّ الْـمُنَظَّمِ، تَهَابُهُ النُّفُوسُ الْأَبِيَّةُ، وَتَشْهَدُ بِسُمُوِّ هِمَّتِهِ الْهِمَمُ السَّامِيَّةُ، وَتَعْتَرِفُ لَهُ أَرْبَابُ الْيَرَاعَةِ بِإِحْيَاءِ الرُّسُومِ الْعَافِيَّةِ، وَتَفْجِيرِ يَنَابِيعِهَا الصَّافِيَّةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ قُطْبُ رَحَى كَتَائِبِ الْكُتَّابِ، وَالْـمُشَارُ إِلَيْهِ بِتَطْرِيزِ الْقِرْطَاسِ وَالْكِتَابِ، كَلِفَ بِتَذْهِيبِ الرَّسَائِلِ، وَتَهْذِيبِ الْمَسَائِلِ، وَتَعْظِيمِ الْوَسَائِلِ. حَرَسَهُ اللهُ.

وَمِمَّا قَالَ فِي حَقِّهِ: [الوافر]

لَقَدْ عَزَّ التَّدَانِي يَا ابْـنَ دَانِـي   عَسَى تَدْنُو وَتُؤْوِيكَ الْأَمَانِي[2]

وَيَنْظِمُكَ الزَّمَانُ عَلَى جَفَاهُ   نِظَامَ الدُّرِّ فِي جِيدِ الْحِسَانِ

تَنَاوَلْتَ الدِّرَايَةَ فِي ذُرَاهَا   فَأَدْرَكْتَ الْـمُرَادَ بِلَا تَوَانِ

وَقَوَّمْتَ الْكِتَابَةَ فَاسْتَقَامَتْ   وَجَاءَتْ بَرَّةً طَوْعَ اللِّسَانِ

وَأَوْرَيْتَ النَّجَابَةَ فَاسْتَنَارَتْ   وَرَاقَتْ بِالْبَهَا مِثْلَ الْجُمَانِ

وَحَرَّكْتَ الْيَرَاعَةَ فَاسْتَمَرَّتْ   وَقَدْ صَرَّتْ بِهَاتِيكَ الْبَنَانِ[3] // (52)

وَمِزْتَ النَّحْوَ مِنْ عِلْمِ الْمَعَانِي   وَأُوتِيتَ الْبَدِيعَ مَعَ الْبَيَانِ

1) وظف الكاتب الآيات 7-8-9 من سورة الانشقاق لرصف فواصل سجعه.

2) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

3) صر القلم والباب يصر صريرا أي صوت. اللسان: صرر.

وَأَتْقَنْتَ الرِّوَايَةَ عَنْ بُـــــدُورٍ عُنُوْا بِالذِّكْرِ فِي ذَاكَ الْأَوَانِ
وَنَادَيْتَ النَّبَاهَةَ فَاسْتَجَابَــــتْ وَلَـبَّـتْ صَـوْتَـكُـمْ فِي كُـلِّ آنِ
وَهَيَّمْتَ الْـفَصَاحَةَ فَاسْتَهَامَـــتْ بِكُمْ لَكِنْ تَمَاسَـتْ فِي الْأَمَـانِ
وَبَيَّنْتَ الْـبَلَاغَـــةَ فَاسْتَبَانَـتْ وَقَـالَـتْ مَـا لِهَـذَا الْــحَبْرِ ثَـانِ
وَجَارَيْتَ الْـمَجَـــرَّةَ فِي سَمَاهَـا تُشِيدُ الْـفَخْرَ فِي أَسْمَى مَكَانِ
وَصُغْتَ الشِّعْرَ لَا بَشَّـارُ أَسْـدَى سَدَاهُ نَعَمْ وَلَا الْـحَسَنُ بْنُ هَانِي
وَشِعْرُكُمْ حَوَى الْإِحْسَانَ طُــرًّا وَوَدَّتْ تَـرْتَـدِيـهِ الـشِّـعْـرَيَـانِ
وَقَدْ أَضْحَتْ فَضَائِلُكُمْ وَأَمْسَــتْ تَـدُورُ بِكُمْ وَلَا دَوْرَ الـسَّـوَانِي
وَجَوَّدْتُمْ حُرُوفَ الذِّكْرِ لَفْظًـــا كَنَقْرِ الْـعُودِ فِي أَيْـدِي الْـقِيَانِ
وَوَشَّيْتُمْ سُطُورَ الصُّحْفِ حَتَّــى غَـدَتْ تَهْـذِي بِهَـا كُـلُّ الْـغَوَانِي
وَفَجَّرْتُمْ يَنَابِيـــعَ الْـقَوَافِــي وَقَــدْ هِمْـتُـمْ بِتَجْوِيدِ الْـمَثَانِي
وَأَجْرَيْتُمْ جَوَادَ الْـعَــــزْمِ لَكِـنْ تَـشَـهَّـرْتُـمْ بِـإِرْخَـاءِ الْـعِنَانِ
وَطَاوَلْتَ الصُّدُورَ فَطُلْتَ قَــدْرًا رَعَـاكَ اللهُ يَـا صَـدْرَ الـزَّمَـانِ
وَأَبْقَاكُمْ بِـــدَارِ الْـعِزِّ فَضْــلًا وَحَــلَّ عَـدُوُّكُـمْ دَارَ الْـهَوَانِ
وَإِنْ هُمْ قَعْقَعُـــوا فِي بَالِ شِـــنٍّ فَـلَا تَـعْـبَـأْ بِقَعْقَعَةِ الـشِّـنَانِ[1]
وَأَجْرَاكُمْ عَلَى نَهْــــجٍ قَوِيـــمٍ وَأَرْشَــدَ أَمْـرَكُـمْ فِي كُـلِّ شَـانِ
بِحَقِّ مُحَمَّدٍ تِـــرْبِ الْـمَـــزَايَا وَمَـنْ أَسْرَى لِـفِـرْدَوْسِ الْـجِنَانِ

1) الشنان جمع شن وهو الخلق من كل آنية صنعت من جلد، وفي المثل: فلان لا يقعقع له بالشنان أي لا يخدع ولا يروع. اللسان: شنن. قعع.

عَلَيْهِ تَحِيَّـــــةٌ مَا حَنَّ صَـــبٌّ   إِلَى أَوْطَـانِـهِ يَجْنِـي الأَمَـانِي

تَرَحَّلْتُمْ غَدَاةَ الْبَيْـــنِ عَنَّــا   وَخَـلَّـفْـتُـمْ فُـؤَادِي كَـالـدِّهَـانِ[1]

وَفِي مَكْنَاسَةِ الزَّيْتُـــونِ غِبْتُـــمْ   غِيَابَ الْبَدْرِ فِي مَـرْأَى الْعِيَانِ

وَأَمْسَيْتُمْ بِذَاكَ السَّهْـــلِ زَهْـــرًا   كَمَا أَمْسَـى سُهَيْلٌ بِالْيَمَانِ[2]

فَهَاكُمْ غَادَةً مِـــنْ دُرِّ شِعْـــرٍ   تَحَمَّلَتِ الأَغَـــانِي لِلْمَغَانِي

تَمُدُّ الْغَمْرَ فِي كَـــرْبٍ وَغَـــمٍّ   وَتُجْـرِيـهِ عَـلَى حَـدِّ السِّـنَانِ

فَغَيِّبْ وَجْهَهَـا عَنْ كُلِّ جِلْـــفٍ   غَلِيظِ الْقَلْبِ فِي ذَا الشَّأْنِ شَانِي

لِيَهْنِكُمُ إِمَامُ الْعَصْـرِ وَافَـــتْ   سَـلَامَتُـهُ وَقَـدْ وَجَـبَ التَّهَانِي

لَقَدْ عَزَّ الْمَـرَامُ بِكُلِّ حَـــالٍ   كَمَا عَـزَّ الـتَّـدَانِي يَـا ابْـنَ دَانِي.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ: [الوافر]

سَقَى مَكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ غَيْـــثٌ   مَـرِيـعٌ غَـيْرَ مَحْـدُودٍ بِـحَـدِّ[3]

يَجُودُ الدَّلْوُ وَالْفَرْغَانُ فِيهَـــا   بِصَيْبِ الْقَطْرِ مَقْرُونًا بِسَعْدِ[4]

وَلَا زَالَتْ تَسِحُّ بِهَـــا الثُّرَيَّـــا   بِـوَبْـلٍ فِي سَـمَا بَـرْقٍ وَرَعْـدِ

تُحَيِّي طَلْعَةَ الْبَدْرِ السَّنِيِّ ابْـــ   ـنِ دَانِي لَا تُـوَاجِهُـهُ بِصَـدِّ

وَتَسْقِي رَبْعَهُ الْغُرُّ الْغَـــوَادِي   وَيُـدْنِيـهِ الـرَّجَـا مِـنْ بَـعْـدِ بُعْدِ

---

1) الدهان الأديم الأحمر. اللسان: دهن.

2) سهيل كوكب يمانٍ. اللسان: سهل.

3) القصيدة في ديوان شعره: 97.

4) في ديوان شعره: بصب. - الفرغان: الإناء الواسع. اللسان: فرغ.

وَقَاهُ اللهُ أَغْيَـــارَ اللَّيَالِـــي ... مَـعَ الأَيَّـامِ لَا يُـمْسِي بِنَكْدِ

وَأَوْلاَهُ التَّرَفُّـعَ فِي النَّـــوَادِي ... فَـلَا يَخْشَـى أَذَى حُـرٍّ وَعَـبْـدِ

وَأَسْمَى فِي الْـحَوَاضِرِ وَالْبَـوَادِي ... مَـزَايَـاهُ الْـمُغِيظَةَ كُـلَّ ضِـدِّ

وَلَا زَالَتْ صُنُـــوفُ الْبِرِّ تَهْمِـي ... عَـلَى عَـلْـيَاهُ فِي زَوْجٍ وَفَــرْدِ

وَلَا بَرِحَتْ وُفُودُ السَّعْـــدِ تَأْوِي ... إِلَى مَـغْـنَـاهُ عَـنْ حُـبٍّ وَوُدِّ

وَأَقْمَارُ السَّعَادَةِ سَارِيَـــــاتٍ ... بِـجَـوِّ فِـنَـائِـهِ تَجْـرِي بِـجِـدِّ

تَوَشَّحَ بِالْـكِتَابَـــةِ وَارْتَدَاهَـــا ... عَلَى رُغْمِ الْـعِدَى مِنْ غَيْرِ رَدِّ // (53)

وَسَوَّرَهَا وَقَـــارًا وَابْتِهَاجًـا ... فَـمَاسَـتْ فِي حُـلَى شُـكْـرٍ وَحَمْـدِ

وَقَلَّدَهَا فُهُومًـــــا نَيِّرَاتٍ ... فَــمَادَتْ فِي لِـوَا عِـزٍّ وَمَجْـدِ

وَصَيَّرَهَا نُجُـــومًا زَاهِـــرَاتٍ ... سَبَتْ حَقًّا حِجَى عَمْرٍو وَزَيْـدِ

وَأَوْرَدَهَا عُلُـومًا زَاخِـــرَاتٍ ... فَـمَا تُخْشَى لَـدَى صَـدْرٍ وَوِرْدِ[1]

وَقَرَّطَهَا بِأَلْفَـــاظٍ حِسَـــانٍ ... فَـلَاحَـتْ فِي رُبَـى آسٍ وَوَرْدِ

وَجَدَّدَ رَسْمَهَا بَعْـــدَ انْدِثَـارٍ ... وَإِمْحَـالٍ بَـدَا مِـنْ طُـولِ عَهْدِ

فَأَضْحَتْ فِي بَهَـاءٍ مُسْتَنِيـــرٍ ... وَأَمْـسَـتْ فِي سُرُورٍ مُسْتَجِدِّ

وَغَادَرَهَا رِيَاضًـــا عَاطِـرَاتٍ ... عَـلَى مَا كَـابَـدَتْ مِـنْ حَالِ جُهْدِ

فَقَدْ كَادَتْ تَبِيدُ بِكُـــلِّ قُطْـرٍ ... وَتَغْرُبُ شَمْسُهَا مِنْ طُولِ شَدِّ

1) في ديوان شعره: زاهرات.

فَهَاكُمْ غَادَةً مِـــنْ دُرِّ شِعْـــــرٍ تُـبَـارِي شِـعْـرَ بَـشَّـارِ بْـنِ بُـــرْدِ[1]
أَتَتْكُمْ فِي رِفَــــاقٍ غَادِيَـــاتٍ تَعَاطَتْ جَـوْبَ أَغْــوَارٍ وَنَجْدِ
كَسَاهَا مُسْتَهَــامٌ فِي هَوَاكُـــمْ غَـرَامًـا فَـهْـيَ فِي قَـلَـقٍ وَوُجْـدِ
فَإِنْ تَسْأَلْ عَــنِ الْـحَالِ الَّتِـــي لَمْ تَغِبْ عَنْكُمْ لَـدَى فَتْحٍ وَسَـدِّ
فَمَا حَالُ الْـمُعَلَّـــلِ بِالْأَمَــانِي تَــزُورُ حِمَــاهُ فِي بَـدْءٍ وَعَـوْدِ
تَذَكَّرْتُ الْـحَبِيبَ الَّلذْ جَرَى فِي الْـ ـهَوَى فَفَقَدْتُهُ وَبَقِيتُ وَحْدِي
وَقَدْ وَصَلَ الْـمُتَيَّمُ فِي مُنَاكُـــمْ بِـجَـائِـزَةِ الْـمَلِيكِ فَـزَادَ وُدِّي
حَبَاهُ اللهُ مَا يَهْـــوَى وَيَرْضَــــى فَـمَا يَـنْـفَـكُّ فِي حَـشَـمٍ وَجُـنْـدِ
عَلَيْكَ تَحِيَّـــةٌ مَا آبَ صَــــبٌّ لِأَوْطَـانِ الْـحِمَى مِنْ غَيْرِ وَعْدِ.

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: [مجزوء الرمل]

أَيُّهَا النَّاشِرُ مَيْــــتَ النْـــــــ ـــنُـبْـلِ فَــانْــشُرْهُ عَـلَـيْـنَـا[2]
وَأَفِدْنَا عَاجِـــــلًا مَــــــا لَمْ يَــكُــنْ مِـنْــهُ لَـدَيْـنَـا
وَأَفِضْ مِنْـــــــهُ غُرُوبًــــا فَـعَـسَـى تَــأْوِي إِلَـيْـنَـا[3]
وَأَبِحْنَا وِرْدَهُ وَاغْـــــــــــ ـــمُـرْ بِـــهِ إِنْـسًـا وَجِـنَّـا
سَبَحَتْ فِكْرَتُكُـــــمْ فِـــــي بَـــحْــرِهِ ظَــهْــرًا وَبَـطْـنَـا
إِنَّ فِيكُمْ لَخِصَــــــــالًا قَـدْ حَـوَتْ حُـسْـناً وَحُـسْـنَى

1) في ديوان شعره: من نظم شعر.
2) القصيدة في ديوان شعره: 117، وفي مجموعة من أبياتها قواف معيبة بسناد الردف.
3) في ديوان شعره: تهمي علينا.

قَدْ هَجَرْتُمْ كُلَّ مَا يَجْـ ـلُبُ إِبْعَادًا وَشَحْنَا[1]

وَغَرَسْتُمْ كُلَّ مَا يُثْـ ـمِرُ إِحْسَانًا وَلِينَا

وَشَغَلْتُمْ زَمَنَ الْعُمْـ ـرِ بِمَا يُكْسِبُ هَوْنَا

دَفَعَ اللهُ عُدَاةً خَفِيَتْ عَنْكُمْ وَعَنَّا

وَرَمَاهُمْ بِسِهَامٍ صَوْبُهَا مِنْكُمْ وَمِنَّا

إِنَّهُمْ عَاشُوا وَرَاشُوا لَيْتَهُمْ مَاتُوا وَعِشْنَا

لَا تَعُجْ بِالْقَوْلِ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ قَالُوا وَقُلْنَا

إِنْ جَفَا الْحِبُّ أَقَمْنَا وَبِحَقِّ الْحُبِّ قُمْنَا

وَإِذَا أَعْرَضَ عَنَّا وَنَأَى بِالْجَنْبِ دُمْنَا[2]

وَإِذَا مَا كَانَ جَمْعٌ حَضَرَ الْوَغْدُ وَغِبْنَا

وَإِذَا مَا جَاءَ فِطْرٌ أَفْطَرَ النَّذْلُ وَصُمْنَا[3]

هَاكَهَا حَوْرَاءَ نَظْمٍ يَرْتَضِيهَا قَيْسُ لُبْنَى

وَرَدَتْ بَحْرًا جَلِيلًا وَعَلَى الْمَوْرِدِ حُمْنَا

وَلَجَتْ فِيهِ وَهَامَتْ وَبِوَادِي الشِّعْرِ هِمْنَا

قَدْ عَصَانَا الشِّعْرُ لَكِنْ إِنْ بَدَا بَرْقُهُ شِمْنَا // (54)

---

1) في ديوان شعره: إيحاشا وشحنا.

2) لم يرد في ديوان شعره، وفيه اقتباس قرآني.

3) في ديوان شعره: كان قطر.

وفيه أيضا: [مجزوء الرمل]

خَبِّرَانِـي وَاصْدُقَانِـي   عَنْ مَيَادِينِ ابْنِ دَانِي[1]
فِي طُرُوسِ الصُّحْفِ خُطَّتْ   بِيَرَاعٍ كَالسِّنَانِ
فَإِذَا هَزَّهُ يَحْكِي   هِزَّةَ السَّيْفِ الْيَمَانِي
وَإِذَا صَرَّ صَرِيرًا   خِلْتَهُ صَوْتَ الْقِيَانِ
رَاضَهُ دَهْرًا فَأَمْسَى   أَمْرُهُ طَوْعَ الْبَنَانِ
أَعْجَزَ الْكُتَّابَ طُرًّا   بِمَعَانِيهِ الْحِسَانِ
وَرَمَاهُمْ بِكَلَامٍ   صِيغَ مِنْ دُرِّ اللِّسَانِ
وَتَحَدَّى بِالْبَدِيعِ الْـ   ـمُنْتَقَى بَعْدَ الْبَيَانِ
وَسَقَاهُ اللهُ صِرْفًا   سُورَةَ السَّبْعِ الْمَثَانِي
صَاغَهُ اللهُ سَرِيًّا   غُرَّةً فِي ذَا الزَّمَانِ
وَرَعَاهُ دَائِمًا يَرْ   تَعُ فِي رَوْضِ الْأَمَانِ
وَحَمَاهُ وَوَقَاهُ   عَامِرًا صَدْرَ الْإِوَانِ
يَجْتَنِي فَاكِهَةَ اللَّفْـ   ـظِ وَأَزْهَارَ الْمَعَانِي
وَيُحَلِّي الصُّحْفَ حَتَّى   تَتَمَنَّاهَا الْغَوَانِي
وَيُبَاهِي نَيِّرَاتِ الشُّـ   ـشُهْبِ فِي كُلِّ أَوَانِ
وَيُجَارِي الزُّهْرَ كَيْ يُدْ   رِكَ غَايَاتِ الْأَمَانِي

1) لم ترد هذه القصيدة في ديوان شعره.

وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُغْرَى   بِأَعَادِيهِ الْهِجَانِ

هَاكَهَا غَادَةَ فِكْرٍ   لَحَنَتْ لَحْنَ الْأَغَانِي

وَجَرَتْ فِي بَحْرِ صَبٍّ   عَاشِقٍ بِنْتَ الدِّنَانِ[1]

وَلَكُمْ صَارَ رَهِينًا   فَاعْرِفُوا حَقَّ الرِّهَانِ.

* **وَمِنْهُمُ الْفَقِيهُ الصَّدْرُ الْوَجِيهُ الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ**[2] الَّذِي شَهِدَ بِفَضْلِهِ وَجَلَالَتِهِ الْبُرْهَانُ وَالدَّلِيلُ، وَسَلَّمَ بِصَرِيحِ صُحْبَتِهِ الصَّاحِبُ وَالْخَلِيلُ، بَرَّزَ فِي هَامِ الْمُلْكِ كَالتَّاجِ وَالْإِكْلِيلِ، وَشَفَى بِنَجَابَتِهِ الْعَلِيلَ، وَبَرَّدَ الْغَلِيلَ، وَهَبَّ نَسِيمُ فَصَاحَتِهِ كَأَنَّهُ شَمْأَلٌ بَلِيلٌ، وَتَشَخَّصَتْ مَحَاسِنُ بَلَاغَتِهِ فَكَانَتْ أَشْهَى مِنَ الظِّلِّ الظَّلِيلِ، وَعَزَّ لَهُ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ النَّظِيرُ وَالشَّبِيهُ وَالْمَثِيلُ، وَجَدَّ فِي تَشْيِيدِ فَخْرِهِ السَّامِي وَمَجْدِهِ الْمُؤَثَّلِ الْأَثِيلِ، وَخَضَعَتْ لِسُمُوِّ مَجَادَتِهِ الْأَمَاثِيلُ، وَخَطَّتْ فِي الصُّحُفِ يَرَاعُهُ مَا شَاءَ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ[3]. وَمَا الْقَوْلُ فِي اللَّبِيبِ النَّبِيلِ، الْجَامِعِ لِأَشْتَاتِ الْمَكَارِمِ وَالْفَضَائِلِ مِنْ دَبِيرٍ أَوْ قَبِيلٍ، فَلَا يَرْتَابُ فِي فَضْلِهِ وَدُرِّ نُبْلِهِ إِلَّا مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ[4].

اتَّخَذَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مُخَاطَبَاتِ الْعَدُوِّ بِالسُّكُونِ وَالْهُدُوِّ وَكِيلًا، فَرَاضَهُمْ عَلَى جِمَاحِهِمْ وَأَلَانَهُمْ عَلَى شِدَّتِهِمْ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا[5]، فَلَنْ

---

1) يلمح هنا إلى أنه نظم هذه القصيدة على وزن وقافية الشاعر الوليد بن يزيد التي مطلعها:
عَلِّلَانِي وَاسْقِيَانِي   مِن شَرابٍ أَصبَهَانِي.

2) ذهل الكاتب عن ذكر اسم صاحب الترجمة ويتعلق الأمر بمحمد بن محمد غريط الأندلسي الكاتب المقتدر، الذي عمل مع الفقيه الوزير الصفار، ثم مع الحاجب موسى بن احماد إلى أن توفي، فصار يكتب مع خلفه الوزير محمد الجامعي، وقد أمضى في الكتابة نحو 20 سنة، وتوفي سنة 1280 هـ، ترجمته في: فواصل الجمان: 163، الإعلام: 50، موسوعة أعلام المغرب: 2664، الأعلام 7/ 74.

3) استنجد الكاتب ببعض ألفاظ الآية 13 من سورة سبأ لإقامة فواصل سجعه.

4) استنجد الكاتب ببعض ألفاظ الآية 44 من سورة الشورى لإقامة فواصل سجعه.

5) توسل الكاتب بالآية 44 من سورة الفرقان لإقامة فواصل سجعه.

تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا[1]، فَلَا يُعْدَلُ بِهِ فِي هَذَا الشَّأْنِ عَدِيلٌ، وَلَا يُعَوَّضُ مِنْهُ بَدِيلٌ، وَكَيْفَ وَهُوَ الْـجَدِيلُ[2] ابْنُ الْـجَدِيلِ! حَنَّتْ إِلَيْهِ الْـفَضَائِلُ حَنِينَ الْـعُشَرَاءِ[3] إِلَى الْـفَصِيلِ[4]، وَتَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ عِلْمِهِ بِالْـبَيَانِ وَالتَّحْصِيلِ، وَسَالَتْ أَوْدِيَةُ أَدَبِهِ كَمَا سَالَ خَدُّهُ الْأَسِيلُ، فَإِلَى نَجَابَتِهِ الْـمَلْجَأُ وَعَلَيْهَا الْـمَدَارُ وَالتَّعْوِيلُ، وَإِنِ اخْتَبَرْتَهُ عَنْ صَرِيحِ الْأَدَبِ فَلَهُ فِيهِ الْـيَدُ الطُّولَى وَالْـبَاعُ الطَّوِيلُ، وَيَرُوقُهُ الْإِسْهَابُ فِيهِ وَالتَّطْوِيلُ، يُحَادِي بِنَحْوِهِ نَحْوَ سِيبَوَيْهِ وَالْـخَلِيلِ، وَيَشْفِي مِنْهُ الْـمُرَادَ **بِالْـمُرَادِي وَابْنِ عَقِيلٍ**[5]، فَدَعْ عَنْكَ مَا تَسْمَعُ مِنْ قَالَ وَقِيلٍ، فَلَا جَامِعَ بَيْنَ الْـعَصَا وَالْـحُسَامِ الصَّقِيلِ، وَقِلْ فِي ظِلِّ حِمَايَتِهِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَقِيلٍ، // وَقُلْ فِي (55)
جَانِبِهِ الْأَسْمَى مَا شِئْتَ مِنَ الْـفَضْلِ وَنِطْهُ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ، فَهُوَ الْأَمَلُ الْـمَرْجُوُّ، وَالْـعَلَمُ الْـمَجْلُوُّ يُنْبِئُ عَنْ أَصْلِهِ الْأَصِيلِ، فِعَالُهُ الْـغَنِيَّةُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ، تَدَرَّعَ فِي مُهِمَّاتِهِ بِالصَّبْرِ الْـجَمِيلِ، وَلِسَانُهُ فِي الْـعَرَبِيَّةِ يَرْضَاهُ كُثَيِّرٌ وَجَمِيلٌ، وَمَنْ أَمَّلَهُ أَدْرَكَ غَايَةَ التَّأْمِيلِ، وَإِنِ انْبَهَمَ أَمْرُ مُعْضِلَةٍ فَرَّجَهَا بِالتَّأْوِيلِ، وَجَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الْأَقَاوِيلِ، قَطَعَ جُلَّ عُمُرِهِ مَعَ السُّلْطَانِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الْإِقَامَةِ وَالرَّحِيلِ، وَهَجَرَ مُؤَانَسَةَ النَّاهِدِ الرَّدَاحِ[6] ذَاتِ الطَّرْفِ الْـكَحِيلِ، وَنَظَرَ لِعَاقِبَةِ الدُّنْيَا فَبَدَتْ لَهُ كَالطَّلَلِ الْمُحِيلِ، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاقَرَةِ الْأَهْوَاءِ وَاتِّخَاذِ الضِّيَاعِ وَالْـكَرْمِ وَالنَّخِيلِ، وَجَادَ بِمَا حَوَتْ كَفُّهُ مِنَ الْـحُطَامِ فَأُفٍّ لِلْبَخِيلِ!

---

1) توسل الكاتب بالآية 43 من سورة فاطر لإقامة فواصل سجعه.

2) جديل اسم فحل لمهرة بن حيدان. اللسان: جدل.

3) العشراء من الإبل كالنفساء من النساء. اللسان: عشر.

4) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. اللسان: فصل.

5) أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي المعروف بابن أم قاسم (ت.749هـ) وابن عقيل هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي (ت.769هـ)، وكلاهما له شرح مشهور على ألفية ابن مالك، وهو الذي عناه الكاتب.

6) امرأة رداح ورداحة وردوح ضخمة العجيزة، ثقيلة الأوراك، تامة الخلق. اللسان: ردح.

تَصَدَّرَ لِحَلِّ الْـمُشْكِلَاتِ بِذِهْنِهِ السَّيَّالِ، وَكَشْفِ الْـمُدْلَهِمَّاتِ بِرَأْيِهِ الصَّائِبِ الْـعَذْبِ الْـجِرْيَالِ[1]، وَحَصَلَ بِتَدْبِيرِهِ عَلَى اقْتِنَاصِ الْـغَزَالِ وَالرِّئَالِ[2]. طَالَمَا تَطَوَّفَ فِي ارْتِيَادِ الْـعِلْمِ النَّافِعِ، الْـعَظِيمِ الْـقَدْرِ وَالْـمَنَافِعِ، فَحَصَلَ عَلَى الْـمُشْتَهَى مِنْهُ مِنْ غَيْرِ مُدَافِعٍ، وَأَمْعَنَ فِي الْـبُدُورِ السَّبْعَةِ فَأَعْجَبَتْهُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ، فَهِيَ عِنْدَهُ أَجَلُّ وَسِيلَةٍ وَأَفْضَلُ شَافِعٍ، وَتَمَذْهَبَ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَسَلَكَ فِي تَحْصِيلِهِ أَحْسَنَ الْـمَسَالِكِ.

وَبِعِبَارَةٍ فَهُوَ اللَّبِيبُ الْـحَاذِقُ، وَالصَّيِّبُ الْـوَادِقُ، وَالظَّاهِرُ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ كَالْـفَجْرِ الصَّادِقِ وَالْـجَلِيسِ اللَّائِقِ، وَالْأَنِيسُ الرَّائِقُ، وَالطَّوْدُ الشَّاهِقُ، وَمُبْتَغَى الْـمُعَرِّسِ[3] وَالْـحَادِي وَالسَّائِقِ، وَالنَّجْمُ الطَّارِقُ، وَالسِّحْرُ الْـخَارِقُ، وَالطَّالِعُ الشَّارِقُ، فَارِسُ الْـمَنْثُورِ وَالْـمَنْظُومِ، وَخِزَانَةُ السِّرِّ الْـمَكْتُومِ. بَهَرَتْ طَلْعَتُهُ كَالنُّجُومِ الْـمُعَدَّةِ لِلرُّجُومِ، فَلَا يَسَعُ مُعَارِضَهُ إِلَّا السُّكُوتُ وَالْـوُجُومُ، يُنْصِفُ الْـمَظْلُومَ، وَيَأْسُو الْـمَكْلُومَ، وَيَنْهَجُ السَّبِيلَ الْـمَعْلُومَ، وَيَصْبِرُ عَلَى جَفَاءِ الْـخُصُومِ، وَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ بِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ الْـمَعْصُومِ. وَيَجْتَهِدُ فِي إِمْضَاءِ الْـعَزَائِمِ، وَاقْتِحَامِ الْـعَظَائِمِ، وَلَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَلَهُ أَجْرُ الصَّائِمِ الْـقَائِمِ، لَا أُقْسِمُ بِالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ، وَالْـبَيْتِ الْـمَعْمُورِ، وَالْـبَحْرِ الْـمَسْجُورِ[4]، إِنَّ اللهَ أَبْرَزَهُ آيَةً، فِي الْـبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ، وَسُلَّمًا لِإِدْرَاكِ الرُّتَبِ بِلَا حَدٍّ وَلَا غَايَةٍ.

تَبَرَّزَ فِي الْـكِتَابَةِ، حِينَ أَغْرَتْهُ النَّجَابَةُ، فَبَهْرَجَ صِفَاحَهَا، وَشَحَذَ سِلَاحَهَا، وَأَسْرَجَ مِصْبَاحَهَا، وَضَاعَفَ رِبَاحَهَا، وَأَفَاضَ سَمَاحَهَا، وَهَزَّ سُيُوفَهَا وَرِمَاحَهَا، وَشَهَرَ صَلَاحَهَا، وَقَرَّرَ فَلَاحَهَا، وَحَجَبَ عَرَائِسَهَا وَمِلَاحَهَا، وَرَفَعَ جُنَاحَهَا، وَرَاشَ

1) الجريال والجريالة: الخمر الشديدة الحمرة. اللسان: جرل.
2) الرئال جمع رأل وهو ولد النعام، وخص بعضهم به الحولي منها. اللسان: رأل.
3) المُعرِّس الذي يسير نهاره وينزل أول الليل. اللسان: عرس.
4) توسل الكاتب بالآيات الأولى من سورة الطور لإقامة فواصل سجعه.

جَنَاحَهَا، وَصَاحَتْ يَا لله وَالْـمُسْلِمِينَ! فَأَغَاثَ صُيَاحَهَا، وَاسْتَنْشَقَ مِنْ مَهَبِّ الصَّبَا أَرْوَاحَهَا، وَغَدَا يَعْرِفُ غُدُوَّهَا وَرَوَاحَهَا، وَيَتَوَسَّمُ صَلَاحَهَا، وَيَتَفَيَّأُ ظِلَالَهَا، وَيَحُوطُ أَغْصَانَهَا وَأَدْوَاحَهَا، وَيَفْتَحُ عُيُونَ أَعْيَانِهَا، لِكَوْنِهِ مَلَكَ مِفْتَاحَهَا، وَيَعِدُهَا بِالنُّجْحِ وَيُنْجِزُ نَجَاحَهَا، وَوَسَّعَ لِلزَّائِرِينَ سَاحَهَا، وَلَبِثَ فِي سِجْنِ الْـخُمُولِ مُدَّةً فَعَجَّلَ سَرَاحَهَا. فَهُوَ رَئِيسُ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ، وَإِمَامُ الْـجَمَاعَةِ، وَالتَّاجِرُ فِيهَا بِالْـبِضَاعَةِ، وَبَذَلَ فِي جَانِبِهَا جُهْدَ الِاسْتِطَاعَةِ، إِذْ كَانَتْ لَهُ مَلَكَةٌ مِطْوَاعَةٌ، وَالْـعِنَايَةُ أُخْتُهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ.

طَلَعَ بِالْإِيوَانِ السَّعِيدِ شِهَابًا رَصَدًا، وَأَنْبَتَهُ اللهُ نَبَاتًا حَسَنًا وَأَمَدَّ بِهِ الْـمُلْكَ مَدَدًا، وَالْـبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا[1]، وَنَهَجَ فِيمَا كُلِّفَ بِهِ مِنْهَاجًا رَشَدًا، وَلَمْ يَحِدْ عَنْ سَنَنِ الْـجِدِّ، وَالْـوَالِدِ وَالْـجَدِّ، تَعَالَى رَبُّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا[2]، وَلَمْ يُعْرِضْ عَنْ تِلَاوَةِ الذِّكْرِ الْـحَكِيمِ، وَدِرَاسَةِ الْـقُرْآنِ الْـكَرِيمِ، وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا[3]، سُبْحَانَهُ أَنْشَأَ خَلْقَهُ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا[4]، وَنَظَرَ بِنَيِّرِ فَهْمِهِ فَتَرَكَ وَرَاءَهُ طَرَائِقَ قِدَدًا[5]، وَكَرِهَ الْـحَسُودُ مَا آتَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا.

أَبْقَاهُ اللهُ يُزْرِي ذَكَاؤُهُ بِالزِّنَادِ الْـوَارِيَّاتِ، وَعُرْفُهُ بِالذَّارِيَّاتِ، وَيَسْخَرُ وَجْهُهُ بِالْـبُدُورِ السَّارِيَاتِ، وَتَحُلُّ مَكَانَتُهُ مَحَلَّ النَّيِّرَاتِ، وَتَبْتَهِجُ أَحْوَالُهُ كَالزُّهُورِ الزَّاهِرَاتِ، وَتَسِحُّ فِي مَغَانِيهِ// غُيُوثُ الرَّحَمَاتِ، فِي الْـغَدَوَاتِ وَالرَّوْحَاتِ، وَكَانَ (56)
لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ فِي الْـمَحْيَا وَالْـمَمَاتِ، وَحَفِظَهُ فِي أَهْلِهِ وَذَوِيهِ وَالْـبَنِينَ وَالْـبَنَاتِ، وَنَظَمَ أَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ فِي نِظَامِ الْـهُدَاةِ، وَأَنْجَاهُ مِنْ كَيْدِ الْـعُدَاةِ، وَسَلَكَ بِهِ مَسَالِكَ

---

1) توسل الكاتب بالآية 58 من سورة الأعراف لإقامة فواصل سجعه.
2) توسل الكاتب بالآية 3 من سورة الجن لإقامة فواصل سجعه.
3) توسل الكاتب بالآية 17 من سورة الجن لإقامة فواصل سجعه.
4) توسل الكاتب بالآية 28 من سورة الجن لإقامة فواصل سجعه.
5) توسل الكاتب بالآية 11 من سورة الجن لإقامة فواصل سجعه.

النَّجَاةِ، وَأَلْبَسَهُ نَفَائِسَ الصِّفَاتِ، وَبَاعَدَ عَنْهُ الْأَجْلَافَ وَالْجُفَاةَ، وَعَمَّرَ نَادِيَهُ بِالْأَفَاضِلِ وَالثِّقَاتِ، وَجَعَلَ كَلِمَهُ الطَّيِّبَ أَعْذَبَ مِنَ الْفُرَاتِ، وَرَمْيَهُ بِسِهَامِ رَأْيِهِ الصَّائِبِ تَشْتَهِيهِ الرُّمَاةُ، وَإِقْدَامُهُ عَلَى مُبَاشَرَةِ الْأُمُورِ الصِّعَابِ تَوَدُّهُ الْكُمَاةُ، وَأَفْعَالَهُ الْمُتَعَدِّيَةَ تَعْتَدُّ بِهَا النُّحَاةُ. حَرَسَهُ اللهُ.

فَمِمَّا قَالَ فِيهِ: [مخلع البسيط]

يَا أَيُّهَا الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ ... وَالْعَالِمُ الْكَاتِبُ النَّبِيلُ[1]

فَجَّرْتَ يَنْبُوعَ كُلِّ عِلْمٍ ... قَدْ حَازَهُ بَاعُكَ الطَّوِيلُ

وَشِدْتَ مَجْدًا عَلَا بِنَاهُ ... عَلَى السُّهَى مَا لَهُ مَثِيلُ

هَبَّتْ رِيَاحُ الرِّضَى عَلَيْكُمْ ... كَأَنَّهَا شَمْأَلٌ بَلِيلُ

شَادَ أَمِيرُ الْوَرَى عُلَاكُمْ ... وَجَدَّ فِي مَجْدِكُمْ يُطِيلُ

فَكَمْ غَرَسْتُمْ غُرُوسَ وُدٍّ ... قَدْ حَفَّهَا الْكَرْمُ وَالنَّخِيلُ

فَظَلَّلَتْ مَنْ أَتَى حِمَاهَا ... لَمْ يُنْتَسَخْ ظِلُّهَا الظَّلِيلُ

يَزْكُو بِهَا الْبَرُّ يَا زَكِيُّ ... كَمَا زَكَا أَصْلُكَ الْأَصِيلُ

حَنَّتْ إِلَيْكَ الْعُلَى كَمَا قَدْ ... حَنَّ إِلَى أُمِّهِ الْفَصِيلُ

وَرَجَّعَتْ صَوْتَهَا كَمَا قَدْ ... رَجَّعَ أَصْوَاتَهُ الْهَدِيلُ

لَا زِلْتَ تُحْيِي مَوَاتَ عِلْمٍ ... يَرْضَى بِهِ الصَّاحِبُ الْخَلِيلُ

مَا عُرِفَ الْفَضْلُ فِي الْبَرَايَا ... حَتَّى جَرَى فَضْلُكَ الْجَزِيلُ

---

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

فَأَنْتَ فِي عَصْرِنَــــا زَعِيـــمٌ وَبِــأُمُــورِ الْــعِـدَى كَـفِيـلُ

وَأَنْتُــمُ فِي الدُّنَــا رَبِيــــعٌ يَحْيَا بِكُمْ رَبْعُهَا الْمُحِيلُ[1]

وَأَنْتَ يَـــا حَبْرَنَــا دَوَاءٌ لِلــدَّاءِ يُشْفَى بِـكَ الْعَلِيلُ

وَجَوْهَرُ الْفَضْلِ فِيـــكَ بَـاقٍ أَحِلْيَـةُ الْفَضْلِ تَسْتَحِيلُ؟!

قَدْ شِدْتُمُ رُتْبَةَ الْـمَعَــــالِي وَسُـــدَّ مِــنْ دُونِهَــا السَّبِيلُ

حَتَّى بَدَتْ كَالنُّجُـومِ تَسْـــرِي طَـافَ بِهَـا الـرَّهْـطُ وَالْقَبِيلُ

وَقَدْ جَرَى فِعْلُكَ الْـمُعَــدَّى مُـشْـتَـهِـرًا مَـا لَــهُ عَـدِيـلُ

يَرَاعُكَ الرَّائِـــعُ الْمُفَـــدَّى يَعْنُو لَــهُ الـصَّـارِمُ الصَّقِيلُ

قَدْ جَادَ بِاللُّؤْلُـــؤِ الْـمُـوَشَّـى فَــلَا شَـحِيـحٌ وَلَا بَـخِيـلُ

مَا زَاغَ عَنْ قَصْـــدِهِ الْـمُجَلَّـــى وَمَــا اشْتَكَى جِسْمُهُ النَّحِيلُ

مَا زَالَ يُوشِي الصِّفَاحَ حَتَّـــى كَــأَنَّهَــا غَــادَةٌ كَـحِـيـلُ

وَشَّحْتَ أَسْطَارَهَـــا بَيَانًـــا طَــالَ بِـهِ وَجْـهُـهَا الْـجَمِيلُ

وَعِيدُكُمْ نَيِّـــرٌ سَعِيـــدٌ بِالْــفَـرَحِ الْـمُشْتَهَى يَسِيلُ

زُفَّتْ إِلَيْكُمْ عَـــرُوسُ شِعْـــرٍ فَـهْـيَ لَـدَى بَـابِـكُـمْ نَـزِيـلُ

وَبَيْنَكُمْ إِذْ غَــــدَتْ إِلَيْكُـــمْ وَبَـيْـنَـهَـا فَـرْسَـخٌ وَمِـيـلُ

قَدْ ضُمِّنَتْ مَقْصَـــدًا حَمِيـــدًا يُـعْـنَـى بِـهِ قَـيْـسُ بَــلْ جَمِـيـلُ

وَآنَسَتْ بَسْطَــــةً فَخَاضَـــتْ بَــحْـرًا بَسِيطًا غَــدَا يَـصُـولُ

---

1) دار مُحيلة: التي غب عنها أهلها، وأتت عليها أحوال. اللسان: حول.

وَمَنْ غَدَا طَامِــــحًا إِلَيْهِــا   يَـرْجِـعْ بِـهِ طَـرْفُـهُ الْكَلِيلُ
أَفْرِغْ عَلَيْهَا الْقَبُـــولَ فَضْــلًا   يَـا أَيُّهَــا الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ.

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: [الرمل]

أَيُّهَا الْحَبْرُ الْفَقِيـــهُ الْكَاتِــبُ   وَالَّــذِي وَدَّ عُــلَاهُ الْكَاتِبُ[1]
شِدْتُمُ الْمَجْدَ بِآفَــاقِ الْعُـــلَا   مَا بِـهِ عَيْبٌ يَـرَاهُ الْعَائِبُ // (57)
وَحُلَاكُمْ شَرَّقَــتْ إِذْ بَلَغَـــتْ   مَبْلَغًا يَـقْـصُرُ عَنْـهُ الـرَّاكِـبُ
وَرَفَعْتُمْ بِحِمَى الْغَــرْبِ لِــوَا   رُتَـبٍ يَنْحَطُّ عَنْهَا الْغَارِبُ
رَغِبَتْ فِيكَ الْمَعَالِــي كُلُّهَــا   رَغْبَـةً يَهْـوِي إِلَـيْـهَا الـرَّاغِـبُ
كَمْ قَطَعْتُمْ مَهْمَهًــا فِي مَهْمَــهٍ   زَادُكَ الـرَّأْيُ السَّدِيدُ الصَّائِبُ
وَبَرَزْتُمْ فِي سُكُونٍ وَوَقَــا   رٍ وَحَــالٍ يَشْتَهِيهَا الـتَّائِبُ
وَحَوَيْتُمْ مَطْلَبًـــا رَاعَ الْعِـدَى   وَدَهَـاهُـمْ يَـرْتَـضِيـهِ الطَّالِبُ
وَصَدَقْتُمْ فِي دَعَاوِيكُمْ فَــذَا الْــ   ــخَلْقُ إِمَّـا صَـادِقٌ أَوْ كَـاذِبُ
وَضَرَبْتُمْ بِالْيَـرَاعِ الْمُنْتَضَـــى   ضَرَبَــاتٍ يَنْتَقِيهَا الـضَّـارِبُ
فَإِذَا كُنْتَ بِنَـــادِي مَعْشَــرٍ   غُــرَرٍ أَنْــتَ الْإِمَــامُ الـرَّاتِـبُ
وَإِذَا رَايَــــةُ مَجْدٍ رُفِعَـــتْ   وَبَـدَا الْـجِدُّ فَـأَنْـتَ الْـغَالِبُ[2]
وَإِذَا جَانِــــبُ عِزٍّ شِدْتَـــهُ   صَارَ مِثْلَ الطَّوْدِ ذَاكَ الْـجَانِبُ

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.
2) الشطر الأول من البيت مأخوذ من قول الشماخ بن ضرار:
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ   تلقاها عرابة باليمينِ

وَإِذَا خُطْبَـــــةُ أَمْـــــرٍ وَقَعَــتْ   بِلِوَا السَّعْدِ فَأَنْـتَ الْـخَاطِبُ
فَاذْكُرِ الْـحُبَّ الْـقَدِيمَ الْـعَهْـدِ بَـلْ   حُـبُّـكُـمْ فِي كُـلِّ حِـينٍ وَاجِـبُ
يَا إِلَاهَ الْـفَضْلِ انْشُـــــرْ فَضْلَـهُ   وَاكْـفِـهِ شَرَّ الْـعِدَى يَـا وَاهِـبُ
هَاكَهَا حُلَّةَ شِعْـــرٍ رَاقَ مَـــــا   حَاكَهَا زِيـرُ النِّسَا وَالصَّاحِبُ
وَكُمَاةُ الشِّعْرِ بَـــادُوا وَانْقَضَـــوْا   وَبِهِـمْ صَـاحَ الـغُـرَابُ النَّاعِبُ
وَتَهَاوَوْا فِي الْـمَنَايـــــا كُلُّهُـمْ   فَهُمُ الْـيَوْمَ وَأَمْـسِ الـذَّاهِـبُ
دُمْتَ تَرْعَى فِي سُـــرُورٍ رَائِـــقٍ   أَيُّهَـا الْـحَبْرُ الْـفَقِيهُ الْـكَاتِبُ

* **وَمِنْهُمُ الْـقَمَرُ الْـمُنِيرُ، الْـوَزِيرُ الْـكَبِيرُ، النَّاظِمُ النَّاثِرُ الْـمُقِيلُ مِنَ الزَّمَانِ الْـعَاثِرِ، الْـفَقِيهُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصُّنْهَاجِيُّ**[1]: سِرَاجُ الدَّيَاجِي، وَالطَّارِقُ الْـمُفَاجِي، فِي اللَّيْلِ الدَّاجِي، وَمُنْجِزُ أَمَلِ الرَّاجِي، وَخَلِيفَةُ الْـفَقِيهِ الْـبَاجِي[2]، وَسِيبَوَيْهِ وَالزَّجَّاجِي[3]، وَفُكَاهَةُ الْـمُخَاطَبِ وَالْـمُنَاجِي، أَحَدُ الْـوُزَرَاءِ، وَكَبِيرُ الْـكُبَرَاءِ، وَأَمِيرُ الشُّعَرَاءِ، وَطُرْفَةُ النُّظَرَاءِ، وَنَجِيُّ الْأُمَـرَاءِ، وَنَجِيبُ النُّجَبَاءِ، وَأَدِيبُ الْأُدَبَاءِ، وَخَطِيبُ الْـخُطَبَاءِ، وَلَبِيبُ الْأَلِبَّاءِ، وَحَبِيبُ الْأَحِبَّاءِ، وَنَبِيهُ النُّبَهَاءِ، وَخَلِيلُ الْـفُقَهَاءِ، وَفَصِيحُ الْـفُصَحَاءِ، وَبَلِيغُ الْـبُلَغَاءِ، وَسَعْدُ السُّعَدَاءِ، وَعَلَمُ الشُّهَدَاءِ، فِي التَّحَمُّلِ وَالْأَدَاءِ، وَعَالِمُ الْـعُلَمَاءِ، وَفَهِيمُ الْـفُهَمَاءِ.

---

1) محمد بن أحمد الصنهاجي الوزير الكاتب الفقيه الأديب، كان في أوله أمره يشتغل بالنساخة، ثم صار عدلا بسماط العدول بطالعة فاس، ثم صار كاتبا في الديوان الشريف، ثم ناب في الوزارة، ثم استقل بها وقد كانت غايته ومناه، توفي عام 1309 هـ. ترجمته في: فواصل الجمان: 78 سلوة الأنفاس: 3/ 284، الإعلام: 7/ 69، موسوعة أعلام المغرب: 2787.

2) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي، فقيه مالكي كبير من رجال الحديث، توفي سنة 474 هـ. تنظر ترجمته في: معجم الأدباء: 11/ 246، وفيات الأعيان: 20/ 408، نفح الطيب: 2/ 67، شذرات الذهب: 3/ 334.

3) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي شيخ العربية في عصره، له عدة مؤلفات، توفي سنة 337 هـ. تنظر ترجمته في: طبقات الزبيدي: 129، وفيات الأعيان: 3/ 136، إنباه الرواة: 2/ 160 شذرات الذهب: 2/ 357.

تَأَزَّرَ بِالْـوِزَارَةِ، وَجَرَّرَ فِي سَاحَتِهَا قَمِيصَهُ وَإِزَارَهُ، وَوَرَدَ أَنْهَارَهَا فَحَمِدَ إِيرَادَهُ وَإِصْدَارَهُ، وَخَلَعَ فِي مَحَبَّةِ أَهْلِ الْـبَيْتِ عِذَارَهُ، وَمَرَّ بِسُورِ كَنْزِ الْـمَعَالِي يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَ جِدَارَهُ[1]، وَأَسْمَى اللهُ مَجْدَهُ وَأَقْدَارَهُ، وَأَنْطَقَ بِالثَّنَاءِ عَلَى مَجَادَتِهِ أَطْيَارَهُ، وَبَذَلَ جُهْدَهُ فِي خِدْمَةِ الْـجَنَابِ الْـعَالِي بِاللهِ كَثَّرَ اللهُ أَنْصَارَهُ، وَشَيَّدَ فِي مَظْهَرِ الْـعَلْيَاءِ فَخَارَهُ، وَكَتَمَ عَنِ الْـمُرْجِفِينَ فِي الْـمَدِينَةِ أَسْرَارَهُ[2]، وَجَابَ مَفَاوِزَ الْـعِزِّ وَقِفَارَهُ، وَقَطَعَ فَيَافِيَهُ وَأَقْطَارَهُ، وَسَلَكَ سَهْلَهُ وَأَوْعَارَهُ، وَتَقَلَّدَ رِمَاحَهُ وَشِفَارَهُ، وَاقْتَحَمَ أَخْطَارَهُ، وَاسْتَسْقَى مِنْ جَوِّ الْـفَضْلِ أَمْطَارَهُ، وَسَيَّرَ فِي سَمَاءِ مَجْدِهِ كَوَاكِبَهُ السَّيَّارَةَ، وَطَارَتْ بِحَدِيثِ بَشَائِرِهِ الطُّيُورُ الطَّيَّارَةُ. وَرَوَى الثِّقَاتُ حَدِيثَهُ وَدَوَّنُوا أَخْبَارَهُ، وَأَطَاعَ فِي فَلَكِ السِّيَادَةِ شُمُوسَهُ وَأَقْمَارَهُ، وَاقْتَضَى مِنَ الْـحَضْرَةِ السَّامِيَّةِ أَوْطَارَهُ، وَأَرْغَمَ حُسَّادَهُ وَأَنْظَارَهُ، وَتَفَقَّدَ أَوْكَارَهُ، وَعَمَّرَ دِيَارَهُ، وَفَجَّرَ أَنْهَارَهُ، وَفَتَحَ أَزْهَارَهُ، وَقَطَفَ أَنْوَارَهُ، وَمَهَّدَ أَنْجَادَهُ وَأَغْوَارَهُ، وَأَشَادَ أَبْرَاجَهُ وَأَسْوَارَهُ، وَرَفَعَ مَنَارَهُ، وَجَنَى ثِمَارَهُ، وَتَزَيَّى بِأَحْسَنِ زِيٍّ وَشَارَةٍ، وَآنَسَ مِنْ جَانِبِ الْـحَيِّ نَارَهُ[3]، وَرَمَى جِمَارَهُ، وَنَظَمَ نِثَارَهُ، وَأَجَارَ جَارَهُ، وَرَعَى جِوَارَهُ، وَحَمَى ذِمَارَهُ، وَأَقَالَ عِثَارَهُ، وَحَقَّقَ نِجَارَهُ[4]، وَخَاضَ بِحَارَهُ، وَلَبِسَ سِوَارَهُ، وَعَرَفَ مَعَالِمَهُ وَشِعَارَهُ، وَطَافَ بِبَيْتِ الْـمَمْلَكَةِ فَزَاحَمَ حُجَّاجَهُ وَعُمَّارَهُ، // تَقَبَّلَ اللهُ حَجَّهُ وَاعْتِمَارَهُ، وَجَمَّلَ (58)
الْإِمَارَةَ، وَقَدَعَ الْأَمَارَةَ[5].

لَا زَالَتْ وُفُودُ السَّعَادَةِ تُرَاوِحُهُ وَتُغَادِيهِ، وَعُيُونُ الْـوِقَايَةِ تُسَايِرُهُ وَتُحَادِيهِ، وَأَلْسُنُ الرِّعَايَةِ تُخَاطِبُهُ وَتُنَادِيهِ، يَسْبَحُ فِي أَنْهَارِ السُّرُورِ، وَيَمْرَحُ فِي رِيَاضٍ بَيْنَ

---

1) وظف الكاتب بعض ألفاظ الآية 77 من سورة الكهف لإقامة فواصل سجعه.
2) وظف الكاتب بعض ألفاظ الآية 60 من سورة الأحزاب لإقامة فواصل سجعه.
3) وظف الكاتب بعض ألفاظ الآية 29 من سورة القصص لإقامة فواصل سجعه.
4) النَّجْرُ والنِّجار والنُّجار الأصل والحسب. اللسان: نجر
5) القَدع: الكف والمنع، قَدَعَه يقدَعُه قدعا إذا كفه. أي كف النفس الأمارة بالسوء. اللسان: عرس.

وُلْدَانٍ وَحُورٍ، مُطَوَّقَةَ الْأَجْيَادِ وَالنُّحُورِ، وَمَنَازِهَ سَامِيَّاتِ الْقُصُورِ، مَشْحُونَةً بِالْغَزَالِ الشَّادِنِ وَالْأَسَدِ الْهَصُورِ، يَخْتَالُ فِي كَلِمَةٍ مَسْمُوعَةٍ، وَيَتَفَكَّهُ بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ، وَأَكْوَابٍ مَوْضُوعَةٍ، وَنَمَارِقَ مَصْفُوفَةٍ، وَزَرَابِيَّ مَبْثُوثَةٍ[1].

وَقُلْتُ مَادِحًا لَهُ: [الكامل]

إِنْ رُمْتَ أَمْرًا وَاضِحَ الْمِنْهَاجِ عُجْ بِالْوَزِيرِ الْعَالِمِ الصُّنْهَاجِي[2]

وَاسْتَجْدِ عِلْمَهُ فَهْوَ بَحْرٌ زَاخِرٌ مُتَدَفِّقٌ مُتَلَاطِمُ الْأَمْوَاجِ

وَحَوى عُلُومًا قَاصِرَاتٍ حُورُهَا مُتَوَشِّحًا فِقْهَ الْفَقِيهِ الْبَاجِي

وَاعْتَمَّ مُخْتَصَرَ الْخَلِيلِ مُرَاجِعًا شُرَّاحَهُ وَأَلَمَّ بِالرَّجْرَاجِي[3]

وَأَحَاطَ بِالْمَنْطُوقِ وَالْمَفْهُومِ وَالْـ ـمُحْتَاجِ لِلْإِدْخَالِ وَالْإِخْرَاجِ

بَلْ خَاضَ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَارْتَدَى نَحْوَ الْكِسَائِي الْبَدْرِ وَالزَّجَّاجِي[4]

وَأَمَاطَ عَنْ وَجْهِ الذَّكَاءِ نِقَابَهُ إِذْ كَانَ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ الدَّاجِي

فَالْفَهْمُ مِنْهُ تَصَبَّبَتْ أَمْطَارُهُ تَنْهَلُّ بِالْأَفْرَادِ وَالْأَزْوَاجِ

إِنْ كُنْتَ صَبًّا بِالنَّجَاةِ فَلُذْ بِهِ فَالنَّاسُ إِمَّا هَالِكٌ أَوْ نَاجِي

---

1) وظف الكاتب الآيات 32-33-34 من سورة الواقعة، والآيات 14-15-16 من سورة الغاشية لإقامة فواصل سجعه.

2) القصيدة في ديوان شعره: 121 مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

3) الرجراجي وهو قطعا من شراح مختصر الشيخ خليل، لم نقف على ترجمته ولعله هو أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي (ق.7هـ)، صاحب شرح المدونة، المسمى مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل. واعتم مختصرَ خليل جعلَهُ عِمَامَةً على رأسه، كناية على شده اهتمامه به.

4) الكسائي علي بن حمزة النحوي (ت.189هـ). والزجاجي مرت ترجمته.

وَارْحَلْ إِلَيْهِ يُفِـــدْكَ عِلْمًا نَافِعًـــا   وَاعْـمِـدْهُ فَهْوَ عُمْدَةٌ لِلرَّاجِي[1]
أَذِنَ الْـمَلِيكُ لَـهُ فَطَـــافَ بِبَيْتِـهِ   وَسَعَـى بِـجَـوِّ سَرِيـرِهِ وَالـتَّـاجِ
كَمْ حَجَّ ذَاكَ الْبَيْتَ مُعْتَمِـــرًا بِهِ   وَغَـدَا مَـعَ الْعُمَّارِ وَالْـحُجَّاجِ
لَبَّى وَأَحْرَمَ فِي حَـــرَامِ إِوَانِـــهِ   يَـنْـوِي الطُّهُورَ بِـمَائِـهِ الثَّجَّاجِ[2]
مُتَحَصِّنًا بِحِمَى الْـخِلَافَـةِ بَاهِتًـــا   فِي رِفْـعَـةِ الْأَسْـوَارِ وَالْأَبْــرَاجِ
وَامْتَدَّ طَرْفُ الْـعَيْنِ يَرْتَعُ فِي الْبَـــهَا   وَالْـحُسْنِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدِّيبَاجِ
إِنْ جَالَ فِي الْإِيوَانِ جَـــلَّى أَمْــرَهُ   وَأَضَـاءَ ضَـوْءَ سِرَاجِـهِ الْـوَهَّاجِ
بَعَجَ الْـقُلُوبَ بِصَارِمِ الْـقَوْلِ الَّـذِي   رَاعَ النُّهَى كَالْـبَارِقِ الْـبَعَّاجِ
وَفَرَى التَّشَاجُرَ بَيْنَ كُلِّ مُشَاجِـــرٍ   كَالْـفَرْيِ لِلْحُلْقُومِ وَالْأَوْدَاجِ[3]
هَاكُمْ عَلَى رُغْمِ الْـحَسُودِ خَرِيـــدَةً   مِنْ دُرِّ شِعْرٍ وَاضِـحٍ كَالْـعَاجِ[4]
نُسِجَتْ عَلَى مِنْوَالِ نَظْــمٍ فَائِـــقٍ   نَسْجَ الْـمُوَشِّي خَـيْرِ النُّسَّاجِ[5]
فَامْزُجْ بِجَيِّدِهِ هَشِيـــمَ رَدِيئِـــهِ   إِذْ خَلَقْنَا مِـنْ نُطْفَةٍ أَمْـشَـاجِ[6]
رَكِبَتْ سَفَائِنَ فِكْـــرَةٍ وَقَرِيحَـــةٍ   وَتَوَغَّلَتْ فِي بَحْرِهَا الْـعَجَّاجِ
وَلَدَتْ وَلَائِدَهَا بِفَهْـمٍ ثَاقِـــبٍ   وَقَـدَ انْتَجَتْ فَالسِّرُّ فِي الْإِنْتَاجِ[7]

1) في ديوان شعره: فارحل إليه. وفي التفعيلة الثانية من الشطر الثاني للبيت زحاف شنيع كالكسر.
2) الثج: الصب الكثير وخص بعضهم به صب الماء. اللسان: ثجج.
3) في ديوان شعره: قطع التشاجر بين كل مشاحن   كالقطع للحلقوم والأوداج.
4) في ديوان شعره: على رغم الأوان خريدة.
5) الشطر الثاني من البيت مكسور.
6) في ديوان شعره: وامزج. والبيت في اقتباس قرآني.
- الأمشاج: الأخلاط ماء الرجل والمرأة والدم والعلقة. اللسان: مشج.
7) في ديوان شعره: بذهن ثاقب.

وَتَحَمَّلَتْ دُرَرَ الْكَلَامِ وَزَيَّفَتْ ... سَوْقَ الْعُرَيْبِ مَطِيَّةَ الْأَحْدَاجِ[1]

هَذَا وَقَدْ حَلَجَتْ بَدَائِعَ صُنْعِهَا ... وَتَشَرَّعَتْ بِشَرِيعَةِ الْحَلَّاجِ[2]

وَتَفَتَّحَتْ أَزْهَارُهَا وَتَسَاجَلَتْ ... أَطْيَارُهَا لَمْ تُعْنَ بِالدُّرَّاجِ[3]

نَمَّ الرَّقِيبُ عَلَى فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ... لَا تَعْبَأَنْ بِنَمِيمَةِ الدَّرَّاجِ[4]

دَعْ عَنْكَ غَثَّ الْقَوْلِ لَا تَعْبَأْ بِهِ ... يَرْوِيهِ كُلُّ مُلَفِّقٍ أَرَّاجِ[5]

وَاصْطَدْ نُجُومَ الزُّهْرِ فِي آفَاقِهَا ... وَاهْجُرْ طَرِيقَ الصَّائِدِ الْقَبَّاجِ[6]

بِوُجُودِ حَامِي الْمُلْكِ دَامَتْ خَيْلُهُ ... تَخْتَالُ فِي الْإِلْجَامِ وَالْإِسْرَاجِ[7]

وَالْمُحْسِنِ الْحَسَنِ الَّذِي إِحْسَانُهُ ... هَامٍ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْمُحْتَاجِ

لَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تُنْجِزُهُ الْمُنَى ... تَأْتِيهِ بِالْأَفْوَاجِ فَالْأَفْوَاجِ[8]

بِمُحَمَّدٍ قُطْبِ الْوُجُودِ وَمَنْ رَأَى ... رَبَّ الْبَرِيَّةِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ[9]

---

1) الأحداج جمع حدج وهي مراكب النساء. اللسان: حدج.

2) في ديوان شعره: بصناعة الحلاج. حلج القطن يحلِجه ويحلُجه، ندفه. اللسان: حلج. وأبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج هو المتصوف المشهور، الذي قتل أيام المقتدر العباسي عام 309هـ. ترجمته في: الفهرست: 328، تاريخ بغداد: 8/ 112، وفيات الأعيان: 2/ 140، المنتظم: 6/ 160.
- حلج القطن يحلجه: ندفه. اللسان: حلج.

3) الدُّراج طائر شبه الحيقطان. اللسان: درج.

4) الدَّراج: النمام. اللسان: درج.

5) الأراج هو الذي يؤرج النار أو الحرب أي يوقدها. اللسان: أرج.

6) في ديوان شعره: فاصطد.

7) في ديوان شعره: بوجود سامي.

8) في ديوان شعره: لا زالت الأقوام.

9) في ديوان شعره: بمحمد كنز المعارف. اختلف العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله عز وجل ليلة المعراج، ففريق أنكرها وعلى رأسهم أمنا عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وفريق آخر قال بالرؤية القلبية، ومن أبرز هؤلاء ابن عباس رضي الله عنه، وقد خصص القاضي عياض لهذه المسألة بابا كاملا في كتابه **الشفا في التعريف بحقوق المصطفى**.

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَا دَامَ دِينُهُ وَاضِحَ الْمِنْهَاجِ.

(59) وَقَالَ يَرْثِي نَجْلَهُ // : [مجزوء الوافر]

تَوَارَى نَجْلُكَ الْأَرْضَى فَحَلَّى وَجْهُهُ الْأَرْضَا[1]
قَضَى كَالزَّهْرِ مُفْتَرًّا وَأَوْدَى يَانِعًا غَضَّا
مَضَى كَالْبَدْرِ مُعْتَمًّا بِحُسْنٍ يَبْهَرُ الرَّوْضَا
جَلَا كَالدُّرِّ فِي أَصْدَا فِهِ لَا يَهْتِكُ الْعِرْضَا
نَعَمْ قَدْ عَضَّهُ دَهْرٌ عَضُوضٌ سَالِمَ الْأَعْضَا
ثَوَى فِي حُفْرَةٍ رَهْنًا لِيَوْمٍ يُوجِبُ الْعَرْضَا
وَبَاعَ الْكَوْنَ فِي الدُّنْيَا وَمَلَّ الْبَيْعَ وَالْقَرْضَا
فَكَمْ فِي الْقَلْبِ مِنْ كَرْبٍ يُبَارِي حَرُّهُ الرَّمْضَا
وَكَمْ مِنْ بَاكِيَاتٍ مِنْ عُيُونٍ لَمْ تَذُقْ غَمْضَا
وَكَمْ أَجْرَى دُمُوعًا مِنْ عُيُونٍ أَصْبَحَتْ مَرْضَى
وَلَوْ كَانَ الْفِدَا يُجْدِي بَذَلْنَا النَّقْدَ وَالْعَرْضَا
فَكَمْ يَا دَهْرُ مِنْ دَيْنٍ نَرَاهُ عَلَيْكَ هَلْ يُقْضَى
فَفَوِّضْ أَمْرَهُ لِلَّـ ـهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِمْضَا
فَإِنَّ الْمَوْتَ مَأْمُورٌ يَحُضُّ عَلَى النَّوَى حَضَّا
يُنَادِي بِالرَّحِيلِ الْمُرْ رِ يُفْنِي الْكُلَّ وَالْبَعْضَا

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

أَدَامَ اللهُ مَـحْيَـاكُـمْ   وَحَـيَّـاكُـمْ بِـمَا يَـرْضَى
وَعَوَّضَكُـمْ بَدِيلًا عَـا   جِـلًا مِـنْ نَـجْـلِـكُـمْ أَيْـضًـا
وَوَسَّعَ رَمْسَـهُ حَتَّـى   يَـعُـمَّ الـطُّـولَ وَالْـعَـرْضَـا
وَعَظَّمَ أَجْرَكُـمْ فِيمَـنْ   تَـطَـوَّفَ نَـعْـيُـهُ الْأَرْضَـا
أَوَاكَ مَلِيكُنَـا مَنْ قَـدْ   أَفَـاضَ عَـطَـاءَهُ فَـيْـضَـا
تَسَامَـى مَجْـدُهُ لَـمَّا   تَـسَـامَـتْ دَارُهُ الْـبَـيْـضَـا
وَسَادَ النَّـاسَ بِالتَّقْـوَى   وَخَـاضَ بِـحَـارَهَـا خَـوْضَـا
فَهَاكُمْ غَـادَةً مِـنْ دُرْ   رِ شِـعْـرٍ يَـمْـلَأُ الْـحَـوْضَـا
حَوَاهَا حَـاذِقٌ حِـبٌّ   يُـوَالِي حُـبَّـكَ الْـمَـحْـضَـا
وَلَمْ يَنْقُضْ عُهُودَ الْحُبْـ   ـبِ بَـلْ لَا يَـعْـرِفُ النَّقْضَا
وَلَمْ يَهْجُرْ سَبِيـلَ الْـوُدْ   دِ بَـلْ لَمْ يَـعْـتَـقِـدْ رَفْـضَـا
فَحَيَّتْكُـمْ وَنَاجَتْكُـمْ   تُـؤَدِّي الـنَّـفْـلَ وَالْـفَـرْضَـا
وَجَـاءَتْ تَبْتَغِـي مِنْكُـمْ   قَـبُـولًا يَـبْـتَـغِـي الْـغَـضَّـا
أَتَتْكُمْ تَـجْتَنِـي مِنْكُـمْ   ثِـمَارَ الْـحُـبِّ لَا الْـبُـغْضَا
جَـرَتْ فِي وَافِرِ الْبَحْـرِ الْـ   ـلَـذِي يَـسْـتَـوْجِـبُ الْـفَيْضَا
فَغُضَّ الطَّرْفَ عَـنْ عَيْـبٍ   بِـهَـا إِذْ شَـأْنُـكَ الْإِغْـضَـا
حَوَتْ صُنْهَاجَـةٌ رَفْعًـا   بِـكُـمْ لَا يَـعْـرِفُ الْـخَفْضَا[1]

1) صنهاجة: إحدى قبائل البرانس البربرية، وأعظم قبائلهم بالمغرب على الإطلاق، وتفرعت عن صنهاجة فروع كثيرة بمرور الزمان، إذ لا يكاد صُقع من أصقاع المغرب يخلو من أحد بطونها بسهل أو جبل. العز والصولة: 1/ 162.

عَسَى الْكَرْبُ الَّـــذِي أَمْسَيْـــتَ فِيهِ يَـغْـتَـدِي رَكْـضَـا

وَعَـــلَّ اللهَ يَجْزِيكُـــمْ وَيُــرْضِي شِبْـلَـكَ الْأَمْـضَـا

قَضَــى وَالْأَمْـــرُ لله الْـــلَــذِي يَـقْـضِي وَلَا يُـقْـضَى.

* **وَمِنْهُمُ الْفَقِيهُ الْأَمِينُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ التَّازِيُّ**[1]: أَمِينُ الْأُمَنَاءِ، وَفَطِينُ الْفُطَنَاءِ، وَوَكِيلُ الْوُكَلَاءِ، وَحَمِيلُ الْحُمَلَاءِ، وَكَفِيلُ الْكُفَلَاءِ، وَعَاقِلُ الْعُقَلَاءِ، وَنَبِيلُ النُّبَلَاءِ، وَعَلَمُ الْفُضَلَاءِ، وَخَلِيلُ الْأَخِلَّاءِ، وَجَلِيلُ الْأَجِلَّاءِ، وَزَعِيمُ الزُّعَمَاءِ، وَنَدِيمُ الْكُرَمَاءِ، وَكَرِيمُ النُّدَمَاءِ، وَرَئِيسُ الرُّؤَسَاءِ، وَأَنِيسُ الْجُلَسَاءِ، وَنَصِيحُ النُّصَحَاءِ، وَحَبِيبُ الصُّلَحَاءِ، وَعَرِيفُ الْعُرَفَاءِ، وَفَاكِهَةُ الظُّرَفَاءِ، وَوَصِيفُ الشُّرَفَاءِ، وَحَلِيفُ //الْخُلَفَاءِ، الرَّاشِدِينَ الْحُنَفَاءِ، وَسَمِيرُ (60)
السُّمَرَاءِ، وَقَمَرُ السُّفَرَاءِ، وَنَقِيبُ النُّقَبَاءِ، وَحَسِيبُ الْحُسَبَاءِ، وَهَادِي الرُّفَقَاءِ، وَنَتِيجَةُ الصُّدَقَاءِ، وَنَزِيهُ النُّزَهَاءِ، وَوَجِيهُ الْوُجَهَاءِ، بَلَغَتْ هِمَّتُهُ حَيْثُ لَا تَبْلُغُ السُّهَى، وَتَعَمَّمَ بِالْعِزِّ وَالْبَهَا، وَتَوَشَّحَ بِالْحَزْمِ وَالدَّهَا، وَوَصَلَتْ أَخْبَارُهُ بَغْدَادَ وَالرُّهَا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى[2]، وَصَادَ بِسِيَاسَتِهِ الْفَرَا[3] وَالْمَهَا.

اخْتَصَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَعْيِينِ أُمَنَاءِ الْخَرَاجِ، وَنَصَّبَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كَالسِّرَاجِ، وَأَمَرَهُ بِمُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى مَا بَلَّغُوا لِبَيْتِ الْمَالِ، وَمَا جَالُوا فِيهِ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ، تَارِكًا مَعَهُمْ جَانِبَ الْإِهْمَالِ، حَتَّى يَتَحَصْحَصَ الْحِسَابُ بِالتَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ، وَيَصِلَ

1) محمد بن الحاج محمد التازي الرباطي، رجل من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان، وأشدهم غيرة على الدين والوطن، استدعاه المولى الحسن سنة 1296 هـ إلى حضرته العالية، وأسند إليه أمر خراج المغرب ومراسيه، توفي سنة 1307هـ. تنظر ترجمته في: الاستقصا: 8/ 184، إتحاف أعلام الناس: 2/ 514، الإعلام: 7/ 67، معلمة المغرب: 6/ 2052.

2) وظف الكاتب بعض ألفاظ الآية 54 من سورة طه لإقامة فواصل سجعه.

3) الفرا مهموز مقصور: حمار الوحش، وقيل الفتي منها. ومنه المثل العربي كل الصيد في جوف الفرا. اللسان: فرأ.

مَا حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ لِبَيْتِ الْـمَالِ، وَفَّرَهُ اللهُ بِالتَّمَامِ وَالْـكَمَالِ، وَانْتَخَبَ لَدَيْهِ زُمْرَةً مِنْ نُجَبَاءِ الْـحُسَّابِ، الْـمَاهِرِينَ فِي أُمُورِ الْـحِسَابِ، وَاللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْـحِسَابِ، وَجَعَلَهُ السُّلْطَانُ نَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ عَيْنًا مِنَ الْـعُيُونِ، وَقَاهُ اللهُ شَرَّ الْـعُيُونِ، حَتَّى يَقْضِيَ لِأَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ مَا لَهُ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْـحُقُوقِ وَالدُّيُونِ.

وَبِالْـجُمْلَةِ، فَتَرْجَمَةُ الْـقَوْلِ فِيهِ وَاسِعَةٌ، وَاسْتِقْصَاءُ الْـكَلَامِ فِي فَضَائِلِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ شُقَّةٌ وَاسِعَةٌ، لَكِنَّ الْـخَوْضَ فِي سَبْكِ فَضْلِهِ بُرُوقٌ لَامِعَةٌ، وَغُيُوثٌ هَامِعَةٌ، وَسُيُوفٌ قَاطِعَةٌ، وَبُدُورٌ سَاطِعَةٌ، وَشُمُوسٌ طَالِعَةٌ، وَثِمَارٌ يَانِعَةٌ، وَمُسُوكٌ ضَائِعَةٌ، عِنْدَ الْـجُهَّالِ ضَائِعَةٌ، وَأَحَادِيثُ فَضْلِهِ شَائِعَةٌ، وَآثَارُهُ رَائِعَةٌ، وَأَخْلَاقُهُ لِثَدْيِ الْـكَمَالَاتِ رَاضِعَةٌ، وَآمَالُهُ فِي تَخْلِيدِ الْـمَكَارِمِ طَامِعَةٌ.

أَبْقَاهُ اللهُ وَالْـمَرَاتِبُ تُرَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَتَصْطَفِيهِ مِنْ بَيْنِ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ، وَجَعَلَ يَوْمَهُ خَيْرًا مِنْ أَمْسِهِ، يَخْتَالُ بَيْنَ نَاسِهِ وَكَاسِهِ، يَطُوفُ عَلَيْهِ قِيَانُهُ فِي أُنْسِهِ، مُتَمَتِّعًا بِبَدْرِهِ وَشَمْسِهِ، وَظَبْيُ الْـحِمَى يَرْمِيهِ بِعَيْنِهِ وَحَاجِبِهِ وَقَوْسِهِ، وَيَفْتِنُ الْـحَاضِرِينَ بِنُورِ وَجْهِهِ وَهَزِّ رَأْسِهِ، مُتَقَلِّبًا فِي رِيَاضِ جِنَانِهِ وَغَرْسِهِ، مَشْغُولًا بِوَلَائِمِهِ وَعُرْسِهِ، وَقَامَ الْآنَ عَلَى سَاقِ الْـجِدِّ فِي تَهْذِيبِ خُطَّتِهِ، وَحِفْظِ أَمَانَتِهِ، وَتَمْهِيدِ وِلَايَتِهِ، فِي بِدَايَتِهِ وَنِهَايَتِهِ، وَتَرْبِيَةِ أَخْلَاقِهِ، وَتَصْفِيَةِ أَعْلَاقِهِ، وَإِطْفَاءِ نِيرَانِ أَشْوَاقِهِ، فِي غَيْبَتِهِ وَانْطِلَاقِهِ، وَإِفَاضَةِ نَوَالِهِ بَيْنَ أَتْرَابِهِ، وَإِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَحِرَاسَةِ أَبْوَابِهِ، بِالتَّنْبِيهِ عَلَى بَوَّابِهِ، وَمُطَالَعَةِ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ وَلُزُومِ رِكَابِهِ، وَتَعْظِيمِ جَنَابِهِ، وَانْتِقَاءِ دُرِّ الْـكَلَامِ وَصَوَابِهِ، عِنْدَ الشُّرُوعِ فِي خِطَابِهِ، فِي مَقَالِهِ وَجَوَابِهِ، لَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تُسَاعِدُهُ، وَالْأَوْطَارُ تُنَاشِدُهُ، وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَاعِدُهُ، وَالْأَلْطَافُ الْإِلَهِيَّةُ تُعَاهِدُهُ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ تُشَاهِدُهُ، وَالْأَكْوَانُ بِكُلِّ بِرٍّ تُوَادِدُهُ.

قَالَ يَمْدَحُهُ: [مجزوء الرمل]

صِنْوُكَ الـــــدُّرُّ الثَّمِيـــنُ   أَيُّهَـــا الـــتَّـــازِي الْأَمِـــينُ[1]

وَعَجِيبُ الْفَهْـــمِ حَابَـــا   كَ بِـــهِ الـــدَّهْــرُ الـضَّـنِينُ

قَدْ حَوَيْتَ السَّعْدَ فِي الْمَـــهْـــ   ـــدِ وَإِذْ أَنْـــتَ جَـنِـينُ

وَتَعَمَّمْـــــتَ الْحَيَـــا إِذْ   زَانَـــكَ الْـــعَـقْـلُ الـرَّزِيـــنُ

وَتَوَشَّحْتَ الْهُـــــدَى إِذْ   رَاقَـــكَ الـدِّيـــنُ الْـمَـتِـينُ

وَتَوَلَّيْـــــتَ كِرَامًـــــا   نَهْـجُـهُـمْ شَرْعٌ وَدِيـــنُ

وَتَغَرَّبْـــــتَ وَلَا غَـــرْ   وَ كَـــذَا الـــدُّرُّ الـثَّـمِينُ

هَذِهِ الشَّمْـــسُ يُغَشِّـــي   وَجْـهَـهَـا مَـاءٌ وَطِـينُ

وَتَوَشَّحْتَ كَـــذَا الْأُسْـــ   ـــدُ فَـمَـثْـوَاهَـا الْـعَـرِيـنُ

وَحُلَى فَضْلِـــكَ لَا يَجْـــ   ـحَـدُهَـا إِلَّا مَـهِـينُ

إِنَّ أَرْضًـــا قَذَفَتْكُـــمْ   لَهِـيَ الْـحِـصْـنُ الْـحَـصِـينُ

وَبِهَا الرِّيـــمُ الْمُحَـــلَّى   وَاضِـــحٌ مِـنْـهُ الْـجَـبِـينُ

وَبِهَا الْأَغْيَـــدُ يَجْلُـــو   حُسْنَهُ الطَّرْفُ الْـفَـتِـينُ // (61)

قَرَّتِ السُّنَّـــــةُ فِيهَـــا   وَالْـــكِـتَـابُ الْـمُـسْـتَـبِـينُ

وَتَحَلَّـــــتْ بِمَزَايَـــا   مَـا لَهَـا الْـيَـوْمَ قَـرِيـنُ

إِنْ يَرِدْهَا حِلْـــفُ حُـــزْنٍ   يَـفْـقِـدِ الْـحُـزْنَ الْـحَـزِينُ

---

1) لم ترد هذه القصيدة في ديوان شعره.

مَا لَهَا شِبْــــــــهٌ وَلَوْ قِيـــــــــسَ بِهَـــا هِــنْــدٌ وَصِــينُ
حَفَّهَـــــا الْحُسْنُ وَفِيهَـــا قَـــاصِرَاتُ الـطَّـرْفِ عِـينُ[1]
كُلُّ مَنْ عَــــابَ عُلاَهَـــا فَـهْـوَ إِبْـلِـيـسُ الَّـلعِـينُ
مَـــــنْ تَأَلَّى فِي حُلاَهَـــا بِـيَـمِـينٍ لاَ يَـمِـينُ[2]
هَاكَهَا حَــــوْرَاءَ شِعْــــرٍ لِـسِـوَاكُـمْ لاَ تَـلِـينُ
صَاغَهَا نَـــدْبٌ لَبِيـــبٌ مَــا بِهَــا عَـيْـبٌ يَـشِـينُ
فَاقْبَلِ الْـمَيْسُـــورَ مِنْهَـــا أَيُّهَــا الـصَّـدْرُ الْـمَـكِـينُ
وَارْضَ بِالْإِقْبَـــالِ عَنْهَـــا فَــالـرِّضَى مِـنْـكُـمْ يَـزِيـنُ
إِنَّ ذَا الْـفَــــــنَّ عَلِيـــلٌ قَــدْ عَــلَا مِــنْــهُ الْأَنِـيـنُ
قَدْ بُلِينَـــا بِشِـــرَارٍ لَهُــمُ فِي الــشَّـرِّ حِـينُ
قَدْ قَسَتْ مِنْهُـــمْ قُلُـــوبٌ حَــلَّـهَــا الــدَّاءُ الــدَّفِــينُ
حَرَّفُوا الشِّعْــــرَ فَكُـــلٌّ بِــهَــوَى الْــجَـهْـلِ يَـدِيـنُ
وَالذَّكِيُّ الْـفَـــرْدُ حَتْمًـــا بِــذَكَــاكُــمْ يَـسْـتَـعِـينُ
وَرَدَتْ تُثْنِـــي عَلَيْكُـــمْ أَيُّهَـــا الــصَّــدْرُ الْأَمِــينُ.

وَمِنْهُمْ صِنْوُهُ الْـهُمَامُ، الْـهَامِرُ جُودُهُ كَالْـغَمَامِ، وَالآخِذُ فِي أُمُورِهِ بِالْـحَزْمِ وَالِاهْتِمَامِ، وَالْـمُطَوَّقُ بِالتَّبْجِيلِ وَالِاحْتِرَامِ، الَّذِي نَطَقَتْ بِآيَاتِ أَمَانَتِهِ أَلْسِنَةُ

1) الشطر الثاني من البيت مقتبس من قوله تعالى في سورة الصافات الآية 48: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾.
2) آلى يُؤْلي إيلاء، وتألى يتألى تأليا: حلف. ومان يمين: كذب. اللسان: ألا، مين.

الْأَقْلَامِ، وَوَقَفَتْ دُونَ غَايَتِهِ سَوَابِقُ الْأَعْلَامِ، الْأَمِينُ الْأَجَلُّ السَّيِّدُ **عَبْدُ السَّلَامِ**[1]:

كَانَ قَيْدَ حَيَاةِ صِنْوِهِ الْأَمِينِ الْكَبِيرِ يُبَاشِرُ أُمُورَهُ، وَيَقْطِفُ مِنْ رَوْضِ الْأَمَانَةِ زُهُورَهُ، وَيُفْنِي فِي ذَلِكَ أَعْوَامَهُ وَشُهُورَهُ، وَيُنْطِقُ بِتَغْرِيدِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ طُيُورَهُ، وَيَرِدُ سُرُورَهُ، وَيَنْظِمُ فِي سِلْكِ الْمَوَدَّةِ حُبُورَهُ، وَيَخُوضُ فِي طَلَبِ رِضَاهُ بُحُورَهُ، وَيَعْتَمُّ بُرُورَهُ، وَيُدِيمُ فِي تَحْصِيلِ مَرْضَاتِهِ رَوَاحَهُ وَبُكُورَهُ، إِلَى أَنْ ذَهَبَ لِدَارِ الْبَقَاءِ، وَأَمَّلَ مِنْ رَبِّهِ جَمِيلَ اللِّقَاءِ. فَأَبْقَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صِنْوَهُ صَاحِبَ التَّرْجَمَةِ فِي مَرْتَبَةِ أَخِيهِ، النَّبِيهِ الْوَجِيهِ. فَسَلَكَ مَسْلَكَهُ الْحَمِيدَ، وَنَهَجَ نَهْجَهُ الْقَدِيمَ وَالْجَدِيدَ، وَرَاقَبَ اللهَ فِيمَا خَوَّلَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ[2]، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَارَضَةِ الْغَبِيِّ وَالْبَلِيدِ، وَمَنْ هِمَّتُهُ فِي جَمْعِ الطَّرِيفِ وَالتَّلِيدِ. وَجَانَبَ مَنْ لَمْ تُرْضَ سِيرَتُهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَاعْتَصَمَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ بِاللهِ الْمُبْدِئِ الْمُعِيدِ، مُنْجِزِ الْوَعْدِ وَمُخْلِفِ الْوَعِيدِ. وَلَازَمَ بَابَ الْحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ بِاللهِ وَتَلَا: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[3]. وَنَظَرَ فِيمَا يُحَاوِلُهُ بِرَأْيِهِ الْمُوَفَّقِ الرَّشِيدِ، وَزَادَ فِي رِفْعَةِ مَجْدِهِ الْمَشِيدِ. وَرَكِبَ سَفَائِنَ بَحْرِ جُودِهِ الْمَدِيدِ، بَعْدَ أَنْ تَأَمَّلَ بِنَظَرِهِ السَّدِيدِ. وَجَابَ قِفَارَ الصِّدْقِ وَقَطَعَهَا بِالْفَرْسَخِ وَالْبَرِيدِ، فَمَا آبَ حَتَّى قِيلَ لَهُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ وَتَسَنَّمَ ذِرْوَةَ الْعِزِّ عَلَى رُغْمِ الْحَسُودِ وَالْعَنِيدِ، اَلْقَائِمِ مِنْهُمْ وَالْقَعِيدِ، فَتَأَلَّمَ الشَّقِيُّ وَسُرَّ السَّعِيدُ. وَلَهُ كُتَّابٌ فِصَاحٌ أَحْيَوْا رَسْمَ عَبْدِ الْحَمِيدِ، وَالصَّاحِبِ وَابْنِ الْعَمِيدِ.

وَهُوَ الْآنَ فِي مَكَانَتِهِ الْمَكِينَةِ، يَسُوسُهَا بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَيَتَحَصَّنُ بِحُصُونِهَا الْحَصِينَةِ، وَيَجْرِي فِي مَجَارِيهَا جَرْيَ السَّفِينَةِ، حَرَسَهُ اللهُ.

---

1) عبد السلام بن الحاج محمد التازي الرباطي، المدعو مُوخَى، الأمين الشهير، وأحد أعيان الدولة الحسنية والعزيزية، ولاه المولى الحسن الأول الأمانة الكبرى بعد وفاة أخيه الكبير الحاج محمد عام 1307 هـ، توفي رحمه الله 1325هـ. تنظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس: 2/ 514، موسوعة أعلام المغرب: 2848، معلمة المغرب: 6/ 2048.

2) وظف الكاتب الآية 16 من سورة ق لإقامة فواصل سجعه.

3) سورة الكهف: الآية: 18، وفي أسلوبه هنا ما لا يخفى من المبالغة.

قَالَ يَمْدَحُهُ: [الوافر]

سَلَامُ اللهِ يَا عَبْدَ السَّلَامِ ... عَلَيْكُمْ يَزْدَرِي صَبَّ الْغَمَامِ
وَلَا زِلْتُمْ تُشِيدُونَ الْمَزَايَا ... وَمَجْدُكُمُ عَلَى الْأَعْلَامِ سَامِي // (62)
وَلَا بَرِحَتْ مَفَاخِرُكُمْ تُبَارِي ... فَخَارَ النَّجْمِ فِي كُلِّ الْأَنَامِ
وَضَحْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي ... وُضُوحَ الْبَدْرِ فِي لَيْلِ التَّمَامِ
أَدَامَ اللهُ عِزَّكُمُ الْمُحَيِّي ... هِلَالَ الْأُفْقِ يَا عِزَّ الْكِرَامِ
وَحَيَّا سَعْدُكُمْ سَعْدَ الثُّرَيَّا ... وَأَحْيَا أَمْرُكُمْ مُحْيِي الْعِظَامِ
وَأَسْمَاكُمْ وَأَوْلَاكُمْ جَمِيلًا ... وَبَحْرُ سَخَائِكُمْ فِي النَّاسِ طَامِي
وَأَوْرَى زَنْدَكُمْ فِي كُلِّ بِرٍّ ... وَأَغْرَاكُمْ بِطَاعَاتِ الْإِمَامِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي عَلِيٍّ ... مَلِيكِ الْعَصْرِ هَزَّازِ الْحُسَامِ
حَمَاهُ اللهُ يَحْمِينَا جَمِيعًا ... وَأَبَّدَ نَصْرَهُ وَاللُّطْفُ هَامِي
تَقَبَّلْ يَا أَمِينَ الْمُلْكِ نَظْمًا ... يَرُوقُ لِحُسْنِهِ كُلُّ النِّظَامِ
أَتَاكُمْ عَاجِلًا يُثْنِي عَلَيْكُمْ ... وَلَكِنْ فِيهِ رَيْحَانُ السَّلَامِ
جَلَا فِي وَافِرِ الْبَحْرِ الْمُصَفَّى ... وَفِي غَيَبَاتِهِ دُرُّ الْكَلَامِ
قِهِ النَّظَرَ الْمُخِلَّ بِهِ وَشِدْهُ ... وَقَاكَ اللهُ صَوْلَاتِ الْحِمَامِ
وَرَجِّعْ صَوْتَهُ فِي كُلِّ نَادٍ ... يَفُوقُ صَدَاهُ تَرْجِيعَ الْحَمَامِ
وَقَدْ وَرَدَتْ عَقَائِلُهُ عَلَيْكُمْ ... وَقَدْ جَاءَتْ بِشَوْقٍ مَعْ غَرَامِ
وَقَدْ جَمَعَتْ مَسَائِلَ مِنْ حُلَاكُمْ ... وَلَمْ تَحْرِصْ عَلَى جَمْعِ الْحُطَامِ

وَسَارَتْ فِي زُهُــــورٍ زَاهِـــرَاتٍ مِـنَ الْأَلْـفَـاظِ يَـا زَهْـرَ الْأَكَـامِ
وَوُدُّكَ سَابِغٌ فِي الْـقَلْـبِ صَـــافٍ وَلَــوْ مَـرَّتْ عَـلَـيْـهِ أَلْــفُ عَـامِ
وَحُبُّكَ شَافِعٌ لِلصَّـــبِّ شَــــافٍ يَـرُومُ بِرَبْعِكُمْ شُرْبَ الْـمُدَامِ
عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ مَا حَــــنَّ صَــــبٌّ إِلَيْكُمْ حَامِلٌ مِسْكَ الْـخِتَامِ.

* **وَمِنْهُمُ** الْـمُشَاهَدُ كَالشَّهْدِ فِي يَدِ الشَّائِرِ[1]، الْـقَائِمُ بِحُقُوقِ الصَّاحِبِ وَالضَّيْفِ وَالزَّائِرِ، الْـمَيْمُونُ النَّقِيبَةِ وَالطَّائِرِ، يَدُورُ مَعَ الدَّهْرِ كَالْـفَلَكِ الدَّائِرِ، وَيَسِيرُ فِي سَمَاءِ الْـمَعَالِي كَالْـبَدْرِ السَّائِرِ، وَالنَّجْمِ الْـغَائِرِ، وَيَرْمِي فَيُصِيبُ الْـغَرَضَ كَالسَّهْمِ الْـعَائِرِ، وَيَلُوحُ لِلْعُيُونِ الطَّامِحَةِ كَالْـكَوْكَبِ النَّائِرِ، جَاوَرَ جِيرَةَ الْـحَيِّ فَأَمِنَ مِنْ جُورِ كُلِّ جَائِرٍ، وَثَوْرَةِ كُلِّ ثَائِرٍ، وَأَغْرَبَ فِي أَحْوَالِهِ حَتَّى أَصْبَحَ فِي أَمْثَالِهِ مُنْدَرِجًا فِي **الْـمَثَلِ السَّائِرِ**. وَحَارَ فِي جَمْعِ فَضَائِلِهِ النَّاظِمُ وَالنَّاثِرُ، لِسَانُهُ أَمْضَى مِنَ الْـعَضْبِ[2] الْـبَاتِرِ، كَأَنَّمَا نَشَأَ بَيْنَ الْـعُذَيْبِ[3] وَحَاجِرٍ[4]، وَكَرَمُهُ حَدَّثَ بِهِ الْـوَارِدُ وَالصَّادِرُ، وَالْـبَادِي وَالْـحَاضِرُ، وَالْـمُقِيمُ وَالْـمُسَافِرُ. وَقَاهُ اللهُ عَثْرَةَ الزَّمَانِ الْـعَاثِرِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ غُرُوبَ الْـمَحَاسِنِ مُشَيِّدًا لِلْمَزَايَا وَالْـمَفَاخِرِ، مُخَلِّدًا لِلْمَكَارِمِ وَالْـمَآثِرِ، حَازَ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالتَّبْجِيلِ وَالتَّكْرِيمِ الْـحَظَّ الْـوَافِرِ، وَوَقَّعَ أُمُورَهُ وَقْعَ الْـحَافِرِ عَلَى الْـحَافِرِ[5]، فَعَيْنُ اللهِ كَالِئَةٌ لِذَلِكَ الْـوَجْهِ السَّافِرِ، مِنْ شَرِّ الْـغَاسِقِ الْـكَافِرِ، يَلْقَاكَ بِوَجْهِهِ الْـبَاهِرِ، كَالْـقَمَرِ الزَّاهِرِ. وَيُنْسِي حَدِيثُ أُنْسِهِ حَدِيثَ أُنْسِ السَّامِرِ، يُقِرُّ بِهَذَا الْـمَأْمُورُ وَالْآمِرُ، وَيُقْبِلُ عَلَى مُخَالِفِيهِ كَالسَّيْلِ الْـهَامِرِ، وَالْـفَحْلِ

1) شار العسل يشوره شورا فهو شائر، استخرجه من الوقبة واجتناه. اللسان: شور.
2) العضب: السيف القاطع. اللسان: عضب.
3) العُذيب تصغير العذب وهو ماء بين القادسية والمغيثة، وقيل هو واد لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة. معجم البلدان: 4/ 92.
4) حاجر في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو موضع قبل معدن النقرة. معجم البلدان: 2/ 204.
5) وقع الحافر على الحافر عبارة تستخدم للتعبير عن التوافق وهي تسري مسرى المثل. المعجم الوسيط: حفر.

الْـهَادِرِ، وَاللَّيْثِ الْـخَادِرِ، وَيَثِبُ عَلَيْهِ كَالْـغَزَالِ الطَّامِرِ[1]، وَيَعْدُو فِي مَآرِبِهِ كَالْـجَوَادِ الضَّامِرِ، تَبَخْتَرَ بِالدِّيوَانِ السَّعِيدِ سُدَّةِ الْـمَنْصُورِ وَالنَّاصِرِ، وَحَيَّرَ الْأَذْهَانَ بِفِعْلِهِ الْـمُتَعَدِّي فَغَادَرَهَا بَيْنَ ذَاهِلٍ وَحَائِرٍ، وَبَذَلَ فِي اشْتِغَالِهِ جُهْدَ الْـمُقِلِّ الْـقَاصِرِ. وَفَجَّرَ يَنَابِيعَ الْـحَقَائِقِ وَفَتَحَ كُنُوزَ الرَّقَائِقِ فَأَبْطَلَ مَا مَوَّهَ بِهِ الْـكَاهِنُ وَالْـعَرَّافُ وَالسَّاحِرُ، وَرُبَّمَا زَخَرَ لِسَانُهُ فَيُبَارِي دَوِيَّ الْـبَحْرِ الزَّاخِرِ، شَيَّدَ بِنَفْسِهِ الْـمَجْدَ وَالْـمَفَاخِرَ، وَلَمْ يَتَّكِلْ عَلَى الْـعَظْمِ النَّاخِرِ، وَلَمْ يَعْبَأْ بِسُخْرِيَةِ السَّاخِرِ، أُمُورُهُ تَجْرِي أَوَائِلُهَا كَالْأَوَاخِرِ، وَعَلَى قَدَرٍ يُقَدِّرُهُ اللهُ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ. تَشْتَاقُ لِسَرْدِ أَوْصَافِهِ الْأَذْهَانُ وَالْـخَوَاطِرُ، وَتَوَدُّ إِحْسَانَهُ الْـغُيُومُ الْـمَوَاطِرُ، وَتَرْتَاحُ لِسَمَاعِ حَدِيثِهِ النَّسَمَاتُ الْـعَوَاطِرُ، وَتَشْرَئِبُّ لِطَلْعَةِ وَجْهِهِ الْـبَهِيِّ الْـعُيُونُ النَّوَاظِرُ، وَالْـوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، لَا يَلْقَاكَ // بِوَجْهٍ بَاسِرٍ[2]، وَلَا (63)
يُكَسِّرُ كَالْـعُقَابِ الْـكَاسِرِ، وَلَا يَتَفَاءَلُ بِضَرْبِ الْأَقْدَاحِ وَالْأَزْلَامِ وَالْـمَيَاسِرِ، وَيُعْجِبُهُ مِنَ الشِّعْرِ مَا سَلِمَ مِنَ الْـغُلُوِّ وَلَوْ كَانَ عَنْ سَلْمٍ الْـخَاسِرِ[3]، وَمِنَ الْـحَدِيثِ مَا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ الْـحَاشِرِ، فِي أَنْدِيَةِ الْـمَجَامِعِ وَالْـمَعَاشِرِ، سَامِعًا لِلْعِظَاتِ وَالزَّوَاجِرِ، مُعْرِضًا عَنْ عِيَافَةِ الْـعَائِفِ وَزَجْرِ الزَّاجِرِ، وَأَغْنَتْهُ الْـخِدْمَةُ الشَّرِيفَةُ بِمَا بِيَدِهِ مِنَ الظَّهَائِرِ، عَنِ الاسْتِظْهَارِ بِالْـقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالْـعَشَائِرِ، وَالْأَفْخَاذِ وَالْـعَمَائِرِ.

وَبِالْـجُمْلَةِ، فَحَدِيثُهُ أَشْهَى مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الْـعَشَائِرِ، تُهْدَى فِي تَحْصِيلِهِ الْـبَشَائِرُ، وَتَقِلُّ لِمُفَاكَهَتِهِ النَّظَائِرُ، هَذَا وَالْـحَسُودُ يَتَرَبَّصُ بِهِ الدَّوَائِرَ، وَيُبْرِزُ عَنْهُ مُسْتَتِرَاتِ الضَّمَائِرِ، وَمُخَبَّآتِ السَّرَائِرِ، وَيَسْعَى بِهِ لِذَوِي الْأَبْصَارِ وَالْـبَصَائِرِ، وَيُوقِدُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ النَّوَائِرَ، وَيُذْكِي نِيرَانَ الْأَحْقَادِ وَالْـجَرَائِرِ[4]، وَيَهْتِكُ بِلِسَانِهِ الْـحُجُبَ

1) الغزال الطامر : الغزال الواثب. اللسان : طمر
2) بَسَرَ يبسُرُ بَسْراً وبسُوراً : عبس . اللسان: بسر
3) هو سَلْمُ بن عمرو بن حمّاد، أحد شعراء العصر العباسي الأول، ولد في البصرة ونشأ فيها، وهو شاعر خليع ماجن، وتوفي سنة 186 هـ. ترجمته في: تاريخ بغداد: 10/ 198، معجم الأدباء: 3/ 1382، وفيات الأعيان: 2/ 250، سير أعلام النبلاء: 8/ 193.
4) الجريرةُ: الذنب والجناية يجنيها الرجل. اللسان: جرر.

وَالسَّتَائِرَ، أَعْنِي بِذَلِكَ الشَّهْمَ الزَّعِيمَ، الْمُشَيِّدَ لِلْفَخْرِ الصَّمِيمِ، وَالْمَجْدِ الْجَسِيمِ، الْبَارِزَ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ، لِأَهْلِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى وَالْأَعْرَابِ وَالْبَرَابِرِ، الْأَمِينَ التَّاجِرَ، **السَّيِّدَ الطَّاهِرَ، ابْنَ الْأَمِينِ الْمَرْحُومِ الرَّحِيمِ، السَّيِّدِ الْحَاجِّ عَبْدِ الْكَرِيمِ التَّازِيِّ**[1]، كَانَ وَالِدُهُ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ خِيَارِ أُمَنَاءِ سَيِّدِنَا الْمَنْصُورِ، الْفَاتِكِ بِأَعْدَائِهِ وَلَا فَتْكَ الْأَسَدِ الْهَصُورِ، وَالسَّيْفِ الْمَسْلُولِ الْمَشْهُورِ، فَخَلَفَهُ نَجْلُهُ هَذَا الْفَاضِلُ فِي رُتْبَتِهِ، وَجَلَسَ عَلَى مِنَصَّةِ مَكَانَتِهِ، فَقَامَ بِأَعْبَاءِ الْخُطَّةِ وَشَرَّفَهَا، وَسَوَّرَهَا بِإِمْعَانِ نَظَرِهِ فِي أُمُورِهَا وَشَنَّفَهَا، وَعَرَفَ لَهَا حَقَّهَا الْمَعْرُوفَ وَعَرَّفَهَا، وَحَبَّرَهَا بِانْتِخَابِ أَرْبَابِهَا الْمَنْعُوتِينَ بِالْأَمَانَةِ وَهَذَّبَهَا، وَنَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الِاهْتِمَامِ فَسَوَّاهَا وَعَدَّلَهَا، فَانْتَهَتْ أَحْوَالُهَا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهَا، وَعَيَّنَ مَنْ تَوَسَّمَ فِيهِ الْأَهْلِيَّةَ فَبَوَّبَهَا وَفَصَّلَهَا، وَزَيَّنَهَا بِتَدْقِيقِ الْحِسَابِ وَانْتِخَابِ الْحُسَّابِ وَجَمَّلَهَا، وَحَنَا عَلَيْهَا حُنُوَّ الْأُمِّ الشَّفِيقَةِ وَكَفَلَهَا، وَزَوَّدَهَا كُلَّ مَا تَفْتَقِرُ إِلَيْهِ وَخَوَّلَهَا.

وَلَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ النَّظَرَ فِي مُدَوَّنَاتِ الدَّفَاتِرِ، وَتَفْرِيقِ خَرَاجِ الْجُنُودِ وَالْعَسَاكِرِ، فَقَامَ بِأَعْبَاءِ هَذِهِ الْخُطَّةِ الَّتِي عَجَزَ عَنْ حَمْلِهَا الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَابِرُ، مِنَ الْأَجِلَّاءِ الْمَشَاهِرِ.

أَبْقَى اللهُ سَيِّدَنَا سِرَاجَ الدَّيَاجِرِ، يَسْرِي بِالْجُيُوشِ فِي الظَّلَامِ الْعَاكِرِ، مَحْفُوفًا بِالْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ وَالْخَنَاجِرِ، وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ الضَّوَامِرِ، وَيُشَيِّدُ الْمَبَانِيَ بِالْأَبْرَاجِ وَالْمَقَاصِرِ، وَيُعَفِّي مَا شَادَهُ شَدَّادُ[2] وَمُلُوكُ الْقَيَاصِرِ وَالْأَكَاسِرِ. فَضَائِلُهُ ضَاقَ عَنْ حَدِّهَا بُطُونُ الْأَوْرَاقِ وَالْأَقْلَامُ وَالْمَحَابِرُ، وَذَلَّلَ اللهُ لَهُ عَدُوَّهُ

---

1) الطاهر بن عبد الكريم التازي، من رجال المخزن المحنكين، تولى مدة منصب أمين الصائر في عهد الحسن الأول، ثم عين عاملا على طنجة، كان كأبيه وجده حسن السيرة، ومثالا للنزاهة والاستقامة، توفي سنة 1318 هـ. ترجمته في: إتحاف أعلام الناس: 2/ 515، موسوعة أعلام المغرب: 8/ 2823، معلمة المغرب: 6/ 2047

2) شداد بن عاد بن ملطاط اليماني الحميري من ملوك الدولة الحميرية بنى قصرا بجانب سد مأرب لم يكن في الدنيا مثله. ينظر خبره في: المحبر: 364، الأعلام: 3/ 158.

فَبَلَغَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَفَتَكَ بِهِمْ فَأَمْسَوْا كَأَمْسِ الدَّابِرِ. تَحَارُ فِي بَهْجَةِ مُلْكِهِ الْعُيُونُ السَّوَاحِرُ، وَتَخْضَعُ لِبَحْرِ جُودِهِ الْبُحُورُ الزَّوَاخِرُ. وَأَحْيَا مَوَاتَ الْمَكَارِمِ بِقُدْوَةِ مُحْيِي الْعِظَامِ النَّوَاخِرِ، وَوَرَدَ حِيَاضَ الْمَبَرَّةِ وَأَنْهَارَ الْمَسَرَّةِ فَحُمِدَتْ مَوَارِدُهُ حَتَّى الْمَصَادِرُ، فَإِذَا سُئِلَ أَعْطَى وَلَمْ يَرْضَ بِتَلْفِيقِ الْمَعَاذِرِ، وَنَوَّهَتِ الْخُطَبَاءُ بِاسْمِهِ وَحِلْيَتِهِ فِي الْمَنَابِرِ، وَلَا عِبْرَةَ بِمَنْ أَمْسَى مَعْدُودًا فِي أَصْحَابِ الْمَقَابِرِ، وَطَارَتْ بِأَحَادِيثِهِ الْحِسَانِ الرِّفَاقُ الْوَارِدَةُ وَالصَّوَادِرُ، وَطَابَتْ أَعْرَاقُهُ، وَحَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ، وَطِيبُ الْفَرْعِ مِنْ طِيبِ الْعَنَاصِرِ، فَهُوَ مِمَّا تُشَدُّ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ[1]، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ رِحَالُ الْأَفَاضِلِ وَالْأَخَايِرِ.

قَرَّطَ الْإِمَامَةَ فَتَرَكَهَا أَحْسَنَ مِنَ الْحُورِ الْمُسْتَشْزِرَاتِ الْغَدَائِرِ[2]، فَإِنْ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ فِي الِادِّخَارِ فَطَاعَتُهُ مِنْ أَجَلِّ الذَّخَائِرِ، وَرِثَ الْمَجْدَ لَا عَنْ كَلَالَةٍ[3] بَلْ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَأَحْوَالُهُ كَالرَّوْضِ الْعَاطِرِ، وَالْغَيْثِ الْقَاطِرِ، وَفَوَاضِلُهُ يَضِيقُ عَنْ إِحْصَائِهَا النَّاظِمُ وَالنَّاثِرُ، وَالرَّاجِزُ وَالشَّاعِرُ. وَعَقِيدَتُهُ يَرْضَاهَا الْمَاهِرُ مِنَ الْأَشَاعِرِ، وَمَقَامُهُ مِنْ أَجَلِّ الْمَشَاعِرِ، وَمَنَاسِكُهُ مِنْ أَفْضَلِ الشَّعَائِرِ.

اللَّهُمَّ احْرُسْ سَيِّدَنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَأَبْقِهِ رِدْءًا لِلْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ، عَلَى امْتِدَادِ الْأَيَّامِ، وَانْصُرْهُ عَلَى عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَاكْفِهِ شَرَّهُمْ بِمَا كَفَيْتَ بِهِ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامِ.

---

1) يقال فلان تثنى عليه الخناصر، أي تبدأ به إذا ذكر أشكاله. اللسان: جرر.

2) الحبل المشزور المفتول مما يلي اليسار، وغزل شزر على غير استواء، ومنه قول امرئ القيس:
غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ. اللسان: شزر.
والغدائر: الذوائب، وحدتها غديرة. اللسان: غدر.

3) الكلالة: بنو العم الأباعد، والعرب تقول: لم يرثه كلالة أي لم يرثه عن عُرُض بل عن قربٍ واستحقاق. اللسان: كلل.

رَجْعٌ: // وَلَا زَالَ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ عَلَى الْـوَتِيرَةِ الْـمُؤْذِنَةِ بِصَفَاءِ الطَّوِيَّةِ (64) وَالسَّرِيرَةِ، تَشْهَدُ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ الْـبَصِيرَةُ، وَتَرْضَاهُ الْـفَصِيلَةُ وَالْـعَشِيرَةُ، أَبْقَاهُ اللهُ فِي مَكَانَتِهِ النَّظِيرَةِ، وَرُتْبَتِهِ السَّامِيَةِ الشَّهِيرَةِ، يُسْمِي مَجَادَتَهَا، وَيَحُوطُ سِيَادَتَهَا، وَيَتَوَشَّحُ سَعَادَتَهَا، وَيَصْقُلُ نَضَارَتَهَا، وَيَغْتَنِمُ زِيَارَتَهَا، وَيُحَرِّرُ مَقَالَتَهَا، وَيُحْرِزُ نَجَابَتَهَا، وَيَشْفِي شَوْقَهَا وَصَبَابَتَهَا، وَيَلْتَحِفُ كَرَامَتَهَا، وَيَشْرَحُ كِتَابَتَهَا، وَيَأْبَى إِبَايَتَهَا، وَيَسْتَوْعِبُ فَهْمًا بِدَايَتَهَا وَنِهَايَتَهَا، وَيَحْمِي حِمَايَتَهَا، وَيَرْعَى رِعَايَتَهَا، وَيَرْمِي رِمَايَتَهَا، وَيَقْرَأُ رِوَايَتَهَا، وَيَسْعَى سِعَايَتَهَا، وَيَكْفِي كِفَايَتَهَا، وَيُجْرِي جِرَايَتَهَا، وَيَحْكِي حِكَايَتَهَا، وَيَعْتَمِدُ عِنَايَتَهَا، وَيَهْدِي هِدَايَتَهَا، وَيَسْمَعُ شِكَايَتَهَا، وَيَقْضِي أَحْزَابَهَا وَأَوْرَادَهَا، وَيَنْتَخِبُ رُوَادَهَا، وَيَبْعَثُ وُرَّادَهَا، وَيَرُدُّ شُرَّادَهَا، وَيَحْفَظُ طَرِيفَهَا وَتِلَادَهَا، وَيَجُوبُ بِلَادَهَا، وَيَسْمِكُ عِمَادَهَا، وَيَقْضِي مُرَادَهَا، وَيُكْثِرُ أَزْوَاجَهَا وَأَفْرَادَهَا، وَيُحِبُّ أَطْرَافَهَا، وَيُجِلُّ أَشْرَافَهَا، وَيُؤْوِي ظِرَافَهَا، وَيُحْسِنُ نُعُوتَهَا وَأَوْصَافَهَا، وَيُخَلِّدُ أَوْقَافَهَا، وَيَبُرُّ خَلَفَهَا، وَيَخُصُّ بِالرَّحْمَةِ سَلَفَهَا.

وَهُوَ الْآنَ مُسْتَبِدٌّ بِتَفْرِيقِ الرَّوَاتِبِ، لِذَوِي الْـمَرَاتِبِ، وَتَنْفِيذِ الْـمَكَاتِبِ، لِذَوِي الْـكَتَائِبِ، وَتَعِيينِ الْـمَطَالِبِ لِأَصْحَابِ الْأَلْوِيَّةِ وَالْـمَنَاقِبِ، وَالْـمَوَاكِبِ وَالْـمَقَانِبِ، وَالْـمُوَكَّلِينَ بِحَمْلِ الْـمَدَافِعِ، الْـكَمِيِّ مِنْهُمْ وَالْـمُدَافِعِ، وَمَنْ تَأَهَّلَ مِنْهُمْ لِجَلْبِ الْـمَنَافِعِ، وَمَنْ ظَهَرَتْ شَجَاعَتُهُ فِي الْـوَقَائِعِ، وَارْتَفَعَتْ هِمَّتُهُ فِي الْـمَجَامِعِ، وَوَقَرَتْ أَخْبَارُهُ فِي الْآذَانِ وَالْـمَسَامِعِ، وَنُودِيَ بِهَا فِي الْـمَآذِنِ وَالصَّوَامِعِ، وَشُيِّدَتْ وَلَا تَشْيِيدَ الْـمَقَاصِرِ وَالْـمَصَانِعِ، وَأَبْرَقَتْ فَسَخِرَتْ بِالْـبُرُوقِ اللَّوَامِعِ، وَطَلَعَتْ بِهَذِهِ الْآفَاقِ كَالنُّجُومِ الطَّوَالِعِ، وَسَطَعَتْ كَالْبُدُورِ السَّوَاطِعِ، وَمَضَتْ كَالسُّيُوفِ الْـقَوَاطِعِ، وَانْهَلَّتْ كَالْـغُيُوثِ الْـهَوَامِعِ. حَفِظَهُ اللهُ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ: [الكامل]

أَدِّ السَّلَامَ إِلَى الأَمِيـــنِ الطَّاهِـرِ ... الْـمَاجِدِ الأَرْضَى النَّزِيهِ الطَّاهِرِ[1]

زُرْهُ عَلَى الإِغْبَابِ وَاعْرِفْ حَقَّـــهُ ... إِذْ مِثْلُهُ يَـدْرِي حُقُوقَ الزَّائِرِ[2]

بَارَى بِهِمَّتِهِ السَّمِيَّـــةِ لِلسَّمَـا ... شُمَّ الـرَّوَاسِي مَا لَـهُ مِـنْ نَاكِرِ[3]

وَتَوَارَدَتْ أَخْبَـارُهُ وَتَأَلَّقَـــتْ ... أَسْرَارُهُ مِثْلَ الْبَرِيقِ الْـمَاطِرِ

وَتَرَفَّعَتْ أَقْـدَارُهُ وَتَزَحْزَحَـــتْ ... أَكْـدَارُهُ لَمْ يَـدْرِ جَـوْرَ الْجَائِرِ

وَتَرَنَّمَتْ أَطْيَـارُهُ وَتَبَاعَـــدَتْ ... أَغْـيَارُهُ مَا إِنْ لَـهُ مِـنْ دَاعِـرِ[4]

وَتَجَمَّعَتْ أَوْطَـارُهُ وَتَبَـدَّدَتْ ... أَخْـطَارُهُ لَمْ تَرْتَسِمْ فِي الْخَاطِرِ

وَتَشَفَّعَتْ أَوْتَـارُهُ وَتَكَاثَفَـــتْ ... أَسْـتَارُهُ بِـاللهِ جَـلَّ السَّـاتِـرِ

وَتَفَجَّرَتْ أَنْهَـارُهُ وَتَفَتَّحَـــتْ ... أَزْهَـارُهُ فَاعْجِبْ بِـرَوْضٍ زَاهِـرِ

وَتَتَبَّعَتْ آثَـــــارَهُ أَنْظَـارُهُ ... وَتَـطَايَـرَتْ أَخْـبَـارُهُ كَالطَّائِرِ[5]

وَتَحَدَّثَتْ بِحَدِيثِـــــهِ سُمَّـارُهُ ... وَطَـوَوْا حَدِيثًا فِيهِ أُنْسُ السَّامِرِ[6]

وَتَشَعْشَعَتْ أَنْـــوَارُهُ وَتَكَامَلَــتْ ... أَقْـــمَارُهُ تُجْـلَى لِـطَـرْفٍ نَـاظِـرِ

وَتَنَاثَـــرَتْ أَوْزَارُهُ وَتَشَتَّتَـــتْ ... أَدْوَاؤُهُ فَغَدَتْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ[7]

---

1) القصيدة في ديوان شعره: 118.

2) في ديوان شعره: يقضي.

3) في ديوان شعره: أحرى الرواسي.

4) في ديوان شعره: ذاعر. ورجل داعر: خبيث مفسد. اللسان: دعر.

5) في ديوان شعره: أقواله.

6) في ديوان شعره: فطوى.

7) في ديوان شعره: أضراره.

وَتَنَاسَقَتْ أَقْوَالُهُ وَتَطَابَقَتْ   أَفْعَالُهُ فِي أَوَّلٍ أَوْ آخِرِ
وَتَصَاعَدَتْ أَعْمَالُهُ وَتَتَابَعَتْ   آمَالُهُ سَفَرَتْ بِوَجْهٍ سَافِرِ
وَتَكَاثَرَتْ أَشْغَالُهُ وَتَنَظَّمَتْ   أَحْوَالُهُ رَاقَتْ بِحُسْنٍ بَاهِرِ[1]
وَتَوَاصَلَتْ أَسْبَابُهُ وَتَمَتَّعَتْ   أَحْبَابُهُ بِعَطَائِهِ الْمُتَوَاتِرِ
وَتَعَدَّدَتْ أَنْدَاؤُهُ، وَتَمَزَّقَتْ   أَعْدَاؤُهُ مِنْ ذَاهِلٍ أَوْ حَائِرِ[2]
وَتَأَلَّفَتْ أَهْوَاؤُهُ وَتَسَايَلَتْ   أَنْوَاؤُهُ تَهْمِي بِجُودٍ هَامِرِ[3]
وَتَقَاصَرَتْ أَكْفَاؤُهُ عَنْ قَدْرِهِ   بِاللهِ مَوْلَانَا الْقَدِيرِ الْقَادِرِ // (65)
وَتَقَرَّرَتْ أَنْبَاؤُهُ وَتَبَيَّنَتْ   وِلْدَانُهُ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُتَنَاثِرِ[4]
وَتَمَهَّدَتْ أَرْجَاؤُهُ وَتَرَحَّلَتْ   أَدْوَاؤُهُ قُدَّتْ بِعَضْبٍ بَاتِرِ
وَتَنَاوَحَتْ أَرْوَاحُهُ وَتَمَايَسَتْ   أَدْوَاحُهُ مِنْ كُلِّ غُصْنٍ نَاضِرِ
وَتَعَطَّرَتْ نَسَمَاتُهُ وَتَقَلَّبَتْ   عَزَمَاتُهُ، فِي كُلِّ أَمْرٍ ظَاهِرِ[5]
وَتَفَاخَرَتْ كُتَّابُهُ وَتَمَهَّرَتْ   حُسَّابُهُ، فِي كُلِّ عَدٍّ وَافِرِ
وَتَأَدَّبَتْ خُدَّامُهُ وَتَبَخْتَرَتْ   أَقْلَامُهُ فِي رَقْهِ الْمُتَكَاثِرِ
وَتَطَاوَلَتْ أَرْكَانُهُ وَتَزَيَّنَتْ   أَزْمَانُهُ فِي جِيلِهِ الْمُتَجَاوِرِ
وَتَعَاوَنَتْ أَعْوَانُهُ وَتَزَوَّرَتْ   آوَانُهُ فِي كُلِّ آنٍ دَائِرِ[6]

---

1) في ديوان شعره: أسلاكه.
2) في ديوان شعره: من هائم.
3) في ديوان شعره: بِغَيْثٍ قَاطِرِ.
4) في ديوان شعره: وتبددت غلمانه.
5) في ديوان شعره: في كل عزم.
6) في ديوان شعره: وتزخرفت.

وَتَأَكَّدَتْ أَيْمَانُـــــهُ وَتَصَرَّفَــتْ أَيْـمَانُـهُ فِي مَـالِـهِ الْـمُـتَـوَافِرِ

وَافَتْكَ يَا صَدْرَ الصُّـدُورِ عَقِيلَــةٌ مِنْ شِعْرِ صَبٍّ بِالصَّبَابَةِ شَاعِرِ[1]

تُثْنِي عَلَى أَفْعَالِكَ الْغُــرِّ الَّتِـي رَاقَتْ وَفِعْلُكَ طَالَ لَيْسَ بِقَاصِرِ

فَاجْمَعْ لَهَا الْـحُذَّاقَ مِـنْ أَحْبَارِكُـمْ لَا تُـدْنِهَـا مِـنْ مُـدَّعٍ مُتَشَاعِرِ

زَارَتْ حِمَاكُمْ وَالزِّيَارَةُ شَأْنُهَا التَّــ ــخْفِيفُ بَلْ مِثْلُ الْـخَيَالِ الزَّائِرِ

فَاقْبَلْ حِبَاهَا وَاحْتَفِلْ بِوُرُودِهَــا يَـا مَـنْ حِـبَـاهُ لِـوَارِدٍ أَوْ صَـادِرِ

سَحَّتْ عَلَيْكَ الْـمَكْرُمَـاتُ هَمِيَّــةً وَظَفِرْتَ بِالْآمَالِ يَا ابْنَ الظَّافِرِ[2]

فَاللهُ يُعْلِي قَدْرَكُـــمْ وَيُعِزُّكُــمْ وَيُجِيرُكُمْ مِنْ ذَا الزَّمَانِ الْـجَائِرِ

بِوُجُودِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْـمُــؤْمِنِيــ ــنَ الْـغَائِظِ الْأَعْـدَا بِمُلْكٍ قَاهِرِ[3]

وَالْـقَائِدِ الْأَجْنَـادِ فِي الْـخَيْـلِ الَّتِي أَوْرَتْ زِنَـادًا فِي الظَّلَامِ الْـعَاكِرِ

وَالْـمُدْمِنِ الْـغَزْوِ الْـمُشَتِّتِ لِلْعِــدَى وَلَـرُبَّـمَا أَمْـسَـى كَلَيْثٍ خَـادِرِ

وَأَغَارَ فِي أَغْوَارِهِــــمْ فَتَغَيَّــرُوا أَجْـلَاهُـمُ وَجَـلَا كَنَجْمٍ غَائِرِ

وَسَرَى فَأَمْعَنَ فِي السُّرَى مُتَمَــادِيًا وَوَفَـاهُـمُ صُبْحًا كَـبَـدْرٍ سَائِرِ[4]

يَا سَارِيًا يَطْوِي السَّبَاسِــبَ وَالْـفَـلَا أَدِّ السَّلَامَ إِلَى الْأَمِـينِ الطَّاهِرِ.[5]

---

1) الشطر الثاني من البيت مكسور في د.

2) في ديوان شعره: هنية.

3) في ديوان شعره: سيدنا أمير.

4) في ديوان شعره: أسرى.

5) في ديوان شعره: يا سائرا.

* وَمِنْهُمُ الطَّيِّبُ الْأَخْلَاقِ، الْحَائِزُ لِلْفَضَائِلِ بِالِاسْتِحْقَاقِ، وَالتَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ، الْمُزْرِي خُلُقُهُ بِالْعَرَارِ النَّجْدِيِّ، وَالزَّهْرِ الرَّنْدِيِّ، وَالْعُودِ الْهِنْدِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِمِثْلِهِ الْمَلِكُ السَّعْدِيُّ، مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ وَلَا طِيبَ الْمِسْكِ الضَّائِعِ وَالْعَنْبَرِ الشَّحْرِيِّ[1]، وَالنَّفْحِ الْوَرْدِيِّ.

صَالَ فِي الدِّيوَانِ، الْمَشْهُورِ بِالْإِيوَانِ، فَفَاقَ صَوْلَةَ الْأَسَدِ الْوَرْدِيِّ، وَحَافَظَ عَلَى الْمَكْتُوبَةِ وَعَرَفَ مِنْهَا السُّجُودَ الْقَبْلِيَّ وَالْبَعْدِيَّ، وَاطَّلَعَ عَلَى أَخْبَارِ الْمَلَاحِمِ وَرَوَى فِيهَا حَدِيثَ الْمَهْدِيِّ، وَعَرَفَ رِجَالَ الْحَدِيثِ وَأَمْلَى فِي شَأْنِهِ حَاشِيَةَ السِّنْدِيِّ[2]، وَأَسْنَدَ حَدِيثَ قَتَادَةَ وَالسُّدِّيِّ[3]، وَتَلَقَّى جَمِيعَ ذَلِكَ بِالْأَيْدِي، يُفِيدُ وَيُجْدِي، وَيُعِيدُ وَيُبْدِي، وَيُلْحِمُ وَيُسْدِي، وَيُرْشِدُ وَيَهْدِي، الْأَمِينُ الْأَغَرُّ، وَالْمَاجِدُ الْأَبَرُّ، **السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْعَرَبِيُّ بْنُ الْأَمِينِ الْمَرْحُومِ الْحَاجِ مُحَمَّدٍ الزَّبْدِيُّ**[4].

كَانَ وَالِدُهُ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ رُؤَسَاءِ أُمَنَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُخْتَصِّينَ بِالْمَكَانَةِ وَالصَّوْلَةِ، وَلَمَّا صَارَ لِعَفْوِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، وَسَعَةِ مَغْفِرَتِهِ، خَلَفَهُ نَجْلُهُ الْمَذْكُورُ،

---

1) الشحري نسبة إلى شحر عمان. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: 535، واللسان: شحر.

2) السندي محمد بن عبد الهادي، أبو الحسن، نور الدين (المتوفى: 1138هـ) له **حاشية على سنن ابن ماجه، تعرف بكفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**، وحاشية أخرى على مسند الإمام أحمد بن حنبل. وكلاهما مطبوع.

3) قتادة بن دِعامة بن قتادة السدوسي البصري، مفسر حافظ عالم بالعربية وأيام العرب وأنسابها، ضرير أكمه، كان يدلس في الحديث، توفي سنة 118هـ. ترجمته في: طبقات ابن سعد: 7/ 229، وفيات الأعيان: 4/ 85، سير أعلام النبلاء: 5/ 269، غاية النهاية في طبقات القراء: 2/ 45، طبقات المفسرين: 2/ 43.
إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل، وسكن الكوفة، كان عالما بالتفسير والمغازي والسير، توفي سنة 128هـ. ترجمته في: طبقات ابن سعد: 6/ 323، سير أعلام النبلاء: 5/ 264، تهذيب التهذيب: 1/ 313، النجوم الزاهرة: 1/ 308، طبقات المفسرين: 1/ 109. لعله يقصد حديث قتادة والسدي الموقوف: «لَا تَظْلِمُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ». أي أن هذا المترجم لتضلعه من علم الحديث يستطيع إسناد ما انقطع منه.

4) الأمين محمد العربي بن الأمين المرحوم الحاج محمد الزبدي كان والده من رؤساء أمناء الدولة، ولما صار لعفو الله ورحمته خلفه نجله في وظيفته، فقد كان يراجع الحسابات الواردة من المراسي والأملاك المخزنية وأمناء الرباع والنظار وغيرهم. توفي سنة 1346هـ، ترجمته في: إتحاف أعلام الناس: 2/ 514، موسوعة أعلام المغرب: 8/ 2974، معلمة المغرب: 14/ 4612.

فَسَعَى سَعْيَهُ الْمَشْكُورَ، وَنَهَجَ مِنَ الْخُطَّةِ سَبِيلَهَا، وَقَرَّبَ نَبِيلَهَا، وَأَقْصَى جَبِيلَهَا[1]، وَعَرَفَ دَبِيرَهَا وَقَبِيلَهَا، وَآوَى عَدِيلَهَا، وَأَحَبَّ دَلِيلَهَا، وَأَنْطَقَ بِالتَّغْرِيدِ هَدِيلَهَا، وَأَكْرَمَ نَزِيلَهَا، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ جَزِيلَهَا، وَتَنَسَّمَ بَلِيلَهَا، وَشَفَى عَلِيلَهَا، وَبَرَّدَ بِالاعْتِنَاءِ غَلِيلَهَا.

تَنَشَّقَ رَوْضَ الْأَدَبِ الْفَيَّاحِ، فَأَلْفَاهُ أَرْوَحَ مِنْ نَسِيمِ الْأَرْوَاحِ فِي الصَّبَاحِ، وَأَعْذَبَ مِنَ الْقَرَاحِ، وَأَغْنَاهُ بِالْإِصْبَاحِ عَنِ الْمِصْبَاحِ، وَمَارَسَ أَرْبَابَهُ بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ، وَسَابَقَهُمْ فَسَبَقَهُمْ وَغَبَّرَ فِي وُجُوهِهِمْ وَغَادَرَهُمْ يَقْفُونَ أَثَرَهُ بِالْعَوِيلِ وَالصِّيَاحِ، وَعَمَرَ سُوقَهُ فَآبَ بِالْفَضْلِ وَالرَّبَاحِ، وَوَرَدَ بِحَارَهُ فَصَدَرَ بِالظَّفَرِ // (66)
وَالنَّجَاحِ، وَجَابَ قِفَارَهُ فَعَثَرَ عَلَى آثَارِهِ وَأَحَادِيثِهِ الصِّحَاحِ، وَسَلَكَ سَبِيلَ الْجِدِّ وَجَانَبَ جَانِبَ الْمُزَاحِ. وَشَيَّدَ مَفَاخِرَهُ فَلَاحَتْ كَالرَّوَاسِي فِي السُّهُولِ وَالْبِطَاحِ، وَسَطَعَ نُورُ الْهِدَايَةِ مِنْ جَبِينِهِ الْوَضَّاحِ، وَسَمَحَتْ كَفُّهُ بِالْجُودِ وَالسَّمَاحِ. وَنَظَرَ الْأُمُورَ بِعَيْنِ الِاهْتِمَامِ وَطَمَحَ إِلَيْهَا بِبَصَرِهِ الطَّمَّاحِ، وَطَعَنَ أَعْدَاءَهُ بِآرَائِهِ فَأَغْنَاهُ عَنِ الطَّعْنِ بِالرِّمَاحِ، وَضَرَبَهُمْ بِالصَّفْحِ عَنْ عَدَاوَتِهِمْ فَنَابَ عَنِ الضَّرْبِ بِالصِّفَاحِ، وَبَهَرَهُمْ بِلِسَانِهِ الْفَصِيحِ فَكَلَّتْ مِنْهُمْ أَلْسِنَتُهُمُ الْفِصَاحُ، وَطَابَتْ أَخْلَاقُهُ وَأَعْرَاقُهُ فَعَفَّتْ رَوَائِحَ التُّفَّاحِ النَّفَّاحِ، فَتَشَوَّقَتْ لِشَمِيمِهَا الْأَرْوَاحُ، وَتَأَلَّقَتْ أَوْصَافُهُ وَسَارَتْ فِي الْآفَاقِ كَأَنَّهَا السَّحَابُ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيَاحُ، وَتَدَفَّقَ بَحْرُ جُودِهِ الْمُبَاحِ، وَكَرَمِهِ الْمُسْتَبَاحِ، تَحِنُّ النُّفُوسُ إِلَى مَا يُؤْثَرُ عَنْهُ وَتَرْتَاحُ، وَتَصُوغُ الشُّعَرَاءُ فِي أَحْوَالِهِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الْأَمْدَاحَ، وَتَدُورُ فِي أَنْدِيَتِهِ كُؤُوسُ الرَّاحِ، فَيَحْصُلُ بِهَا لِلصُّدُورِ الِانْبِسَاطُ وَالِانْشِرَاحِ، وَيَطِيبُ الِاغْتِبَاقُ

1) رجل جبيل الوجه: قبيحه. اللسان: جبل.

وَالِاصْطِبَاح. هَذَا وَالطَّيْرُ صَادِحَةٌ بِمَا يَجْلُبُ الِارْتِيَاحَ، بِرُؤُوسِ الْأَدْوَاحِ، وَيَمِيسُ بِهَا ذَلِكَ الْغُصْنُ الْمَيَّاحُ[1]، كُلٌّ غَرَّدَ بِهَوَاهُ وَبَاحَ، يُبْصِرُهُ مَنْ غَدَا وَرَاحَ، تُعْرِبُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهَا مِنْ أَسْرِ الشَّوْقِ وَتَسْأَلُ السَّرَاحَ، وَالْهَدِيلُ بَكَى مَحْبُوبَهُ وَنَاحَ، وَتَسَاقَطَ مِنْ أَشْوَاقِهِ وَطَاحَ، وَالزَّهْرُ عَطَّرَ الْجَوَّ وَفَاحَ، وَالْغَمَامُ سَقَى عُيُونَهُ وَسَاحَ، فَمَلَأَ تِلْكَ الْأَمَاكِنَ الْفِسَاحَ، وَاصْطَفَّتْ رَبَّاتُ الْوِشَاحِ، فَحَيَّرَتِ الْأَلْبَابَ بِقَلَائِدِ اللَّبَّاتِ وَالنُّحُورِ وَبَاهَتْ بِتَقْوِيمِ الْقُدُودِ الْمِلَاحِ، وَالْعُلَمَاءُ تُرَتِّلُ قِرَاءَةَ الْمُصْحَفِ وَتُمْلِي مَا فِي الْكُتُبِ وَالصُّحُفِ وَالْأَلْوَاحِ، هَذَا دَأْبُهُ فِي الِاخْتِتَامِ وَالِافْتِتَاحِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا الْفَاضِلُ يَنْبَغِي أَنْ تُدْرَجَ أَمَانَتُهُ فِي سِلْكِ أَمَانَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ ابْنِ الْجَرَّاحِ، فَدَعْ عَنْكَ مَا يُهَوِّلُ بِهِ ذُو الْوَجْهِ الْوَقَاحِ[2]، فَقَدْ اخْتَلَطَ الْخَاثِرُ بِالزُّبَادِ[3]، وَالْمَعِينُ بِالثِّمَادِ[4]، وَذَهَبَ الْإِنْصَافُ وَبَادَ، وَانْفَسَحَتْ طُرُقُ الْغَيِّ وَالْعِنَادِ، وَأَيْنَ الْأَغْبِيَاءُ مِنَ النُّقَّادِ، وَالسُّهَى مِنَ الْكَوْكَبِ الْوَقَّادِ، وَالْوِهَادُ[5] مِنَ الْأَطْوَادِ، وَالْبُخَلَاءُ مِنَ الْأَجْوَادِ، وَالْحُمُرُ الْأَهْلِيَّةُ مِنَ الْجِيَادِ، وَالطَّلُّ مِنَ الرَّذَاذِ[6]، وَالْأَغْوَارُ مِنَ الْأَنْجَادِ، وَالضَّلَالُ مِنَ الرَّشَادِ؟!

---

1) المياح: المتمايل، تمايح السكران والغصن تمايل. اللسان: ميح.

2) وقحَ الرجل: إذا صار قليل الحياء، فهو وقحٌ ووقاح. اللسان: وقح.

3) مثل عربي يضرب اختلاط الأمر على القوم حتى لا يعرفوا وجهه، واختلاط الجيد بالرديء، والصحيح بالسقيم. والزُّباد نبت معروف. جمهرة الأمثال: 1/ 93، زهر الأكم: 2/ 195.

4) الثِّمادُ كالثَّمَدِ الماء القليل الذي لا مادَّ له. اللسان: ثمد.

5) الوهاد: جمع وهد، وهو المطمئن من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة. اللسان: وهد.

6) الرذاذ: المطر، وقيل: الساكن الدائم الصغار القطر كأنه غبار، وهو بعد الطل. اللسان: رذذ.

تَوَاضَعَتِ الشُّمُّ الرَّوَاسِي لِقَــدْرِهِ فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى يَطُولُ عَلَى الطَّوْدِ؟!
ثَوَى بِرِبَاطِ الْفَتْحِ حِينًا يُجَوْهِرُ الْــ ـكَلَامَ وَيَنْفِي اللَّوْمَ بِالنَّقْصِ وَالزَّيْدِ
وَغَاضَ دَوِيَّ الْبَحْرِ رَعْدُ كَلَامِــهِ فَسَبَّحَ مَوْجُ الْبَحْرِ فِي الْبَدْءِ وَالرَّدِّ
وَأَعْرَضَ عَنْ ذَاكَ الْفَرِيقِ الَّذِي بَغَى يُمَزِّقُ أَعْرَاضَ الْكَلَامِ عَلَى عَمْدِ
وَيُغْرِي بِتَخْلِيدِ الْمَكَارِمِ جُهْــدَهُ وَيَقْفُو سَبِيلَ الرُّشْدِ بِالْجِدِّ وَالْجُهْدِ
وَمَهْمَا أَرَادَتْ نَفْسُهُ الْكَفَّ لَامَهَــا وَقَالَ لَهَا هَيْهَاتَ مَا لَكِ مِنْ بُدِّ
قِفِي سَرَوَاتِ النَّاسِ فِي كُلِّ حَالَــةٍ فَكَمْ لَكِ مِنْ هَجْرٍ وَكَمْ لَكِ مِنْ صَدِّ
فَهَلْ سَمِعَتْ أُذْنَاكِ فِي الْأَرْضِ خَالِدًا يَسُرُّ بِمَحْيَاهُ فَمَا لَهُ مِنْ خُلْدِ
أَتَتْكُمْ عَلَى فَقْدِ الْقَرِيــضِ وَعِــزِّهِ مُحَبَّرَةٌ تَخْتَالُ فِي الْعَدَدِ الْعَدِّ
تَضَمَّنَهَا الْبَحْرُ الطَّوِيلُ فَخَصَّــهَا بِجَوْهَرِهِ الْأَسْنَى فَطُوبَى لِمَنْ يُهْدِي
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ نَائِــرٌ مُتَعَــارَفٌ يَؤُمُّ الْأَمِينَ الْمُرْتَضَى الْعَرَبِي الزَّبْدِي.

* وَمِنْهُمُ الْفَقِيهُ الْأُسْتَاذُ، الْمُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي الْمُبْهَمَاتِ بَلْ هُوَ الْمَلَاذُ، الْجَانِي ثِمَارَ الْمَعَانِي كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ، وَسِوَاهُ طَعَامُهُ مِنْ ضَرِيعٍ[1] لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ[2]، سَهِرَ فِي تَحْبِيرِ الْكَلَامِ وَالنَّاسُ هُجُوعٌ، وَأَنَّى يُدْرِكُ الظَّالِعُ شَأْوَ الضَّلِيعِ[3]؟! وَيَهْتَدِي لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ الصَّنِيعِ، أَوْ يُحَرِّرُ مَا حَرَّرَ مِنَ الْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ،

1) الضريع: الشبرق، وهو مرعى سوء لا تعقد عليه السائمة شحما ولا لحما، وإن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها. اللسان: ضرع.
2) وظف الكاتب الآية 6 – 7 من سورة الغاشية لإقامة فواصل سجعه.
3) وهو من الأقوال التي تسري مسرى المثل. والظَّلْعُ: الغمز، ظلع الرجل والدابة في مشيه يظلَعُ ظلْعًا عرج وغمز. والضَّلاعة: القوة وشدة الأضلاع، تقول منه: ضَلُعَ الرجل فهو ضليعٌ. اللسان: ضلع، ظلع.

أَوْ يُشَيِّدُ مَا شَيَّدَ مِنَ الْـمَجْدِ الرَّفِيعِ، وَكَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهِ وَهُوَ مِنْ ذَوِي مَنِيعٍ[1]، تَخَلَّقَ بِالْـخُلُقِ الطَّبِيعِي، وَسَخِرَ لِسَانُهُ بِالزَّهْرِ الرَّبِيعِي، **سَيِّدِي مُحَمَّدُ الْـعَرَبِيُّ الْـمَنِيعِيُّ**[2]، طَالَمَا ارْتَشَفَ رِبَابَ[3] اللَّبَابَةِ، وَعَفَّى بِصَبَابَتِهِ **دِيوَانَ الصَّبَابَةِ**، وَأَفْنَى فِيهَا عُمُرَهُ وَشَبَابَهُ، وَتَوَشَّحَ بِالنَّجَابَةِ، فَكَمْ قَطَعَ مِنْ مَهْمَهٍ فِي تَحْصِيلِهَا وَجَابَهُ، وَأَعْجَبَ النَّاظِرِينَ بِمَرَامِهِ وَأَظْهَرَ لَـهُمْ عُجَابَهُ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْـجَاهِلِينَ وَضَرَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حِجَابَهُ، وَعَرَفَ سَدَادَ الْـقَوْلِ وَصَوَابَهُ، وَأَجَابَ عَنْ مُعْضِلَاتِ النَّوَازِلِ فَأَحْسَنَ جَوَابَهُ، **وَانْتَظَمَ فِي سِمْطِ أَرْبَابِ الْـكِتَابَةِ**، وَرَمَى بِسَهْمِهِ فِيهَا فَأَصَابَ غَرَضَ الْإِصَابَةِ، حَتَّى أَصْبَحَ رَئِيسَ تِلْكَ الْـعِصَابَةِ، وَمَلَكَ مِنْهَا نِصَابَهُ.

اشْتَغَلَ أَوَّلَ أَمْرِهِ بِتَحْرِيرِ قِرَاءَاتِ الْـبُدُورِ الْـقُرَّاءِ[4]، فَأَطْفَأَ بِهَا نِيرَانَ الْـكَبِدِ الْـحَرَّا، وَتَقَلَّبَ فِي قَوَالِبِهَا بَيْنَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَغَادَرَهَا أَوْضَحَ مِنَ الْـمُهْرَةِ الْـغَرَّاءِ، وَرَأَى مِنْ آيَاتِهَا الْـكُبْرَى، وَظَهَرَتْ مَكَانَتُهُ فَوْقَ الزُّبَنَانِ[5] وَالْـعَذْرَاءِ[6]. وَمَا زَالَ يَجُولُ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ، وَيطُوفُ بَيْنَ هَاتِيكَ الْـخِيَامِ وَالْـمَسَاكِنِ، وَيُمَيِّزُ الْـمُتَحَرِّكَ مِنْهَا وَالسَّاكِنَ، حَتَّى عَرَفَ الظَّاعِنَ مِنْهَا وَالسَّاكِنَ. هَذَا وَالْـعُيُونُ تَلْحَظُهُ بِالتَّبْجِيلِ لَا بِالِازْدِرَاءِ، وَالْأَفَاضِلُ تُتْحِفُهُ بِالْـمَدْحِ وَالْإِطْرَاءِ، وَتُشِيرُ عَلَيْهِ بِالتَّحْذِيرِ وَالْإِغْرَاءِ، وَالْـقِرَاءَةِ وَالْإِقْرَاءِ، وَالتَّغْلِيسِ[7] وَالْإِدْلَاجِ وَالْإِسْرَاءِ، وَالْـعِنَايَةُ تَخُصُّهُ بِالتُّحَفِ وَالْـبُشْرَى، حَتَّى أَحْرَزَ فَتَيَاتِ النَّبَاهَةِ وَسَاقَهَا عَذْرَا،

---

1) بنو منيع إحدى قبائل بني هلال العربية.

2) العربي بن المقدم المنيعي العلامة المشارك، والكاتب المقتدر، ولي قضاء مراكش مدة، وتوفي سنة 1317هـ. تنظر ترجمته في: فواصل الجمان: 194، إتحاف أعلام الناس: 2/ 352، الإعلام: 9/ 37، موسوعة أعلام المغرب: 2821.

3) الربُّ: سُلافة التمر بعد الاعتصار والطبخ، والجمع الرُّبوب والرِّباب. اللسان: ربب.

4) ينبغي أن تختلس الهمزة في الكلمات الواقعة قبل الفاصلة لكي يستقيم السجع.

5) زباني العقرب: قرناها، والزبانيان كوكبان نيران وهما قرنا العقرب ينزلها القمر. اللسان: زبن.

6) العَذْرَاء: برج من بروج السماء. اللسان: عذر.

7) التغليس: السير في ظلام آخر الليل، وورد الماء أول ما ينفجر الصبح. اللسان: غلس.

وَفَوَّضَتْ أَمْرَهَا إِلَيْهِ وَقَالَتْ: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا[1]﴾.

وَعَلِمَ عَوَارِضَ الْحِسَابِ وَأَحْصَاهُ جَمْعًا وَطَرْحًا وَجَبْرًا وَكَسْرًا، وَلَمْ يَعْبَأْ بِمَنْ تَوَلَّى عِنَادًا وَكِبْرًا، فَالنَّثْرَةُ[2] تَحَلَّتْ بِنَثْرِهِ وَهَامَتْ بِشِعْرِهِ // الشِّعْرَى، عَرَّجَ (68) بِمَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ وَالْفَرَّاءِ[3]، فَقَطَفَ مِنْهُ كُلَّ يَانِعَةٍ زَهْرَاءَ، وَأَحْرَزَ كُلَّ كَرِيمَةٍ حَوْرَاءَ، وَعَكَفَ عَلَى دِرَاسَةِ **أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ**، وَسَلَكَ فِيهَا أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ، وَجَابَ فِي اكْتِسَابِهِ نَجْدًا وَغَوْرًا، وَتَجَرَّعَ فِي احْتِمَالِهِ عَلْقَمًا وَصَبِرًا[4]، وَوَصَلَتْ أَخْبَارُهُ الزَّوْرَا[5]، وَتَرَكَ حُسَّادَهُ حَسْرَى، وَجَنَى بِفَهْمِهِ الثَّاقِبِ مِنْ رِيَاضِ الْعُلُومِ وَرْدًا وَزَهْرًا، وَكَلِفَ بِمَحَبَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَخُصُوصًا أَبْنَاءَ فَاطِمَةَ الْبَتُولِ الزَّهْرَا. فَتَشَرَّفَ بِالْوُقُوفِ بِأَبْوَابِهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِهِمْ، وَلُزُومِ أَعْتَابِهِمْ، وَالتَّعَلُّقِ بِأَهْدَابِهِمْ، فَبَجَّلُوهُ وَشَرَّفُوهُ، وَقَرَّطُوهُ بِالاِعْتِنَاءِ بِخِدْمَتِهِمْ وَشَنَّفُوهُ، وَعَيَّنُوهُ لِتَبْلِيغِ أَوَامِرِهِمْ وَصَرَّفُوهُ، وَقَدْ كَانَ نَكِرَةً فَعَرَّفُوهُ، وَسَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مِنْ كَعْبَةِ مُلْكِهِمْ وَطَوَّفُوهُ.

وَاسْتَخْلَصَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِتَنْقِيحِ الْمَكَاتِبِ، وَتَنْبِيهِ الْكَاتِبِ، فَسَتَرَ مَا عَثَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَلِ اسْتِتَارَ الْكَاتِبِ، وَلَهُ الْأَدَبُ الْغَضُّ يَجِيءُ مِنْهُ بِالنَّفْلِ وَالْفَرْضِ، وَشَهَّرَهُ النُّقَّادُ بِسُوقِ الْبَيْعِ وَالسَّلْمِ وَالْقَرْضِ، فَانْسَالَ مِنْهُ مَا مَلَأَ فَضَاءَ هَذِهِ الْأَرْضِ، بِالطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَبَاحَ بِسِرِّهِ الْمَكْتُومِ، فِي الْمَنْثُورِ وَالْمَنْظُومِ، تَنْهَلُّ عَلَيْهِ قَوَافِيهِ، وَمَهْمَا اسْتَدْعَاهَا تُوَافِيهِ، فَيُبْرِزُهُ دُرًّا ثَمِينًا مِنْ فِيهِ،

---

1) وظف الكاتب الآية 68 – 76 من سورة الكهف لإقامة فواصل سجعه.
2) النثرة نجم من نجوم الأسد ينزلها القمر. اللسان: نثر.
3) الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الأديب النحوي المشهور، المتوفى سنة 207هـ.
4) الصَّبِرُ: عصارة شجر مر، واحدته صبِرةٌ. اللسان: صبر.
5) الزوراء: بغداد. معجم البلدان: 3/ 155.

فَأَلْفَاهُ النُّقَّادُ سَالِمًا لَا عَيْبَ فِيهِ، فَطُلَّابُ الْأَدَبِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ[1]، وَفِي حِيَاضِ قَرِيضِهِ يَكْرَعُونَ، وَإِلَيْهِ يُهْرَعُونَ، وَقَصَدُوهُ لِنَيْلِ آرَابِهِمْ يَرْحَلُونَ وَيَنْزِلُونَ، وَمِنْ أَنْهَارِ أَدَبِهِ يَشْرَبُونَ، وَيُسْرِعُونَ إِلَى تَحْصِيلِهِ كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْبٍ يُوفِضُونَ[2] فَهُمْ فِي الْأَخْذِ عَنْهُ يَتَفَاضَلُونَ، وَمِنْ ثِمَارِ إِحْسَانِهِ يَتَنَاوَلُونَ، وَلِعُذُوبَةِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ يَتَطَاوَلُونَ، وَظَلُّوا فِي حَدِيثِهِ يَتَقَاوَلُونَ، وَعَنْ شَرْحِ حَقِيقَتِهِ يَتَسَاءَلُونَ، عَلَى أَنَّهُمْ فِي طَلَبِهِ مُتَسَاوُونَ، وَالشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ[3]، أَسْتَغْفِرُ اللهَ فَمَا هَذِهِ الصُّبَابَةُ[4] إِلَّا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ[5]، وَمُحَافَظَةٌ عَلَى كَسْرِ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوَارِيرَ وَبَيْضٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَحْوَالُ الْفَقِيهِ الْمَذْكُورِ حَمِيدَةٌ، وَدَعَائِمُ عِزِّهِ عَمِيدَةٌ، وَآثَارُهُ عَدِيدَةٌ، وَسَمَاءُ فَضْلِهِ بَعِيدَةٌ، وَمَيَامِينُهُ سَعِيدَةٌ، وَآرَاؤُهُ رَشِيدَةٌ، وَقُصُورُ مَعَارِفِهِ مَشِيدَةٌ، وَفِكْرَتُهُ لِصَوْغِ الْأَدَبِ الْحُرِّ مُجِيدَةٌ. شَاهَدْتُ قَصِيدَةً لَهُ عَامَ "حَرْكَةِ" مَوْلَانَا السُّلْطَانِ لِسُوسَ الْأَقْصَى، الَّذِي فَوَاكِهُهُ يُمَارُ بِهَا الْبَلَدُ الْأَقْصَى، مُجِيبًا بِهَا عَنْ قَصَائِدَ بَعَثَهَا حَفِيدُ سَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى لِلْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ، دَلَّتْ عَلَى امْتِدَادِ بَاعِهِ، وَتَبَحُّرِهِ فِي الشِّعْرِ وَاطِّلَاعِهِ، وَجَوَلَانِهِ فِي رِبَاعِهِ، وَالتَّطَوُّفِ بِحُصُونِهِ وَقِلَاعِهِ، وَكَلَفِهِ بِسَمْكِ بِنَائِهِ وَارْتِفَاعِهِ، وَلَمَّا رَأَيْتُهُ يُوَشِّي الْقِرْطَاسَ بِقَلَمِهِ، وَيَلْفِظُ الدُّرَّ مِنْ كَلِمِهِ، اسْتَدْعَيْتُهُ لِمُؤَانَسَتِي، وَانْتَخَبْتُهُ لِمُجَالَسَتِي، لِأَغْتَرِفَ مِنْ بَحْرِهِ، وَأَقْتَبِسَ مِنْ نَفَثَاتِ سِحْرِهِ بِقَصِيدَةٍ نَصُّهَا: [المتقارب]

---

1) وظف الكاتب الآية 96 من سورة الأنبياء لإقامة فواصل سجعه.

2) وظف الكاتب الآية 43 من سورة المعارج لإقامة فواصل سجعه.

3) توسل الكاتب بالآيات 224-225-226 من سورة الشعراء لإقامة فواصل سجعه.

4) الصُّبة والصُّبابة بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الإناء والسقاء. اللسان: صبب.

5) أعطى غَيْضا من فَيْض: أي قليلا من كثير. وهو من الأوقال التي تسري مسرى المثل. اللسان: غيض.

بَدِيعَ الزَّمَانِ أَجِبْ مَنْ دَعَاكَــــا   أَجَـابَ بَـدِيـعُ الْـبَرَايَـا دُعَـاكَـا[1]

وَأَسْرِعْ إِلَى مَا دَعَـــاكَ لَــهُ   وَهَبْ وَاحْتَسِبْ فِي الأُجُورِ خُطَاكَا

وَراعِ الْـمَحَبَّةَ وَاقْضِ بِهَــا   وَقَاكَ إِلَاهُ الْـوَرَى وَرَعَـاكَـا

وَصُنْ رُتْبَةَ الْـحُبِّ وَاسْعَــدْ بِهَـا   لَعَلَّكَ تُؤْتَى الْـمُنَى أَوْ عَسَاكَا[2]

وَلَا تَصْحَبَنَّ سِــوَى صَاحِــبٍ   إِذَا مَـا نَـادَيْـتَ يُلَبِّي نِـدَاكَـا

وَإِنْ مَسَّكَ الدَّهْــرُ مِنْ جَـوْرِهِ   بِـسُـوءٍ وَلَمْ يَحْـتَرِمْـكَ فَـدَاكَـا[3]

وَإِنْ كُنْتَ أَوْلَيْتَــهُ نِعْمَــةً   كَـسَـاكَ الثَّنَا جَـهْـرَةً وَجَـزَاكَـا

وَإِنْ أَظْلَمَ الْـجَــوُّ وَاسْتَتَــرَتْ   مَصَابِيحُــهُ يَسْتَضِــئْ بِسَنَـاكَا[4]

يُعَادِي عَدُوَّكَ لَا زِلْــتَ فِـي   نُحُورِ الْـعُدَاةِ وَيَهْـوَى هَوَاكَا

وَإِنْ ضَلَّ بَدْرَ الدُّجَى طَــرْفُهُ   وَأَحْـرَى السُّهَى يَهْتَدِي بِهُدَاكَا

وَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ بِبَحْــرِ النَّــوَى   كَفَاكَ الْـمُهِمَّ وَجَـلَّى حُلَاكَا // (69)

فَيَرْجُو رَجَاكَ، وَيَسْـرِي سُــرَاكَ   وَيَغْزُو عِـدَاكَ، وَيُـرْضِي رِضَاكَا

وَيُغْنِي غِنَاكَ، وَيَشْفِــي شِفَــاكَ   وَيُـوفِي وَفَـاكَ، وَيَحْمِـي حِمَاكَا

يَوَدُّ لِقَــاكَ، وَيَبْغِــي بَقَــاكَ   وَيُـولِي وَلَاكَ، وَيَحْـذُو حِذَاكَا

فَلَا تَمْنَعَــنَّ الْأَوَدَّ الْــوَدُود   وِدَادَكَ وَاصْرِفْ إِلَـيْـهِ نَـدَاكَـا

1) القصيدة في ديوان شعره 130.

2) في ديوان شعره: واحف بها.

3) في ديوان شعره: من حيفه.

4) في ديوان شعره: وانطفأت.

فَمَنْ يَرْتَـــدِي الْأَدَبَ الْـمُنْتَقَـــى وَيَشْفِي غَلِيلَ الْقَرِيضِ سِوَاكَا
فَلَا زِلْتَ تَخْتَـــــالُ فِي جَنَّـــةٍ مِنَ الْأَدَبِ الْغَضِّ تَجْنِي جَنَاكَا
وَزَوَّدَكَ اللهُ زَادَ التُّــــقَــــى وَحَــاطَ صَبَاحَكَ حَتَّى مَسَاكَا
وَبَوَّأَكَ الْـخُلْدَ فِـــي نِعْمَـــةٍ مُمَـــدَّدَةٍ وَأَدَامَ عُــلَاكَــا
وَقَلَّــــدَكَ الْأَدَبَ الْـمُرْتَضَـى وَمَــدَّ مَــدَاكَ وَلَا فَــضَّ فَاكَا
وَشَيَّدَ مَجْدَكَ حَتَّــــى يُــرَى بِــأَوْجِ الثُّرَيَّا وَيَسْمُو السِّمَاكَا
وَيَسْقِي بِمَاءِ السُّـــرُورِ حَشَــاكَ وَيَنْصُرُ عِنْدَ الْـخُطُوبِ لِوَاكَا[1]
فَهَاكَ رِيَاضًا مِـــنَ الشِّعْـــرِ قَدْ أَحَـاطَتْ بِـمَا يَقْتَضِيهِ رِضَاكَا
وَنَاحَتْ عَلَى الــدَّوْحِ أَطْيَارُهَـــا وَأَنْطَـقَـهَا اللهُ تَـشْـدُو هُنَاكَا[2]
جَرَى بَحْرُهَـــا الْـمُتَقَـــارِبُ لَا تَغِيبُ سَـفَـائِـنُـهُ عَــنْ حِجَاكَا
فَعَاصِ الْـهَوَى، وَأَعِـــدَّ الْـعَصَـا لِذَا الْـجِلْفِ، وَاضْرِبْ مَنْ عَصَاكَا
عَلَيْــكَ السَّـــلَامُ الْـمُعَـــرَّفُ يَا بَدِيعَ الزَّمَانِ أَجِبْ مَنْ دَعَاكَا.

* وَمِنْهُمُ الْعَدْلُ الْـمُبَرِّزُ فِي الْإِطْنَابِ وَالْإِيجَازِ، الْآتِي بِمُعْجِزِ الْكَلَامِ فِي الصُّدُورِ وَالْأَعْجَازِ، وَالْـحَائِزُ لِقَصَبَاتِ السَّبْقِ فِي مَيَادِينِ الشِّعْرِ وَالْإِرْتِجَازِ، بِالتَّمْيِيزِ وَالِامْتِيَازِ، فَتَحَدَّى فِي سَبْكِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ بِآيَةِ الْإِعْجَازِ، وَحَضَرَ مَيْدَانَ التَّحَاوُرِ وَقَالَ نَزَالِ[3] وَدَعَا لِلْبِرَازِ، وَطَرَّزَ صَحَائِفَ الرَّسَائِلِ وَمَا أَحْسَنَ

1) هذا البيت لم يرد في ديوان شعره.
2) في ديوان شعره: عَلَى الرَّوْضِ.
3) نزال: مثل قَطَام معدول من المنازلة. اللسان: نزل.

ذَلِكَ الطِّرَازِ، وَشَرَّقَتْ عَرَائِسُ أَسْرَارِ كَلَامِهِ فَبَلَغَتِ الْأَهْوَازَ[1]، بَعْدَ أَنْ طَافَتْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَطِيبَةَ وَالْحِجَازِ، وَقَرَّرَ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ، وَعَرَفَ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: بَنَى الْأَمِيرُ الْمَجَازَ، وَفَازَ بِمَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَحْسِنْ بِذَلِكَ الْمَفَازِ، وَوَعَدَهُ الدَّهْرُ بِمَوَاعِدَ فَكَانَ مِنْهُ الْإِنْجَازُ، إِلَّا أَنَّ مَا يَصُوغُ لِسَانُهُ مِنْ دُرِّ الْكَلَامِ يَسْتَوْقِفُ الرَّاكِبَ وَلَوْ كَانَ عَلَى أَوْفَازٍ[2]، بَعْدَمَا عَرَفَ انْحِصَارَ الْحُكْمِ الْعَقْلِيِّ فِي الْوُجُوبِ وَالِاسْتِحَالَةِ وَالْجَوَازِ، وَمَا يَجِبُ فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالنَّدْرَةِ[3] وَالرِّكَازِ[4]، وَتَصَرُّفٍ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسُّلْطَانِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَازِ، فَكَانَ يَنْقَضُّ عَلَى مَعَارِضِهِ انْقِضَاضَ الْبَازِ، الْفَقِيهُ الْعَلَّامَةُ، الْحَبْرُ الْفَهَّامَةُ، **سَيِّدِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْمَوَّازِ**[5]، تَصَدَّرَ لِاخْتِرَاعِ التَّرْسِيلِ وَالْإِنْشَاءِ[6]، فَبَرَّدَ بِهِ غَلِيلَ الْأَحْشَاءِ، وَتَصَرَّفَ فِيهِ كَيْفَ شَاءَ، وَنَهَجَ فِي الْقَرِيضِ نَهْجَ زُهَيْرٍ وَالْأَعْشَى، وَهَجَرَ مِنْهُ الْمُمَوَّهَ وَالْمُضَبَّبَ وَالْمُغَشَّى، وَقَرَّطَ الصَّحَائِفَ بِدُرِّ خِطَابِهِ وَوَشَّى، وَتَرَكَ الْقُلُوبَ وَالِهَةً، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى[7]، وَامْتَطَى بَحْرَ النَّبَاهَةِ، فَرَحَّبَتْ بِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى[8]، وَأَعْطَاهَا

---

1) الأهواز: سبع كُوَر بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز، ولا يفرد الواحد منها بهوز. معجم البلدان: 1/ 285.

2) الوَفْزُ: المكانُ المُرتفِعُ، والجَمعُ أَوفازٌ. والوَفزُ والوَفزَةُ العَجَلَة والجمع أيضا أَوْفازٌ، والمعنى الأول هو المراد. اللسان: وفز.

3) النَّدْرَة: القِطعة من الذهب والفضة توجد في المعدِن. اللسان: ندر.

4) الرِّكازُ: ما ركزه الله تعالى في الأرض من المعادن، فما استخرج منها من شيء فلمستخرجه أربعة أخماس، ولبيت المال الخمس. اللسان: ركز.

5) القاضي اللبيب، والأديب الأريب، والعلامة المطلع، والكاتب المقتدر، عبد الواحد بن محمد ابن المواز الحسني السليماني المتوفى سنة 1318 هـ، عند ولايته خطة القضاء بمراكش. تنظر ترجمته في: فواصل الجمان: 183، الإعلام: 8/ 533، موسوعة أعلام المغرب: 8/ 2822، الأعلام: 4/ 177، دليل مؤرخ المغرب: 1/ 254.

6) ينبغي أن تختلس الهمزة في الكلمات الواقعة قبل الفاصلة لكي يستقيم السجع.

7) وظف الكاتب الآية 54 من سورة النجم لإقامة فواصل سجعه.

8) وظف الكاتب الآية 77 من سورة طه لإقامة فواصل سجعه.

كُلِّيَّتَهُ فِي النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى[1]، وَرَقَمَ أَعْلَامَ الْـمُخَاطَبَاتِ فَلَاحَتْ كَالْـحَيَّةِ الرَّقْشَا، فَسَالَمَتِ الْـمُسَالِمَ وَهَشَّتْ لَهُ هَشًّا، وَحَارَبَتِ الْـمُعَانِدَ وَأَوْلَتْهُ لَدْغًا وَنَهْشَا، لَمَّا أَشَارَتْ عَلَيْهِ الْأَمَّارَةُ بِالْـفُحْشِ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْـفَحْشَا[2].

كَانَ الْـفَقِيهُ الْـمَذْكُورُ أَيَّامَ شَرْخِ شَبَابِهِ، وَتَلَذُّذِهِ بِطِيبِ عَيْشِهِ مَعَ أَتْرَابِهِ، مُلَازِمًا لِلْمَسْجِدِ الْـجَامِعِ، مُعْتَنِيًا بِقِرَاءَةِ الْـعِلْمِ النَّافِعِ، مَعَ زُمْرَةٍ تُزْرِي وُجُوهُهُمْ بِالْـبَرْقِ اللَّامِعِ، وَتَنْهَلُّ أَفْهَامُهُمْ كَالْـغَيْثِ الْـهَامِعِ، يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ خِلَالَ تِلْكَ السَّوَارِي كَالنُّجُومِ السَّوَارِي، وَيُورُونَ أَذْهَانَهُمْ كَالزَّنْدِ الْـوَارِي، تَسِيلُ أَفْكَارُهُمْ بِكُلِّ مَعْنًى دَقِيقٍ كَالسَّيْلِ الْـجَارِي، عَلَى رُغْمِ الْـحَسُودِ وَالزَّارِي، وَالْـمُقِيمِ وَالطَّارِي، تَشَرَّفُوا بِمَجَالِسِ أَشْيَاخٍ حَرَّرُوا الْـعِبَارَةَ، وَجَرَّرُوا فِي أَنْدِيَةِ الْـعِلْمِ
(70) إِزَارَهُ، وَأَطْلَعُوا شُمُوسَهُ// وَأَقْمَارَهُ، وَجَنَوْا ثِمَارَهُ، وَقَطَفُوا وَرْدَهُ وَأَزْهَارَهُ وَأَنْوَارَهُ، وَوَرَدُوا حِيَاضَهُ وَأَنْهَارَهُ، أَشْهَرُهُمُ الْـفَقِيهَانِ الْـجَلِيلَانِ، وَالْـحَبْرَانِ النِّحْرِيرَانِ، سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[3]، وَسَيِّدِي عَلِيُّ قَصَّارَه[4]، وَجُلُّ النَّفَرِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ الْـمَذْكُورِ، الْـفَائِزُونَ بِسَعْيِهِمُ الْـمَشْكُورِ، وَرَدُوا حِيَاضَ الْـمَنَايَا، وَأَحَاطَتْ بِهِمْ أَنْوَاعُ الْـبَلَايَا، وَتَجَرَّعُوا غُصَصَ الرَّزَايَا، بَعْدَمَا شَيَّدُوا الْـمَفَاخِرَ وَالْـمَزَايَا، وَحَرَّرُوا النَّوَازِلَ وَالْـقَضَايَا، وَسَارَتْ بِأَخْبَارِهِمْ رُكْبَانُ الْـمَطَايَا، فِي جَمِيعِ الْـبَرَايَا، فَسَكَنُوا الْـقُبُورَ، بَعْدَ الْـمَسَرَّةِ وَالْـحُبُورِ، وَجَرَّتْ فِي

---

1) وظف الكاتب الآية 1-2 من سورة الليل لإقامة فواصل سجعه.

2) فيه إشارة إلى أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: 90.

3) محمد بن عبد الرحمن الحجرتي الفلالي السجلماسي، العلامة المشارك المدرس، وشيخ الجماعة في وقته بالمغرب المتوفى سنة 1275هـ. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 2/ 232، الشرب المحتضر: 81، موسوعة أعلام المغرب: 7/ 2612، شجرة النور: 401.

4) علي بن إدريس قصارة الحميري، العلامة الأديب، تتلمذ على مجموعة من مشايخ فاس حمدون بن الحاج، والقاضي أحمد ابن سودة، ومحمد اليازغي، وتوفي سنة 1259هـ. ترجمته في: وفيات الصقلي: 39، سلوة الأنفاس: 2/ 265، موسوعة أعلام المغرب: 7/ 2566، شجرة النور: 398.

مجَالِسِ دُرُوسِهِمْ أَذْيَالَهَا الصَّبَا وَالدَّبُورُ، وَفِيهَا بَدَائِعُ الزُّهُورِ، وَفَوَّضُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَوْلَاهُمْ، أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ[1].

أَقَالَ اللهُ عِثَارَهُمْ، وَغَفَرَ أَوْزَارَهُمْ، وَرَفَعَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ مَنَازِلَهُمْ وَأَقْدَارَهُمْ، وَقَضَاهُمْ أَوْطَارَهُمْ. وَبَقِيَ هَذَا الْفَقِيهُ بَعْدَ فَقْدِهِمْ فَرِيدًا وَحِيدًا، فَرَكِبَ مِنَ الْأَنْكَادِ وَالْأَشْجَانِ بَحْرًا مَدِيدًا، وَقَاسَى مِنْ فِرَاقِهِمْ أَلَمًا شَدِيدًا، وَعَادَ بَعْدَ الْقِيَامِ قَعِيدًا، وَبَعْدَ الِاقْتِرَابِ بَعِيدًا، إِلَى أَنْ الْتَفَتَتْ لَهُ الدَّوْلَةُ الْعَلَوِيَّةُ فَاسْتَعْمَلَتْهُ فِي أَغْرَاضِهَا، وَصَوَّبَتْهُ سَهْمًا لِإِصَابَةِ أَغْرَاضِهَا، وَأَوْرَدَتْهُ مَنَاهِلَ حِيَاضِهَا، وَأَبَاحَتْ لَهُ الْكَوْنَ فِي غِيَاضِهَا، وَاسْتِنْشَاقِ أَزْهَارِ رِيَاضِهَا، وَعَيَّنَتْهُ كَاتِبًا لِعُمَّالِ الْحَضْرَةِ الْفَاسِيَةِ، يُزَخْرِفُ الْمَكَاتِبَ السُّلْطَانِيَّةَ، مُسْتَعِينًا فِي ذَلِكَ بِالْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهُبُوبِ الرَّحَمَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ، ثُمَّ صَرَّفَتْهُ فِي خُطَّةِ الْقَضَاءِ، فَسَارَ فِيهَا بِحُكْمِ الْقَدَرِ وَالْقَضَاءِ.

وَهُوَ الْآنَ عُمْدَةُ كُتَّابِ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَعَيْنُ أَعْيَانِهَا، وَكِتَابُ بَيَانِهَا وَتِبْيَانِهَا، وَقُطْبُ رَحَاهَا، وَمِنْهَاجُ مَنْحَاهَا، يُلَبِّي إِذَا نَادَتْهُ نِدَاهَا، وَيَسْتَوْكِفُ نَدَاهَا، وَيُجِيبُ صَدَاهَا، وَيَرْوِي صَدَاهَا، وَيُنْصِتُ لِاسْتِمَاعِ شَدَاهَا، وَيَسْتَنْشِقُ شَذَاهَا، وَيَقْتَفِي هُدَاهَا، وَيَسْتَعْصِمُ بِذُرَاهَا، وَيَسْتَمْسِكُ بِعُرَاهَا، وَيَعْلَمُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَمْصَارُهَا وَقُرَاهَا، وَيَسْأَلُ اللهَ دَوَامَ رِضَاهَا، وَإِنْجَازَ حَاجَةٍ جَرَتْ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا[2]، وَيُعْلِي عُلَاهَا، وَيُجَدِّدُ حُلَاهَا، وَيُسْمِي سَمَاهَا، وَيَحْمِي حِمَاهَا، وَيَتَحَلَّى بِاسْمِهَا وَمُسَمَّاهَا، وَيُبَالِغُ فِي ثَنَاهَا، وَيَعْمُرُ فِنَاهَا، وَيُبْهَرُ بِالنَّظَرِ فِي سَنَاهَا، وَيَحَارُ بَصَرُهُ بِالتَّطَلُّعِ فِي سَنَاهَا، وَيَسْتَنْشِقُ إِذَا هَبَّتْ سَحَرًا صَبَاهَا، وَيَنْشَقُ أَزْهَارَ رُبَاهَا، وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي نَصْرِ لِوَاهَا، وَيَغْتَرِفُ مِنْ بَحْرِ قُوَاهَا، وَيَهْوَى هَوَاهَا، وَيَهْجُرُ مَا

1) سورة الشورى، الآية: 53.

2) وظف الكاتب الآية 68 من سورة يوسف لإقامة فواصل سجعه.

سِوَاهَا، لَا أُقْسِمُ بِـالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْـقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا[1]، إِنَّهُ لَصَارِمُ كَلَامِهَا، وَعَلَمُ أَعْلَامِهَا، وَفَارِسُ أَقْلَامِهَا، وَنَاشِرُ رَمِيمِ الْـكِتَابَةِ وَمُحْيِي عِظَامِهَا، وَدُرُّ نِظَامِهَا، وَمِسْكُ خِتَامِهَا، وَحَاسِرُ لِثَامِهَا، وَمُرْتَشِفُ قَطْرِ غَمَامِهَا، وَوَاحِدُ لُيُوثِ آجَامِهَا، وَمَاسِكُ عِنَانِهَا وَلِجَامِهَا، وَقَاضِي قُضَاتِهَا، وَحَكِيمُ حُكَّامِهَا، وَالْـعَارِفُ بِأَحْوَالِ قُصُورِهَا وَخِيَامِهَا.

وَبِالْـجُمْلَةِ فَهُوَ جُهَيْنَةُ أَخْبَارِهَا، وَعَالِمُ عُلَمَائِهَا، وَحَبْرُ أَحْبَارِهَا، وَوَحِيدُ رِجَالِهَا، وَفَارِسُ مَجَالِهَا، وَمُجِيبُ سُؤَالِهَا، وَرَائِشُ نِبَالِهَا، وَوَاحِدُ أَشْبَالِهَا، وَعَضُدُ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا، ومَهَبُّ جَنُوبِهَا وَشَمَالِهَا، يَفْتَخِرُ بِأَزْمَانِهَا، وَيَتَبَخْتَرُ فِي أَوْطَانِهَا، وَيَسْتَرْوِحُ أَرْوَاحَ أَدْوَاحِهَا وَأَغْصَانِهَا، وَيَسْتَأْنِسُ حَتَّى بِخُدَّامِهَا وَسَائِقِ أَظْعَانِهَا، وَيَسْتَغْرِقُ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ فِي أَشْغَالِهَا، فَهُوَ فِي رِيَاضِ سَعَادَتِهَا يَجُولُ فِي الرَّوْحِ وَالرَّيَاحِينِ، وَيَسِيحُ فِي قِفَارِهَا مَعَ السَّيَّاحِينَ، وَيَخْطُرُ بِبَالِهِ آيَةُ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[2]، ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[3]، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[4].

خَاطَبْتُهُ بِقَصِيدَةٍ أُهَنِّئُهُ بِهَا عِنْدَ وِلَايَتِهِ خُطَّةَ الْـقَضَاءِ بِالْـحَضْرَةِ الْـمُرَّاكُشِيَّةِ، أَظْهَرَ لِي بِهَا سُرُورًا وَاغْتِبَاطًا، وَانْشِرَاحًا وَانْبِسَاطًا، وَهَذَا مَطْلَعُ شَمْسِهَا، وَمَظْهَرُ

1) وظف الكاتب الآيات من 1 إلى 7 من سورة الشمس لإقامة فواصل سجعه.

2) سورة النمل، الآية: 19.

3) سورة النمل، الآية: 19.

4) سورة النحل، الآية: 80.

قَوْسِهَا //: [الطويل]

(71)

وَصَلْتَ زَئِيراً لَا يُطِيقُهُ غِيلُكَـــا　　فَرَجَّعَ ذَاكَ الصَّوْتَ كَالرَّعْدِ شِبْلُكَا

وَلَا غَرْوَ فِي تَرْجِيعِـــهِ وَاقْتِدَائِـــهِ　　كَمَا تَقْتَدِي الْأَنْجَالُ إِذْ هُوَ نَجْلُكَا

وَشِدْتَ قُصُورَ الْـمَجْدِ وَالْـفَخْرِ وَالْعُلَا　　وَفِي عَرَصَاتِ الْـمَجْدِ قَدْ جُرَّ ذَيْلُكَا

وَدَارَتْ عَلَيْكَ الْـمَكْرُمَاتُ بِأَسْرِهَـا　　وَدَارَ عَلَى كُلِّ الْأَفَاضِلِ فَضْلُكَا

وَسُدْتَ قُضَاةَ الْـعَصْرِ بِالْـعَقْلِ وَالدَّهَا　　فَـمَا عَـاقِـلٌ إِلَّا يُـمِـدُّهُ عَقْلُكَا

وَقَبَّحْتَ رَأْيَ الْـعَادِلِينَ عَنِ الْـهُدَى　　وَعَرَّفَهُمْ حَقِيقَةَ الْـعَدْلِ عَدْلُكَا

وَأَصْبَحَتِ الْأَمْثَالُ تَدْعُوكَ سَيِّــدًا　　وَحَاشَا فَمَا وَاللهِ يُوجَدُ مِثْلُكَا[1]!

وَأَوْضَحْتَ بِالتَّوْضِيحِ مَا كَانَ مُبْهَمًا　　كَمَا وَضَحَتْ مِثْلَ الْـمَنَارِ سَبِيلُكَا[2]

وَمَجَّتْ ثَنَايَاكَ الْـهِدَايَـــةَ وَالتُّقَـــى　　وَمَـا الشَّهْدُ إِلَّا مَا تَمُجُّهُ نَحْلُكَا

وجُلْتَ بِمَيْدَانِ الصَّبَابَةِ وَالْـهَــوَى　　وَأَحْـرَزَتِ السَّبْقَ الْـمُقَرَّرَ خَيْلُكَا

وَنِلْتَ مَنَالًا لَا يُقَـــدَّرُ قَـــدْرُهُ　　وَمَا النَّيْلُ إِلَّا مَا جَرَى بِهِ نِيلُكَا!

وَفُقْتَ بَنِي الدُّنْيَا بِرِفْعَةِ قَدْرِكُـــمْ　　وَمَا الرَّفْعُ إِلَّا مَا يَصُوغُهُ فِعْلُكَا!

طَلَعْتُمْ بَنِي الْـمَوَّازِ شَرْقًا وَمَغْــرِبًا　　شُمُوسًا تَسَامَتْ قَدْ جَلَا بِهَا شَكْلُكَا

وَأَوْدَعْتُمُ الْأَلْبَابَ عِلْمًا وَحِكْمَـــةً　　وَطِبْتُمْ فُرُوعًا لَمَّا أَنْ طَابَ أَصْلُكَا[3]

---

1) في ديوان شعره: وأصبحت السادات.

2) في ديوان شعره: مثل المنارة سبلكا.

3) في ديوان شعره:

وأودعتم الألباب علما وحكمة　　فيحتاج للترقيق والله غزلكا

وأبدعتم غزلا رقيقا فلم يكن　　وطبتم فروعا لما أن طاب أصلكا.

وَأَبْدَعْتُمُ غَزْلًا رَقِيقًا فَلَمْ يَكُنْ ... لِيَحْتَاجَ لِلتَّرْقِيقِ لله غَزْلُكَا
وَأَسْمَيْتَ رَايَاتِ الْمَفَاخِرِ وَالْعُلَا ... وَغِظْتَ الْعِدَى مِنْ حَيْثُ يَفْرَحُ خِلُّكَا
وَمَا حَنْظَلَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ ... وَفِي مَوْضِعِ الْإِنْبَاتِ تُغْرَسُ نَخْلُكَا
فَضِمْنُكَ مَبْسُوطٌ مُفِيدٌ مُقَرَّبٌ ... وَمَقْصِدُكَ الْمَحْمُودُ يَرْضَاهُ حَفْلُكَا
وَرَأْيُكَ مَيْمُونٌ رَشِيدٌ مُسَدَّدٌ ... مُصِيبٌ فَمَا يُخْطِئُ الرَّمِيَّةَ نَبْلُكَا
لَقَدْ عَقَمَ الدَّهْرُ الْعَقِيمُ بِمِثْلِكُمْ ... وَإِنْ وَجَبَ التَّقْدِيمُ قُدِّمَ نَعْلُكَا
تَسِيلُ بِأَمْطَارِ الْفَطَانَةِ وَالذَّكَا ... فَمَا تَمْحُلُ الدُّنْيَا إِذَا سَالَ سَيْلُكَا
وَإِنْ رَاعَكَ الْبَيْنُ الْمُبِيدُ الْقُوَى فَعَنْ ... قَرِيبٍ بِحَوْلِ الله يُجْمَعُ شَمْلُكَا
رَحَلْتَ سَعِيدًا فِي ضَمَانٍ وَذِمَّةٍ ... وَمَا السَّعْدُ إِلَّا مَا تَضَمَّنَ رَحْلُكَا
لَقَدْ رَسَخَتْ فِيكَ الْعِنَايَةُ جُمْلَةً ... كَمَا رَسَخَتْ فِي الْحَقِّ وَالصِّدْقِ رِجْلُكَا
وَإِنْ حَامَتِ الْأَقْوَالُ حَوْلَ قَضِيَّةٍ ... وَجَالَتْ بِهَا الْأَنْظَارُ فَالْقَوْلُ قَوْلُكَا
وَإِنْ تَرِدِ الْأَنْقَالُ يَوْمًا بِمَجْمَعٍ ... تُرَدُّ بِلَا رَيْبٍ وَيُتْبَعُ نَقْلُكَا
نَبَغْتَ بِفَاسٍ فَاضِلًا مُتَوَاضِعًا ... نَبِيهًا نَبِيلًا قَدْ تَقَرَّرَ نُبْلُكَا[1]
أَجِبْ شَاعِرًا قَدْ هَامَ فِي وَادِ حُبِّكُمْ ... عَسَى إِنْ تُجِبْهُ يُسْتَجَبْ لَكَ سُؤْلُكَا
وَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنْهُ فَإِنَّمَا ... تُنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا دَامَ شُغْلُكَا

---

1) في ديوان شعره: نبلت بفاس.
- في ديوان شعره: نبيها أريبا.

وَقَالَ فِي حَقِّهِ أَيْضًا: [الطويل]

تَمَاسَى وَقَدْ وَشَّى الطُّرُوسَ يَرَاعُكَـا ... وَطَالَتْ وَلَمْ تَرْضَ الذِّرَاعَ ذِرَاعُكَا[1]
فَكَمْ طَرَّزَتْ يُمْنَاكَ غُرَّ رَسَائِـــلٍ ... بِلُؤْلُؤَةِ الْأَلْـفَـاظِ وَامْتَدَّ بَاعُكَا
عَلَى عِلْمِكَ الْـجُهَّالُ مَا اطَّلَعُـوا إِذًا ... وَهَلْ يَتَسَاوَى جَهْلُهُمْ وَاطِّلَاعُكَا
وَقَدْ خَفَضَ الدَّهْرُ الْـعَرِيضُ مَقَامَهُمْ ... وَهَلْ يَتَلَاقَى خَفْضُهُمْ وَارْتِفَاعُكَا
وَوَسَّعْتَ مَا لَا بُدَّ مِنْـــهُ وَضَيَّقُـــوا ... وَهَلْ يَتَوَازَى ضِيقُهُمْ وَاتِّسَاعُكَا
وَقَدْ قَطَعُوا وَصْلَ الْـمَكَـارِمِ فَلْيَكُنْ ... إِلَى اللهِ لَا لِلْعَالَـمِينَ انْقِطَاعُكَا[2]
وَكَمْ نَازَعُوا عَلْيَاكَ إِذْ هُـوَ شَأْنُهُـــمْ ... فَمَا زَالَ مُنْصَبًّا عَلَيْهِمْ نِزَاعُكَا[3]
وَكَمْ دَافَعُوكَ الْـمُبْتَغَى وَدَفَعْتَهُـــمْ ... وَلَكِنْ أَبَى الْـقَهَّارُ إِلَّا دِفَاعُكَا
عَلَى ذِرْوَةِ الْـمَجْدِ اقْتَعَـدْتَ مُبَاهِيا ... وَمِنْ ثَدْيِ كُلِّ الْـمَكْرُمَاتِ ارْتِضَاعُكَا[4]
وَفِي مِنْبَرِ الْـعِـــزِّ اسْتَوَيْتَ مُبَـــادِرًا ... وَفِي مَرْبَعِ الإِجْلَالِ طَالَ ارْتِبَاعُكَا[5]// (72)

* وَمِنْهُمْ غُرَّةُ الْأَوَانِ، وَبَهْجَةُ الْإِيوَانِ، وَزَهْرَةُ الدِّيوَانِ، وَنَبِيهُ الزَّمَانِ، الْـمُتَحَلِّي بِالْـفَضْلِ كَالدُّرِّ يُجْلَبُ مِنْ عُمَانَ، الَّذِي قَالَتْ لَهُ السَّعَادَةُ نَمْ فِي أَمَانٍ، مِنْ صُرُوفِ الْأَزْمَانِ، الْـفَقِيهُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ[6]، لَا زَالَ مُعْتَصِمًا بِاللهِ فِي

1) القصيدة في ديوان شعره: 122 مع اختلاف في ترتيب أبياتها.

2) في ديوان شعره: كبرت حجا يا ابن الكبير عليهم ... وقد جل مدك الكبير وصاعكا
وجدت وقد شحوا فأخسس بوصفهم ... وهل يتوانى شحهم واصطناعكا

3) في ديوان شعره: وقد نازعوا.

4) في ديوان شعره: وفي عرصات المجد لحت مبارزا

5) في ديوان شعره: على رتب العز.

6) محمد بن أحمد سليمان كان من أعيان كتاب الدولة العلوية الشريفة أيام السلطان المولى عبد الرحمن، ثم ولاه المولى محمد الرابع الإشراف على المطبعة الفاسية ترجمته في: إتحاف أعلام الناس: 5/ 225.

ضَمَانٍ، مُمْتَطِيًا بَحْرَيْنِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ، وَإِنْشَاءَاتُهُ تُزْرِي بِالدُّرِّ وَالْعِقْيَانِ، وَرُقُومُ صَفَائِحِهِ تَسْخَرُ بِالْجُمَانِ، وَالْقَلَائِدِ الْعَالِيَةِ الْأَثْمَانِ، عَثَرَ عَلَى أَبْكَارٍ فِي أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُ وَلَا جَانٌّ[1]، وَحَمَلَ عَلَى كَاهِلِهِ مِنْ أَعْبَاءِ الْكِتَابَةِ مَا يَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهِ الثَّقَلَانِ، وَزَخْرَفَ دَفَاتِرَ الْإِنْشَاءِ وَتَرَكَهَا أَحْسَنَ مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ، وَأَجْرَى جَوَادَ ذَكَائِهِ فِي الْمَيْدَانِ، وَفِيهِ مَنْ يَدِينُ بِفَصَاحَةِ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ، مِنَ الشُّيُوخِ وَالْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ، وَسَابَقَ أَرْبَابَ الْبَيَانِ، فَسَبَقَهُمْ وَحَازَ جَمِيعَ الرِّهَانِ، وَاقْتَبَسَتْ مِنْ جَذْوَةِ ذِهْنِهِ سَائِرُ الْأَذْهَانِ، سُبْحَانَ مُكَوِّنِ الْأَكْوَانِ، الْمُقَدَّسِ عَنِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَعْوَانِ، الْمَالِكِ الدَّيَّانِ! خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ[2]، وَأَرْسَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بِالدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، لِكَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْفُرْقَانَ، فَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ الْغُمَّةَ، وَقَالَ: «أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ»[3]، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَعْيَانِ، وَصَحَابَتِهِ الْمُمَهِّدِينَ لِلْأَوْطَانِ، بِالسُّيُوفِ الْمُرْهَفَةِ وَالسِّنَانِ.

هَذَا وَالْفَقِيهُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ ثَبْتُ الْجَنَانِ، وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْعِرْفَانِ، وَالْمَوْصُوفُ بِالتَّحْرِيرِ وَالْإِتْقَانِ. أَبْقَاهُ اللهُ وَالسَّعَادَةُ تُحَيِّيهِ وَالْفُضَلَاءُ وَالْخِلَّانُ، عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَعْصَارِ وَالْأَحْيَانِ، وَاخْتِلَافِ الْمَلَوَانِ.

---

1) وظف الكاتب الآية 56 من سورة الرحمن لإقامة فواصل سجعه.

2) وظف الكاتب الآية 3 – 4 من سورة الرحمن لإقامة فواصل سجعه.

3) في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان ...» وهو في صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم 4/ 1788. خص العريان لأنه أبين للعين، وأغرب وأشنع عند المبصر، وذلك أن ربيئة القوم وعينهم يكون على مكان عال، فإذا رأى العدو وقد أقبل، نزع ثوبه وألاح به لينذر قومه وبقي عريانا. والنذير العريان رجل من خثعم حمل عليه يوم ذي الخلصة عوف بن عامر فقطع يده ويد امرأته. اللسان: عرا.

كَانَ وَالِدُهُ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ أَيَّامَ السُّلْطَانِ الْمُقَدَّسِ مَوْلَانَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَانْفَصَلَ عَنْ أَهْلِهِ وَفَصِيلَتِهِ وَقَبِيلِهِ، خَلَفَهُ فِي رُتْبَتِهِ نَجْلُهُ الْمَذْكُورُ، فَحُمِدَ سَعْيُهُ الْمَشْكُورُ، فَتَصَرَّفَ فِي أُمُورِ الدَّوْلَةِ، وَهِيَ مَا هِيَ مِنَ الصَّوْلَةِ، وَالسَّعْدُ يُنْمِي خَيْلَهَا وَرَجْلَهَا، وَيَجْمَعُ بِإِذْنِ اللهِ شَمْلَهَا، وَيَجُرُّ فِي سَاحَاتِهَا ذَيْلَهَا، وَيُظْهِرُ عَدْلَهَا، وَيَنْشُرُ فَضْلَهَا، وَيُنْجِزُ قَوْلَهَا وَفِعْلَهَا، وَيَحُوطُ فَرْعَهَا وَأَصْلَهَا، وَيَنْصُرُ أَهْلَهَا، وَيُجِيبُ سُؤْلَهَا.

وَالْفَقِيهُ الْمُحَدَّثُ عَنْهُ هُوَ الْآنَ أَسِيرٌ فِي خِدْمَتِهَا، مُعْتَكِفٌ عَلَى الِانْقِيَادِ لِعَظَمَتِهَا وَحُرْمَتِهَا، بَاسِطٌ كَفَّيْهِ إِلَى مَا يَنْزِلُ مِنْ مُعْصِرَاتِهَا[1]، طَائِفٌ بِكَعْبَتِهَا، سَاعٍ بَيْنَ حُجُرَاتِهَا، مُتَشَرِّفٌ بِالْوُقُوفِ فِي عَرَفَاتِهَا، مُسْتَظِلٌّ بِظِلَالِ شُرُفَاتِهَا، مُقْتَصِرٌ عَلَى النَّظَرِ فِي مَقَاصِرِهَا وَغُرُفَاتِهَا، مُتَبَخْتِرٌ فِي عَرَصَاتِهَا، رَاغِبٌ إِلَى اللهِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ قُرُبَاتِهَا، مُتَوَسِّلٌ إِلَيْهِ أَنْ يَرْسُمَهُ فِي كِتَابِ حَسَنَاتِهَا، وَيَمُنَّ عَلَيْهِ بِالنَّزْرِ مِنْ بَرَكَاتِهَا، فَيَجُرَّ ذَيْلَ الْفَخْرِ فِي سَاحَاتِهَا، وَيُلَازِمَهَا فِي حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا، وَيَجْعَلَهُ آيَةً مِنْ آيَاتِهَا، وَيَنْظِمَهُ فِي سِلْكِ الْحَامِلِينَ لِأَلْوِيَتِهَا، وَأَعْلَامِهَا وَرَايَاتِهَا، وَيَعُدَّهُ مِنْ جُمْلَةِ فُضَلَائِهَا وَسَادَاتِهَا، حَتَّى يَنْفَدَ عُمْرُهُ فِي طَاعَتِهَا، وَيَجْرِي إِلَى مُنْتَهَى غَايَتِهَا.

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ الْمُقَدَّسُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى إِنْشَاءِ مَطْبَعَةِ الْكُتُبِ بِالْحَضْرَةِ الْفَاسِيَّةِ، الْمُصَوَّرَةِ بِالْفَضَائِلِ الْفَاشِيَّةِ، وَالْمَفَاخِرِ السَّامِيَّةِ، صَدَّرَ الْفَقِيهَ الْمَذْكُورَ لِنَقْشِ طُرُوسِهَا، وَتَحْلِيَةِ عُرُوسِهَا، وَإِحْيَاءِ دُرُوسِهَا، وَتَنْمِيَةِ غُرُوسِهَا، وَتَسْيِيرِ أَقْمَارِهَا وَشُمُوسِهَا، فَعَكَفَ عَلَى ذَلِكَ الصَّنِيعِ الْبَدِيعِ

---

1) المعصرات: السحاب فيها المطر، وقيل السحائب تعصر بالمطر. اللسان: عصر.

مُدَّةً، وَبَذَلَ فِيهِ جُهْدَهُ، فَأَوَّلُ مَا أَبْرَزَ مِنْهَا شَرْحَ الْفَقِيهِ ابْنِ سُودَةَ عَلَى الْعَاصِمِيَّةِ[1] الَّتِي لَمْ يَزِدْهَا امْتِدَادُ الزَّمَانُ إِلَّا جِدَّةً، اسْتَخْرَجَ مِنْهَا نُسَخًا عِدَّةً[2]. وَأَحْيَا بِصَنِيعِهِ رَسْمَ الْكُتُبِ الدَّارِسِ، وَعَمَّرَ بِهِ الْمَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ، وَزَهَرَتِ الْأَنْدِيَةُ وَالْمَجَالِسُ، وَتَعَدَّدَتِ الدَّفَاتِرُ وَالْفَهَارِسُ، وَأَحْرَزَ بِذَلِكَ فَضِيلَةً لَا يُنْكِرُهَا إِلَّا لَئِيمٌ، أَفَّاكٌ أَثِيمٌ، بَلْ هُوَ شَيْطَانٌ رَجِيمٌ، جَزَاؤُهُ سَوَاءُ الْجَحِيمِ[3]، وَلَعَلَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، // لَا أُقْسِمُ بِاللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[4]، إِنَّ الدَّهْرَ بِمِثْلِ هَذَا الْفَقِيهِ
لَعَقِيمٌ! وَمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا حَوَاهُ مِنَ الْفَضْلِ فَفَهْمُهُ سَقِيمٌ، وَمَنْ لَمْ يَنْتَبِهْ لِرُقُومِهِ فَهُوَ (73)
مَعْدُودٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ[5].

فَكَمْ مِنْ شَمَائِلَ حَمِيدَةٍ، وَنُعُوتٍ سَعِيدَةٍ، وَآثَارٍ عَدِيدَةٍ، اشْتَمَلَ عَلَيْهَا ذَلِكَ الْأَدِيمُ، فِي الْحَدِيثِ وَالْقَدِيمِ، يُحَقِّقُهُ الصَّاحِبُ وَالنَّدِيمُ، وَالْمَخْدُومُ وَالْخَدِيمُ، وَالظَّاعِنُ وَالْمُقِيمُ، وَالرَّاكِبُ وَالْمَاشِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَلَوْ تَقَدَّمَ عَصْرُهُ لَسَجَدَ لِأَدَبِهِ الصَّاحِبُ وَالنَّدِيمُ[6]، طَالَمَا سَوَّدَ الصَّحَائِفَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، يَوَدُّ سَوَادَهَا الْغُرَابُ وَالظَّلِيمُ، نَظَمَ فِيهَا جَوَاهِرَ أَلْفَاظِهِ فَلَاحَتْ كَالدُّرِّ النَّظِيمِ، وَالزَّهْرِ

1) ويقصد شرح محمد بن الطالب ابن سودة المري (ت.1209هـ) لتحفة الحكام في نكت العقود والأحكام: لابن عاصم الأندلسي (ت.829هـ) الموسوم: **بحلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم**، طبع على الحجر في مطبعة فاس 1283هـ - 1284هـ، وأعيد طبعه بفاس سنة 1293هـ - 1294هـ وسنة 1303هـ بهامش حاشية الوزاني. ينظر: المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة: 132.

2) الصواب عدة نسخ، وقد ألجأه إقامة فواصل سجعه إلى هذا. تم تحبيس نسخ كثيرة منه على خزانة جامع القرويين، ووقع الاستغناء عن أمر بيعه بأمر من السلطان محمد بن عبد الرحمن رغبة في تعميم النفع به. تنظر الدرر الفاخرة: 93.

3) اقتبس الكاتب في هذا المقطع من سجعه مجموعة من الألفاظ القرآنية.

4) لا هنا ليست لنفي القسم، وإنما هي لإثباته. وورد الكلام عنها مفصلا في مجموعة من تفاسير القرآن الكريم في فواتح بعض السور كسورة القيامة وسورة البلد.

5) قال أبو القاسم الزجاجي: في الرقيم خمسة أقوال: أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتب فيه أسماؤهم، الثاني أنه الدواة بلغة الروم، عن مجاهد، الثالث القرية، عن كعب، الرابع الوادي، الخامس الكتاب، عن الضحاك وقتادة، وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة. اللسان: رقم.

6) يقصد الصاحب ابن عباد وقد تقدمت ترجمته، ومحمد بن إسحاق النديم صاحب الفهرس.

الْبَسِيمِ، وَأَوْدَعَهَا حِكَمًا يَرْضَاهَا لُقْمَانُ الْحَكِيمُ، فَكُلُّ مَنْ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهَا لَا يَحِيدُ عَنْهَا وَلَا يَرِيمُ، فَأَخْبَارُهُ شَرَّقَتْ وَطَافَتْ بِالْكَعْبَةِ وَالرُّكْنِ وَالْحَطِيمِ[1]، وَتَرَفَّعَتْ أَقْدَارُهُ فَكَانَتْ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ، فَعَيْنُ اللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، الرَّؤُوفِ الْحَلِيمِ، كَالِئَةٌ لِذَلِكَ الْمَجْدِ الْجَسِيمِ، وَالْفَخْرِ الصَّمِيمِ، مِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ. لَا زَالَ يَتَقَلَّبُ بِالْقَلْبِ السَّلِيمِ، فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، بِالْأَهْلِ وَالْحَرِيمِ، وَالصَّدِيقِ وَالْحَمِيمِ، مُجْتَنِيًا مَرَاتِعَ الْمَرْعَى الْوَخِيمِ، وَيَسْبَحُ فِي أَنْهَارِ الْكَرَمِ الْعَمِيمِ، وَيَصْلَى عَدُوُّهُ نِيرَانَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، مُتَجَرِّعًا غُصَصًا تَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ[2].

وَبِالْجُمْلَةِ، فَمَجَالِسُهُ أَشْهَى مِنْ هَبِّ النَّسِيمِ، وَأَبْهَى مِنَ الدُّرِّ الْيَتِيمِ، وَأَعْذَبُ مِنَ الْعَذْبِ الْبَارِدِ، فَهُوَ بُغْيَةُ الرَّائِدِ، وَتُحْفَةُ الصَّادِرِ وَالْوَارِدِ، وَمَحَطُّ رِحَالِ الْوَافِدِ وَالْقَاصِدِ، وَالْمَنْهَلُ لِنَيْلِ الْمَقَاصِدِ، وَمَطْلَعُ الْمُنْحَدِرِ وَالصَّاعِدِ، وَالْمَاشِي وَالْقَاعِدِ، وَمُنْجِزُ الْمَوَاعِدِ، وَمُهَيِّئُ الْمَصَاعِدِ وَالْمَقَاعِدِ، وَمُؤَسِّسُ الْقَوَاعِدِ، وَسِرَاجُ الْمُشَاهِدِ، وَالْمُعْتَرِفُ بِحَقِّ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ، وَالْبَصِيرُ بِحَقَائِقِ الْمَصَادِرِ وَالْمَوَارِدِ، وَالطَّامِحُ لِمَا شَيَّدَهُ صَاحِبُ **الْمَطْمَحِ وَالْقَلَائِدِ**[3]، وَمَا أَوْدَعَ فِيهِمَا مِنَ الْخَرَائِدِ[4] وَالْفَرَائِدِ، مِنْ مَعَانِي الْأَبْكَارِ النَّوَاهِدِ، وَمَا حَلَّى بِهِ الْأَدَبَ مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالشَّوَاهِدِ، وَمَا حَبَّرَهُ ابْنُ زَيْدُونٍ مِنَ الْأُصُولِ وَالزَّوَائِدِ، فِي الْوَفَاءِ بِعُهُودِ وَلَّادَةَ[5] فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ. وَلْيَكُنْ هَذَا حَدَّ الْكَلَامِ فِي الْفَقِيهِ

1) الحطيم: بمكة وهو ما بين المقام إلى الباب. وقال ابن حبيب: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء. معجم البلدان: 2/ 273.

2) وظف الكاتب الآية 45 و 46 من سورة الدخان لتسوية فواصل سجعه.

3) يقصد كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، وكتاب قلائد العقيان، لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الإشبيلي المتوفى سنة 528هـ.

4) الخرائد، جمع خريدة، وهي البكر التي لم تمسس قط. اللسان: خرد.

5) ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي، شاعر أندلسية، اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس. توفيت بقرطبة سنة 484هـ. ترجمتها في الصلة: 2/ 347، الذخيرة لابن بسام: 1/ 1/ 376، نفح الطيب: 4/ 205.

الْـمُشَارِكِ النَّبِيهِ، فَإِنَّ إِرْسَالَ الْـعِنَانِ فِيهِ لَا يَبْلُغُ مِنْهُ الْـغَايَةَ، وَلَعَلَّ هَذَا النَّزْرَ فِيهِ الْـكِفَايَةُ، حَرَسَهُ اللهُ.

خَاطَبْتُهُ بِقَصِيدَةٍ، وَهِيَ مِنَ الشِّعْرِ الْـقَدِيمِ، وَنَصُّهَا: [الوافر]

يَرَاعُكَ فَادْرِ نَابَتْ عَنْ عَصَاكَـــــا ... أَلَا فَـاضْرِبْ بِهَا مَنْ قَدْ عَصَاكَا[1]

وَبَاعُكَ فِي الْـكِتَابَـــةِ لَا يُغَيَّـــى ... وَمَـنْ يَشْفِي الْـغَلِيلَ لَهَا سِوَاكَا

وَطِرْفُكَ فِي النَّبَاهَةِ لَا يُجَـــارَى ... فَمَنْ يَـعْـدُوكَ أَوْ يَجْـرِي هُنَاكَا

وَمَنْ يَبْرِي سِهَامَ الَّلفْـظِ مَهْمَا اقْـــ ... ـتَضَاهَا الْـحَالُ أَوْ يُغْنِي غِنَاكَا

جَرَتْ تَشْتَدُّ فُرْسَانُ الْـمَزَايَـــا ... فَـمَا بَلَغُوا وَلَا كَـادُوا مَـدَاكَـا

أَتَتْكَ مَحَاسِنُ الْإِتْقَـــانِ تَسْعَـــى ... وَقَـبْـلُ أَتَـــتْ سُـلَـيْـمَانًـا أَبَـاكَـا

وَشُبْتَ الدُّرَّ بِالْأَلْفَـــاظِ حَقًّـــا ... فَـلَا فَـضَّ الْإِلَاهُ الْـحَقُّ فَاكَا[2]

وَأَسْمَيْتَ الْـفَصَاحَةَ فَاسْتَطَالَـــتْ ... مَبَانِيهَا فَـدُمْ تَسْمُو عِـدَاكَـا

وَنَوَّرْتَ الْـبَلَاغَـةَ فَاسْتَنَـــارَتْ ... مَعَالِيهَا فَـعِـشْ تَـرْعَـى عُلَاكَا

وَشِدْتَ الْـمَجْدَ وَالْـفَخْرَ اغْتِبَاطًـــا ... وَحُـزْتَ السَّعْدَ قِدْمًا فِي صِبَاكَا

فَلُحْ كَالْـكَوْكَبِ الـــدُّرِّيِّ وَامْدُدْ ... يَـدَ الـطُّولَى فَـلَا شَـلَّـتْ يَـدَاكَـا

فَلَا زَالَتْ عُدَاتُكَ كُلَّ حِيـــنٍ ... تَـــدُورُ عَـلَى جَمِيـعِـهِـمُ رَحَـاكَـا

وَهَاكَ قَرِيضَ حِـبٍّ مُسْتَهَـــامٍ ... بِـــوَادِي حُـبِّـكُـمْ هَـامَ انْهِـمَاكَـا

تَقَلَّبَ فِي مَحَبَّتِكُـــمْ زَمَانًـــا ... وَلَـكِـنْ لَا يَـرَى فِيهَا اشْتِرَاكَـا

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

2) شُبتُ الشيء أشوبه شوباً خلطته فهو مشوبٌ. اللسان: شوب.

وَخُذْهَا غَادَةً مِـــــنْ دُرِّ شِعْـــرٍ تَـــزُورُ عَـلَى جَلَالَـتِـهَـا حِمَاكَا

جَرَتْ فِي وَافِرِ الْـبَحْــــرِ اشْتِيَاقًـا تَغُوصُ عَـلَى مَعَانٍ مِـنْ حُلَاكَا

فَمُرْ عَيْنَ الرِّضَى تَدْنُـــو إِلَيْهَـــا لَعَلَّكَ تَرْتَضِيهَا أَوْ عَسَاكَـــا // (74)

وَقَلِّدْهَا الْـبَشَاشَةَ وَارْضَ عَنْهَـــا وَأَنْـشِـدْهَـا صَبَاحَكَ أَوْ مَسَاكَا

فَقَدْ صَارَ الْـقَرِيضُ الصِّرْفُ عَنْقَـا فَـعُـذْرِي وَاضِـحٌ فَـاعْـذِرْ أَخَاكَا

وَلَمَّا أَنْ دَعَاهَا الشَّـــوْقُ حَتْمًـــا أَتَـتْ تَسْعَى وَقَـدْ لَبَّتْ نِدَاكَا

فَأَنْجِزْ يَا مُحَمَّـــدُ مُقْتَضَاهَــــا لَـعَـلَّ اللهَ يُـنْـجِزُ مُقْتَضَاكَا.

وَقَالَ فِي حَقِّهِ: [الرمل]

اِعْتَبِرْ ثُمَّ اصْطَحِبْ مَـــنْ أَمَّلَكْ بَـلَّـغَ اللهُ جَمِـيـعًـا أَمَـلَـكْ

وَابْذُلِ الْـجُهْـــدَ مَعَ الْـفَـوْرِ وَلَا تَـعْـتَـذِرْ عَـنْـهُ بِـشُـغْلٍ شَغَلَكْ

وَاحْمَدِ اللهَ الَّذِي حَاطَـــكَ بَـلْ يَجِبُ الشُّكْرُ عَلَى مَا خَوَّلَكْ

قَدْ تَحَمَّلْـتَ أُمُـــــورًا كَبُـرَتْ كَـــلَأَ اللهُ نَـجِـيـبًـا حَمَـلَـكْ

وَتَوَشَّحْتَ بِتَبْجِيـــــــلٍ جَــلَا لَا رَعَـى اللهُ امْـرَءًا مَـا بَجَّلَكْ

وَتَفَضَّلْـــــتَ بِتَشْيِيـــدِ الْـعُلَا إِيـهِ سُبْحَانَ الَّـذِي قَـدْ فَضَّلَكْ

وَتَجَمَّلْتَ بِأَسْـــــرَارِ الذَّكَـــا يَـــا نِـعِـــمَّاهُ جَمَـــالُ جَمَّـلَـكْ

وَتَنَاوَلْتَ الثُّرَيَّــــا فِي السَّمَـــا فَـازْدَهَـى قَـدْرُكَ يُغْرِي جَذَلَكْ

وَتَطَاوَلْتَ لِإِحْـــــرَازِ السُّهَـــى فَارْتَضَى الْـمَجْدُ وَحَيَّا خَجَلَكْ

وَتَعَامَلْتَ بِصِـــــدْقٍ وَوَفَـــا شَـكَـرَ اللهُ دَوَامًـــا عَـمَـلَـكْ

وَتَحَلَّيْتَ بِخَـــــــطٍّ بَـــارِعِ   مَـعَ لَـفْـظٍ يَحْـتَـوِي مَـا حُـقَّ لَكْ
وَتَسَرْبَلْـــتَ سَرَابِيـــلَ الـــدَّهَا   وَمُعِيدُ الْـخَلْقِ طُـرًّا سَرْبَلَكْ
وَعَدَلْتُمْ عَنْ سَبِيـــلِ الْغَـــيِّ أَيْ   لِطَرِيقِ الرُّشْدِ خَف مَنْ عَدَلَكْ
زَادَكَ اللهُ حُبُــــــورًا وَافِـــرًا   سَـابِـغَ الـذَّيْـلِ وَأَرْبَـــى أَجَـلَـكْ
وَزَهَا الْإِيــوَانُ صُبْحًـــــا وَمَسَـــا   بِـمَـــزَايَـاكَ فَـدَعْ مَــنْ جَهِلَكْ
وَاغْتَدَى يَبْغِي مُسَاوَاتِــكَ هَـــلْ   يَسْتَوِي الْـيَوْمَ الْـمُجَلَّى وَالْـحَلَكْ
وَغَدَا يَنْوِي مُلَاقَاتِـــكَ هَـــلْ   يَلْتَقِي الشَّيْطَانُ كَلَّا وَالْـمَلَكْ
وَإِذَا جِئْتَ فِنَـــاهُ الْتَفَتَـــتْ   نَـحْـوَكَ الْأَبْـصَـارُ لَـمَّـا اشْتَمَلَكْ
أَقْبَلَتْ حُورُ الْـمَعَالِـــي فِي الْـحُلَى   فَدَنَتْ مِنْكَ وَقَالَتْ هِيتَ لَكْ[1]
كَمْ سَأَلْنَاكَ احْتِفَـــالًا بِالَّـــذِي   حَـيَّرَ الْـفِكْرَ أَجِـبْ مَـنْ سَأَلَكْ
قَدْ قَضَى الدَّيْنَ الْـمُبَقَّـــى عِنْـدَهُ   فَـاجْـتَـهِـدْ فِي نَـقْـدِهِ مَـا قِبَلَكْ
هَاكَهَا كَالـدُّرِّ حُسْنـــًا وَبَهَـــا   لَا تُهِنْهَا وَانْـهَ عَنْهَا خَـوَلَـكْ[2]
وَرَدَتْ فِي الرَّمَلِ الْـبَحْـــرِ الَّـذِي   طَـالَـمَـا قَـصَّ اغْـتِـبَـاطًـا رَمَـلَـكْ
وَتَحَلَّتْ بِبَدِيــــــعٍ رَائِـــقٍ   وَمَـعَـانٍ أَوْدَعَـتْـهَـا حُـلَـلَـكْ
وَصَلَتْ تَنْشُرُ حَمْـــدًا وَثَنَـــا   يَزْدَرِي الْـمِسْكَ فَصِلْ مَنْ وَصَلَكْ
وَتَمَاسَتْ فِي ذَهَـــابٍ رَائِـــعٍ   أَذْهَـبَ اللهُ تَـعَـالَى وَجَـلَـكْ
لَزِمَتْ مَا لَيْسَ أَمْـــــرًا لَازِمًا   إِنَّهَـا تَـطْـوِي وَتَـقْـفُـو سُبُلَكْ

1) وظف الشاعر الآية 23 من سورة يوسف في الشطر الثاني من البيت.
2) الخَوَلُ: العبيد والإماء، والواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء. اللسان: خول.

بِسُلَيْمَانَ اسْتَجَـــارَتْ وَطَـــوَتْ   كَشْحَهَا لَمْ تَـرْضَ خِـلًّا بَدَلَكْ

فَأَدِرْ كَـأْسَ سُـــرُورٍ دَائِـــمٍ   بِـالَّـذِي دَبَّـرَ تَـدْوِيـرَ الْـفَلَكْ.

* **وَمِنْهُمُ** الْـجَلِيسُ الْأَنِيسُ، وَمُحْيِي رَمِيمَ الْأُنْسِ وَالتَّأْنِيسِ، وَمُوَشِّي الصَّحَائِفِ وَالْـقَرَاطِيسِ، وَمُزَخْرِفُ الدَّفَاتِرِ وَالْـفَهَارِيسِ، وَمُؤَسِّسُ دَعَائِمَ الْأَلْفَاظِ أَنَّى تَأْسِيسٍ، وَرَبُّ التَّصْرِيعِ وَالتَّجْنِيسِ، وَالسَّارِي بِشِهَابِ ذَكَائِهِ فِي قِفَارِ الْـمَعَانِي بِالْإِدْلَاجِ فِيهَا وَالتَّغْلِيسِ وَالتَّعْرِيسِ، وَالْـمُشَهِّرُ حُسَامَ الْـكَلَامِ إِذَا شَمَّرَتِ الْـمُذَاكَرَةُ عَنْ سَاقِ الْـجِدِّ وَدَارَتْ رَحَى الْـحَرْبِ فِي مَيْدَانِهَا وَحَمِيَ مِنْهَا الْـوَطِيسُ، وَمُفَوِّقُ سِهَامَ الرَّسَائِلِ، لِأَغْرَاضِ الْـمَسَائِلِ، وَالتَّوَسُّلِ بِالْـوَسَائِلِ، بِلَا إِيهَامٍ وَلَا تَلْبِيسٍ، //إِنِ اسْتَخْرَجَتِ الْأَقْلَامُ مَا عِنْدَهَا تَقَدَّمَهَا قَلَمُهُ يَتَبَخْتَرُ وَيَمِيسُ، (75)
الْفَقِيهُ الْـكَاتِبُ الرَّئِيسُ، الْـمُزْدَرِي نَفِيسُ دُرِّ كَلَامِهِ بِالدُّرِّ النَّفِيسِ، **سَيِّدِي الْـحَاجُ إِدْرِيسُ، بْنُ الْـفَقِيهِ الْـوَزِيرِ، الْـعَالِمِ النِّحْرِيرِ، سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ**[1]، سَقَى اللهُ ثَرَاهُ الطَّيِّبِ، بِغَمَامِ الرَّحْمَةِ الصَّيِّبِ.

كَانَ وَالِدُهُ الْـمَذْكُورُ اسْتَوْزَرَهُ السُّلْطَانُ الْـمُقَدَّسُ أَبُو زَيْدٍ مَوْلَانَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ دَهْرًا طَوِيلًا، وَمَا عَوَّضَ مِنْهُ بَدِيلًا، إِذْ لَمْ يَجِدْ لَهُ شَبِيهًا وَمَثِيلًا، فَكَانَ يُبَاشِرُ أُمُورَ الْـوِزَارَةِ تَحْتَ رِعَايَةِ الدَّوْلَةِ، فِي الْإِقَامَةِ وَالرِّحْلَةِ، قَدْ جَعَلَهَا تُجَاهَ وَجْهِهِ قِبْلَهُ، وَجَرَّرَ فِي عَرَصَاتِهَا ذَيْلَهُ، حَتَّى أَدْرَكَهُ حِمَامُهُ، وَتَمَّ تَمَامُهُ، وَانْصَرَمَتْ أَيَّامُهُ، فَصَاحَ بِهِ غُرَابُ الْـبَيْنِ، وَذَهَبَ مِنْهُ الْأَثَرُ وَالْـعَيْنُ. فَاسْتَقَرَّ نَجْلُهُ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ بِذَلِكَ الدِّيوَانِ، وَزَهَرَ بِهِ الْإِيوَانُ، فَبَذَلَ جُهْدَهُ فِي الْـخِدْمَةِ الْـوَاجِبَةِ، وَرَهَنَ فِيهَا قَوْسَهُ وَحَاجِبَهُ، وَسَدَّدَ فِي جَانِبِهَا آرَاءً صَائِبَةً، وَأَظْهَرَ فِيهَا عَجَائِبَهُ، وَمَا غَابَ مِنْهَا نَجْمٌ إِلَّا وَأَطْلَعَ رَاقِبَهُ.

---

1) إدريس بن محمد بن إدريس العمراوي الإدريسي، وزير من الشعراء الكتاب المترسلين، استوزره السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، توفي سنة 1296هـ. ترجمته في: فواصل الجمان: 142، الاغتباط: 274، إتحاف أعلام الناس: 2/ 32، موسوعة أعلام المغرب: 7/ 2663، دليل مؤرخ المغرب: 336، الأعلام: 1/ 281.

تجمَّلَ بِجَمِيلِ الْأَوْصَافِ، وَنَهَجَ مَنْهَجَ الْـجِدِّ وَالْإِنْصَافِ، وَذَهَبَ مَذْهَبَ الرُّشْدِ وَالْإِسْعَادِ وَالْإِسْعَافِ، وَتَجَنَّبَ جَانِبَ الْـعَسْفِ وَالِاعْتِسَافِ، وَلَاحَ بَيْنَ أُولَئِكَ الْأَفَاضِلِ مِنَ الصُّدُورِ وَالْأَمَاثِلِ أَحْسَنَ مِنَ الدُّرِّ فِي الْأَصْدَافِ، وَلَهُ وَلُوعٌ بِمَحَبَّةِ أَهْلِ الْـبَيْتِ سَادَاتِنَا الْأَشْرَافِ، لَا يَرَى فِيهَا بَأْسًا فِي التَّبْذِيرِ وَالْإِسْرَافِ، إِلَى نَفْسٍ أَبِيَّةٍ وَهِمَّةٍ سَامِيَّةٍ نَشَأَ فِي حِرْزِ الصِّيَانَةِ وَالْـعَفَافِ، وَلِينِ الْـجَانِبِ وَالْأَعْطَافِ، وَتَعَمَّمَ بِالْـوِفَاقِ وَالْإِيلَافِ وَالْإِئْتِلَافِ، مَا سَلَكَ قَطُّ سَبِيلَ التَّشَاجُرِ وَالِاخْتِلَافِ، اتَّخَذَ مَنْزِلًا رَحْبًا لِلْعُفَاةِ وَالْأَضْيَافِ، وَاسْتَغْنَى بِسَيْفِ قَلَمِهِ عَنِ الرِّمَاحِ وَالْأَسْيَافِ.

وَلَمَّا نَجَمَ فِي الدَّوْلَةِ سَعْدُ الْـفَقِيهِ الْـوَزِيرِ الْـكَبِيرِ سَيِّدِي مُوسَى بْنُ أَحْمَدَ، طَلَعَ مَعَهُ الْـفَقِيهُ الْـمَذْكُورُ طُلُوعَ السَّعِيدِ الْأَحْمَدِ، فَكَانَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَأَسْنَدَ إِلَيْهِ نَظَرَهُ، وَعَلَيْهِ قَصَرَهُ، وَصَحَّحَ حَدِيثَهُ وَأَثَرَهُ، وَحَمِدَ وِرْدَهُ وَصَدَرَهُ، وَجَلَّى فِي الْـخَافِقَيْنِ شَمْسَهُ وَقَمَرَهُ، وَنَوَّرَ فِي الْأَعْيُنِ قَدْرَهُ، وَبَنَى عَلَى ضَمِّ وُدِّهِ مُضْمَرَهُ، وَلَازَمَهُ سَفَرَهُ وَحَضَرَهُ، حَتَّى قَضَى مِنْهُ وَطَرَهُ، بَعْدَ أَنْ سَبَكَ مُرَادَهُ وَقَرَّرَهُ، وَعَرَفَ مَرَامَهُ وَحَرَّرَهُ، إِلَى أَنْ قَضَى الْـفَقِيهُ الْـوَزِيرُ نَحْبَهُ، وَوَاجَهَ رَبَّهُ، فَحَمَلَ الْـفَقِيهُ بِمُصَابِهِ رُزْءًا لَا تَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ جِبَالُ رَضْوَى، وَلَا تَقُومُ لِبَلِيَّتِهِ بَلْوَى، وَأَغَارَتِ الرَّزَايَا عَلَى مَآرِبِهِ إِغَارَةً شَعْوَاءَ، وَتَعَذَّرَتْ مَطَالِبُهُ فَخَيَّمَتْ بِالسِّمَاكَيْنِ وَالْـعَوَاءِ[1].

وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا أَيَّامًا قَلَائِلَ حَتَّى لَحِقَ بِهِ، فَبَكَتِ الدُّنْيَا عَلَى عُلُومِهِ وَأَدَبِهِ، وَتَرْسِيلِهِ وَخُطَبِهِ، دُونَ نَشَبِهِ[2] وَوَرِقِهِ وَذَهَبِهِ. وَغَرَبَتْ شُمُوسُ الذَّكَاءِ لِغُرُوبِهِ، وَغَابَ بَدْرُ الْـبَيَانِ وَالْـبَدِيعِ لِغُيُوبِهِ، وَطَارَتِ الْـعَنْقَاءُ بِالْـحَقَائِقِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا

1) العواء: منزل من منازل القمر يمد ويقصر. اللسان: عوي.
2) النشب والمنشبة: المال الأصيل من الناطق والصامت. اللسان: نشب.

الدَّعْوَى، وَكَثُرَتِ الْأَدْوَاءُ[1]، وَنَجَمَتِ الْأَهْوَاءُ، وَأَخْلَفَتْ مِنَ الْـمَكَارِمِ الْأَنْوَاءُ، وَشُحِنَتْ قَصَائِدُ شُعَرَاءِ الْـعَصْرِ بِالْإِكْفَاءِ وَالْإِقْوَاءِ[2].

كَانَ الْـفَقِيهُ الْـمُشَارُ إِلَيْهِ عَيَّنَتْهُ الدَّوْلَةُ لِمُبَاشَرَةِ أُمُورِ النَّصَارَى، وَسَيَّرَتْهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُمْ شِهَابًا سَيَّارًا، فَحَمِدَتْ مُقَامَهُ مَعَهُمْ وِرْدًا وَإِصْدَارًا، فَكَانَ يُضَارِعُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْـمُعَامَلَاتِ الْـفَاسِدَةِ وَالدُّيُونِ الْـخَالِدَةِ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجِهَارًا، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الشُّرُوطِ الْـمُدَوَّنَةِ وَالْـقَوَانِينِ الْـمُبَيَّنَةِ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤُهُ إِلَّا فِرَارًا، وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا[3]، وَمَازَالَ يُنَاضِلُهُمْ، وَيُقَاطِعُهُمْ مُدَّةً وَيُوَاصِلُهُمْ، حَتَّى وَقَعَ الْـفِصَالُ مَعَهُمْ بِالْـوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، وَالْـقَانُونِ الْـمَرْعِيِّ، فَشَكَرَتِ الْـحَضْرَةُ الشَّرِيفَةُ سَعْيَهُ، وَأَوْجَبَتْ بِرَّهُ وَرَعْيَهُ، طَالَمَا بَغَتَ النَّصَارَى بِأَجْوِبَتِهِ، وَبَكَّتَهُمْ بِخِطَابِهِ وَكِتَابَتِهِ، وَجَوْدَةِ فَهْمِهِ وَصَرَامَتِهِ، بَعْدَ أَنْ فَهِمَ مَا يَرْمُونَهُ مِنَ الْـمَكْرِ بِفِطَانَتِهِ.

هَذَا وَالْـمَدَدُ السُّلْطَانِيُّ يَغْدُو عَلَيْهِ وَيَرُوحُ، بِمَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُتُونٍ وَشُرُوحٍ، فَمَا كَانَ يُبْرِمُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْـمُرَاجَعَةِ وَالِاسْتِشَارِ، فِي الْإِيرَادِ وَالْإِصْدَارِ، فَاسْتَمْطَرَ الْـعَدُوُّ مِنْ غَمَامِ رَأْيِهِ وَدْقَهُ، وَعَرَفُوا بَعْدَمَا سَبَرُوا صِدْقَهُ، بَلْ وَجَدُوهُ أَصْدَقَ مِنَ الْـقَطَا[4]، وَمَا تَزَحْزَحَ عَنْ قَانُونِهِمْ عَمْدًا وَلَا خَطَا، بَعْدَ كَشْفِ الْـغِطَا. //

(76)

1) ينبغي أن تختلس الهمزة لكي تستقيم فواصل السجع.

2) الإكفاء والإقواء من عيوب الشعر، فالإكفاء أصله من كفأتُ الإناء وغيره قلبته، وأكفأتُ الشيءَ أملته، وهو اختلاف حرف الروي في قصيدة واحدة، وأكثر ما يقع ذلك في في الحروف المتقاربة المخارج. والإقواء من قولك فتل الفاتل الحبل فأقواه، إذا نبت قوة من قواه، وهو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة. كتاب الكافي في العروض والقوافي: 160-161.

3) وظف الكاتب الآية 6-7 من سورة نوح لإقامة فواصل سجعه.

4) أصدق من قطاة: لأن لها صوتا واحدا لا تغيره، وصوتها حكاية لاسمها، ولذلك تسميها العرب الصدوق. وكذلك قولهم: «أنسب من قطاة» لأنها إذا صوتت عرفت. مجمع الأمثال: 1/ 516.

أُقْسِمُ بِاللهِ الْـمُبْدِئِ الْـمُعِيدِ، مُنْجِزِ الْـوُعُودِ، وَمُنْشِئِ السَّحَابِ الثِّقَالِ تَنْهَلُّ بِالْـبُرُوقِ وَالرُّعُودِ، وَالطَّوَالِعِ السُّعُودِ، والرَّبِّ الْـمَعْبُودِ، الْـوَاجِبِ الْـوُجُودِ، الْـمُتَفَضِلِ بِالْـكَرَمِ وَالْـجُودِ، فِي الْأَغْوَارِ وَالنُّجُودِ، وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْـبُرُوجِ وَالْـيَوْمِ الْـمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ[1]، وَنَبِيِّهِ الرَّؤُوفِ السَّعِيدِ، الْـمَخْصُوصِ بِالْـمَقَامِ الْـمَحْمُودِ، وَالْـحَوْضِ الْـمَوْرُودِ، وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ، الْـمَوْسُومِينَ بِالتَّهَجُّدِ وَالْـهُجُودِ، إِنَّهُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَتُحْفَةُ الْـخَلَفِ الْـغَادِي مِنْهُمْ وَالرَّائِحِ.

وَمَاذَا أَقُولُ فِيمَنْ بَهَرَ الْـعُقُولَ بِالْـمَعْقُولِ وَالْـمَنْقُولِ، تَوَّجَ الطُّرُوسَ بِخَطِّهِ الرَّائِقِ، وَلَفْظِهِ الْـعَذْبِ الْـفَائِقِ، فَلَمَعَتْ فِي الآفَاقِ لُمُوعَ الْـبَارِقِ، وَطَلَعَتْ فِي الْـمَكَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ طُلُوعَ الشَّارِقِ[2]، وَانْتَشَرَتْ فِي الْـمَغَارِبِ وَالْـمَشَارِقِ، وَبُهِتَ لِرُؤْيَتِهَا الطَّامِحُ وَالرَّامِقُ، وَالْـبَغِيضُ وَالْـوَامِقُ[3]، وَكَلِفَ بِهَا الصَّبُّ الْـعَاشِقُ، إِلَى أَخْلَاقٍ تُقِرُّ بِحُسْنِهَا الْـخَلَائِقُ، وَوَقَارٍ تَخِرُّ لِطَوْدِهِ الشَّوَاهِقُ، وَمَدَارِكَ تَقِفُ دُونَ غَايَتِهَا السَّوَابِقُ، وَصَدَاقَةٍ تَوَدُّهَا الْـفُجُورُ الصَّوَادِقُ، وَكَرَمٍ تَوَدُّهُ الْـبُحُورُ الْـعَوَامِقُ، وَتَجْتَلِيهِ الْـعُيُونُ الرَّوَامِقُ. فَإِعْرَابُهُ يَرْتَضِيهِ سِيبَوَيْهِ وَالنَّحْوِيُّونَ، وَبَيَانُهُ يَدِينُ بِهِ الْـبَيَانِيُّونَ، وَعَرُوضُهُ يُسَلِّمُهُ وَلَا يَعْتَرِضُهُ الْـعَرُوضِيُّونَ. تَطَوَّفَ زَمَانًا بِمَجَالِسِ الْـفُقَهَاءِ، وَتَوَشَّحَ أَحْيَانًا بِنَبَاهَةِ النُّبَهَاءِ.

وَبِالْـجُمْلَةِ فَقَدْ كَانَ وَحِيدَ عَصْرِهِ، وَنَجِيبَ مِصْرِهِ، وَفَرِيدَ دَهْرِهِ، وَنَسِيجَ وَحْدِهِ، وَعَمِيدَ مَجْدِهِ، وَعَرِيفَ غَوْرِهِ وَنَجْدِهِ، وَحَلِيفَ صَبَابَتِهِ وَوَجْدِهِ. تَبْتَهِجُ بِزَهْرِ أَدَبِهِ الزُّهُورُ، وَتَفْتَخِرُ بِبَهْجَةِ مَجَامِعِهِ الدُّهُورُ، وَتَكِلُّ الْـفُضَلَاءُ عَنْ إِدْرَاكِ مَرَامِهِ،

1) وظف الكاتب الآيات 1-2-3 من سورة البروج لرصف فواصل سجعه.
2) الشارق: قرن الشمس، يقال لا آتيك ما ذر شارق، والشمس تسمى شارقا. اللسان: شرق.
3) الوامق: المحب والعاشق. اللسان: ومق.

وَتَعْتَرِفُ بِالْفَخْرِ وَالْقُصُورِ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى وَالْقُصُورِ، فَالْعُيُونُ عَلَى فَقْدِهِ إِلَى الْآنَ بَاكِيَةٌ، وَالْقُلُوبُ مِنْ مُصَابِهِ وَجِعَةٌ شَاكِيَةٌ، فِي الْحَاضِرَةِ وَالْبَادِيَةِ، وَالْأَشْوَاقُ مِنْ مَحَبَّتِهِ مُسْتَعِرَةٌ وَارِيَةٌ، رَحِمَهُ اللهُ.

خَاطَبْتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، بِقَصَائِدَ لَمْ تَبْلُغِ الْمِعْشَارَ مِنْ غَايَاتِهِ، وَلَا أَلَمَّتِ الْإِبَايَةَ مِنْ آيَاتِهِ، فَمِنْهَا: [الكامل]

أَمْسَتْ رُسُومُ الشِّعْرِ يَا إِدْرِيسُ ... قَفْرًا يَبَابًا لَيْسَ فِيهَا أَنِيسُ[1]
مَا فِي حِمَاهَا مِنْ أَنِيسٍ مُطْرِبٍ ... إِلَّا يَعَافِيرٌ وَإِلَّا الْعِيسُ[2]
وَغَدَتْ مُنَاخًا لِلْعُدَاةِ وَمَنْزِلًا ... فَلَهُمْ بِهَا التَّهْجِيرُ وَالتَّعْرِيسُ[3]
أَخْفَوْا جَوَاهِرَهُ الْحِسَانَ وَدَلَّسُوا ... حَتَّى رَبَا الْإِخْفَاءُ وَالتَّدْلِيسُ
هَبْ أَنَّهُمْ غَصُّوا الْمَجَالِسَ ظِلَّةً ... لَا يُرْتَضَى مِنْهُمْ هُنَاكَ جَلِيسُ
أَوَمَا يَخَافُونَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمُ ... أَوْ أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ عَذَابٌ بِيسُ
إِذْ سَوَّدُوا وَجْهَ الرِّقَاعِ وَهَوَّسُوا ... حَتَّى فَشَا التَّسْوِيدُ وَالتَّهْوِيسُ[4]
يَا لَيْتَهُمْ بَادُوا جَمِيعًا مِثْلَمَا ... قَدْ بَادَ طَسْمٌ قَبْلَهُمْ وَجَدِيسُ[5]
وَتُنُوسِيَ الْأَدَبُ الرَّفِيعُ مَقَامُهُ ... وَجَرَى عَلَيْهِ اللَّبْسُ وَالتَّلْبِيسُ
وَتَغَيَّبَتْ أَكْفَاؤُهُ وَتَوَحَّشَتْ ... أَرْجَاؤُهُ وَتَرَحَّلَ التَّأْنِيسُ

---

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

2) اليعافير جمع يعفور وهي تيوس الظباء. اللسان: عفر.

3) المناخ: الموضع الذي تبرك فيه الإبل. اللسان: نوخ.

4) الهوس: الإفساد، هوس الناس هوسا وقعوا في اختلاط وفساد. اللسان: هوس.

5) بنو طسم من العرب العاربة وهم بنو طسم بن لاوذ بن إرم بن نوح عليه السلام. نهاية الأرب: 298.
– جديس من العرب العاربة البائدة وهم بنوجديس بن إرم من سام بن نوح عليه السلام. نهاية الأرب: 191-192.

وَمَحَا سَنَاهُ الدَّهْرُ حَتَّى سَامَهُ   نَذْلٌ حَقِيرٌ فِي الْعِبَادِ خَسِيسُ
وَتَمَزَّقَتْ أَوْرَاقُهُ وَتَعَطَّلَتْ   أَسْوَاقُهُ وَاحْتَلَّهَا التَّفْلِيسُ
وَتَبَدَّدَتْ أَعْلَاقُهُ وَتَسَعَّرَتْ   أَشْوَاقُهُ وَاعْتَادَهُ التَّنْكِيسُ[1]
وَتَوَارَدَتْ أَرْبَابُهُ بَطْنَ الثَّرَى   وَمَضَوا فَلَيْسَ لَهُمْ هُنَاكَ حَسِيسُ
وَتَجَرَّعُوا كَأْسَ الْفَنَا وَتَيَمَّمُوا   دَارَ الْبَقَا فَلَهُمْ بِهَا تَنْفِيسُ
وَخَلَتْ رُبُوعُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَاقِهَا   دَرَسَتْ فَلَيْسَ يُرَى بِهَا تَدْرِيسُ
أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ كَالشُّهْبِ فِي   أُفْقِ الْمَعَالِي لَيْسَ فِيهَا نَحِيسُ؟!
دَرَسُوا الْعُلُومَ وَحَرَّرُوا أَقْوَالَهَا   كُلٌّ يَوَدُّ عُلُومَهُ بَنِّيسُ
وَلَطَالَمَا وَصَلُوا الْبُكُورَ وَغَلَّسُوا   حَيَّاهُمُ التَّبْكِيرُ وَالتَّغْلِيسُ
تَبْكِي الشُّمُوسُ عَلَيْهِمُ بِبُرُوجِهَا   وَالْجِهْبِذُ النِّحْرِيرُ وَالْقِسِّيسُ // (77)
فَسَقَى الْإِلَاهُ ثَرَاهُمُ سُحْبَ الرِّضَى   مَا دَامَ يَتْلُو الْأَرْبِعَاءَ خَمِيسُ
لَا زَالَ قَدْرُكَ لِلنُّجُومِ مُعَانِقًا   وَلِوَاءُ سَعْدِكَ فِي السُّعُودِ يَمِيسُ
وَلْيَهْنِكَ الْمَجْدُ الَّذِي أَوْرَدْتَهُ   نَهْرَ الْمَجَرَّةِ فَهْوَ فِيهِ رَسِيسُ[2]
شِدْتُمْ فَخَارًا بَعْدَمَا أَسَّسْتُمُ   بُنْيَانَهُ وَتَقَرَّرَ التَّأْسِيسُ
وَتَرَفَّعَتْ أَقْدَارُكُمْ وَتَقَدَّسَتْ   أَسْرَارُكُمْ لَا خَانَكُمْ تَقْدِيسُ
لَا يُنْكِرُ الْمَعْلُومَ مِنْ مِقْدَارِكُمْ   إِلَّا لَعِينٌ مَارِدٌ إِبْلِيسُ

1) الأعلاق جمع علق وهو المال الكريم. اللسان: علق.
2) الرسيس: الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه. اللسان: رسس.

وَافَتْكَ أَبْيَاتٌ تَـرُوقُ كَأَنَّهَـا حَـوْرَاءُ حَاجِبُهَا لَـهُ تَقْوِيسُ
مِنْ شِعْرِ بَحْرٍ كَامِـلٍ مُتَلَاطِـمٍ بِـالـدُّرِّ لَـكِـنْ إِنْ تَـزِنْـهُ نَفِيسُ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ لَـمْ يَقْتَـدِحْ زَنْـدَ الْـقَرِيحَةِ فَاللِّسَانُ حَبِيسُ
فَالْـحَبْسُ لِلشِّعْرِ الرَّضِيِّ مُـحَـرَّمٌ إِلَّا عَلَيْكَ فَيَنْبَغِي التَّحْبِيسُ
إِنْ هِمْتَ فِي وَادِي الْـقَرِيضِ وَطُرْقِـهِ عُـجْ بِالْـحِمَى للهِ يَـا إِدْرِيـسُ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [البسيط]

الدُّرُّ يَخْرُجُ وَالْـمَرْجَانُ مِنْ فِيكَـا هَبْ أَنَّكَ الْـبَحْرُ لَا جَزْرٌ يُرَى فِيكَا[1]
فُقْتَ الْـوَرَى فِي ارْتِجَالِ الْـقَوْلِ مُخْتَصَرًا كَـالـدُّرِّ تَـنْـثُـرُهُ لِأَهْـلِ نَادِيكَا
وَجِئْتَ تَسْبِقُ الْـحُسْنَى عَـلَى قَدَرٍ نَاهِيكَ بِالْـقَدَرِ الْـمَقْدُورِ نَاهِيكَا
وَنِلْتَ مَكْرُمَةً تُـحْيِـي حَقِيقَتُهَـا مَوْتَى الْـمَكَارِمِ وَالْأَيَّـامُ تُرْضِيكَا
وَحُزْتَ مِنْ شِيَمِ الْأَشْرَافِ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْأَمَـاثِـلُ لَا مِثْلٌ يُضَاهِيكَا
وَصُغْتَ جَوْهَرَ لَفْظٍ مِنْ بَيَانِكَ بَـلْ أَبْنَاءُ دَهْـرِكَ تَاهَتْ فِي مَعَانِيكَا
فَمَا تَمَلُّ النَّدَامَى فِي نَوَادِيـكَ بَـلْ تَقْضِي حُقُوقَهُمُ وَالْـحَقُّ قَاضِيكَا
تَلُوحُ كَالْـكَوْكَبِ الـدُّرِّيِّ بَيْنَهُـمُ لَكِنَّ فَضْلَكَ لَا يُحْصِيهِ شَانِيكَا
هَامَتْ بِأَوْصَافِكَ الْـغُرِّ الْـبَرِيَّـةُ إِذْ رَجَوْا مُنَاكَ فَأَنْتَ حَسْبُ رَاجِيكَا
لَا زِلْتَ تَسْمُو سُمُوَّ الْـفَرْقَدَيْنِ مَعًـا وَالدَّهْرُ عَبْدُكَ وَالدُّنْيَا تُهَادِيكَا[2]
وَتَرْتَدِي بِرِدَاءِ الْـمَجْـدِ مُلْتَحِفًـا بِحِلْيَةِ الْـفَضْلِ وَالْـعَلْيَا تُنَاجِيكَا

1) القصيدة في ديوان شعره في الورقة 71 بزيادة بعض الأبيات.
2) في ديوان شعره: تناديكا.

وَتَهْتَدِي لِمَنَارِ النُّبْـــلِ مُقْتَبِسًـــا لِجَـذْوَةِ الشِّعْرِ وَالشِّعْرَى تُحَيِّيكَا
وَتَجْتَنِي ثَمَرَاتِ الْـمَجْدِ دَانِيَـــةً تُسْقَى بِـمَاءِ الْـحَيَا لله سَاقِيكَا
وَتَنْصُرُ الْأَدَبَ الْـمَحْمُودَ مَقْصِـدُهُ تَقِيهِ مَـا يُتَّقَى وَاللهُ وَاقِيكَا
وَتَنْتَقِي صَفْوَةَ الْأَخْيَارِ مُلْتَمِسًـــا لِدَعْوَةِ الْـخَيْرِ وَالصَّفَا يُصَافِيكَا[1]
وَالْـبِرُّ يَهْمِي عَلَيْكَ كَالْـحَيَا وَابِـلًا وَالسَّعْدُ يُدْنِيكَ وَالْأَكْفَا تُكَافِيكَا
وَالْـحَظُّ يَحْبُوكَ إِجْـــلَالًا وَتَكْرِمَـةً وَالْـخِلُّ يَفْدِيكَ وَالْأَعْدَا تُدَارِيكَا
وَالْـعِزُّ يَأْوِي إِلَيْــكَ فِي أَعِزَّتِــهِ وَالصِّدْقُ يُنْجِيكَ وَالْـوَفَا يُوَافِيكَا
أَدْرَكْتَ بِالْـجِدِّ يَا إِدْرِيسُ مَرْتَبَـــةً تَبْدُو السُّهَى دُونَهَا وَالسَّعْدُ رَاعِيكَا[2]
فَمَنْ يَرُومُ مَرَامَكَ الْـحَمِيدَ وَمَـــنْ يُغْنِي غِنَاكَ الْـعَزِيزَ أَوْ يُسَاوِيكَا[3]
بَارَيْتَ كُلَّ بَلِيغٍ فِي الْـكَلَامِ وَقَـــدْ جَادُوا بِجُهْدِهِمُ سُبْحَانَ بَارِيكَا!
خُذْهَا قَلَائِدَ أَبْيَـــاتٍ مُهَذَّبَـــةٍ لَهَـا يَـدٌ لَا تُـطَـاقُ مِـنْ أَيَادِيكَا
لَقَطْتُ لُؤْلُؤَهَا الْـمَكْنُونَ مِنْ لُجَجِ الْـ ـبَحْرِ الْبَسِيطِ وَمَا هَذَا بِكَافِيكَا
حَبَاكُمُوهُ أَسِـــيرٌ فِي مَحَبَّتِكُـــمْ يَهُـزُّهُ الـشِّـعْـرُ هَـائِـمًا بِـوَادِيـكَـا
لَا تَنْسَ مَا يَقْتَضِيهِ الْـفَضْلُ بَيْنَكُـمُ فَلَسْتُ وَاللهِ مَا عِشْنَا بِنَاسِيكَا![4]
عَجِبْتُ مِنْ عَاشِقٍ لِلدُّرِّ فِي صَـدَفٍ وَالدُّرُّ يَخْرُجُ وَالْـمَرْجَانُ مِنْ فِيكَا.

1) في ديوان شعره: وتصطفي صفوة.
2) في ديوان شعره: أدركت بالجد في الأمور مرتبة تبدو السهى دونها والسعد يسميكا.
3) في ديوان شعره: يحوي حلاك ومن يسعى مساعيكا.
4) في ديوان شعره: ما كنا بناسيكا.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [البسيط]

الرَّفْعُ شَأْنُكَ وَالأَفْعَـــالُ تَرْفَعُكَـــا ... لَا زَالَ فِي مَظْهَرِ الْـعَلْيَا تَرَفُّعُكَا[1] // (78)

وَالنَّصْبُ حَالُكَ لَا تَـزَالُ مُنْتَصِبًـــا ... بِحَضْرَةِ الْـمُلْكِ وَالْآمَالُ تُرْضِعُكَا

وَالْـجَزْمُ رَأْيُكَ لَا تَنْفَـــكُّ مُرْتَقِيًـا ... مَرْقَى الظُّهُورِ وَحِفْظُ الله يَتْبَعُكَا[2]

فِي هَالَةِ الْـبَدْرِ سَعْدُكَ السَّعِيدُ بَـدَا ... وَمِنْ بِحَارِ الذَّكَا وَالْـفَهْمِ مَنْبَعُكَا

فَارْفَعْ سَمَا الْـمَجْدِ يَا إِدْرِيسُ قَدْ دَرَسَتْ ... آثَـــارُهُ دَامَ لِلْحُسْنَى تَسَرُّعُكَا

وَاسْلَمْ فَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ تُولِيكَ مَـا ... تَهْـوَى وَتَخْتَارُ كَـالْأَقْمَارِ تُطْلِعُكَا

تُصَاحِبُ النُّجْحَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَـــةٍ ... وَفِي رِيَاضِ الْـمُنَى وَالْـوُدِّ مَرْتَعُكَا

وَتَغْنَمُ السَّعْدَ فِي رَحْبٍ وَفِي سَعَـــةٍ ... وَفِي حِيَاضِ الصَّفَا وَالصِّدْقِ مَكْرَعُكَا

تَنْهَلُّ بِالْـفَضْـلِ مِنَّةً عَلَى الْـفُضَـــلَا ... وَمِنْ جَنَابِ الْـعُلَا وَالْـعِزِّ مَطْلَعُكَا[3]

وَتَمْنَحُ الرُّشْدَ بِـــرَّةً وَتَكْرِمَـــةً ... وَفِي نَوَادِي التُّقَى وَالْـبِرِّ مَجْمَعُكَا

أَنْتَ الْـمُشَارُ إِلَيْهِ فِي الْأَوَانِ وَفِي الْـ ... إِيـوَانِ مَا ثَمَّ قَطُّ مَنْ يُضَارِعُكَا

وَأَنْتَ أَوَّلُهُمْ فَضْـــلًا وَسَابِقَـــةً ... وَأَنْـتَ أَوْسَطُهُمْ لَا مَنْ يُنَازِعُكَا

وَأَنْتَ أَوْسَعُهُمْ حِلْمًا وَمَغْفِـــرَةً ... وَأَنْـتَ أَفْصَحُهُمْ لَا مَنْ يُقَارِعُكَا

وَأَنْتَ أَبْسَطُهُمْ عِلْمًـا وَمَعْرِفَـــةً ... وَأَنْتَ أَبْلَغُهُمْ لَا مَنْ يُرَاجِعُكَا[4] // (72)

---

1) القصيدة في ديوان شعره الورقة 72-73.

2) في ديوان شعره: مرقى اليقين.

3) في ديوان شعره: وَتَبْسُطُ الْـفَضْلَ.

4) في ديوان شعره: أنبههم علما.

وَأَنْتَ أَرْفَعُهُمْ مَجْـــدًا وَمَرْتَبَـــةً　　　وَأَنْـــتَ أَقْـدَمُـهُـمْ كُـلٌّ يُتَابِعُكَا
لَا زَالَ شَانِئُكَ الْـمَشْنُـوءُ فِي كَمَـدٍ　　　وَلَا بَرِحْتَ تَـرَاهُ وَهْـوَ طَائِعُكَا
فَدُمْ دَوَامَ الْـبِحَارِ السَّبْعِ جَارِيَـــةً　　　وَالدَّهْرُ عَبْدُكَ وَالدُّنْيَا تُطَاوِعُكَا[1]
وَلُحْ كَمَا لَاحَتِ الْأَقْمَـارُ سَارِيَـــةً　　　فِي لَيْلَةِ التِّمِّ وَالْأَعْـدَا تُوَادِعُكَا
زِنَادُ فَهْمِـــكَ مَا تَنْفَـــكُّ وَارِيَةً　　　وَالْـحَقُّ يَرْعَاكَ وَالْـعَلْيَا تُبَايِعُكَا
خُذْهَا خَرِيدَةَ أَبْيَاتٍ حَوَتْ جُمَـــلًا　　　مِنَ الْـبَدِيعِ وَيُحْصِيهَا تَطَلُّعُكَا[2]
لَقَطْتُ جَوْهَرَهَا الْـفَرْدَ الْـعَجِيبَ مِنَ الْـ　　　ـبَحْرِ الْـبَسِيطِ الَّذِي مَجْرَاهُ مَشْرَعُكَا
لَكِنَّهَا قُلِّدَتْ لُزُومَهَـــا مَا يَلْـــ　　　ـزَمُ الْـقَرِيضَ وَيَدْرِيهَا تَتَبُّعُكَا[3]
تَوَاضَعَتْ لِعُلَاكَ وَهْيَ مَا هِيَ مِـــنْ　　　تِيهٍ وَعِـــزٍّ فَحَطَّهَا تَوَاضُعُكَا
وَأُولِعَتْ بِارْتِكَابِ السِّحْرِ فِي نَمَـطٍ　　　مِـنَ الْـكَلَامِ وَأَغْـرَاهَـا تَوَلُّعُكَا
تَبَادَرَتْ وَأَتَتْ بِالرُّغْمِ ضَارِعَـــةً　　　إِلَيْكَ، لَا زَالَ لِلْمَوْلَى تَضَرُّعُكَا
وَبِالذَّكَا وَالْـحَيَا تَشَرَّعَتْ وَبِكُـــمْ　　　تَعَلَّقَتْ، إِنَّ شَرْعَـهَـا تَشَرُّعُكَا
قَدْ شَاعَ أَنَّكُمُ لَا زِلْتُـــمُ شِيعَـــةً　　　إِلَى الْـقَرِيضِ فَلَا يَخْفَى تَشَيُّعُكَا[4]
نَزِّهْ حُلَاهَا عَنِ الْـخَفْضِ الْـمُخِلِّ بِهَا　　　فِي حَالَةِ الْـجَمْعِ لَا انْفَضَّتْ مَجَامِعُكَا
وَكَيْفَ تُخْفَضُ وَهْيَ صَبَّةٌ بِكُـــمُ　　　وَالرَّفْعُ شَأْنُكَ وَالْأَفْعَالُ تَرْفَعُكَا.

---

1) في ديوان شعره: والدنيا تضارعكا.
2) في ديوان شعره: من البسيط
3) ينبغي أن تُخْتَلَسَ ألف ما لكي يستقيم الوزن، وفي البيت إشارة من الشاعر على أن روي القصيدة هو الكاف وليس العين كما قد يُتَوهم.
4) في ديوان شعره: فما يخفى.

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا: [الطويل]

أَيَا مَنْ سَمَا فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ قَدْرُهُ ... وَحَلَّ بِأَرْجَاءِ النَّعَائِمِ فَخْرُهُ[1]

وَخَرَّتْ لِمَجْدِهِ الشَّوَاهِقُ وَالذُّرَى ... وَغَنَّتْ بِأَصْوَاتِ الْمَسَرَّاتِ طَيْرُهُ[2]

وَأَدْرَكَ صِيتًا فِي الْبَوَادِي وَفِي الْقُرَى ... وَعَمَّ بِآفَاقِ الْبَسِيطَةِ ذِكْرُهُ

وَبَرَّزَ صَدْرًا فِي الصُّدُورِ وَقَدْ خَلَا ... مِنَ الْغِلِّ وَالْأَكْدَارِ وَالْكِبْرِ صَدْرُهُ

وَقَدْ بَانَ فَرْدًا فِي الْمَعَالِي مُخَيِّمًا ... كَمَا بَانَ صُبْحٌ إِذْ تَوَضَّحَ فَجْرُهُ

وَمَنْ لَاحَ فِي الْإِيوَانِ كَالزَّهْرِ فِي الرُّبَا ... وَتُحْفَةُ مَوْلَانَا الْمُؤَيَّدِ أَمْرُهُ

لَقَدْ سَحَرَ الْأَلْبَابَ طُرًّا بِقَوْلِهِ ... فَدَعْ شَأْنَ مَارُوتَ الَّذِي بَادَ سِحْرُهُ

تَهِيمُ عُقُودُ الْغَانِيَاتِ بِنَظْمِهِ ... وَبِالنَّثْرَةِ الشَّمَّاءِ يَسْخَرُ نَثْرُهُ

وَتَعْتَرِفُ الشِّعْرَى الْعَبُورُ بِقَدْرِهِ ... وَيُزْرِي بِأَشْعَارِ الْأَوَائِلِ شِعْرُهُ

وَيَسْتَوْهِبُ الدُّرُّ النَّظِيمُ نِظَامَهُ ... فَلِلَّهِ مَا يُسْدِي وَلِلَّهِ دَرُّهُ!

جَرَى فَهْمُهُ الْوَقَّادُ فِي كُلِّ غَايَةٍ ... وَطَمَّ بِدُرِّ الْيَمِّ وَالنِّيلُ بَحْرُهُ // (79)

تَنَوَّرَ كَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ بِعَصْرِنَا ... سِوَى أَنَّ بَدْرَ التِّمِّ يَنْقُصُ نُورُهُ

تَرَفَّعْتَ يَا إِدْرِيسُ إِذْ حُزْتَ فِي الْعُلَا ... مَكَانًا عَلِيًّا لَا يُضَاهِيهِ غَيْرُهُ

وَأَحْيَيْتَ رَسْمَ الْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالذَّكَا ... وَعَالَجْتَهُ لَمَّا تَوَاصَلَ ضُرُّهُ

وَقَلَّدْتَ أَجْيَادَ الْقَرِيضِ قَلَائِدًا ... مِنَ الْحُسْنِ وَالصُّنْعِ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ

---

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

2) قافية مردوفة.

وَمَنْ رَامَ أَنْ يُحْصِي مَزَايَاكَ لَمْ يَقتَفْ عَلَى نَزْرِهَا وَإِنْ تَطَاوَلَ عُمْرُهُ
وَأَنْشَرْتَهُ مِنْ بَعْدِمَا صَارَ رِمَّةً وَأَنْعَشْتَهُ مِنْ بَعْدِمَا عِيلَ صَبْرُهُ
أَيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا وَمَنْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْنَا عَلَى مَرِّ الْأَصَائِلِ شُكْرُهُ
تَقَبَّلْ قَرِيضًا كَالْغَزَالَةِ فِي الضُّحَى وَكَالْعَارِضِ الْبَسَّامِ يَنْهَلُّ قَطْرُهُ
وَكَالرَّاحِ فِي كَفٍّ خَضِيبٍ مُخَضَّبٍ وَكَالرَّوْضِ يُسْقَى إِذْ تَفَتَّحَ زَهْرُهُ
وَكَالرَّوْضَةِ الْغَنَّاءِ بَاكَرَهَا الْحَيَا وَكَالرِّيمِ سَامِي الْجِيدِ حُلِّيَ نَحْرُهُ
حَبَاكَ بِهِ صَبٌّ حَبِيبٌ مُحَبَّبٌ يُكَابِدُ شَوْقًا قَدْ تَسَعَّرَ حَرُّهُ
رَهِينُ دُيُونٍ لِلصَّبَابَةِ وَالْهَوَى أَسِيرُ حُقُوقٍ لِلْعُلَى طَالَ أَسْرُهُ
سَمَوْتَ سُمُوًّا لَا يُكَيَّفُ حَالُهُ أَيَا مَنْ سَمَا فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ قَدْرُهُ.

* **وَمِنْهُمُ الْعَلَمُ الشَّهِيرُ**، الْعَلَّامَةُ النِّحْرِيرُ، الْفَقِيهُ الْكَاتِبُ الْوَزِيرُ **سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الشُّرْفِيُّ**[1]، خَاتِمَةُ الْمُحَقِّقِينَ، وَتُحْفَةُ الْمُدَقِّقِينَ، أَدْرَكَ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ الرِّيَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ، وَأَرْسَلَ فِي مَيَادِينِ الْمَفَاخِرِ جِيَادَهُ، وَحَازَ رُتَبًا رَفِيعَةً أَدْنَاهَا الْحِسْبَةُ، وَمَعَ هَذَا فَنَفْسُهُ بِنَفَائِسِ الْعُلُومِ صَبَّةٌ، هَائِمَةٌ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْهَا وَشُعْبَةٍ، قَدْ رَوَى مَا حَدَّثَ بِهِ قَتَادَةُ وَشُعْبَةُ[2]، فَطَافَ فِي جَوَلَانِهِ رِيَاضَهَا، وَعَرَفَ رِجَالَهَا وَعِيَاضَهَا[3]، وَوَرَدَ أَنْهَارَهَا وَحِيَاضَهَا، وَدَخَلَ جِنَانَهَا وَغِيَاضَهَا.

---

1) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشرفي الأندلسي، العالم العلامة المشارك المدرس، الأديب الشاعر، ولي الحسبة في عهد المولى عبد الرحمن، ثم استوزره المولى الحسن الأول، توفي سنة 1304 هـ. تنظر ترجمته في: الدرر البهية: 2/ 338، فواصل الجمان: 258، الإعلام: 8/ 147، موسوعة أعلام المغرب: 8/ 2769، دليل مؤرخ المغرب: 2/ 392.

2) يقصد شعبة بن الحجاج الأزدي، الحافظ الكبير المتوفى سنة 160هـ.

3) يقصد القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة 544هـ.

أَمَّا الْأَدَبُ فَمِنْهُ تَفَجَّرَتْ أَنْهَارُهُ، وَتَفَتَّحَتْ أَزْهَارُهُ، وَمِنْ سَمَائِهِ بَزَغَتْ شُمُوسُهُ وَأَقْمَارُهُ، وَتَجَمَّلَتْ أَنْجَادُهُ وَأَغْوَارُهُ، وَتَرَفَّعَتْ أَبْرَاجُهُ وَأَسْوَارُهُ، وَتَشَعْشَعَتْ أَنْوَارُهُ، وَغَرَّدَتْ بِجَمِيعِ الْأَلْحَانِ أَطْيَارُهُ، وَطَافَتْ بِالْـحِجَازِ وَالطَّائِفِ أَحَادِيثُهُ وَأَخْبَارُهُ، وَبَلَغَتِ الزَّوْرَاءَ آثَارُهُ، وَتَسَامَتْ مَفَاخِرُهُ وَأَقْدَارُهُ، وَفَشَتْ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ أَسْرَارُهُ، وَقُضِيَتْ عَلَى رُغْمِ الْـجَهُولِ أَوْطَارُهُ، وَخَلَعَ هَذَا الرَّجُلُ فِي التَّوَلُّعِ بِهِ عِذَارَهُ، وَجَعَلَهُ قُطْبَهُ وَمَدَارَهُ، وَرَكِبَ فِي اكْتِسَابِهِ بِحَارَهُ، وَقَطَفَ فِي تَطْوَافِهِ بَشَامَهُ وَعَرَارَهُ، وَجَزَّ فِي مَقَامِ التَّفَاخُرِ بِهِ إِزَارَهُ، وَطَارَ فِي كُلِّ فَجٍّ مِنْ حَرِّ شَوْقِهِ فَأَبْعَدَ مَطَارَهُ، وَجَنَى عَلَى تَوَالِي جَذْبِهِ وَإِمْحَالِهِ ثِمَارَهُ، وَتَدَثَّرَ دِثَارَهُ، وَلَبِسَ شِعَارَهُ.

لَوْ عَاصَرَهُ جَرِيرٌ لَأَجْرَاهُ مُجْرَى ذَلِكَ الْـجَمِّ الْـغَفِيرِ، وَنَظَمَهُ فِي سِلْكِ ذَاكَ الْـعَشِيرِ، وَلَوْ أَدْرَكَ زَمَانَ بَشَّارٍ لَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ كَالشَّهْدِ الْـمُشَارِ، وَلَوْ سَمِعَ مَا يَلْفِظُهُ جَمِيلٌ لَقَالَ هَذَا هُوَ السِّحْرُ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ! وَلَوْ عَاصَرَ عَصْرَ الْـمَلِكِ الضِّلِّيلِ[1] لَاسْتَظَلَّ بِظِلِّهِ الظَّلِيلِ.

شَاهَدْتُ بَعْضَ مُذَاكَرَاتِهِ الْـمُدْرَجَةِ فِي **الْـمَثَلِ السَّائِرِ**، وَأَحْسَنَ مِنَ الشَّهْدِ فِي يَدِ الشَّائِرِ، يَهْدِرُ فِيهَا كَالْـفَحْلِ الْـهَادِرِ، وَيَزْأَرُ كَالْأَسَدِ الْـخَادِرِ. فَانْهَمَرَتْ شَفَتَاهُ كَالسَّيْلِ الْـمُنْهَمِرِ، وَغَادَرَ الْـحَاضِرِينَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ، فَأَعْرَضُوا وَقَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، وَتَرَكَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ[2]، يَسْرُدُ عَنْ ظَاهِرِ قَلْبِهِ أَكْثَرَ الْأُمَّهَاتِ، وَيَغُوصُ عَلَى دُرَرِ **الْـمُخْتَصَرِ**[3]، وَيَتَعَاطَى كُؤُوسَ دِرَاسَتِهِ بِهَاكَ وَهَاتِ،

1) وهو لقب امرئ القيس بن حجر الكندي.
2) وظف الكاتب الآيات 2-15-20 من سورة القمر لرصف فواصل سجعه.
3) المراد هنا مختصر الشيخ خليل (ت.776هـ)

يُنْصِتُ نَادِيهِ لِبَرَاعَةِ لَفْظِهِ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، دَعْ عَنْكَ إِنْصَاتَ الْقِسِّيسِينَ لِصَاحِبِ الدَّيْرِ. خَاطَبْتُهُ يَوْمًا بِأَبْيَاتٍ أُدَاعِبُهُ بِهَا، وَهِيَ: [مشطور مخلع البسيط]

يَا أَهْلَ فَاسٍ عِمُوا صَبَاحَا لَا زِلْتُمُ أَوْجُهًا صِبَاحَا
مَنْ أَمَّكُمْ يَبْتَغِي النَّجَاحَا تَحَمَّلَ الْبِرَّ وَالسَّمَاحَا
نَجِيُّكُمْ جَانَبَ الْمِزَاحَا وَفِي هَوَاكُمْ غَدَا وَرَاحَا // (80)
لَوْ طَارَ لَمْ يَرْتَكِبْ جُنَاحَا لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ جَنَاحَا
يَا لَيْتَنِي زُرْتُكُمْ صَبَاحَا وَحُزْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ رَبَاحَا
لَا تَهْجُرُوا مُسْلِمًا صُرَاحَا يَرْوِي أَحَادِيثَكُمْ صِحَاحَا
ظَبْيُ الْحِمَى صَادَنِي الْتِمَاحَا وَمُهْجَةَ الصَّبِّ قَدْ أَبَاحَا
مَا خِلْتُ أَجْفَانَهُ رِمَاحَا حَتَّى كَسَا مُهْجَتِي جِرَاحَا.

وَهَذَا مَا عَلِقَ بِالْبَالِ مِنْهَا، فَلَمَّا تَأَمَّلَ إِنْشَادَهَا، وَبَجَّلَهَا وَأَشَادَهَا، قَالَ لِي يَا فُلَانُ: إِنَّكَ عِنْدِي فِي أَهْلِ عَصْرِكَ كَدُرَّةٍ بِمَزْبَلَةٍ! فَفَهِمْتُ أَنَّهُ عَنَى بِقَوْلِهِ هَذَا أَبْيَاتَ عَالِمِ الْأَنْدَلُسِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ السُّلَمِيِّ[1]: [البسيط]

فَرُبَّ ذِي مَنْظَرٍ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَرُبَّ مَنْ تَزْدَرِيهِ الْعَيْنُ ذُو فَطَنٍ[2]
وَرُبَّ لُؤْلُؤَةٍ فِي عَيْنِ مَزْبَلَةٍ لَمْ يُلْقَ بَالٌ لَهَا إِلَّا إِلَى زَمَنِ

كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَيَّدَهُ اللهُ، لَمَّا قَضَى وَالِدُهُ السُّلْطَانُ الْمُقَدَّسُ، اسْتَوْزَرَ الْفَقِيهَ الْمَذْكُورَ مَعَ صِنْوِهِ الْخَلِيفَةِ مَوْلَانَا عُثْمَانُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَقَامَ

---

1) يقصد عبد الملك بن حبيب السُّلمي الأندلسي صاحب كتاب **الواضحة** المتوفى سنة 238هـ.
2) وردت الأبيات في: مطمح الأنفس ونقلها صاحب نفح الطيب: 2/ 8 بزيادة بيت في أولها وهو:
لا تَنْظُرَنَّ إلى جِسْمي وقِلَّتِهِ وانظر لصدري وما يحوي من السُّنَنِ

بِأَعْبَاءِ تِلْكَ الرُّتْبَةِ، مُحَافِظًا عَلَى هَاتِيكَ النِّسْبَةِ، مُسْتَوْكِفاً لِصَيِّبِ غَمَائِمِهَا الْعَذْبَةِ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى مَلَأَ الْعَيْبَةَ، مَعَ طُولِ الْغَيْبَةِ، وَنَالَ مِنْهَا أَحْسَنَ مَنَالٍ وَرَغْبَةٍ.

وَمَعَ هَذِهِ الْأَشْغَالِ الْعَائِقَةِ، وَتَوَغُّلِهِ فِي لُجَجِ تِلْكَ الْبُحُورِ الْعَامِقَةِ، فَهِمَّتُهُ مَصْرُوفَةٌ لِمَا يُوثَرُ عَنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَطَيْبَةَ، مُسْتَحْضِرًا لِأَشْعَارِ كُثَيِّرٍ وَغَيْلَانَ وَتَوْبَةَ[1]، فَلَا يُعَرِّجُ فِي مُذَاكَرَاتِهِ بِلَحْنٍ يُخِلُّ بِفَصَاحَتِهِ، أَوْ يُكَدِّرُ بَحْرَ سَمَاحَتِهِ، وَخُلُقُهُ أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ، بَلْ هُوَ بَرِيءُ السَّاحَةِ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ انْقِبَاضًا يَمْنَعُ الْجَلِيسَ مِنْ مُرَادِهِ فِي إِصْدَارِهِ وَإِيرَادِهِ، وَإِذَا رَكِبَ اللَّجَاجَ، تَرَاهُ كَالْبَحْرِ الْأُجَاجِ، الْمُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ، لَا يُنْصِتُ لِخَلِيلِهِ وَوُدِّهِ، فِي جَوَابِهِ وَرَدِّهِ.

وَعَلَى قِصَرِ بَاعِهِ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّهُ يُعَانِيهِ، وَيَجْتَهِدُ فِي سَمْكِ مَبَانِيهِ، وَتَحْرِيرِ مَعَانِيهِ، فَلَا يَغْفُلُ طَرْفَةً عَنْ تَفَقُّدِ مَغَانِيهِ، وَلَهُ شَغَفٌ بِمَنْ يَدِينُ بِهِ وَيُدَانِيهِ، وَيَبْدَؤُهُ بِحُسْنِ الْكَلَامِ وَيُنَادِيهِ، وَيُرَاوِحُ مُتَعَاطِيَهُ وَيُغَادِيهِ، وَيَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ وَيُحَابِيهِ، وَيُقَرِّبُهُ وَيُنَاجِيهِ، وَيُعَارِضُهُ وَيُبَارِيهِ، وَيَحْضُرُ مَعَهُ فِي مَيْدَانِهِ وَيُجَارِيهِ، وَيَتَمَلَّقُ إِلَيْهِ وَيُدَارِيهِ، وَيُخَالِطُهُ وَيُصَافِيهِ، وَيُوَفِّيهِ حَقَّهُ وَيُوَافِيهِ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ دُرَّهُ وَيُلَاقِيهِ، وَيَسْقِيهِ رَحِيقَهُ وَيُسَاقِيهِ، وَيُحْيِي مَعَهُ رَمِيمَ الْأَدَبِ وَيُحَيِّيهِ، وَيَقْضِي وَطَرَهُ وَيُلَبِّيهِ، وَيَكْتُبُ مَا يُمْلَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَرِيضِ وَيَرْوِيهِ، وَيَحِنُّ إِلَيْهِ وَيَؤْوِيهِ، وَيُصَادِقُ مَنْ يَنْحَاشُ إِلَيْهِ وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِيهِ، وَيَحُضُّ عَلَى طَلَبِهِ طَالِبَهُ وَيُغْرِيهِ، وَيَرْضَى عَنْهُ وَيُرْضِيهِ، فَلَهُ فِيهِ الْمُقَطَّعَاتُ الرَّائِعَاتُ، كَالزُّهُورِ الْيَانِعَاتِ، وَالشُّمُوسِ الطَّالِعَاتِ، وَالْبُدُورِ السَّاطِعَاتِ، وَالسُّيُوفِ الْقَاطِعَاتِ، وَالْبُرُوقِ اللَّامِعَاتِ، وَالْغُيُوثِ الْهَامِعَاتِ، وَالْمُسُوكِ الضَّائِعَاتِ، وَالْفُجُورِ الصَّادِعَاتِ، وَالنُّجُومِ الْوَاقِعَاتِ.

---

1) غيلان هو ذو الرمة وقد مرت ترجمته. وتوبة هو توبة بن الحُمَيِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري أبو حرب شاعر من عشاق العرب المشهورين كان يهوى ليلى الأخيلية قتل سنة 85هـ/ 704م ترجمته في الشعر والشعراء: 356، الأغاني: 10/ 63، سمط اللآلي: 120، الأعلام: 2/ 90.

وَلَمْ يَزَلْ مُعْتكِفًا عَلَى الْـخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ، مُحَافِظًا عَلَى رُتْبَتِهِ الظَّرِيفَةِ، وَمُسْتَظِلًا بِظِلَالِ الْـحَضْرَةِ الْـوَرِيفَةِ، حَتَّى فَاجَأَهُ أَلَمُهُ الْـمُقْعِدُ الْـمُقِيمُ، فَأَمَرَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ بِتَرْحِيلِهِ مِنْ هَذِهِ الْـحَضْرَةِ الْـمُرَاكُشِيَّةِ وَهُوَ سَقِيمٌ. فَبَقِيَ بَعْدَ بُلُوغِهِ لِكِنِّ قَرَارِهِ مُدَيْدَةً قَرِيبَةً، تَفِدُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ كَرْبِهِ غَرِيبَةٌ، إِلَى أَنْ زَارَتْهُ مَنِيَّتُهُ، وَانْقَطَعَتْ بِهَا أُمْنِيَّتُهُ، فَأُدْرِجَ فِي كَفَنِهِ وَحُفْرَتِهِ، وَسُنَّ التُّرَابُ عَلَى جَبِينِهِ وَغُرَّتِهِ، مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِمَغْفِرَتِهِ، وَأَسْكَنَهُ بُحْبُوحَةَ جَنَّتِهِ.

خَاطَبْتُهُ بِقَصَائِدَ غُرَرٍ، تُسَامُ بِنَفِيسِ الدُّرَرِ، فَمِنْهَا: [الطويل]

مَرِضْتَ فَغَادَرْتَ الْـعُلَى كُلَّهَا مَرْضَى ... وَأَشْفَتْ فَمَا تَدْرِي سَمَاءً وَلَا أَرْضَا[1]
وَأَمْسَتْ تُعَانِي لَيْلَـــةً نَابِغِيَّـــةً ... وَمَا ذَاقَ جَفْنُ الْـعَيْنِ مِنْ كَرْبِهَا غُمْضَا[2]
وَمَا وَسِعَتْ هَذِي الْـبَسِيطَةُ أَمْرَهَـا ... وَضَاقَتْ فَمَا تَزْدَادُ طُولًا وَلَا عَرْضَا
كَسَاهَا الضَّنَى ثَوْبَ النُّحُولِ وَطَالَمَا ... بَدَا غُصْنُهَا يَسْبِي النُّهَى نَاعِمًا غَضَّا
وَثَارَ جَوَاهَا وَاسْتَحَرَّ بُكَاؤُهَـــا ... وَلَمْ تَنْسَ لَا وَاللهِ وُدَّكُمُ الْـمَحْضَا
وَشَاقَتْ حِمَاهَا وَاسْتَبَانَ هُيَامُهَـــا ... وَلَمْ تَكْتَحِلْ بِالنَّوْمِ كُلًّا وَلَا بَعْضَا // (81)
وَهَا هِيَ حَلَّتْ فِي حِمَاكَ مُقِيمَـــةٌ ... عَلَى عَهْدِكُمْ لَا تَعْرِفُ النَّكْثَ وَالنَّقْضَا
وَمَا رَفَضَتْ دِينَ الصَّبَابَةِ وَالْـهَـوَى ... وَلَمْ تَعْتَقِدْ وَاللهِ فِي دِينِهَا الرَّفْضَا
وَفَاضَتْ دُمُوعُ الْـعَيْنِ مِنْهَا صَبَابَـةً ... عَلَى نَحْرِهَا الْـمُذْكِي لِنَارِ الْـغَضَى فَيْضَا[3]

---

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

2) يعني قول النابغة الذبياني:

كليني لهم يـا أميمة نـاصـب ... وليل أقاسيه بطيء الكـواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يـرعى النجوم بآيب ديوانه 54.

3) البيت مقتبس من قول امرئ القيس: ففاضت دموع العين مني صبابة ... على النحر حتى بل دمعي محملي. ديوانه: 9. وقافية البيت مردوفة.

تُبَارِي مِيَاهَ الْـبَحْرِ نِيرَانُ شَوْقِهَـــا   نَعَمْ حَرُّهَا يَرْبُو عَلَى الْـحَرِّ فِي الرَّمْضَا
وَلَمَّا رَأَتْ بِشْرَ السَّلَامَةِ مُقْبِــلًا   عَلَيْكُمْ أَفَاقَتْ وَاكْتَسَتْ حُلَّةً تُرْضَى
فَنَسْأَلُ مَوْلَانَا يَزِيدُكَ بَسْطَـــةً   بِعُمْرِكَ فَهْوَ يَمْلِكُ الْـبَسْطَ وَالْـقَبْضَا
وَلَا بَرِحَتْ أَيَّامُكَ الْـغُرُّ زَهْـــرَةً   تُوَافِيكَ بِالْـبُشْرَى وَتُعْطِيكَ مَا تَرْضَى
وَقَدْرُكَ كَالطَّوْدِ الْـعَظِيمِ مُتَـــوَّجٌ   بِتَاجِ الْـبَهَا وَالْـعِزِّ قَدْ جَلَّلَ الْأَرْضَا
فَهَاكُمْ شُذُورًا مِنْ قَرِيضٍ مُنَظَّـــمٍ   بِبَحْرٍ طَوِيلٍ يَزْدَرِي حُسْنُهُ الرَّوْضَا[1]
كَسَاهَا مُحِبٌّ صَادِقٌ مُتَشَبِّـــثٌ   بِأَذْيَالِكُمْ حَلْيَ الْـمَحَبَّةِ لَا الْـبُغْضَا
عَلَيْهِ دُيُونٌ لِلْمُحِبِّيـــنَ جُلُّهَـــا   لِجَانِبِكَ الْأَسْمَى فَيَا لَيْتَهَا تُقْضَى
عَلَى أَنَّنِي جَهَّزْتُ فِي الْـحِينِ رُقْعَـةً   مُحَـبَّرَةً أَقْضِي بِهَا النَّفْلَ وَالْـفَرْضَا
تُقَارِضُ بِالْـمَعْنَى الْـبَدِيـعِ نَجِيَّهَـا   وَتَهْجُرُ مَنْ يَهْوَى الْـقَرِيضَ أَوِ الْـقَرْضَا
وَتُبْغِضُ مَنْ يُرْضِي الْـجَلِيسَ بِقَوْلِـهِ   وَيُضْمِرُ فِي الْـقَلْبِ الْـعَدَاوَةَ وَالْـبُغْضَا
قَدَ امْلَيْتُهَا مِنْ بَحْرِ شِعْرٍ مُرَوْنَـــقٍ   وَفِي حِفْظِكُمْ مَا يَمْلَأُ الدَّلْوَ وَالْـحَوْضَا[2]
بِحَقِّكَ أَيُّهَا الْـوَزِيرُ أَبِـــحْ لَهَـــا   قَبُولًا وَغُضَّ الْـطَّرْفَ عَنْ عَيْبِهَا غَضًّا
فَعَيْنُ الرِّضَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَـــةٌ   وَأَنَّكَ يَا سُمَّ الْـعِدَى السَّيِّدُ الْأَرْضَى[3]
وَغُضَّ عَنِ الْأَعْدَاءِ طَرْفَكَ وَانْسَهُمْ   وَبَاشِرْهُمُ بِالْـبِشْرِ إِذْ شَأْنُكَ الْإِغْضَا

---

1) في قافية البيت ردف واوي.

2) في قافية البيت ردف واوي.

3) الصدر الأول من البيت مقتبس من قول الشاعر:
فَعَيْنُ الرِّضَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ   ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبدِي المَسَاوِيَا.

عَرَضْتُ عَلَى الدُّرِّ النَّظِيمِ نِظَامَهَا فَهَامَ بِهِ شُكْرًا وَحَنَّ لَهُ أَيْضًا[1]
عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللهُ مَا قَالَ مُنْشِدٌ مَرِضْتَ فَغَادَرْتَ الْعُلَى كُلَّهَا مَرْضَى.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ: [مشطور مخلع البسيط]

يَا مُحْرِزًا غَايَةَ الْأَمَانِي وَفَاضِلَ الْعَصْرِ وَالزَّمَانِ[2]
وَرَائِقَ اللَّفْظِ وَالْمَعَانِي وَعُمْدَةَ النَّحْوِ وَالْبَيَانِ
وَلَافِظَ الدُّرِّ بِاللِّسَانِ أَهْلًا بِأَطْوَاقِهِ الْحِسَانِ
وَنَاظِمَ الشِّعْرِ كَالْجُمَانِ بِلَا تَرَاخٍ وَلَا تَوَانِي
تَوَدُّهُ الْحُورُ فِي الْجِنَانِ وَيَسْتَبِي جُمْلَةَ الْقِيَانِ
وَنَيِّرَ الذِّهْنِ وَالْجَنَانِ مَا لَهُ فِي الْمَغْرِبَيْنِ ثَانِ
وَعَالِمَ الْغَرْبِ فِي الْأَوَانِ وَحَائِزَ الْفَضْلِ فِي الرِّهَانِ
وَبَانِيَ الْمَجْدِ لِلْعِيَانِ فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْمَبَانِي
وَنَاثِرَ الْجَوْهَرِ الْيَمَانِي يَسْبِي نُهَى الْخُودِ وَالْغَوَانِي
وَرَافِعَ الشَّانِ أَيَّ شَانِ فَدُمْ عَلَى رُغْمِ كُلِّ شَانِي
يَصْلَى لَظَى الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ مُقَلَّبًا فِي حَمِيمِ آنِي
مَا دَامَتِ السُّحْبُ فِي الْعِنَانِ تَنْهَلُّ بِالرِّفْقِ وَالْحَنَانِ
وَثُنِّيَ الذِّكْرُ فِي الْأَذَانِ وَشَعْشَعَ الرَّاحُ فِي الدِّنَانِ

1) قافية مردوفة.

2) لم ترد القصيدة في ديوان شعره. غف

وَنَمْ مِنَ الدَّهْرِ فِي أَمَانِ   مَا خَطَّتِ الْكَفُّ بِالْبَنَانِ
فَقَوْلُكَ الْفَصْلُ قَدْ سَبَانِي   وَالْخَلْقُ مِنْ إِنْسِهِمْ وَجَانِ
وَاجْنِهِ إِذْ أَنْتَ خَيْرُ جَانِي   وَالْغَيْرُ إِنْ يَقْتَطِفْهُ جَانِي
يَا هَلْ تَرَى رَاكِبَ الأَتَانِ   مُسْتَبِقًا رَاكِبَ الْحِصَانِ
وَافَتْكَ يَا شَاعِرَ الزَّمَانِ   قَصِيدَةٌ يَرْتَضِيهَا مَانِي[1]
أَتَتْكَ كَالدُّرِّ مِنْ عُمَانِ   رَافِعَةً رَايَةَ الأَمَانِ
تَشْفِي مِنَ الْقُرْبِ وَالتَّدَانِي   غَلِيلَهَا الْمَرْخِيَ الْعِنَانِ[2] // (82)
مُرْهَفَةَ الْحَدِّ وَالسِّنَانِ   فِي مَوْقِفِ الضَّرْبِ وَالطِّعَانِ
قَدْ أَدْرَكَتْ غَايَةَ ابْنِ هَانِي   وَوُدَّهَا لِلْحَبِيبِ دَانِي
بِمَا حَوَتْ سُورَةُ الْمَثَانِي   شَنِّفْ بِهَا نَقْرَةَ الْمَثَانِي
لَا تُدْنِهَا مِنْ غَبِيٍّ عَانِي   يُقَعْقِعُ الْغَمْرُ بِالشِّنَانِ
فَالسَّيْفُ لَوْ حَدُّهُ يَمَانِي   لَمْ يَقْتَطِعْ فِي يَدِ الْجَبَانِ
وَالشِّعْرُ أَكْوَاسُهُ سَقَانِي   لَكِنَّهُ النَّزْرُ مَا كَفَانِي
فَدُرُّهُ الْمَحْضُ قَدْ جَفَانِي   وَتِبْرُهُ الْحُرُّ قَدْ عَصَانِي
فَدُمْ عَلَى الأَمْنِ وَالتَّهَانِي   وَالْعِزِّ يَا عَابِدَ الرَّحْمَانِ.

---

1) مرت ترجمته.
2) استعمل الشاعر في التفعيلة الثانية من الشطر الثاني مفعولن عوض فاعلن.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [الطويل]

أَيَا رَائِدَ الْإِنْشَاءِ وَالْأَدَبِ الصِّرْفِ ... رُوَيْدَكَ عُجْ بِالْعَالِمِ الْمَاجِدِ الشُّرْفِي[1]

هُوَ الْمَاجِدُ الْبَانِي لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ... يَسِيرُ عَلَى نَهْجِ التَّأَدُّبِ وَالظَّرْفِ

شَمَائِلُهُ الْغُرُّ الْحِسَانُ قَدِ اجْتَلَتْ ... مُبَاهِيَةً حُسْنَ الشُّمُوسِ بِلَا كَيْفِ

وَأَحْوَالُهُ فِي ذَا الْأَوَانِ شَرِيعَةٌ ... وَآثَارُهُ جَلَّتْ عَنِ الْعَدِّ وَالْوَصْفِ

لَهُ الْقَلَمُ الْأَعْلَى يَمِيسُ بِكَفِّهِ ... وَيُدْعَى لَدَى غَيْثِ الرَّسَائِلِ فِي الصُّحْفِ

يُنَظِّمُ سِمْطًا مِنْ جَوَاهِرِ لَفْظِهِ ... وَيَأْتِي عَلَى فَقْدِ الْقَرِيضِ بِمَا يَشْفِي

جَرَى فِي مَيَادِينِ الذَّكَا طِرْفُ فَهْمِهِ ... إِلَى غَايَةٍ هَامَتْ بِهَا غَايَةُ الطِّرْفِ

تَعَوَّدَ مِنْ أَحْوَالِهِ الْغُرِّ حَالَةً ... تُشَاكِلُ حَالَ الْمُحْرِمِينَ مِنَ الْخَيْفِ[2]

وَنَافَسَ فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا ... وَنَالَ عَفَافًا كَفَّ حَتَّى عَنِ الطَّيْفِ

وَحَلَّ مِنَ السُّلْطَانِ دَامَ اعْتِلَاؤُهُ ... مَحَلًّا رَفِيعًا غَيْرَ مُحْتَمِلِ الصَّرْفِ

وَحَنَّتْ إِلَيْهِ الْمُشْكِلَاتُ فَحَلَّهَا ... وَلَا حِنَّةَ الْمَظْرُوفِ حَتْمًا إِلَى الظَّرْفِ

فَلَا بَدَلٌ فِي عَصْرِنَا مِنْهُ يُرْتَضَى ... يُفَضَّلُ بِالتَّوْكِيدِ وَالنَّعْتِ وَالْعَطْفِ

وَيَبْتَهِجُ الْإِيوَانُ إِنْ يَنْتَظِمْ بِهِ ... بِلَا مِرْيَةٍ تُعْزَى لِهَذَا وَلَا خُلْفِ

وَيَجْرِي إِذَا وَشَّى الْقَرِيضَ بِطُرْفَةٍ ... مَجَارِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ أَوْ عَوْفِ[3]

---

1) لم ترد القصيدة في ديوان شعره، وقوافي هذه القصيدة بعضها مجرد من الردف وبعضها مردوف.

2) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمي مسجد الخيف من منى. معجم البلدان: 2/ 412.

3) عوف بن معاوية بن عقبة، ويعرف بعويف القوافي، شاعر أموي توفي نحو 100هـ. ترجمته في: الأغاني: 19/ 196، سمط اللآلي: 814، خزانة الأدب: 6/ 384.

وَقَدْ شَادَ فَخْرًا سَامِيَ السَّمْكَ وَالْبِنَا وَفِي الْهَقْعَةِ الْغَرَّاءِ يَلْتَاحُ وَالطَّرْفِ[1]
فَمُذْ لَاحَ لِلْأَبْصَارِ وَهْوَ مُعَـرَّفٌ وَعُمْدَةُ عُرْفٍ غَيْرُ جَائِزَةِ الْحَذْفِ
فَيَا خَافِيَ الْأَلْطَافِ فَالْطُفْ بِحَالِـهِ وَعَامِلْهُ بِالْإِحْسَانِ وَالرِّفْقِ وَاللُّطْفِ
وَحُطْ شَرَفَ الشُّرْفِيِّ سُـمٍّ عُدَاتِـهِ وَحَلِّ حُلَاهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْعَطْفِ
فَخُذْهُ نِظَامًا بِالْبَدِيـعِ مُقَـرَّطًا وَغَادَةَ شِعْرٍ زَهْرَةَ الشَّكْلِ وَالْكَفِّ
جَلَوْتُ سَنَاهَا كَالْعَرُوسِ مَبَـرَّةً بِجَانِبِكَ الْأَسْمَى النَّـزِيهِ عَنِ الزَّيْفِ
وَأَلْفَاظُهَا دُرٌّ نَفِيـسٌ مُنَظَّـمٌ بِجِيدٍ حِسَانٍ تَهْنَ بِالْخَصْرِ وَالرِّدْفِ
وَأَمَّا مَعَانِيهَا الْحِسَانُ فَقَدْ غَـدَتْ تَسِيرُ عَلَى النَّهْجِ الْمُقَرَّرِ وَالْعُرْفِ
تَقَبَّلْ أَبَا زَيْدٍ حُلَاهَا وَبَالِـغْ فِـي هَوَاهَا عَلَى مَرِّ الشِّتَاءِ أَوِ الصَّيْفِ
فَيَا أَهْلَ فَاسٍ سَلِّمُوا فَضْلَـهُ وَلَا تَمِيلُوا إِلَى سُبْلِ الْجِدَالِ أَوِ الْحَيْفِ
وَأَوْلُوهُ إِجْلَالًا وَبِـرًّا وَرِفْعَـةً بِلَا دَرَكٍ يَبْقَى عَلَيْكُمْ وَلَا خَوْفِ
حَيِيٌّ غَدَا سَيْفُ الْحَيَاءِ وِشَاحَـهُ فَأَغْنَاهُ عَنْ رَوْمِ التَّوَشُّحِ بِالسَّيْفِ
لَهُ هِمَّةٌ تَسْمُوا السِّمَـاكَ وَشُهْـرَةٌ وَلَا كَاشْتِهَارِ الْجِنْسِ وَالنَّوْعِ وَالصِّنْفِ
وَصَارَ اسْمُهُ الْأَسْمَى الْمُبِيـنُ مُمَيَّـزًا وَلَا كَامْتِيَازِ الِاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ.

وَقَالَ يَمْدَحُهُ أَيْضًا: [المجتث]

رُعْـتَ الذَّكَـا وَالْقَرِيضَـا لَـمَّـا حُـجِـبْـتَ مَـرِيـضَـا[2]

---

1) الهقعة: ثلاثة كواكب نيرة قريب بعضها من بعض فوق منكب الجوزاء. اللسان: هقع.
2) لم ترد القصيدة في ديوان شعره.

(83) أَمَـــدُكَ امْتَـــدَّ حَتَّـــى لَاحَ طَـوِيـلًا عَـرِيـضًـا[1] //

وَأَنْتَ طِـــبُّ الْـمَعَـالِي إِذْ كُـنْـتَ تَـشْفِـي الْـمَرِيضَا

حُـــمَّ الْـقَرِيـــضُ فَأَشْفَـى وَمَـــاؤُهُ الْــعَـذْبُ غِيضَا

وَفَـــاضَ بَحْـــرُ لِئَـامٍ وَطَـبْـعُـهُ أَنْ يَـفِـيـضَـا

وَجَهْلُهُـــمْ بَـــاضَ شَـــرًّا وَشَــأْنُـــهُ أَنْ يَـبِـيـضَـا

وَطَالَـمَـــا رِيءَ طَـــوْدًا وَالْآنَ صَـــارَ حَـضِـيـضَـا

وَكَانَ طَيْـــرًا غَرِيـــدًا لَـكِـنْ جَـنَـاحُـهُ هِـيـضَـا[2]

لَقَـــدْ دَرَسْتَـــهُ حَتَّـــى بَـــرَّزَ طَـلْـعًـا غَـرِيـضَـا[3]

غَـــدَرْتَ حُـــورَ الْـمَعَانِي تَخْـتَـالُ سُـــودًا وَبِـيـضَـا

مَحَضْتَـــهُ النُّصْـــحَ حَتَّى أَفْـشَـيْـتَ سِرًّا غَـمِـيـضَـا

مَـخَضْـــتَ فَنَّـــهُ حَتَّـــى ظُـــنَّ حَـلِـيـبًـا مَخِـيـضَـا

وَسُـــدْتَ كُـــلَّ نَبِيـــلٍ إِذْ كُـنْـتَ رَوْضًـــا أَرِيـضَـا

فُقْـــتَ الْـبَهَـــاءَ زُهَيْـــرًا وَمَـــعْـبَـدًا وَالْـــغَـرِيـضَـا

فَدَعْ مِـرَا الْـغُمْـــرِ وَاهْجُـــرْ بِـــالله ذَاكَ الْـــبَـغِـيـضَـا

وَارْفَعْ لِـــوَا النُّبْـــلِ فَضْـــلًا وَأَمْـــرَهُ الْـــمُـسْـتَـفِـيـضَـا

---

1) ورد في بعض أشطر هذه القصيدة عيب عروضي وهو طي مستفع لن المفروقة، إذ عاملها الشاعر معاملة مستفعلن ذات الوتد المجموع، والفرق بينهما أن الفاء في مستفع لن هي ثاني الوتد المفروق، وأنها، أي الفاء، في مستفعلن هي ثاني السبب الخفيف، والطي كغيره من الزحافات لا يدخل إلا ثواني الأسباب.

2) الهيض: الكسر بعد جبور العظم، وهو أشد ما يكون من الكسر، وكذلك النكس في المرض بعد الاندمال. اللسان: هيض.

3) الطلع: نور النخلة ما دام في الكافور. اللسان: طلع.
- الغريض الطلع حين ينشق عنه كافوره. اللسان: عرض.

وَمُذْ عَرَفْنَا هَوَاكُمْ   لَمْ نُلْفِ فِيهِ نَقِيضَا
هَذَا هُوَ الشِّعْرُ بَادِرْ   يَا مَنْ يَرُومُ قَرِيضَا
وَمَا تَرَاهُ مَعِيبًا   أَعِرْهُ طَرْفًا غَضِيضَا
حَالَ الْجَرِيضُ فَلَا آ   وَى اللهُ جَلَّ الجَرِيضَا[1]
وَهَا أَنَا مُعْتَفِيكُمْ   إِذْ شِمْتُ مِنْهُ وَمِيضَا
وَعِيدُكَ الْبَرُّ أَضْحَى   بِكُلِّ بِرٍّ مُفِيضَا
يَا سَاقِيَ الشُّرْبِ مَهْلًا   وَاسْقِ الْجَمِيعَ الْبَرِيضَا[2].

وَقَالَ يَمْدَحُهُ وَهُوَ مِنْ بَحْرِ الْمَدِيدِ:

يَا كَرِيمَ الأَصْلِ وَالْحَسَبِ   وَشَرِيفَ الْقَدْرِ وَالنَّسَبِ[3]
وَوَحِيدَ الْفَضْلِ فِي عَصْرِهِ   وَعَمِيدَ النَّحْوِ وَالأَدَبِ
وَشَقِيقَ الدُّرِّ فِي نَظْمِهِ   وَأَدِيبَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ
وَقَرِينَ الْبَحْرِ فِي عِلْمِهِ   ونَبِيلَ الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
وَرَفِيعَ الْمَجْدِ مُرْتَقِيًا   لِمَرَاقِي الْعِزِّ فِي الشُّهُبِ
وَزَعِيمَ الشِّعْرِ مُرْتَجِلًا   لِحُلَاهُ الْغُرِّ فِي الْحُجُبِ
أَنْتَ وَاللهِ ابْنُ مَنْ قَدْ جَلَا   رَافِعُ الْمَنْصِبِ وَالرُّتَبِ
أَنْتَ وَاللهِ ابْنُ مَنْ قَدْ رَثَى   مَرْبَعَ الإِحْسَانِ وَالْقُرَبِ

---

1) الجريض: غصص الموت، ومن أمثال العرب السائرة: "حال الجريض دون القريض" يضرب مثلا للمعضلة تعرض فتشغل عن غيرها. اللسان: جرض. جمهرة الأمثال: 1/ 290.

2) ماء برض: قليل. اللسان: برض.

3) القصيدة لم ترد في ديوان شعره.

أَنْتَ وَاللهِ ابْنُ مَـــنْ قَـــدْ بَنَـــى   ذِرْوَةَ الْـمَجْدِ إِلَى السُّحُبِ
وَحَبَـــــاهُ اللهُ رِضْوَانَـــهُ   بِجَمِيلِ الـصِّـدْقِ فِي الطَّلَبِ
وَشَهِيرِ الصِّيـــــتِ فِي مِصْـــرِهِ   وَغَـرِيـبِ الْـقَـوْلِ وَالْـخُطَبِ
وَمَـــــنِ اسْتَتْبَـــــعَ آثَارَكُمْ   يَـقْـضِ مِـنْـهَـا آيَـةَ الْعَجَبِ
وَأُسُـــودُ الْغِيـــــلِ هِمَّتُهَـــا   هِيَ فِي الْـمَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ[1]
مَنْ رَأَى بَهْجَـــــةَ مَا تَنْتَحِـــي   لَمْ يُـعَـرِّجْ بِـابْـنَـةِ الْـعِـنَبِ
هَاكَهَـــا بَحْرًا مَدِيـــــدَ الْـمَدَى   جَـلَـسَـتْ رُغْـمًا عَـلَى الـرُّكَـبِ
وَأَرَادَتْ مِنْكَ كُــــــلَّ مُنًـــى   فَـأَنِـلْـهَـا غَـايَـةَ الْأَرَبِ
وَتَحَكَّـــــمْ فِي هَوَاهَـــا الَّـــذِي   رَاقَ مِـثْـلَ الْـبُسْرِ وَالـرُّطَـبِ
بَاهَتِ الشَّمْـــسَ فَلَمْ تَلْتَفِـــتْ   لِـبَـهَـاءِ الـدُّرِّ وَالـذَّهَـبِ // (84)
فَارْضَ عَنْهَا وَالْتَمِـــسْ عُـذْرَهَا   فَـالـرِّضَى يَـذْهَـبُ بِالْغَضَبِ
وَاهْدِهَا سُبْلَ النَّجَـــا وَالْـهُـدَى   بِالنَّبِـــيِّ الْـمُهْتَـــدِي الْعَرَبِـي
فَعَلَيْـــــهِ اللهُ سَلَّـــمَ مَـــا   أَمَّـنَـا بِـالـنَّصْرِ فِي الـنُّـوَبِ
حَـاكَ بِالْأَشْـــوَاقِ حُلَّتَهَـــا   حَـائِـكُ الـشِّـعْـرِ عَـلَى الـطَّـرَبِ
كُلَّمَـــا رَامَ سُـمُـــوًّا بِـــهِ   أَدْرَكَـتْـهُ حُـرْفَـةُ الْأَدَبِ
فَاعْذِرَنْ مَـــــنْ بَانَ عُـــذْرُهُ يَـا   عَـابِـدَ الـرَّحْمَـنِ فِي الـرَّغَـبِ
وَاصْفَحَـــنْ عَمَّـــا جَنَاهُ اللَّهَى   مَـعْ ظُـهُـورِ الْعُذْرِ وَالسَّبَبِ.

1) البيت مقتبس من قول أبي تمام:
إن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب.

الخاتمة[1]:

نَسْأَلُكَ اللهَ حُسْنَهَا.

حَدَّثَ مَنْ عُنِيَ بِالْأَخْبَارِ يُنَقِّحُهَا وَيُهَذِّبُهَا، وَالْآثَارِ يُفَصِّلُهَا وَيُبَوِّبُهَا، وَالْأَحَادِيثِ يُسْنِدُهَا وَيُصَحِّحُهَا، وَالْأَعَاجِيبِ يُصَنِّفُهَا وَيَشْرَحُهَا، قَالَ:

لَمَّا تَرَامَتْ بِي مَرَامِي التَّجَوُّلِ وَالِاغْتِرَابِ، وَجَرَتْ بِي سَوَابِقُ التَّهَوُّرِ وَالِاضْطِرَابِ، قَصَدْتُ الْحَضْرَةَ الْمُرَّاكُشِيَّةَ، ذَاتَ الْحُلَلِ الْمُوشِيَةِ، كُرْسِيَّ الْمُلْكِ الْأَوَّلِ، وَالْمِصْرَ الَّذِي كَانَ إِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ، فَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا التَّسْيَارِ، وَأَعْطَيْتُ الْقِيَادَ لِمَنْ بِيَدِهِ التَّدْبِيرُ وَالِاخْتِيَارُ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ الْفَاعِلُ الْمُخْتَارُ، فَجُلْتُ فِي أَكْنَافِهَا جَوَلَانَ الْكَوْكَبِ السَّيَّارِ، وَتَعَاطَيْتُ بِهَا خُطَّةَ الْعَدَالَةِ، وَتَعَلَّلْتُ بِتِلْكَ الْعُلَالَةِ[2]، وَوُضِعَ اسْمِي فِي دِيوَانِ الْعُدُولِ، الْمَقُولِ فِيهِمْ كُلُّ النَّاسِ عُدُولٌ إِلَّا الْعُدُولُ!

ثُمَّ دَعَانِي دَاعِي الرَّشَادِ إِلَى التَّقَلُّبِ فِي الْبِلَادِ وَالتَّطْوَافِ فِي الْبَادِيَةِ، لِلْوُقُوفِ عَلَى آثَارِهَا الْعَادِيَةِ، وسَرْحِ الْبَصَرِ فِي أَنْوَارِهَا الزَّاهِيَةِ، وَأَزْهَارِهَا الشَّاذِيَةِ، فَصَرَفْتُ الْهِمَّةَ لِلِاسْتِعْدَادِ، وَأَخَذْتُ فِي أُهْبَةِ السَّفَرِ وَتَيْسِيرِ الرِّحْلَةِ وَالزَّادِ، وَارْتَدْتُ صَاحِبًا أَخَفَّ مِنْ لَا عَلَى اللِّسَانِ[3]، إِذَا نَزَلَ بِسَوَادِ الْعَيْنِ لَا يُخْشَى مِنْهُ عَلَى الْإِنْسَانِ. فَخَرَجْنَا

---

1) كتبت هذه الخاتمة على نسق المقامات الأدبية.

2) تعلل بالأمر واعتل تشاغل، والعُلالة والتعلة ما يُتعلل به. اللسان: علل.

3) أخف من لا على اللسان مثل يضرب في الخفة، ويحتمل أن تكون الخفة من جهة اللفظ لِقِلَّتِهِ وهو ظاهر، أو من جهة المعنى لملاءمة الإنكار للطبع غالبا، وخفة التبري والتنصل على النفس في أكثر الأمور، أو منهما معا. زهر الأكم في الأمثال والحكم: 2/ 194.

مِنْ مَدِينَةِ مُرَّاكُش خُرُوجَ السَّيْفِ مِنْ غِمْدِه، وَأَعْرَضْنَا عَنْ مُنَاوَاةِ الدَّهْرِ وَهَجْرِهِ وَصَدِّهِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ[1]، بَعْدَ أَنِ اسْتَوْدَعْنَا اللهَ الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ، الْحَالِّينَ ذَلِكَ الْبَلَدَ، وَتَمَثَّلْنَا عِنْدَ خُرُوجِنَا بِقَوْلِ بَشَّارٍ، الَّذِي هُوَ كَالشَّهْدِ يُشَارُ: [الطويل]

إذَا أَنْكَرَتْنِي بلـــدَةٌ أَوْ نكِرْتُـــهَا ... خرجتُ مع البَازِي عليَّ سَـوَادُ[2]

وَقَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُزْرِي[3] بِسَبَائِكِ التِّبْرِ وَالُّلجَيْنِ: [المتقارب]

رَأَيْتُ الْمُقَـــامَ عَلَى الإِقْتِصَـــاد ... قُـنـوعـا بـه ذِلَّـــةً في الـعـبـادْ[4]

إِذَا مَا الْأَدِيبُ ارْتَـــدَى بِالْـخُمُولْ ... فَمَا الْـحَظُّ فِي الْأَدَبِ الْـمُسْتَفَادْ

جُبِ الْأَرْضَ شَرْقًا وَجُبْ غَرْبَهَـــا ... إِلَى كُـلِّ فَـجٍّ عَـمِـيـقٍ وَوَادْ

عَسَاكَ تَنَالُ الْـمُنَـــى أَوْ تُـــرَى ... وَعُـــذْرُكَ فِي ذَاكَ لِلنَّاسِ بَـادْ

وَإِنْ لَمْ تَنَلْ مَطْلَبًـــا رُمْتَـــهُ ... فَلَيْسَ عَلَيْكَ سِـوَى الإِجْتِهَادْ

وَشَرُّ الضَّرَاغِـــمِ ضِرْغَامَـــةٌ ... طَوَى شِبْلُهُ وَهْـوَ فِي الْـغِيلِ هَادْ

وَإِنْ صَـــارِمٌ قَرَّ فِي غِمْـــدِهِ ... حَـوَى غَـيْرُهُ الخَصْلَ يومَ الجِلادْ

وَلَوْ يَسْتَوِي بِالنُّهُوضِ الْقُعُـــودْ ... لَمَـا ذَكَـرَ اللهُ فَـضْـلَ الْـجِهَادْ

---

1) وظف الكاتب الآية 52 من سورة المائدة لرصف فواصل سجعه، وقسما من المقامة الإسكندرانية للحريري.

2) في ديوان شعره: 3 / 51 أو أنكرتها خرجت مع البازي...

3) تنسب الأبيات للمتنبي ولم أقف عليها في ديوان شعره، ونسبها صاحب بهجة المجالس وأنس المجالس لبعض المتأخرين من المغاربة، وأنكر على من ينسبها للمتنبي، وورد بعضها في معجم الأدباء: 1/ 22 منسوبا للبحتري وهي غير موجودة ديوان شعره أيضا.

4) معنى البيت مقتبس من الأبيات المنسوبة للشافعي التي مطلعها:
ما في المقامِ لذي عقلٍ وذي أدبٍ ... مِنْ رَاحَةٍ فَدعِ الأَوْطَانَ واغْتَرِبِ

فَكَمْ جُبْنَا فِي مَسِيرِنَا مَهَامِهَ مُغْبَرَّةً، وَمَفَاوِزَ مُكْفَهِرَّةً، يَضِلُّ فِيهَا الْقَطَا مَأْوَاهُ، وَيَحَارُ الْخِرِّيتُ فِي مَسَالِكِهَا مِنْ شِدَّةِ بَلْوَاهُ، وَاشْتِغَالِهِ بِبَثِّهِ وَشَكْوَاهُ، لَا تَرَى الْعَيْنُ بِهَا إِلَّا سَرَابًا بِقِيعَةٍ[1]، كَأَنَّمَا مُزِجَ بِسُمُومٍ نَقِيعَةٍ، وَعَرَّجْنَا فِي تَطْوَافِنَا بِوَادِي أُمِّ الرَّبِيعِ، زَمَنَ الرَّبِيعِ، حِينَ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ[2]، وَأَكْمَلَ اللهُ شَرَفَهَا: [المتقارب]

وَقَفْتُ عَلَى وَادِي أُمِّ الرَّبِيـعْ مَطَايَا الرِّفَاقِ زَمَانَ الرَّبِيعْ
وَأَرْسَلْتُ طَرْفِي بِأَرْجَائِهَا فَشَاهَدْتُ كُلَّ صَنِيعٍ بَدِيعْ
وَقُلْتُ لِأَرْبَابِهَا الْفُضَلَا أَتَبْنُونَ آيَةً فِي كُلِّ رِيعْ[3]
وَمَرَّتْ ضِبَاءُ الْحِمَى بُكْرَةً فَحَاصَتْ كَأَنَّهَا سِرْبٌ قَطِيعْ[4]// (85)
فَثُرْتُ لَعَلِّيَ أُدْرِكُهَا أَيُدْرِكُ ظَالِعٌ شَأْوَ الضَّلِيعْ؟!
وَنَهْنَهْتُ نَفْسِيَ عَنْ غَيِّهَا وَأَوْلَيْتُهَا قُدْرَةَ الْمُسْتَطِيعْ
وَحَصَّنْتُهَا بِالدُّعَاءِ الَّذِي سَمَا حِصْنُهُ كُلَّ حِصْنٍ مَنِيعْ
فَيَا رَبِّ هَيِّئْ لَنَا رَشَدًا بِجَاهِ النَّبِيِّ الزَّكِيِّ الشَّفِيعْ
عَلَيْهِ صَلَاةٌ مُؤَبَّدَةٌ تُصَافِحُ كُلَّ سَمِيعٍ مُطِيعْ
وَآلِهِ وَالصَّحْبِ سَادَتِنَا وَكُلِّ دَفِينٍ بِأَرْضِ الْبَقِيعْ.

قَالَ فَسَرَحْتُ طَرْفِي فِي عُدْوَتَيِ الْوَادِي، فَرَأَيْتُهُمَا مَشْحُونَتَيْنِ بِالنَّوَادِي مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي، يُفِيضُونَ فِيمَا يَأْخُذُونَهُ مِنْهُمُ الْعُمَّالُ مِنْ جِبَايَاتِ الْأَعْمَالِ، وَيَذْكُرُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ التَّفْصِيلُ وَالْإِجْمَالُ، حَاسِرُوا الرُّؤُوسِ، لَا تُؤَثِّرُ

1) وظف الكاتب الآية 39 من سورة النور لرصف فواصل سجعه.
2) وظف الكاتب الآية 24 من سورة يونس لرصف فواصل سجعه.
3) البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ سورة الشعراء: الآية: 128.
4) حاص عن الطريق: عدل عنه وحاد، حاص القومُ: جالوا جولةً يطلبون الفرارَ والمهربَ، والمحيد. اللسان: حيص.

فِيهَا الْـفُؤُوسُ، وَعَلَيْهِمْ آثَارُ الشَّقَاءِ وَالْـبُوسِ، الْـتَحَفُوا الْـغِلْظَةَ وَالْـجَفَا، وَعَوَّدُوا أَرْجُلَهُمُ الْـجَفَا، فَهُمْ مِنْ هَذَا عَلَى شَفَا، هَائِمُونَ فِي أَوْدِيَةِ دُنْيَاهُمْ، عَاكِفُونَ عَلَى مَا يُوَافِقُ هَوَاهُمْ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ عَلَى هَذَا الْـحَالِ، وَمَيْلَهُمْ إِلَى الْـمُحَالِ، أَخَذْتُ بِيَدِ صَاحِبِي وَقُلْتُ لَهُ تَنَحَّ عَنْ هَؤُلَاءِ الْـقَوْمِ، الَّذِينَ لَا يُرْجَى فَلَاحُهُمْ بَعْدَ الْـيَوْمِ، أَمَا وَاللهِ لَوْ كَانَ لَهُمُ الْـتِفَاتٌ إِلَى مَوْلَاهُمْ، الَّذِي خَلَقَهُمْ فَسَوَّاهُمْ، وَصَوَّرَهُمْ وَرَبَّاهُمْ، لَتَدَارَكَهُمْ لُطْفُهُ، وَغَمَرَهُمْ بِرُّهُ وَعَطْفُهُ، مَا مِنْهُمْ إِلَّا الْـغَبِيُّ الْـبَلِيدُ، الَّذِي هَمُّهُ الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ، الذَّاهِبُ مَذْهَبَ التَّوْلِيدِ، وَمَا أَظُنُّ وَاحِدًا مِنْهُمْ خَرَجَ مِنْ رِبْقَةِ التَّقْلِيدِ، الشَّيْخُ مِنْهُمْ وَالْـكَهْلُ وَالْـوَلِيدُ، فَانْفَصَلْنَا عَنْهُمْ وَهُمْ فِي هَوَاهُمْ يَجِيؤُونَ وَيَذْهَبُونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ[1].

وَلَمَّا جَنَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ، وَأَقْبَلَتْ جُنُودُهُ فِي الرَّجْلِ وَالْـخَيْلِ، امْتَطَيْنَا بَحْرَهُ الزَّاخِرَ، وَاشْتَمَلْنَا ظَلَامَهُ الْـعَاكِرَ، وَأَطْلَعَتْ سَمَاءُ الدُّنْيَا فِي كُلِّ كَوْكَبٍ زَاهِرٍ، فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا ضُبَاحَ الذِّئَابِ، الْـمُثِيرِ لِلرَّيْبِ وَالِارْتِيَابِ، وَأَرْخَى اللَّيْلُ عَلَيْنَا سُتُورَهُ، وَمَدَّ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي شُرُورَهُ، وَجَرَّرَ أُزُورَهُ، وَأَسْبَلَ عَلَى الدُّنْيَا شُعُورَهُ، وَأَبْهَمَ عَلَى السَّالِكِينَ أُمُورَهُ، فَبَيْنَمَا نَخْتَبِطُ تِلْكَ الْـمَضَايِقَ، وَنَدَّرِعُ هَاتِيكَ الطَّرَائِقَ، إِذْ عَنَّ لَنَا مَهْمَهٌ وَاسِعُ الْـفَضَا، كَثِيرُ شَجَرِ الْـمَوْزِ وَالْـغَضَا، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَقَدْ أَحَاطَ بِنَا حَائِطُ الْـكَلَلِ وَالْـعِيِّ بِالنَّشْرِ وَالطَّيِّ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ الرُّشْدُ مِنَ الْـغَيِّ، مَا هَذَا الْـمَوْضِعُ الَّذِي تَحَارُ الْـعُقُولُ فِيهِ، وَلَمْ يَتَوَضَّحْ مِنْهُ لِسَالِكِهِ طَرِيقٌ يَقْتَفِيهِ؟!

فَقَالَ لِي: يَا بَاهِرَ الْـحُلَا، وَعَمِيدَ الْـمَلَا، أَخَفِيَ عَلَيْكَ ابْنُ جَلَا[2]؟!

---

1) وظف الكاتب قسما من الآية 91 من سورة الأنعام لرصف فواصل سجعه.

2) قال القالي في الأمالي: أنا ابن جلا: أي المنكشف المشهور الأمر، يضرب مثلا للرجل المشهور، أي ابن رجل قد وضح أمره وشهر، وهو من قول سحيم بن وثيل الرياحي:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

وتمثل به الحجاج على منبر الكوفة. وقال بعضهم: ابن جلا النهار. ينظر الأمالي: 1 / 246، وأساس البلاغة: 62.

هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الْمُسَمَّى بِالْبَحِيرَةِ[1]، الْمُطَرَّزَةِ بِالْأَزْهَارِ الزَّهِيرَةِ، وَالْأَنْوَارِ الْمُنِيرَةِ، وَالظِّبَاءِ الْغَرِيرَةِ، وَالْخَيْرَاتِ الْغَزِيرَةِ، بِانْسِكَابِ الْغُيُوثِ الْمَطِيرَةِ، وَمَرْبَعِ الْقَبِيلَةِ وَالْعَشِيرَةِ. جَادَتْ السَّمَاءُ عَلَيْهَا بِالْإِنْعَامِ، فَتَوَلَّدَتْ مِنْهَا آلَافٌ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَأَهْلُهَا يَرُوضُونَ الْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ الْمُغِيرَةَ، وَيُنْتِجُونَ فِيهَا الْجِيَادَ الشَّهِيرَةَ. فَقُلْتُ لَهُ: سِرْ بِنَا فَمَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ[2]، وَدَعْنِي مِنْ أَلْفَاظِكَ السَّالِبَةِ لِعُقُولِ أُدَبَاءِ الصَّوِيرَةِ. فَسِرْنَا وَالْبُرُوقُ تُشَهِّرُ فِي الْغَمَامِ سُيُوفَهَا وَتَنْهَلُّ فِي الْبَسِيطَةِ وَتَتَحَرَّى رُيُوفَهَا[3]، وَالرُّعُودُ تُزْعِجُ مَنَ السَّحَابِ سُقُوفَهَا، وَتَصْرِفُ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ صُرُوفَهَا، وَتَمْلَأُ بِالْوَدْقِ ظُرُوفَهَا. إِلَى أَنْ تَرَجَّحَ الظَّنُّ الصَّادِقُ، وَخَفَقَتْ رَايَاتُ الْفَجْرِ الصَّادِقِ، فَتَيَمَّمْنَا صَعِيدًا طَيِّبًا، وَمَسَحْنَا الْوَجْهَ وَالْيَدَيْنِ إِذْ لَمْ تُرْسِلِ السَّمَاءُ صَيِّبًا، وَاسْتَشْعَرْنَا تَعَبًا وَوَصَبًا. فَقَالَ لِي صَاحِبِي: لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً[4]، فَقَضَيْنَا الرَّغِيبَةَ[5] وَالْفَرِيضَةَ، وَسَرَحْنَا الْعُيُونَ فِي تِلْكَ الرِّيَاضِ الْأَرِيضَةِ، وَأَرْخَيْنَا عِنَانَهَا فِي مَفَاوِزِهَا الطَّوِيلَةِ الْعَرِيضَةِ.

وَلَمَّا أَطْلَعَتِ الْغَزَالَةُ قَرْنَهَا، وَأَبْرَزَتْ لِلنَّاظِرِينَ حُسْنَهَا، وَجَلَّلَتِ الْبَسِيطَةُ سَهْلَهَا وَحَزْنَهَا، ظَهَرَتْ لَنَا أَعْلَامُ الْحَضْرَةِ، الْوَاضِحَةِ الْغُرَّةِ، الْبَرِيَّةِ الْبَرَّةِ، الْمَنْعُوتَةِ بِالسُّرُورِ وَالْمَسَرَّةِ، وَالْبُرُورِ وَالْمَبَرَّةِ، لَمْ تَشْعُرْ شُعَرَاؤُهَا بِشُعَرَاءِ الْمَعَرَّةِ[6]، وَلَمْ تُعَرِّجْ فُضَلَاؤُهَا بِسَاحَةِ الْعَارِ وَالْمَعَرَّةِ، // وَجَلَّتْ مَحَاسِنُهَا فَلَمْ تَعْبَأْ بِنُجُومِ الْمَجَرَّةِ، (86)
وَتَحَدَّتْ حَدَائِقُهَا بِالْغِيَاضِ الْمُلْتَفَّةِ، وَالْأَبْرَاجِ الْمُصْطَفَّةِ، وَالنَّخْلِ الْبَاسِقِ، كَأَنَّهُ

1) البحيرة: سهل كبير بين دائرتي سيدي بوعثمان والرحامنة، وفيه حوض مغلق تتوسطه بحيرة موسمية تعرف ببحيرة بني حسان. تنظر المعلمة: 4 / 1083.

2) فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ المائدة، الآية: 103.

3) الرِّيف: أرض فيها زرع وخصب وماء، والجمع أرياف وريوف. اللسان: ريف.

4) وظف الكاتب قسما من الآية 62 من سورة الكهف لرصف فواصل سجعه.

5) الرَّغِيبة: الأمر المرغوب فيه لثوابه، والجمع رغائب. اللسان: رغب.

6) يقصد معرة النعمان مولد ومنشأ ووفاة أحد فطاحلة الشعر العربي وهو أبو العلاء المعري.

اللَّيْلُ الْغَاسِقُ، وَاخْتَصَّتْ عَقَائِلُهَا بِالْحُسْنِ الرَّائِقِ، وَالْجَمَالِ الْفَائِقِ، فَهِيَ مَحَلَّةُ النَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ، وَالأَسَدِ الْهَصُورِ، وَالأَبْرَاجِ وَالْقُصُورِ. أَنْبَتَ اللهُ بِهَا حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ، مُعَدَّةٍ لِلنُّزْهَةِ وَالْفُرْجَةِ، وَكَمْ حَوَتْ مِنْ وِلْدَانٍ وَحُورٍ، مُطَوَّقَةِ الأَجْيَادِ وَالنُّحُورِ، وَوُجُوهٍ تَخْجَلُ مِنْهَا دُرَرُ الْبُحُورِ، وَفِيهَا دَرَارٍ تُحَدِّقُ إِلَيْهَا الدَّرَارِي، وَتَوَدُّ مَحَاسِنَهَا الْبُدُورُ السَّوَارِي، وَبِهَا مِنْ أَحَاسِنِ الْجَوَارِي مَا تُبْهَرُ فِي حُسْنِهَا النُّجُومُ الْجَوَارِي. تَرْتَاحُ النُّفُوسُ لِسَمَاعِ غِنَاهَا، تَحَارُ الْعُيُونُ بِالنَّظَرِ لِوُجُوهِهَا وَسَنَاهَا، يَصُغْنَ الشِّعرَ الْمَلْحُونَ كَمَا يَصُوغُهُ أَهْلُ الْمَوْزُونِ، فَيَبْرُزُ بِذَلِكَ الصَّوْتُ الرَّخِيمُ، كَالدُّرِّ النَّظِيمِ، وَالزَّهْرِ الْبَسِيمِ، بَلْ هُوَ أَشْهَى مِنْ هَبِّ النَّسِيمِ، وَالْوَجْهِ الْوَسِيمِ.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَأَحْوَالُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ لَا تُوَازِيهَا مَدِينَةٌ، بَعْدَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، رَحَلَتْ إِلَيْهَا الأَفَاضِلُ وَحَطَّتْ بِهَا الرِّحَالَ، وَمِنْهُمُ الأَقْطَابُ الْمَعْرُوفُونَ بِالسَّبْعَةِ رِجَالٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الأَوْتَادِ وَالأَبْدَالِ، تَعَزَّزَتْ بِعِزَّةِ اللهِ وَتَحَصَّنَتْ بِالأَبْرَاجِ الْحَصِينَةِ، وَتَجَمَّلَتْ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، فَهِيَ مِنْ دَوَائِرِ الزَّمَانِ أَمِينَةٌ، وَفِي طَاعَةِ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ رَهِينَةٌ، وَبِهَا مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ، وَالْمَآذِنِ وَالصَّوَامِعِ، مَا تَقِفُ دُونَ حَدِّهَا الْمَطَامِعُ، وَتَتَحَلَّى بِذِكْرِهَا الْمَسَامِعُ، افْتَخَرَتْ بِمُشَيَّدَةِ الْمَبَانِي وَالْمَصَانِعِ، وَحَشَدَتْ إِلَيْهَا الْمُلُوكُ كُلَّ مَاهِرٍ وَصَانِعٍ، وَتَشَوَّفَتْ إِلَيْهَا الْحُذَّاقُ كَمَا تَشَوَّفَتْ النُّجُومُ لِلْمَوَاقِعِ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ السَّحَرِ، وَاسْتَوْفَتِ الْعُيُونُ مِنَ الْكَرَى الْوَطَرَ، تَوَشَّحَتِ الْمَآذِنُ بِالأَذْكَارِ، وَهَتَفَ الْمُؤَذِّنُونَ بِالإِدِّكَارِ، وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَى الأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي فَضَائِلِ الأَسْحَارِ. فَإِذَا أَخَذَتِ النُّجُومُ فِي الإِدْبَارِ، وَأَشْرَفَ اللَّيْلُ عَلَى الانْحِدَارِ، آذَنُوهُ بِالتَّوْدِيعِ، وَشَفَّعُوا الآذَانَ بِالتَّرْجِيعِ، وَصَبَّحُوا لِلنَّاسِ بِإِقْبَالِ الصَّبَاحِ، وَدَعَوْهُمْ لِحِيَازَةِ الأَجْرِ وَالرَّبَاحِ، وَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنَ الأَرْفَاقِ، الْمُحَيَّاتِ مَعَ الرِّفَاقِ، مِنْ سَائِرِ الآفَاقِ، وَالْحَمَامَةِ ذَاتِ الأَطْوَاقِ، تَهْذِي بِالْمَحَبَّةِ وَالأَشْوَاقِ. وَنَسِيمُ الشَّمَالِ

إِذَا هَبَّ أَذْكَى مِنْ أَنْفَاسِ الْـعِرَاقِ، وَأَزْهَى مِنَ الِاجْتِمَاعِ بَعْدَ الِافْتِرَاقِ، وَأَنْفَسُ مِنْ نَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ، بِالتَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ. وَجِبَالُ دَرَنٍ حَنَّتْ عَلَيْهَا حُنُوَّ الْأُمِّ عَلَى الْـوَلَدِ، وَأَعْطَتْهَا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِلْأَبَدِ، وَلَمْ تَنْهَجْ مَعَهَا سَبِيلَ الْـخِصَامِ وَاللَّدَدِ.

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي تَكْفِينَا هَذِهِ النُّبْذَةُ، وَلَيْسَ عَلَى الْـمَرْءِ إِلَّا أَنْ يَبْذُلَ طَاقَتَهُ وَجُهْدَهُ، وَيُحَصِّلَ مِنَ الْأَمْرِ زُبْدَهُ.

ثُمَّ صَعِدْنَا لِقَرَارَةِ الْـمُلْكِ الْـعَلَوِيِّ، وَبَقِيَّةِ السَّلَفِ النَّبَوِيِّ، فَدَخَلْنَا إِيوَانَهَا الْـمَعْلُومَ، الْـمُبَارِي حُسْنُهُ بِالدُّرِّ الْـمَنْظُومِ، وَالْـمَنْهَلُ لِإِغَاثَةِ الشَّاكِي وَالْـمَظْلُومِ، الْـقَائِمُ أَمْرُهُ بِعِنَايَةِ الْـحَيِّ الْـقَيُّومِ. تَنْكَشِفُ بِرُؤْيَتِهِ الْـهُمُومُ، وَتَنْجَابُ الْـغُمُومُ، وَفِيهِ نَوَادٍ مُتَعَدِّدَةٌ، وَآثَارٌ مُتَجَدِّدَةٌ، وَقُلُوبٌ مُتَوَدِّدَةٌ، وَوُجُوهٌ مُتَوَقِّدَةٌ، وَخُدُودٌ مُتَوَرِّدَةٌ، وَرِجَالٌ بِالسُّيُوفِ مُتَقَلِّدَةٌ، وَخُدَّامٌ وَأَعْوَانٌ مُنْحَدِرَةٌ وَمُنْصَعِدَةٌ، وَفِي أَغْرَاضِ الْـمُلْكِ مُتَرَدِّدَةٌ، وَجُمُوعٌ مُتَّحِدَةٌ، وَلِلهِ مُوَحِّدَةٌ، وَأَبْطَالٌ عَلَى كُلِّ بَطَلٍ مَارِدٍ مُتَمَرِّدَةٌ، وَأَنْصَارٌ لَهَا أَبْصَارٌ مُتَصَوِّبَةٌ وَمُتَصَعِّدَةٌ. وَأَلْطَافٌ تَطُوفُ بِالْـحَضْرَةِ الْـمُؤَيَّدَةِ، وَالْـمَمْلَكَةِ الْـمُمَهَّدَةِ.

هَذَا وَالشُّرَطُ يَطِيرُونَ بِالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي كَالطُّيُورِ الطَّائِرَةِ، وَالْـخَيَالَاتِ الزَّائِرَةِ، فَمَا أَجْدَرَهُمْ بِالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ، وَمَكَانُ السُّلْطَانِ مِنْهُمْ مَكَانُ الْـمَرْكَزِ مِنَ الدَّائِرَةِ. فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: هَلِ اكْتَفَيْتَ؟ وَقَضَيْتَ مِنْ دُيُونِ الْـعَجَبِ مَا اشْتَهَيْتَ؟ فَقَالَ: إِي وَرَبِّ الْـبَيْتِ إِنَّكَ لَتَنْحِتُ مِنْ صَخْرٍ، وَتُنْبِئُ عَنْ فَخْرٍ، مَا شَادَتِ الْـخَنْسَاءُ مِثْلَهُ فِي صَخْرٍ! فَوَدَّعَنِي وَسَارَ، وَأَوْدَعَنِي مَا لَهُ مِنَ الْـيَسَارِ، وَأَخَذْتُ ذَاتَ الْـيَمِينِ وَأَخَذَ ذَاتَ الْـيَسَارِ، وَرَوَّعَنِي بِفِرَاقِهِ، وَآلَمَنِي بِانْطِلَاقِهِ، وَجَرَّعَنِي
(87) بِبَيْنِهِ، وَكَانَ هَذَا آخِرَ الْـعَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ[1] //.

---

1) كتب في تقييد ختام هذه النسخة تاريخ فراغ المؤلف من تأليف هذا الكتاب جاء فيه: «وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب المبارك غرة ربيع الأنور النبوي على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام، وأزكى التحية والإكرام، عام 1308هـ. انتهى.»

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية:

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿يَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾	البقرة	39	
﴿وَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾	البقرة	265	115
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	آل عمران	106	125
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾	المائدة	2	116
﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾	المائدة	52	296
﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾	الأعراف	58	220
﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾	يوسف	23	269
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾	الرعد	6	78
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...﴾	النحل	80	259
﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾	الإسراء	20	209
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾	الإسراء	57	209
﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾	الكهف	18	235

﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً﴾	الكهف	62	299
﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾	الكهف	68	252
﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي عُذْرًا﴾	الكهف	76	252
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾	طه	54	231
﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾	طه	77	256
﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾	الأنبياء	96	253
﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾	النور	43	185
﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾	الفرقان	2	209
﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾	الفرقان	20	208
﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾	الفرقان	31	208
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	الفرقان	44	217
﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	الفرقان	54	208
﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾	الفرقان	59	209
﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾	الفرقان	61	209
﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾	الشعراء	148	172

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾	الشعراء	224 – 225 – 226	253
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾	النمل	19	259
﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾	النمل	19	259
﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾	القصص	85	77
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	فاطر	14	74
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾	فاطر	19	248
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	فاطر	43	218
﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾	الصافات	48	234
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	الزمر	18	127
﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾	الشورى	44	217
﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾	الشورى	53	
﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	ق	16	235
﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾	الطور	2، 4، 6	219
﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾	النجم	54	256
﴿آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾	القمر	15	282

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾	القمر	20	282
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	الرحمن	4-3	263
﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُ وَلَا جَانٌّ﴾	الرحمن	26	263
﴿فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾	الواقعة	33 - 32 34-	226
﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾	الممتحنة	13	125
﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾	المعارج	43	253
﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾	نوح	7	272
﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾	الجن	3	220
﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ نَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	الجن	17	220
﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	الجن	28	220
﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾	الإنسان	20–19	209
﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾	النبأ	40	131

210	9–8–7	الانشقاق	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾
127	18-17-16	الانشقاق	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾
273	3-2-1	البروج	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾
250	7	الغاشية	﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾
259	2–7	الشمس	﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾
257	1	الليل	﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾

فهرس الأحاديث النبوية:

- «أَنَا النَّذِيرُ الْـعُرْيَانُ»..263

فهرس الأمثال العربية:

-أَبْعَدُ مِنْ بَيْضِ الْأَنُوقِ 248

-اخْتَلَطَ الْـخَاثِرُ بِالزُّبَادِ 247

-أَخَفَّ مِنْ لَا عَلَى اللِّسَانِ 295

-أَذْكَى من إِيَّاس 195

-أَصْدَقَ مِنَ الْـقَطَا 272

-أَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْـعَقُوقِ 248

-أَعْطِ الْـقَوْسَ بَارِيهَا 69-68

-إِنَّ اللُّهَا تَفْتَحُ اللَّهَا 102

-أَنَا النَّذِيرُ الْـعُرْيَانُ 263

-أَيُدْرِكُ الضَّالِعُ شَأْوَ الضَّلِيعِ 297-250-179

-تَجْلِبُ التَّمْرَ إِلَى هَجَرَ 70

-تَفَرَّقُوا أيادِي سَبَأْ 78

-حَالَ الْـجَرِيضُ دُونَ الْـقَرِيضِ 292

-حُكْمُكَ مُسَمَّطًا 100

-الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذْكَرُ 71

-عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْـخَبَرُ الْـيَقِينُ 70
-غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ 189
-اَلْعَوْدُ أَحْمَدُ 253
-قِدْحُ ابْنِ مُقْبِلٍ 99
-وقْعُ الْـحَافِرِ عَلَى الْـحَافِرِ 237

فهرس الأشعار:

بداية الشطر الأول	نهاية الشطر الثاني	البحر	الشاعر	الصفحة
أيها	الْـكَاتِبُ	الرمل	ابن داني	223
تقلدتَ	وَالنَّجَابَهْ	الوافر	ابن داني	142
يا كريم	وَالنَّسَب	المديد	ابن داني	292
تعمم	الْـخِلَافَةِ	الطويل	ابن داني	119
قِفَا	تَنوَّرَتْ	الطويل	ابن داني	168
إن رمت	الصُّنْهَاجِي	الكامل	ابن داني	226
أيبقى	صَبْحُ	الطويل	ابن داني	94
تباهت	أَضْحَى	الطويل	ابن داني	99
يا أهل	صِبَاحَا	مخلع البسيط	ابن داني	283
أَعِدْ	أَحْمَدُ	الطويل	ابن داني	189
إن أنكرتني	عليَّ سَوَادُ	الطويل	بشار بن برد	296
زارت	أَجْنَادَا	الكامل	ابن داني	103
سلامٌ	الزَّبْدِي	الطويل	ابن داني	248
سلام	مُسَهَّدِ	الطويل	ابن داني	174
جرى	رُعُودِهِ	الطويل	ابن داني	161
سقى	مَحْدُودٍ بِحَدِّ	الوافر	ابن داني	212
رأيتُ	الْـعِبَادْ	المتقارب	المتنبي	296
أيا من	فَخْرُهُ	الطويل	ابن داني	280
حُزْتَ	وَزِيرُ	مخلع البسيط	ابن داني	180

عداك	الْـغَزِيرُ	الوافر	ابن داني	133
قضيتَ	أَخْطَارَهَا	المتقارب	ابن داني	182
يود الطود	جَارَهْ	الوافر	ابن داني	135
أدِّ	الطَّاهِرِ	الكامل	ابن داني	242
دعني	الدُّورِ	الكامل	ابن داني	166
أمستْ	أَنِيسُ	الكامل	ابن داني	274
احتزمِ	مُوسَى	مخلع البسيط	ابن داني	148
سقى	وَرْدٍ وَآسِ	الوافر	ابن داني	194
قد فاق	الأضرَاسِ	الكامل	ابن داني	170
مرضتَ	وَلَا أَرْضَا	الطويل	ابن داني	285
توارى	الْأَرْضَا	مجزوء الوافر	ابن داني	229
رعتَ	مَرِيضَا	المجتث	ابن داني	290
مقامكم	يَنْبُعُ	الطويل	ابن داني	107
خليليَّ	ابنَ جَامِعِ	الطويل	ابن داني	186
حلل الخلافة	الشَّائِعِ	الكامل	ابن داني	120
جمعت	الْـمَجَامِعْ	مخلع البسيط	ابن داني	175
وقفتُ	الرَّبِيعْ	المتقارب	ابن داني	297
أيا رائد	الشُّرْفِي	الطويل	ابن داني	289
بكتك	وَالْـبَرْقِ	الطويل	ابن داني	204
بديعَ	دُعَاكَا	المتقارب	ابن داني	254
وصلتَ	شِبْلُكَا	الطويل	ابن داني	260
تماسى	ذِرَاعُكَا	الطويل	ابن داني	262
لقد حركت	غَزَوَاتُكَا	الطويل	ابن داني	92
الدُّرُّ	يُرَى فِيكَا	البسيط	ابن داني	276
الرفعُ	تَرَفُّعُكَا	البسيط	ابن داني	278

يَراعك	قَدْ عَصَاكَا	الوافر	ابن داني	267
اعتبر	أَمَلَكْ	الرمل	ابن داني	268
يا أيها	النَّبِيلُ	مخلع البسيط	ابن داني	221
غاض الندى	أَسْمَا عِيلَا	الكامل	ابن داني	81
أيا من زكت	وَشَمَائِلُهْ	الطويل	ابن داني	87
لقد غاب	نَأَيْتُمُ	الطويل	ابن داني	200
أيها	أَنْتُمُ	مجتث	ابن داني	196
سلامٌ	الْـغَمَامِ	الوافر	ابن داني	236
نلتم	الْـعَلَّامِ	الكامل	ابن داني	154
مليك	عُمْرَكُمُ	الطويل	ابن داني	137
كتم المحب	الْـكِتْمَانُ	الطويل	ابن داني	117
صنوك	الْأَمِينُ	مجزوء الرمل	ابن داني	233
تغيب	غَرَضٌ عَنَّا	الطويل	ابن داني	83
قِفَا	الْـمُسْتَبِينَا	الوافر	ابن داني	88
أيها	عَلَيْنَا	مجزوء الرمل	ابن داني	214
كم هام	وَمَعْنَى	المجتث	ابن داني	150
فَرُبَّ	ذو فِطَنِ	البسيط	عبد الملك بن حبيب	283
بشراك	مَرَّتَيْنِ	مخلع البسيط	ابن داني	131
يا محرزا	وَالزَّمَانِ	مخلع البسيط	ابن داني	287
لقد عز	الْأَمَانِي	الوافر	ابن داني	210
لقد عشنا	وَالوُدُّ دَانِي	الوافر	ابن داني	202
خبراني	ابنِ دَانِي	مجزوء الرمل	ابن داني	216
تبسم	ثَنَايَاهُ	البسيط	ابن داني	112
قطفتم	الدُّنْيَا	الهزج	ابن داني	144

فهرس أشطر الأبيات:

-العجز عن الإدراك إدراك.. 174-115

-فعين الرضا عن كل عيب كليلة.. 286

-وما قلت إلا بالذي علمت سعد.. 71

فهرس الأيام والغزوات والحركات:

-حرب البسوس 77

-حركة آيت شخمان 95

-حركة بني امكيلد 104-95

-حركة بني يعقوب 104-95

فهرس الأعلام:

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم............67-82-86-101-109-110-113-119-124-132-139-144-157-167-178-191-192-205-211-228-238-240-293-297

خليل الله إبراهيم عليه السلام 101

يعقوب النبي............ 258

إبراهيم بن ماهان الموصلي 163

أحمد التجاني............ 208

أحمد بن الحسين (المتنبي)............ 296

أحمد بن موسى البخاري (باحماد أبو يحيى)............140-144-147-148-149-150-151-253

إدريس الأول............ 76

إدريس بن العلام البخاري............ 152

إدريس بن محمد بن إدريس العمراوي............270-274-276-277-278-280

إدريس بن محمد يعيش (ابن يعيش) 158-161-163

أسماء............ 80

إسماعيل بن محمد الشريف العلوي............ 73-80-83-91

أشعب بن جبير............ 107

الأعشى قيس بن ميمون 256
أميمة 103
إياس بن معاوية 195
الباجي سليمان بن خلف 224
البتول فاطمة الزهراء 252-115
البخاري محمد بن إسماعيل 143
بشار بن برد 296-282-214-211-134
أبو بكر الصديق 124
بنيس 275
ابن البواب علي بن هلال 192
توبة بن الحمير 284
جرير بن عطية 289-282-204-195-182-134
جعفر بن يحيى البرمكي 123
ابن جلا 298
جميل بن معمر 282-222-208-204-134-126
ابن جني 132
أبو جهل عمرو بن هشام 110
جهينة 259-89-70
حاتم الطائي 146
حبابة المغنية (جارية يزيد بن عبد الملك) 143
حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) 122
حذيفة بن بدر 136

حسان بن ثابت 118
الحسن بن علي........ 132-192
الحسن بن محمد بن عبد الرحمن (أبو علي)........ 75-76-79-
93-97-102-111-113-126-178-181-228-236
أبو الحسن علي بن المقدم الدرعي 207
الحسين بن علي........ 132-192
الحلاج الحسين بن منصور 228
حماد الراوية........ 106
ابن الخطيب (لسان الدين)........ 106-207
الخليل بن أحمد الفراهيدي........ 103-208-217-212
خليل بن إسحاق........ 164-226
الخنساء........ 301
ذو الكفل........ 145
الرجراجي 226
الرشيد (هارون الرشيد)........ 142
الزجاجي أبو إسحاق عبد الرحمن بن إسحاق 224-226
زهير بن أبي سلمى........ 182-256
زياد بن أبيه 191
ابن زيدون 266
زير النساء (مهلهل بن ربيعة) 224
سحبان بن زفر الوائلي........ 191
السدي إسماعيل بن عبد الرحمن 245

سعاد 103
سلم الخاسر 23
سليمان 267-270
سليمان بن محمد بن عبد الله 74
السندي محمد بن عبد الهادي 245
ابن سودة محمد بن الطالب 265
سيبويه 102-132-224-273
سيف ذو يزن 107
ابن شاس المصري 195
الشافعي محمد بن إدريس 122
شداد بن عاد بن ملطاط اليماني الحميري 239
شعبة بن الحجاج 281
شعيا بن أمصيا 145
الصاحب ابن عباد 192-207-217-221-235
صخر بن عمرو بن الشريد 301
الطاهر بن عبد الكريم التازي 239-242-244
عبادة بن الصامت 153
عبد الحميد الكاتب 191-192-235
عبد الرحمن الشرفي 281-288-289-290-293
عبد الرحمن بن هشام 70-74-264-270
عبد السلام بن محمد التازي 235-236
عبد الملك بن حبيب السلمي 283

عبد الواحد بن محمد ابن المواز 256
أبو عبيدة ابن الجراح 247
عثمان بن محمد بن عبد الرحمن........ 115-117-118-120-283
عزة بنت جميل بن حفص الحاجبية الغفارية 190
عزوز........ 206
ابن أبي العشائر........ 238
ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن 218
علي الشريف........ 75-124
علي بن محمد المسفيوي........ 163-167-170
علي قصارة........ 257
عمر بن الحارث بن الشريد........ 136
ابن العميد محمد بن الحسين........ 192-235
عوف بن معاوية بن عقبة 289
عياض بن موسى اليحصبي........ 75-281
الغريض عبد الملك مولى العبلات........ 141-291
غيلان بن عقبة (ذو الرمة)........ 148-172-190-284
الفراء يحيى بن زياد........ 252
الفرزدق (أبو فراس)........ 34-195-289
القباج........ 228
قتادة بن دعامة........ 245-281
قدامة بن جعفر 141
قس بن ساعدة الإيادي........ 191

أبو قلابة الجرمي.......... 143
قيس بن الملوح (المجنون).......... 122-143-172-190-222
قيس بن ذريح.......... 151-204-215
قيصر.......... 110
كثير عزة.......... 126-190-284
الكسائي علي بن حمزة.......... 226
كسرى.......... 149-155
كعب بن زهير.......... 118
لبنى بنت الحباب الكعبية.......... 151-204-215
لقمان الحكيم.......... 266
ليلى العامرية.......... 143-172
مالك بن أنس الأصبحي.......... 219
ماني (محمد بن القاسم).......... 204-288
المبرد.......... 190
المتوكل العباسي.......... 142
مَحمد الشريف.......... 73
محمد الصغير بن العربي الجامعي (ابن جامع).......... 184-185-186-187-189-190
محمد العربي بن محمد الزبدي.......... 245-248-250
محمد العربي المنيعي.......... 251
محمد بن أحمد الصنهاجي.......... 224-226
محمد بن داني الصغير.......... 207-210-212-216
محمد بن داني الكبير.......... 191-199-200-202-204-206

محمد بن سليمان 262-268
محمد بن عبد الرحمن الحجرتي 257
محمد بن عبد الرحمن بن هشام 70-74-75-122-264
محمد بن العربي الجامعي (ابن جامع) 172-174-175-179-181-184
محمد بن محمد التازي 231-233
محمد بن محمد المفضل غريط 217
المرادي حسن بن قاسم 218
معبد بن وهب 141-291
المعري أبو العلاء 204
ابن مقبل 99
ابن مقلة 123-192
الملك الضليل (امرؤ القيس) 282
منصور بن احمد المسفيوي (أبو الحسن) 165-167
المهدي 245
مهيار الديلمي 134
موسى بن أحمد البخاري (ذو الوزارتين) 122-131-132-
133-134-136-137-173-271
مية بنت طلبة المنقرية 148-172-190
نافع بن أبي نعيم 219
النديم أبو إسحاق محمد بن أبي يعقوب 265
نصيب بن رباح 134
النوار بنت أعين 141

أبو نواس الحسن بن هانئ 114-204-211-288
هلال بن عامر 186
ولادة بنت المستكفي بالله 266
يزيد بن عبد الملك 143
يونس بن حبيب الضبي 103

فهرس البلدان والأماكن:

الأبلة 84

أجأ 208-248

أحد 112

الأحواز المراكشية 71

أرض البقيع 297

إضم 112-165

أم الربيع 297

الأندلس 283

الأهرام 155

الأهواز 256

إيوان كسرى 155

البحيرة 299

بغداد 231

البقيع 112-297

بلاد حاحة 123

بلاد الغرب 168

بلاد هوارة 77

البلد الأقصى 77-253

البيت العتيق................ 256
تازة................ 193
ثبير................ 208
جبال درن................ 301-164-123
جبال الطور................ 167
جبل الجليل................ 123
الجليل................ 123
حاجر................ 237
حاحة................ 123
الحجاز................ 284-256
الحريش................ 157
الحطيم................ 266
حلوان................ 168
الخورنق................ 142
الخيف................ 289
دار السلام................ 117-114
درعة................ 207
درن................ 301-123-116
ديوان العدول................ 295
ذو سلم................ 165-112
رامة................ 112
رباط الفتح................ 250-76

رباط ماسة 74
رضوى 271-92
الركن 266
الرها 231-173
الروحاء 102
الريف 76
زرهون 76
الزوراء 282-252
السدير 142
سلع 165-112
سلمى 248-208
سوس 83-78
سوس الأقصى 253-77
الشام 155-114
شعب بوان 84
الصريمة 118
الصغد 84
الصفا 252
صنعاء 182
الصويرة 299-158
الصين 234
الطور 167

طيبة 284-256-157-139-112
العذيب 237
العراق 301-165
العريش 157
العقيق 112
عمان 288-262-115-75
غوطة دمشق 84
فاس 290-283-264-261-258-196-195-194-175-170-76
قبة الصويرة 158
القصور الحمر 110
كاظمة 112
الكعبة 266
اللوى 118
ماسة 74
المدينة 300
مراكش (الحضرة المراكشية) -295-296
285-259-207-188-170-168-164-77
مرو 173
المشور السعيد 185-153-152
مصر 114
مطبعة الكتب بفاس 264
معرة النعمان 299

المغرب.. 70-120
مكة.. 139-300
مكناسة الزيتون.. 76-91-148-170-212
ملوية.. 96
المنشية.. 71
نخلتي حلوان.. 168
نهر الأبلة.. 84
الهند.. 234
واد نون.. 78
وادي العقيق.. 112
وجدة.. 76
وجرة.. 112

فهرس الأمم والقبائل والطوائف:

آل الرسول.. 89

آل سعد.. 110

آيت شخمان.. 95

الأتراك.. 73

الأعاجم.. 160

الأعارب.. 160

الأكاسر.. 239-109

أهل البيت.. 252

بنو امكيلد.. 104-95

أهل البوادي.. 297

أهل الحجاز.. 284

أهل طيبة.. 157

أهل العريش.. 157

أهل فاس.. 290

إياد.. 191

البرابرة.. 239-76

التبابع.. 178

تبع.. 107-90

ثمود.. 105
جديس.. 274
الدلايتون.. 71
بنو سليم.. 126
صنهاجة.. 230
الطريقة التيجانية.. 208
طسم.. 274
طيء.. 146
عاد.. 105
بنو العباس.. 171
بنو عبد المدان.. 202
العجم.. 292-79
عدنان.. 117
العرب.. 292-79
بنو العلام.. 157-154
بنو فزارة.. 136
قحطان.. 117
القسيسون.. 283
القياصر.. 239
بنو مرين.. 171-90
بنو منيع.. 251
النصارى.. 272-125

بنو نمير..................177
هوارة..................77
وائل..................191
بنو وطاس..................171
بنو يعقوب..................104-95

فهرس الكتب الواردة في المتن:

- ألفية ابن مالك النحوي (ت 672 هـ)................................252

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس، لابن أبي زرع الفاسي، (ت.741هـ)................................76

- البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف،
لأبي القاسم الزياني، (ت.1249هـ)................................73-74

- جمع الجوامع، لتاج الدين السبكي، (ت. 771هـ)................................118

- الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية،
لابن داني الندرومي (ت.1331هـ)................................70

- ديوان الصبابة، لابن أبي حجلة التلمساني (ت.776هـ)................................158-251

- شرح ألفية ابن مالك، لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله
بن محمد القرشي الهاشمي (ت.769هـ)................................218

- شرح ألفية ابن مالك، للمرادي حسن بن قاسم
بن عبد الله بن عليّ (ت.749هـ)................................218

- شرح تحفة الحكَّام، لمحمد التَّاوُدِي بن محمد الطَّالب بن محمد
ابن سُودة الْـمُرِّي (ت.1209هـ)................................256

- **الشفا في التعريف بحقوق المصطفى**، للقاضي عياض
218 بن موسى اليحصبي (ت. 544هـ)........ 75

- **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت.256هـ)........ 143

- **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، للفتح ابن خاقان، (ت.528هـ)........ 266

- **العاصمية = تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام**، للقاضي أبي بكر محمد
ابن عاصم الأندلسي الغرناطي، (ت. 829هـ)........ 265

- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، لضياء
الدين ابن الأثير (ت.637هـ)........ 282-237-185

- **مختصر الشيخ خليل**، لخليل بن إسحاق
بن موسى (ت.776هـ)........ 282-226-164

- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**،
للفتح بن خاقان، (ت.528هـ)........ 266

- **المعيار المعرب** لأحمد بن يحيى الونشريسي، (ت.914هـ)........ 171

لائحة المصادر والمراجع:

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمن ابن زيدان، المطبعة الوطنية، ط. 2، 1410هـ- 1990م.
- إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 1417هـ/ 1997م.
- أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، مكتبة لبنان ناشرون، ط.1، 1996م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، سنة 2005 م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، بذيل كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط.1، 1969م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير. تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط.1، 1969م.
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الطبعة الثانية عام 1413هـ - 1993م.

- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. 15، 2002م.

- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت ط.10، 1412هـ/ 1991م.

- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. شرحه وكتب هوامشه عبد الأمير علي مهنا وسمير يوسف جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط.4، 1422هـ - 2002م.

- الأمالي، لأبي علي القالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1416هـ/ 1996م.

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط.1، 1424هـ - 2004م.

- إيقاظ السريرة في تراجم علماء الصويرة، لأبي عبد الله محمد بن سعيد الصديقي الصويري، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء بدون طبعة ولا تاريخ.

- البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي. مكتبة المعارف بيروت ط. 2، 1977م.

- البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في بعض مآثر مولانا الحسن، لمحمد بن إبراهيم السباعي، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 12432.

- البيان والتبيين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ط.2، 1380هـ/ 1960م.

- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط.2، 1387هـ.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام شمس الدين الذهبي. حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي. ط.1، 2003 م.

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي. حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي. ط.1، 1422هـ / 2001 م.

- تاريخ الضعيف الرباطي، لمحمد بن عبد السلام الرباطي، دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1، 1408هـ / 1988 م.

- تزيين الأسواق في أخبار العشاق، لداود الأنطاكي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

- التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، للحسن بن الطيب اليماني بوعشرين، تقديم وتصحيح محمد المنوني، دار المعرفة، الرباط، ط.1، 1415هـ/ 1994م.

- تهذيب التهذيب، لشهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن، ط.1، 1325هـ.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، 1985م.

- جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ضبطه وكتب هوامشه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1408هـ / 1988م.

- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر. ط.3، 1391هـ / 1971م.

- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، لمحمد بن أحمد الكنسوسي، تحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي، بدون طبعة ولا تاريخ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة، مصر، 1351هـ - 1932م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط.3، 1409هـ / 1989م.
- الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية، لابن داني الندرومي، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 481.
- الدرر البهية والجواهر النبوية، لإدريس الفضيلي، مراجعة أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى ابن أحمد العلوي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1420 هـ - 1999م.
- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لعبد الرحمن ابن زيدان العلوي، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ / 1937م.
- دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام ابن سودة المري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط. 2، 1960 / 1965.
- ديوان ابن داني الندرومي، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 10907.
- ديوان أبي حامد المشرفي، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 5310.

- ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.
- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط.1، 1407هـ/ 1987م.
- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1424هـ/ 2004م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1399هـ/ 1979م.
- رسائل أبي علي اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة الدار البيضاء ط. 1. 1401 هـ - 1981م.
- الروض الأنف، لعبد الرحمن السهيلي الخثعمي، مطبعة الجمالية بمصر، 1332هـ / 1914م.
- روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، لأبي عبد الله محمد الصغير اليفرني، المطبعة الملكية، الرباط، 1382هـ/ 1962م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي، حققه محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1، 1401هـ/ 1981م.
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، وآخَرين، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. 1، 1425هـ / 2004م.
- سمط اللآلي، لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

- سِيَرُ أعلام النبلاء، للإمام الذهبي. باعتناء مجموعة من الأساتذة. مؤسسة الرسالة. ط.1، 1401هـ - 1981م.

- السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام، تحقيق محمد سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/ 1994م.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي. مكتبة القدسي، طبعة سنة 1350هـ.

- الشِّرْبُ المحتضر والسر المنتظر من معنى أهل القرن الثالث عشر، لجعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، 2004.

- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العمري، حققه وقدم له إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، مطبعة حكومة الكويت، ط.2، 1984م.

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1964م.

- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، طبع وتحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب، الرياض، ط.1، 1417هـ / 1996م.

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم ابن بشكوال، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 2010 م.

- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب السبكي. تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. 1383هـ - 1964م.

- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط.2، 1418هـ - 1998م.

- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، ط.1، 1392هـ - 1972م.

- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط.2، بدون تاريخ.

- العز والصولة في معالم نظم الدولة، لعبد الرحمن ابن زيدان، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ / 1961م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، للحسن ابن رشيق القيرواني، تح. محمد قرقزان، مطبعة الكاتب العربي بدمشق، ط.2، 1414هـ/ 1994م.

- عنوان الأديب عما نشأ بالمملكة التونسية من علام أديب، للشيخ محمد النيفر، المطبعة التونسية، ط.1، 1351 هـ.

- عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، نسخة مصورة عن دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دون تاريخ.

- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، طبع بمصر، 1351هـ.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عبد الحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم. ضبطه وعلق عليه د. يوسف

على طويل، وضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.2، 1422هـ - 2002م.

- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت، دون طبعة ولا تاريخ.

- فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، لمحمد غريط، طبع بفاس سنة 1347 هـ.

- الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي، تحقيق الحساني حسن عبد الله، الناشر خانجي وحمدان، بيروت، بدون تاريخ.

- كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، أشرف على طبعه: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون طبعة ولا تاريخ.

- لسان العرب لابن منظور، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط. 1، 1416هـ/ 1995م.

- لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط.2، 1390هـ / 1971م

- مجمع الأمثال، لأحمد بن محمد الميداني، قدم له وعلق عليه نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة ولا تاريخ.

- المُحَبَّر، لمحمد بن حبيب، رواية أبي سعيد السكري، اعتنى بتصحيحه: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة بيروت، دون طبعة ولا تاريخ.

- مراتب النحويين، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر العربي، دون تاريخ.

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، عني بتحقيقه وتصحيحه شارل بلا. منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1965م.

- المستقصى في أمثال العرب، لجار الله الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3، 1407هـ / 1987.

- المصادر العربية لتاريخ المغرب، (الجزء الثاني)، لمحمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1404 / 1983.

- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، 1367هـ - 1947م.

- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي بيروت، ط. 1، 1993م.

- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي. طبعة دار صادر، بيروت، ط.2، 1995م.

- معجم المطبوعات المغربية، لإدريس القيطوني، مطابع سلا، مدينة سلا (المغرب)، 1988.

- المعجم الوسيط، قام بإخراج هذه الطبعة: إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله، ط.2، بدون طبعة ولا تاريخ.

- معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب.

- المقالة المرومة في الرحلة إلى تلمسان وندرومة، لمحمد الراضي بن إدريس بن علي المالكي السناني، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 12236.

- مقامات الحريري، للقاسم بن علي بن محمد الحريري، طبع بالمطبعة الحسنية المصرية، 1348هـ / 1929م.
- المنشورات المغربية منذ ظهور الطباعة إلى سنة 1956، لطيفة الكندوز منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، 2004م.
- المؤتلِف والمختلِف في أسماء الشعراء وكناهم وأنسابهم وبعض شعرهم، للحسن بن بشر الآمدي، صححه وعلق عليه كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1411هـ/ 1991م.
- موسوعة أعلام المغرب، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1417هـ / 1996 م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، عنيت بنشره جمعية نشر الكتب العربية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1343 هـ.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1348هـ/ 1929م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1388هـ/ 1968م.
- النكت المستخرجة من كتاب المشابكة، لمحمد بن الحاج الشرفي، نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 1352.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري. نسخة مصورة عن طبقة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، 1378 هـ / 1958م.
- وفيات الصقلي، (ذكر من اشتهر أمره وانتشر ممن بعد الستين من أهل القرن الثالث عشر) تحقيق أحمد العراقي، مطبعة أنفو برانس، فاس، ط.1، 1422هـ / 2001م.
- الوافي بالوفيات، لخليل بن أيبك الصفدي. نشر بإشراف مجموعة من الأساتذة. دار النشر، فرانز شتاينر، ط.2، 1381هـ/ 1962م.
- الوزراء والكتاب، لمحمد بن عبدوس الجهشياري، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر، ط.1، 1392هـ/ 1983م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. حققه إحسان عباس. دار صادر، بيروت.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط.2، 1375هـ - 1956م.

فهرس المحتويات

تقديم 9-5
المقدمة.. 58-11
ابن داني الندرومي حياته وآثاره 42-11
وصف النسخة الخطية لكتاب الدرة السَّنية في ذكر الدَّولة الحسنيَّة 44-42
عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه.. 46-44
محتوى الكتاب ودواعي تأليفه.. 55-46
ظاهرة تحبير الشعر.. 56-55
ظاهرة الافتخار بالشعر.. 58-56
نماذج من النسخة الخطية لكتاب الدرة السَّنية في ذكر الدَّولة الحسنيَّة 63-59
متن كتاب الدرة السَّنية في ذكر الدَّولة الحسنيَّة.. 301-67
التقديم 71-67
المقدمة.. 78-73
التعريف 293-79
ترجمة السلطان الحسن الأول 115-79
ترجمة الأمير عثمان بن محمد بن عبد الرحمن 122-115
ترجمة الحاجب موسى بن أحمد البخاري 140-122
ترجمة الحاجب احماد بن موسى البخاري.. 152-140
ترجمة قائد المشور إدريس بن العلام 157-152

ترجمة القائد إدريس بن محمد يعيش.......... 163-157
ترجمة الوزير علي بن محمد المسفيوي.......... 172-163
ترجمة الوزير محمد بن العربي الجامعي.......... 184-172
ترجمة الوزير محمد الصغير بن العربي الجامعي.......... 191-184
ترجمة الفقيه الكاتب محمد بن داني الكبير.......... 207-191
ترجمة الكاتب محمد بن داني الصغير.......... 217-207
ترجمة الوزير محمد بن محمد المفضل غريط.......... 224-217
ترجمة الوزير محمد بن أحمد الصنهاجي.......... 231-224
ترجمة الأمين الكبير محمد بن محمد التازي.......... 234-231
ترجمة الأمين عبد السلام بن محمد التازي.......... 237-234
ترجمة الأمين الطاهر بن عبد الكريم التازي.......... 244-237
ترجمة الأمين محمد العربي بن محمد الزبدي.......... 250-245
ترجمة الفقيه الكاتب محمد العربي المنيعي.......... 255-251
ترجمة الوزير عبد الواحد بن محمد بن المواز.......... 262-255
ترجمة الفقيه الكاتب محمد بن سليمان.......... 270-262
ترجمة الوزير إدريس بن محمد بن إدريس العمراوي.......... 281-270
ترجمة الوزير عبد الرحمن الشُّرفي.......... 293-281
الخاتمة.......... 301-295
الفهارس العامة للكتاب.......... 347-303

هذا الكتاب

يُعَدُّ كتاب الدُّرَّةِ السَّنِيَّةِ في ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الْـحَسَنِيَّةِ لابن داني النَّدرومي، من بين أهم المصادر التَّاريخيَّة والأدبيَّة في عهد الدَّولة العلويَّة، ويتألَّف من مقدمة، وتعريف، وخاتمة، فقد أورد المؤلِّف في المقدمة نبذةً موجزةً عن نشأة هذه الدَّولة الشَّريفة، وذكر سلاطينها الكرام، أما التَّعريف فساق فيه ترجمة وافية للسُّلطان الحسن الأول، وخليفته بمراكش الأمير عثمان بن محمد بن عبد الرَّحمن، وما أتحف جنابهما به من قصائد مادحة، ثم أردف ذلك بترجمة كبراء هذه الدَّولة من حُجَّاب وكُتَّاب ووزراء وأمناء وسفراء، وأورد بعقب كل ترجمة ما خَصَّهُمْ به من قصائد مادحة. وذَكَرَ في الخاتمة رحلتَهُ في الأحواز الـمُرَّاكشيَّة، وعودتَه إليها، ودخولَه إلى إيوانِ الْـمُلْكِ، لتقديم هذا الكتَّاب هَدِيَّةً سَنِيَّةً للسُّلطان الحسن الأول. وقد وردتْ فيه أخبارٌ وأشعارٌ لم ترد في غيره من المصادر.